الذى أضاء الكون شموس محاسنه النورانيه وتخصصت نواظر الحور العين لبديع محياه * وقطعت صوارم بروق هيبته النبويه حجاب قلوب الجاحدين لدين الله * صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه كنوز المعارف الالهيه الذين بذلوا أنفسهم فى نصرة الحق يبتغون فضله ورضاه *

(وبعد) فيقول المفتقر الى ربه الجليل جعفر بن اسماعيل ان الكتاب المسمى عقد الجوهر فى مولد النبي الازهر للسيد الفاضل والهمام الواصل العلامة الامام والجهبذ الخريت القمقام مفيد الطالبين مفتي المسلمين الجد المرحوم السيد جعفر بن السيد حسن البرزنجى لابرح فى مقعد صدق عند الكريم المنجى كتاب قدره جليل وهو على جلالته أدل دليل وفاق فى بلاغته جميع المؤلفات فى هذا الشان وطربت بادوار مقاصده العقول والاذهان كيف لا وهو الحاوي للمعجزات العظيمه والحاكى للشمائل الكريمه ولعمري لقد أظهر فيه من كنوز الفصاحة اسرار البلاغه وأجرى جواد السبق فأحرز قصبانه فى ميدان البراعه وأتى بمنوال لم يسبق اليه وجزم بعذوبة موارده الواردون عليه وهو وان شرح يحتاج الى شرح يحرر مقاصده ويفتح فرائده ويوضح ما فيه من مطويات الرموز ومخبآت الاسرار ويكشف عن وجوه عرائس فوائده الاستار ويعرب عن عجائب تدقيقه ومحاسن تحقيقه ويفصح عن جواهر تفنيقه وبدائع تأنيقه فاستخرت الله تعالى فى شرح كذلك وان كنت بمعزل عما هنالك موشحا ذلك بما وقفت عليه من الاحاديث المرضية عند العلماء وما ظفرت به من الاقوال المستحسنة لدى الفضلاء فوضعت عليه هذا الشرح اللطيف والانموذج الشريف من غيران يطلبه منى طالب أو يرغب الى فى تصنيفه راغب لكن تطلبت نفسى فيه مدح الامين المأمون زكى المنابت طيب الاغراس الذى ظهرت عند حمله وولادته ورضاعه آيات حيرت عقول ذوى الانفاس فأودعته نفائس كأنهن الياقوت والمرجان وعرائس لم يطمثهن انس قبلهم ولاجان *(وسميته)* الكوكب الانور على عقد الجوهر راجيا من الله ان يهدينى الى الصراط المستقيم ويقلدنى قلادة العبودية من خزائن

الفاسمه الجسيم ويتوجني بتاج القبول ويبلغني كل مقصود ومأمول وان يغفر لي ولمشايخي ولوالدي وان احسن اليهما واليهم والي وان يحشرنا والسامعين يوم القيام تحت لواء سيد الانام وأسأله ان يجعله بفضله العميم خالصا لوجهه الكريم وذخرا ليوم الحساب وخيرا جاريا بعدي اذا صرت رهينا تحت التراب انه هو البر التواب الكريم الوهاب وأسأله ان يعينني على التكميل فهو حسبي ونعم الوكيل

(مقدمة في أصل عمل المولد)

اعلم انه بدعة لانه لم ينقل عن أحد من السلف الصالح من القرون الثلاثة الفاضلة التي شهد النبي صلى الله عليه وسلم بخيريتها لكنها بدعة حسنة لما اشتملت عليه من الاحسان الكثير للفقراء ومن قراءة القرآن واكثار الذكر والصلاة على النبي واظهار الفرح والسرور به صلى الله عليه وسلم ولاجل ذلك لما ظهرت بعد تلك القرون الثلاثة لم تزل اهل الاسلام في سائر الاقطار يحتفلون في شهر مولده خصوصا في ليلته لعمل المولد في ولائم مشتملة على كثرة الطعام والاحسان والصدقات والمبرات مع الاكثار من قراءة القرآن والذكر وقراءة مولده وما ورد فيه من الخبر الثابت وما اشتمل عليه من كراماته ومعجزاته على انه ليس قيدا في استحباب عمل المولد المذكور وانما هو لزيادة الاجور ولقد قال الامام الجليل الشمس ابن الجوزي ان مما جرب ان من فعل ذلك كان له امانا في ذلك العام واول من أحدث ذلك الملك المظفر صاحب اربل وكان يحتفل فيه احتفالا هائلا قال سبط ابن الجوزي في مرآة الزمان حكى لي بعض من حضر سماط المظفر في بعض المواليد انه عد فيه خمسة آلاف رأس غنم شوي وعشرة آلاف دجاجة ومائة فرس ومائة الف صحن حلوى وكان يحضر عنده في المواليد أعيان العلماء والصوفية فيخلع عليهم ويطلق لهم العطية وكان يصرف على المولد ثلاثمائة الف دينار انتهى واستدل شيخ الاسلام والحفاظ أبو الفضل ابن حجر العسقلاني لكونه بدعة حسنة بخبر الصحيحين انه صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة وجد اليهود يصومون يوم عاشوراء فسألهم فقالوا هذا يوم اغرق الله به فرعون ونجى موسى فنحن نصومه شكرا لله تعالى فقال

ثم ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من وجهين (الاول) من جهة طلب الابتداء بها ورد به الحديث المشهور على السنة الجمهور وهو قوله عليه الصلاة والسلام كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم فهو أبتر وفي رواية فهو أقطع وفي

صلى الله عليه وسلم أنا أحق بموسى منكم فصامه وأمر بصيامه وقال ان عشت الى قابل الحديث قال اعنى شيخ الاسلام فيستفاد منه فضل الشكر لله تعالى بانواع العبادات على مامن به في يوم معين من اسداء نعمة اودفع نقمة ويعاد ذلك في نظير ذلك اليوم من كل سنة واى نعمة أعظم من نعمة بروز هذا النبي نبي الرحمة في ذلك اليوم صلى الله عليه وسلم وسبقه لنحو هذا الحافظ ابن الحنبلي رحمه الله تعالى واستدل الحافظ السيوطي رحمه الله تعالى بما أخرجه البيهقي عن أنس رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم عق عن نفسه بعد النبوة مع انه قد ورد ان جده عبد المطلب عق عنه في سابع ولادته والعقيقة لا تعاد مرة ثانية فيحمل ذلك على ان هذا الذى فعله صلى الله عليه وسلم اظهار للشكر على اظهار الله اياه رحمة للعالمين وتشريع كما كان يصلى على نفسه فلذلك يستحب لنا أيضا اظهار الشكر له تعالى بمولده بالاجتماع واطعام الطعام ونحو ذلك من وجوه القربات واظهار المسرات انتهى وتعقبه النجم الغيطي بامور منها ان ماورد من انه صلى الله عليه وسلم عق عن نفسه بعد النبوة حديث منكر بل قال الامام النووى رحمه الله انه باطل لا أصل له * أقول أما القول ببطلانه فغير صواب فقد رواه أحمد والبزار والطبراني من طرق قال ابن حجر العسقلاني رحمه الله في أحدهما ان رجاله رجال الصحيح الا واحدا وهو ثقة وقال العلامة ابن حجر الهيتمي قال في المجموع باطل وكأنه قلد في ذلك انكار البيهقي وغيره وليس الامر كما قالوه انتهى وقال الحلبي في سيرته قال الامام احمد هذا منكر اى حديث منكر والحديث المنكر من أقسام الضعيف لا انه باطل كما قد يتوهم والحافظ السيوطي لم يتعرض لذلك وجعله أصلا لعمل المولد انتهى فلا يسقط التخريج المذكور واستدل العلامة المحدث محمد بن مسعود الكازروني بما رواه في كتابه المنتقى في مولد النبي المصطفى من ان عبد المطلب كان حال ولادته صلى الله عليه وسلم في فناء البيت الحرام فرآه يمادل على مقام ابراهيم وسمع هاتفا يكبر في جوفه ويهتف بمقال منه وهذا محمد نبي وصفي الى ان قال اشهدوا ملائكتى انى قد فتحت له خزائنى فاتخذوا يومه هذا الذى ولد فيه عيدا الى يوم القيامة انتهى وفى الحقيقة ان مولده

صلى الله عليه وسلم عيد للاسلام وأى عيد يشمل القريب من أمته والبعيد وأى نعمة أعظم من ظهور هذا النبي الكريم في هذا الوقت العظيم الذي حصل فيه التفضيل على سائر الموجودات اذ هو الذي جعله الله رحمة للعالمين فعمت به النعمة على جميع الخلائق و ينبغي ان يتحرى اليوم بعينه فان كان ولد ليلا فليقع الشكر بما يناسب الليل وان كان ولد نهارا فنهاره والاصح كما يأتي فيما يناسبه كالصيام والصدقة ولا بد ان يكون ذلك اليوم بعينه من أيام ذلك الشهر بعينه حتى يطابق قصة موسى عليه السلام في يوم عاشوراء ومن لم يلاحظ ذلك لا يبالي بعمل المولد في أي يوم من الشهر بل توسع قوم فنقلوه الى أي يوم كان من السنة وفيه ما فيه و ينبغي ان يقتصر فيه على ما يفهم الشكر لله تعالى من نحو ما ذكر وأما السماع واللهو وغيرهما فما كان مباحا لتعيين السرور بذلك اليوم فلا بأس به وما كان حراما أو مكروها فيمنع وكذا خلاف الاولى وبالجملة فلا بأس بعمل الخير في سائر الايام والليالي التي وقع الاختلاف في تعيين المولد حسبما يأتي على حسب الاستطاعة بل حسن في أيام الشهر كلها ولياليه وقد جاء عن الامام الزاهد القدوة المعمر أبي اسحاق ابراهيم بن عبد الرحمن بن ابراهيم بن جماعة رحمة الله عليهم انه لما كان بطيبة على مشرفها أفضل الصلاة والسلام كان يعمل بها طعاما في المولد النبوي ويطعم الناس و يقول لو تمكنت لعملت بطول الشهر كل يوم مولدا وروى أبو لهب عمه صلى الله عليه وسلم في المنام والرائي له بعض أهله وقيل هو أخوه العباس بعد سنة من وفاته فقيل له ما حالك قال في النار الا انه يخفف عني في كل ليلة اثنين وأمص من بين أصبعي هاتين ماء وان ذلك من اعتاقي لثويبة عندما بشرتني بولادة النبي صلى الله عليه وسلم وبارضاعها له قال ابن الجوزي فاذا كان هذا أبو لهب الكافر الذي نزل القرآن بذمه الذي لا ذم فوقه جوزي في النار بفرحة ليلة مولده صلى الله عليه وسلم فما حال المسلم الموحد الذي يسر بمولده و يبذل ما يقدر عليه في محبته صلى الله عليه وسلم لعمري ان يكون جزاؤه من الرب الكريم ان يدخله بفضله العميم جنات النعيم وما أحسن ما قاله الحافظ الشمس محمد بن ناصر الدين الدمشقي في ذلك

في شيء من أمورهم فاني لم أدعها طرفة عين منذ رأت على أبيك آدم عليه السلام وكذلك الملائكة وفي رواية اذا كتبتم كتابا فاكتبوا في أوله بسم الله الرحمن الرحيم واذا كتبتموها فاقرؤها وروى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال تخلقوا بأخلاق الله ولا شك ان عادته تعالى

اذا كان هذا كافرا جاء ذمه * وتبت يداه في الجحيم مخلدا
أتى انه في يوم الاثنين دائما * يخفف عنه للسرور باحمدا
فما الظن بالعبد الذى عاش عمره * باحمد مسرورا ومات موحدا

نسأل الله ان يميتنا على محبته ويحشرنا تحت لوائه ويشربنا الجنة ووالدينا ومشايخنا واحبابنا وكافة المسلمين آمين يارب العالمين ﴿تتمة﴾ اختلف العلماء في تفضيل ليلة مولده الشريف على ليلة القدر فقال بعضهم ليلة مولده أفضل من ليلة القدر ذكره في المواهب وأقره وتعقبه العلامة ابن حجر رحمه الله في النعمة الكبرى وقال وقد نص الشارع على أفضلية ليلة القدر ولم يتعرض لليلة مولده ولا لامثالها بتفضيل أصلا فوجب علينا ان نقتصر على ما جاء عنه ولا نبتدع شيأ من عند أنفسنا القاصرة عن ادراكه الا بتوقيف منه صلى الله عليه وسلم قال الزرقاني في شرح المواهب وهو وجيه ثم قال واذا قلنا بافضلية ليلة مولده وقلنا ان الولادة نهارا فهل الافضل يوم المولد أو يوم البعث والاقرب كما قال شيخنا ان يوم المولد أفضل لان الله به فيه على العالمين ووجوده يترتب عليه بعثه فالوجود أصل والبعثة طارئة عليه وذلك قد يقتضي تفضيل المولد لاصالته انتهى وأما ليلة الاسراء فقد قال بعض المفسرين انها أفضل من ليلة القدر لكن بالنسبة له صلى الله عليه وسلم لانه أوتي فيها مالا يحيط به الحد ولذا كان الاسراء بالجسم يقظة من خصائص نبينا صلى الله عليه وسلم قال الحافظ ابن حجر وهذا انما يصح ان قام دليل على ان انعام الله على نبيه ليلة الاسراء كان أعظم من انعامه عليه بانزال القرآن ليلة القدر وهذا لا يعلم الا بوحي ولا يجوز لاحد ان يتكلم فيه بلا علم انتهى وظاهره ان الخلاف بين الليلة المعينة التى أسري فيها بالنبي صلى الله عليه وسلم وبين ليلة القدر التى أنزل فيها القرآن وأما الليلة المعينة التى أسري به فيها فافضل من ليلة القدر في كل عام كما ان ليلة القدر في كل عام أفضل من نظائر الليلة التى أسري به فيها في كل عام لما ورد في أرجحية العمل فيها بخلاف ليلة الاسراء فانه لم يأت فيها حديث صحيح ولا ضعيف والله اعلم واعلم ان المصنف رحمه الله تعالى افتتح كتابه بالبسملة اقتداء بالكتاب العزيز وعملا بالحديث المشهور ولانه أحق بالبداءة بالبسملة من كثير من

التصانيف لاشتماله على أفضل العلوم والمعلومات ولا ينافيه قوله بعد أبتدئ الاملاء الخ لان ذلك بمعنى الاخبار عما نبدله كما يأتي فقال ﴿بسم الله﴾ الباء يحتمل ان تكون زائدة وان تكون أصلية فعلى الاول لا تحتاج الى متعلق وعلى الثاني فلابد لها من متعلق واختلفوا في هذا المتعلق فقيل انه فعل وقيل انه اسم وكل منهما خاص أو عام مقدم أو مؤخر فالجملة ثمانية والأولى ان يكون فعلا خاصا مؤخرا أما كونه فعلا فلان الاصل في العمل للافعال واما كونه خاصا فلان كل شارع في فعل اذا أتى بالبسملة يضمر لى نفسه ما جعل التسمية مبدأ له كما ان المسافر اذا حل أو ارتحل فقال بسم الله كان المعنى بسم الله أحل أو ارتحل وأما كونه مؤخرا فلافادة الحصر ولان تقديم اسم الله تعالى على القراءة أهم وأدل على الاختصاص وادخل في التعظيم وأوثق في الوجود كيف وقد جعل آلة لها من حيث ان الفعل لا يعتد به شرعا ما لم يصدر باسمه تعالى لحديث كل أمر ذي بال الخ واختلف هل الاسم عين المسمى أو غيره واستدل القائلون بالاول بنحو فسبح باسم ربك العظيم فامر بتسبيح اسم الله تعالى والمسبح هو البارى فاقتضى ان اسم الله تعالى هو هو * وأجيب بأنه ضمن سبح معنى اذكر اسم ربك * فان قيل لم قال سبحانه بسم الله ولم يقل بالله * قلت قال الاخفش لامرين لان التبرك والاستعانة المطلوبين من العبد لنا في ابتداء كل أمر ذي بال انما يحصل بذكر اسم الله تعالى أو للفرق بين اليمين والتيمن فلو قيل بالله لظن يمينا فازيل الاشتباه بذكر الاسم وقال قطرب لاجلال الله تعالى ليقع به الفرق بين ذكره وبين الخلق قال الامام المحقق السيد محمد بن رسول البرزنجي في أنوار السلسبيل على البيضاوى أقول وفيه اشارة دقيقة الى ان حقيقة ذاته تعالى وكنهه لا يمكن ان يدرك ولا يدرك كيف يذكر وانما المدرك أسماؤه تعالى وصفاته أو ان لسان الخلق ليس له ان يذكر الذات المقدس مع كمال تقدسه فلولا التوسل بذكر اسمه ليكون شفيعا له في ذكره لكان مظنة ان لا يقبل منه وان يعاقب انتهى * والاسم مشتق من السمو وهو العلو وقيل من الوسم وهي العلامة والله أصله الاله المنكر واختار صاحب الكشاف ان أصله الاله المعرف والاول أولى لان تعبير الكشاف ان لم يكن

قوله صلى الله عليه وسلم ان أول ما جرى به القلم في اللوح المحفوظ بسم الله الرحمن الرحيم وانه أول ما نزل على آدم وانه أمن أهل السموات والارض وانها كلمة جواز من الله تعالى وانه خاتم الله لعباده الموحدين وقوله صلى الله عليه وسلم ان المعلم اذا قال للصبي قل بسم الله الرحمن الرحيم فقال الصبي بسم الله

مراده أصله القريب يوهم ان الالف واللام معتبران في الاصل وليس كذلك
للوفاق على زيادتهما على الاصل ثم حذفت الهمزة منه حذفا اعتباطيا غير
قياسي وعوض عنها الالف واللام وجوبا ولذلك قيل يا ألله بالقطع وحذفت
الالف الاخيرة من الله خطا وقيل تخفيفا وقيل لغة فاستعمل في الخط ثم
فخمت تعظيما ولئلا يلتبس باللات عند من يقف عليها بالهاء والله والاله
كالاسماء مختصان به تعالى الا ان الفرق بينهما ان الاول مختص بالمعبود
بحق والثاني يطلق على كل معبود بحق او باطل ثم غلب على المعبود بحق كما ان
النجم اسم لكل كوكب ثم غلب على الثريا وقال الاكثرون ليس بمختص
بالمعبود بحق بل هو علم على الذات الواجب الوجود المستحق لجميع المحامد
لم يتسم به سواه تسمى به قبل ان يسمى وانزله على آدم من جملة الاسماء وقال
هل تعلم له سميا أي هل تعلم احدا اسمى الله غير الله وقال ابن الخازن وهو
الصحيح المختار ودليله ما ذكر يعني لا يقال لغير الله فهو خاص لا يختص به
سبحانه وتعالى اذ لا يسمى به غيره فهو أخص الاسماء وهو اعرف المعارف
وأعظم الاسماء لانه دل على الذات الموصوف بصفات الالهية كلها فهو
اسم جامع لمعاني سائر الاسماء الحسنى كلها وما سواه خاص بمعنى فلذا
يضاف اليه جميع الاسماء ولا يضاف هو الى شيء وهو عربي عند الاكثرين
وعند المحققين انه الاسم الاعظم وقد ذكر في القرآن العظيم في الفين
وثلاثمائة وستين موضعا وعدم الاستجابة لكثيرين لعدم استجماعهم
شرائط الدعاء التي من جملتها أكل الحلال وقد نظمها البدر بن جماعة
في قوله

قالوا شروط للدعاء المستجاب لنا * عشر بها يبشر الداعي بافلاح
طهارة وصلاح معهما ندم * وقت خشوع وحسن الظن يا صاح
وحل قوت ولا يدعو بمعصية * واسم يناسب مقرونا بالحاح

واختار النووي رحمه الله انه الحي القيوم وقيل هو لفظة هو وقيل الله
الرحمن الرحيم وقيل الرحمن الرحيم الحي القيوم وقيل الحنان المنان بديع
السموات والارض ذو الجلال والاكرام رآه رجل مكتوبا في الكواكب في
السماء وقيل ذو الجلال والاكرام وقيل الله لا اله الا هو الاحد الصمد الذي

لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد وقيل رب رب وقيل لا إله إلا أنت سبحانك
إني كنت من الظالمين وقيل هو الله الله الذي لا إله إلا هو رب العرش
العظيم وقيل هو مخفي في الأسماء الحسنى وقيل كل اسم دعا العبد به ربه
مستغرقا بحيث لا يكون في فكره حالتئذ غير الله وقيل كلمة التوحيد وقيل
الاسم الأعظم مما استأثر الله به * تنبيه * قال القسطلاني نقلا عن
الفتح وهل يجوز تفضيل بعض أسماء الله على بعض فمنع من ذلك أبو جعفر
الطبري وأبو الحسن الأشعري والقاضي أبو بكر الباقلاني لما يؤدي ذلك
إلى اعتقاد نقصان المفضول على الأفضل وحملوا ما ورد من ذلك على أن المراد
بالأعظم العظيم وأن أسماء الله تعالى عظيمة وقال ابن حبان الأعظمية
الواردة المراد بها مزيد ثواب الداعي بها انتهى ﴿الرحمن الرحيم﴾ هما
صفتان مبنيتان للمبالغة من الرحمة فالرحمن البالغ في الرحمة والإنعام ومن ثم
لم يسم به غيره تعالى وتسمية أهل اليمامة مسيلمة لعنه الله به من التعنت
في الكفر ويجوز صرفه وعدمه والرحيم ذي الرحمة الكثيرة فالرحمن أبلغ
من الرحيم وإن جمع في الحديث يا رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما لزيادة
بنائه فإن رحمن خمسة أحرف ورحيم أربعة أحرف وهي تدل غالبا على زيادة
المعنى وإنما قلنا غالبا لخروج مثل حذر وحاذر فإن الأول أبلغ مع أن الثاني فيه
زيادة البناء والاستدلال على الأغلبية بقولهم يا رحمن الدنيا والآخرة
ورحيم الآخرة فيه نظر لهذا الحديث الدال على استوائهما في ذلك وأتى به
تتميما لوصفه تعالى بالرحمة والرحمة رقة في القلب وانعطاف [illegible]
غايته الإنعام فهي مستحيلة في حقه تعالى باعتبار مبدئها وهي الرقة في
القلب والانعطاف جائزة باعتبار غايتها وهي الإنعام وحينئذ تكون مجازا
مرسلا أصليا من إطلاق اسم السبب وإرادة المسبب ويكون الرحمن الرحيم
مجازا مرسلا تبعيا كذلك ويصح أن يكون في الكلام كناية اصطلاحية
وهي لفظ أطلق وأريد لازم معناه وما ذكرنا من اعتبار الغاية هو أحد
القولين فيه للخلف وإنما قالوا باعتبار غايتها لأن أسماء الله تعالى المشتقة
من المعاني الانفعالية إنما تؤخذ باعتبار الغايات التي هي أفعال كالتفضل
والإحسان والمغفرة دون المبادي التي تكون انفعالات فالرحمة المشتق

إبراهيم وهو ملقى في النار فكانت بردا وسلاما عليه وعلى عصا موسى عليه السلام بالعبرانية فانفلق البحر بضربه بها وعلى لسان عيسى عليه السلام فتكلم في المهد وأبرأ الأكمه والأبرص بإذن الله تعالى وعلى خاتم سليمان وروي من قالها ومنها سجدت معه الجبال إلا أنه لا يسمع تسجيدها وقالت الجنة لبيك اللهم وسعديك اللهم إن عبدك فلانا قال بسم الله الرحمن الرحيم اللهم زحزحه من النار وأدخله الجنة وروي أنها لو وضعت في كفة الميزان ووضعت السموات السبع والأرضون السبع وما فيهن وما بينهن في الأخرى

منها الايمان فى اللغة معناها رقة القلب والانعطاف والرقة والانعطاف انفعال يتنزه عنه واجب الوجود فلا يسوغ اشتقاق الاسمين منها الا باعتبار غايتها وهى التفضل والاحسان فتكون من صفات الافعال فالرحمن بمنزلة الخالق والرازق وقيل باعتبار مبدأ تلك الافعال الذى هو ارادة ذلك فتكون من قبيل صفات الذات فالرحمن والرحيم بمنزلة المريد قال بعضهم منشأ الاختلاف ان من رحم شخصا أراد به الخير ثم فعله به فالشيخ الاشعرى أخذ المجاز الاقرب وهو الارادة والقاضى أبو بكر أخذ المجاز المقصود وهو الفعل انتهى قال جدنا محمد بن رسول فى أنهاره وعلى القولين يتعين التأويل انتهى وقد علمت ان هذين القولين هما مذهب الخلف وأما مذهب السلف فالايمان بذلك والتسليم فانه كما جاز ان يكون سمع الله وبصره صفتين حقيقيتين واطلاق السميع والبصير عليه حقيقة مع عدم لزوم التجسيم لعدم استلزامها ثبوت الجارحة له تعالى كذلك جاز ان تكون الرحمة صفة حقيقية لله تعالى ويكون اطلاق الرحمن الرحيم عليه حقيقة ولا يستلزم ثبوت الانفعال وانما اختير هذان الوصفان فى الابتداء للاشارة الواضحة التامة الى غاية جانب الرحمة وسعتها وسبقها الطفا بالعباد قال تعالى ورحمتى وسعت كل شئ وفى الحديث ان الله كتب فى كتاب فهو عنده فوق العرش ان رحمتى سبقت غضبى وقدم الرحمن على الرحيم لما مر ولانه خاص اذ لا يقال لغير الله تعالى بخلاف الرحيم وهما من أذكار المضطرين لانهما يسرع اسم تنفيس الكرب وفتح أبواب الفرج وجملة البسملة تحتمل الخبرية مطلقا والانشائية مطلقا وقد قيل بكل منهما ووجه الاول بعضهم وتلقاه من بعده بالقبول وتعقبه الخفاجى فى نسيم الرياض وقد اجابوا عنه واستظهر بعض المحققين انها خبرية الصدر لصدق تعريف الخبر عليه اعنى عدم توقف ثبوت مدلوله خارجا على النطق انشائية العجز أعنى الجار والمجرور لتوقف الاستعانة او المصاحبة التبركية على النطق بذلك ويوضحه ما ذكره العلامة المحقق الصبان فى بسملته ونصه وهل هى اى الجملة انشاء أو خبر لنا فى ذلك تفصيل حسن حاصله الباء ان كانت للاستعانة أو المصاحبة فالجملة المقدرة اعنى أؤلف مثلا خبر لصدق حد

الخبر عليه وهو الكلام الذي يتحقق مدلوله خارجا بدون ذكره لتحقق التأليف مثلا بدون ذكر أؤلف ومتعلقه أعني الجار والمجرور وانشاء لصدق حد الانشاء عليه وهو الكلام الذي لا يتحقق مدلوله خارجا بدون ذكره لعدم تحقق الاستعانة باسمه تعالى والمصاحبة له بدون ذكر بسم الله فان قلت الجار والمجرور ليس بكلام فكيف جعل انشاء قلت هو في معنى الكلام لانه في معنى أستعين باسم الله أو أصاحب اسم الله فبيان ان مجموع أؤلف بسم الله الرحمن الرحيم على تقديري الباء المذكورين خبر صدرا انشاء عجزا انتهى المقصود منه ثم الاصح ان بسم الله الرحمن الرحيم بهذه الالفاظ العربية على هذا الترتيب من خصائص المصطفى صلى الله عليه وسلم وامته المحمدية وما في سورة النمل جاء على جهة الترجمة عما في ذلك الكتاب فانه لم يكن عربيا كما افاده بعض المحققين وعند الطبراني عن بريدة رفعه أنزل علي آية لم تنزل على نبي بعد سليمان غيري بسم الله الرحمن الرحيم وأما حديث بسم الله الرحمن الرحيم مفتاح كل كتاب رواه الخطيب في الجامع معضلا فلا يرد وعلى فرض صحته فلا ينافي الخصوصية لانه لم تكن بالالفاظ العربية وهي آية عظيمة فضائلها كثيرة وفوائدها شهيرة افردها العلماء بالتصانيف فلنذكر شيئا منها اذ لا بأس به باعتبار الفن الذي نحن فيه وهو فن الحديث لتعود بركتها علينا ان شاء الله تعالى فمما ورد في فضلها من الاخبار والآثار انها لما نزلت حلف الله بعزته وجلاله ان لا يسمى على شيء الا بارك فيه وانه من أراد الله ان ينجيه من الزبانية التسعة عشر فليقرأها ليجعل الله له بكل حرف منها جنة أي وقاية من كل واحد منهم وانه من قرأها موقنا سبحت معه الجبال الا انه لا يسمع ذلك منها وانه من قرأها كتب الله له بكل حرف أربعة آلاف حسنة ومحا عنه أربعة آلاف سيئة ورفع له أربعة آلاف درجة ومن ختم له باسم الله مات سعيدا ومن وضع في قبره قيل بسم الله وعلى ملة رسول الله لقن الجواب وقال علي كرم الله وجهه كلمة بسم الله سهولة لامره وجنة لا شرور وشفاء لما في الصدور وأمان يوم النشور وقال أبو بكر الوراق رحمه الله تعالى ان بسم الله الرحمن الرحيم روضة من رياض الجنة لكل حرف منها تفسير على حدته في الاخبار عن النبي

صلى

اراه فكيف يدخل الجنة وقال ابن مسعود رضي الله عنه من أراد أن ينجيه الله من الزبانية التسعة عشر فليقرأ بسم الله الرحمن الرحيم فانها تسعة عشر حرفا ليجعل الله كل حرف منها جنة له من كل واحد وقال بعض أهل المعرفة بسملة كلمة قدسية من كنز الهداية وخلعة ربوبية من خلع الولاية ووصلة قربية لاهل العناية ورحمة خاصة لاصحاب الجناية ويكفيها شرفا كونها في اول كل سورة من كلام الحكيم الخبير

صلى الله عليه وسلم قال ليلة أسري بي الى السماء عرض على جميع الجنان فرأيت فيها أربعة أنهار نهر من ماء غير آسن ونهر من لبن لم يتغير طعمه ونهر من خمر ونهر من عسل كما قال الله تعالى في القرآن فيها أنهار من ماء غير آسن الآية فقلت لجبريل عليه السلام من أين تجيء والى أين تذهب قال تذهب الى حوض الكوثر ولا أدري من أين تجيء فاسأل الله أن يريك فدعوت ربي فجاء في ملك فسلم على ثم قال يا محمد غمض عينيك فغمضت عيني ثم قال افتحهما فاذا أنا عند شجرة ورأيت قبة من زمردة بيضاء ولها باب من ذهب أحمر وقيل زمرذ اخضر لو ان جميع ما في الدنيا من الجن والانس وقفوا على تلك القبة لكانوا مثل طائر جالس على جبل اوكرة القيت في البحر فرأيت هذه الانهار الاربعة تجري من تحتها فلما اردت ان ارجع قال لي الملك لم لا تدخل القبة قلت كيف أدخل وعلى بابها قفل وكيف افتحه قال في يدك مفتاحه فقلت أين هو فقال بسم الله الرحمن الرحيم فلما دنوت من القفل قلت بسم الله الرحمن الرحيم فانفتح القفل فدخلت القبة فرأيت هذه الانهار تخرج من أربعة أركان القبة فلما اردت الخروج من القبة قال ذلك الملك هل رأيت يا محمد قلت رأيت قال فانظر ثانيا فلما نظرت رأيت مكتوبا على أربعة أركان القبة بسم الله الرحمن الرحيم ورأيت نهر الماء يخرج من ميم بسم الله ونهر اللبن يخرج من هاء الله ونهر الخمر يخرج من ميم الرحمن ونهر العسل يخرج من ميم الرحيم فقلت ان أصل هذه الانهار الاربعة من التسمية فقال الله يا محمد من ذكرني بهذه الاسماء من أمتك وقال بقلب خالص بسم الله الرحمن الرحيم سقيته من هذه الانهار الاربعة هذا وفضائلها أكثر من ان تحصى وفي هذا القدر كفاية وقد علمت ان البسملة من كلام المصنف رحمه الله ولا ينافيه قوله ﴿أبتدئ الاملاء﴾ الخ مع التصريح بذكر متعلق الجار لان هذا اخبار عما حصل منه اولا وحينئذ يكون المضارع في قوله أبتدئ بمعنى الماضي اى ابتدأت والغرض من هذا الاخبار التوصل الى التعليل المأخوذ من قوله الآتي فانه لا حول ولا قوة الا بالله هذا ما ظهر في توجيه عبارة المصنف رحمه الله وتعليل بعضهم بأن غرضه ادراج الابتداء بالتسمية في سلك التسجيع ليكون ذلك اعون له على ما قصده من

هذا الصنيع البديع لا يخفى ما فيه والإملاء مصدر أملى إذا ألقى الكلام على من يكتبه ويقال أمال فمصدره الإملال وقد جاء القرآن بهما قال تعالى فهي تملى عليه بكرة وأصيلا وقال تعالى وليملل الذي عليه الحق فيحتمل أن يكون باقيا على مصدريته وأن يكون بمعنى الكلام المملى وفيه إشارة إلى سهولته وعدم تكلفه في ذلك ﴿باسم الذات﴾ الإضافة على معنى اللام أي باسم للذات خاص بها وهو لفظ الجلالة كما تقدم ﴿العلية﴾ الفائقة بالمبالغة وقد منع أبو علي الفارسي دخول أل في صفات الله تعالى تنزيها له تعالى لأنها من خصائص المؤنث ولقوله تعالى إن يدعون من دونه إلا إناثا وهو قول حسن لكن الذي يظهر جوازه كما يقال إن كثير علمه علامة وإن تبحر في علم النسب نسابة واستعملها بعض المتحرين في بعض خطبه وتبعه المصنف ثم العلو إما معنوي لا مكاني لاستحالته عليه تعالى والذات أصلها مؤنث ذو المقتضية للوصف والملازمة للإضافة كرجل ذي مال ثم استعملوها استعمال الأسماء المستقلة فقالوا ذات قديمة وذات حادثة وقالوا ذاتي وقد تستعمل بمعنى نفس الشيء وحقيقته كما هنا في كلامه كما قال بعضهم إشارة إلى جواز إطلاق الذات عليه تعالى وهو الصحيح لقوله صلى الله عليه وسلم تفكروا في كل شيء ولا تفكروا في ذات الله تعالى ومنع العلامة ابن حجر في شرح الأربعين جواز إطلاق النفس عليه تعالى قال لأنها تشعر بالتنفيس والحدوث فامتنع إطلاقه عليه سبحانه وتعالى إلا في حيز المقابلة إذ هي قرينة ظاهرة على أن المراد بها في حقه سبحانه وتعالى غير حقيقتها لما يتبادر منها وأيضا ففي إطلاقها عليه تعالى إيهام شمول قوله كل نفس ذائقة الموت لذلك تعالى الله عنه علوا كبيرا قال ولقد بالغ بعض العلماء فجعل ولا أعلم ما في نفسك راجعا لعيسى عليه الصلاة والسلام والأصل ولا أعلم ما فيها ثم أوقع الظاهر موضع المضمر فصار معناه ولا أعلم ما في مخلوقتك قال وهو وإن كان فيه تكلف إلا أنه مؤيد لما ذكرته فتأمل ذلك فإنه مهم وإن لم أر من عرج عليه انتهى ببعض حذف لكن صرح القاضي رحمه الله تعالى بجواز إطلاقها عليه تعالى بدون مقابلة لأن النفس تطلق بمعنى الذات ويدل له قوله تعالى كتب ربكم على نفسه الرحمة فالحق جواز إطلاقها عليه تعالى من غير مشاكلة

(قوله العلية) أي الجليل العظيم علوا معنويا لا مكانيا لاستحالته عليه تعالى وحدوث المكان فهو موجود قبل وجود المكان وهو الآن على ما عليه كان قال تعالى وهو العلي العظيم

﴿مستدرا﴾ حال من فاعل ابتدئ اسم فاعل استدر اد الطلب الدر والدر بالفتح اللبن ومنه لله دره قال في المختار يقال لله دره أي عمله ولله دره من رجل ويقال في الذم لا دره أي لا كثر خيره انتهى قال العلامة الحفني في حاشية المنهج واستعمال الدر في الخير ونفيه في الشر مجاز والحقيقة الدر اللبن وانما استعمل ما ذكر في المدح تعظيما ومعنى لله دره ان اللبن الذي نبت اللحم بسببه وربي به لا ينتسب لغير الله لحر وج كمال الممدوح به عن العادة فلم يضف لغيره سبحانه وتعالى انتهى واصله مستدردر اذ نزل فالمعنى طالبا منه سبحانه وتعالى ان يدر أي يصب ﴿فيض البركات﴾ الفائضة الكثيرة الزائدة في الكثرة من فاض الماء اذا كثر حتى سال فاضافته للبركات من اضافة الصفة للموصوف والبركات جمع بركة وهي لغة النمو والزيادة وعرفا ثبوت الخير الالهي في الاشياء والظاهر صحة ارادة كل منهما ﴿على ما﴾ يحتمل ان تكون ما موصولة اي الذي ﴿أناله﴾ أي أعطاه لنا من النعم التي لا يمكن عدها وحصرها ﴿و﴾ على ما ﴿أولاه﴾ كذلك فهو من عطف الرديف وأخره عما قبله مراعاة للسجع ويحتمل ان تكون ما نكرة موصوفة فيكون ما بعدها صفة لها ثم اردف الابتداء باسم الله بالثناء عليه بما هو أهله من أنواع الحمد عملا برواية كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بحمد الله او بالحمد لله الحديث فقال ﴿وأثني﴾ بضم الهمزة وفتح المثلثة وتشديد النون أي آتي ثانيا بصيغة الاستقلال اظهارا لتعظيم الله سبحانه وتعالى بتأهيله للعلم تحدثا بنعمة الله تعالى عملا بقوله عز وجل وأما بنعمة ربك فحدث وهذا لا ينافي الخضوع والتواضع للمولى ﴿بحمد﴾ لا يقال ان البداءة المطلوبة بالحمد فاتت لتقدم البداءة بالبسملة لانا نقول الابتداء قسمان حقيقي واضافي فالحقيقي حصل بالبسملة والاضافي بالحمدلة والحمد لغة الثناء بالكلام على الجميل الاختياري على جهة التبجيل والتعظيم سواء كان في مقابلة نعمة أم لا وانما عبرنا بالكلام كما عبر به بعض المحققين ليشمل التعريف حينئذ الحمد القديم وهو حمد الله نفسه بنفسه وحمده لانبيائه واوليائه واصفيائه والحمد الحادث وهو حمدنا لله تعالى وحمد بعضنا البعض واما تعبير بعضهم باللسان فيلزم عليه أن لا يكون التعريف شاملا للقديم

الا ان يراد باللسان الكلام على سبيل المجاز المرسل من اطلاق السبب وهو اللسان وارادة المسبب وهو الكلام ولا يردان التعاريف تصان عن المجاز لان محل ذلك ما لم يكن المجاز مشهورا كما هنا * واصطلاحا فعل ينبئ عن تعظيم المنعم من حيث كونه منعما على الحامد او غيره سواء كان ذلك قولا باللسان او اعتقادا بالجنان او عملا بالاركان التي هي الاعضاء واتى بصيغة التنكير للتكثير والتعظيم اذ المراد به الثناء بجميع صفاته قال بعضهم والمراد الانشاء وفيه نظر لانه لا مانع من كونه للاخبار ايضا لان الاخبار بالحمد حمد كما هو معلوم وعدل عن الحمد لله الصيغة المعروفة الشائعة للحمد وان كان الثناء بها من حيث تفضيلها اوقع في النفس من الثناء به لانه ثناء بجميع الصفات رعاية الابلغية فالثناء به ابلغ من الثناء بها في الجملة ﴿موارده﴾ جمع مورد وهو المحل الذي يؤخذ منه الماء من نحو بحر ﴿سائغة﴾ اسم فاعل ساغ الشراب اذا سهل ابتلاعه ﴿هنيه﴾ اي محمودة العاقبة واصلها وان كان مختار قول القاموس عدم هنيئة بالهمز قلبت الهمزة ياء ثم ادغمت فيها الاولى فصارت هنية بالتشديد لا جل التصحيح في قول بعضهم خففها الاجل التسجيع بدليل مقابلتها بسائغة نظر الا ان يكون مراده خففها تسهيلا ياء ثم ادغمت الياء فيها وفي كلامه استعارة تصريحية حيث شبه الصيغ الدالة على الحمد بموارد المشابهة في مطلق الايصال ومع هذا يصح ان تكون قرينة لاستعارة البحر في النفس للحمد لشموله في عموم النفع على مختار صاحب الكشاف على سبيل المكنية وكل من قوله سائغة هنية ترشيح وحيث كانت الموارد مستعارة لصيغ الحمد معنى سائغة هنية سهلة التناول لسلاستها واختصارها مع اشتمالها على جميع انواع المحامد وكونها موفية بجميع انواع النعم فالمراد بذلك الصيغة الواردة عن الشارع نحو لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك والحمد لله حمدا موافيا لنعمه ومكافئا المزيد ولا ريب في انها لذيذة محمودة العاقبة قال بعضهم وربما كان ذلك دليلا على ان يضبط قوله واثني بضم الهمزة وسكون المثلثة على معنى اي احمده باحسن المحامد وافضلها فلو حاول لثنيه على الله احسن الثناء بطريق البراعة بقول لا احصي ثناء

(قوله موارده) جمع مورد بمعنى محل يتوصل منه لاخذ الماء من نحو بحر ولعله مستعارة للصيغ الدالة على الحمد للشابهة في مطلق الايصال ومع هذا فهو قرينة لاستعارة البحر في النفس للحمد لشموله في عموم النفع على مختار صاحب الكشاف (قوله سائغة) اسم فاعل ساغ الشراب اذا سهل ابتلاعه فهو نعت سببي اي سائغ مأخوذها الذي يورد منها فهو ترشيح للمكنية وحيث كانت الموارد مستعارة لصيغ الحمد فالمراد سهل فهم معانيها لصراحتها فيها (قوله هنيه) بفتح الهاء وكسر النون وشد المثناة تحت نسبة لهنا اي لذيذة محمودة العاقبة فهو سببي وترشيح ايضا والمراد على ما سبق لذيذة المعاني نص في التعظيم لا تشتمل على سوء ادب في حق المحمود

الجلالات أحسن الثناء ثناء الله على نفسه وكذا الوصاف لحمد الله بجامع الحمد سداو بأجل التحاميد فطريقه ان يقول الحمد لله حمدا الخ والحاصل ان العبد لا يطيق الثناء على الله كما ينبغي ولو في مقابلة نعمة واحدة فكيف يحصي نعمته واحسانه والثناء بها عليه وان اجتهد في ذلك فالكل معترف بالعجز عن تفصيل الثناء وانه لا يقدر على بلوغ حقيقته فتو كل ذلك الى الله سبحانه وتعالى المحيط بكل شئ علما جملة وتفصيلا وكما انه لا نهاية للثناء عليه لان الثناء تابع للمثنى عليه فكل ثناء أثنى به عليه وان كثر وطال وبولغ فيه فقدر الله أعظم وسلطانه أعز وصفاته أكبر وأكثر وفضله واحسانه أوسع وأسبغ ﴿ممتطيا﴾ بضم الميم الاولى وسكون الثانية اسم فاعل امتطى اذا ركب المطية وهي الدابة تمط أي تمد في سيرها حال من فاعل أثنى ﴿من الشكر﴾ هو الحمد عرفا لكن بابدال الحامد بالشاكر وعرفا صرف العبد جميع ما أنعم الله به عليه من السمع وغيره الى ما خلق لاجله ومن يجوز أن تكون بيانية أو تبعيضية والاصح هو الوجه الثاني اذ لا غاية للنعم حتى يتوقف بالشكر عليها قال تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها لان العقول قاصرة عن تحديد ما في أقل الاشياء من المنافع والحكم فكيف يمكن الاحاطة بكل ما في العالم من المنافع والحكم فان قيل فاذا كانت النعم غير متناهية وما لا يتناهى لا يحصل العلم به فكيف أمر بتذكرها في قوله تعالى اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم فالجواب انها وان كانت غير متناهية بحسب الاشخاص والانواع الا انها متناهية بحسب الاجناس وذلك يكفي في التذكير الذي يفيد العلم بوجود الصانع الحكيم وقد جعل سبحانه وتعالى العجز عن شكره شكرا كما جعل الاعتراف بالعجز عن معرفته معرفة ولذلك قال الصديق العجز عن درك الادراك ادراك ﴿الجميل﴾ أي الحسن صفة كاشفة أو مخصصة لانه قد يصحبه في بعض الاحيان ما يحبط ثوابه كالرياء ونحوه فالمراد ما كان بالاخلاص وحضور قلب ﴿مطاياه﴾ جمع مطية فعيلة بمعنى مفعولة أي ممطية بمعنى مركوبة وهو هنا مستعار لصيغ الشكر لشبهها بها في مطلق الايصال على سبيل الاستعارة التصريحية ومع هذا

فيصح ان تكون قرينة لاستعارة بالكناية فيكون تشبيه الشكر بجهة شاقة صعبة بعيدة لا يمكن الوصول اليها الا بالمطايا وطوى ذكر المشبه به وهو الجهة المذكورة ورمز له بشيء من لوازمه وهو المطايا على سبيل التخييل فهو القرينة كما تقدم وانما كان الشكر لا يمكن الوصول اليه الا بمشقة لما مر ولانه يؤذن بازدياد النعم على الشاكر قال تعالى لئن شكرتم لازيدنكم فينبغي زيادة الاعتناء بشانه وبالجملة فمقام الشكر لا يمكن من كل أحد القيام به كما قال تعالى وقليل من عبادي الشكور ﴿وأصلي﴾ من الصلاة وهي من الله الرحمة المقرونة بالتعظيم ومما سواه تعالى من الملائكة وغيرهم الدعاء وهو أحسن مما اشتهر من أنه بالنسبة للملائكة الاستغفار وبالنسبة لغيرهم الدعاء لان الاستغفار من جملة الدعاء والتحقيق ان الصلاة معناها العطف فان أضيف الى الله كان بمعنى الرحمة وان اضيف الى غيره كان بمعنى الدعاء كما ذهب اليه ابن هشام في مغنيه ونقله عنه شيخنا الباجوري في حواشيه على السمرقندية وانما كان هذا هو التحقيق لان الاصل عدم تعدد الوضع وخص الانبياء بلفظها فلا تستعمل في غيرهم الا تبعا تمييزا لمراتبهم الرفيعة والحق بهم الملائكة لمشاركتهم لهم في العصمة وان كان الانبياء أفضل من جميعهم ومن عداهم من الصلحاء أفضل من غير خواصهم ﴿وأسلم﴾ من السلام وهو التسليم من الآفات المنافية لغاية الكمالات وجمع بينهما لما نقل عن العلماء من كراهة افراد أحدهما عن الآخر اي لفظا لا خطا خلافا لمن عمم وللآية وللحديث ان جبريل قال ألا أبشرك ان الله تعالى قال من صلى عليك صليت عليه ومن سلم عليك سلمت عليه وجملة الصلاة والسلام خبرية لفظا انشائية معنى لقصد مع الانشاء فلا تفيد الانشاء الا بالقصد لان الجملة المضارعية موضوعة للاخبار فتتوقف افادتها الانشاء على القصد وبهذا تعلم ما في قول البرماوي تبعا للقليوبي من ان الجملة المضارعية تفيد الانشاء من غير قصد ولا يصح أن تكون خبرية لفظا ومعنى لان الاخبار بالصلاة ليس بصلاة وان تكلف بعضهم صحة ذلك بخلاف جملة الحمدلة لما مر والمراد أتضرع الى الله واطلب منه الصلاة والسلام ﴿على النور﴾

(قوله وأصلي) أي اطلب صلاة الله اي رحمته (قوله وأسلم) أي اطلب سلام الله أي تحيته (قوله على النور) المراد به سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم قال جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما يا رسول الله أخبرني عن أول شيء خلقه الله تعالى قبل الاشياء فقال يا جابر ان الله قد خلق قبل الاشياء نور نبيك من نوره فجعل ذلك النور يدور بالقدرة حيث شاء الله ولم يكن في ذلك الوقت لوح ولا قلم ولا جنة ولا نار ولا ملك ولا سماء ولا أرض ولا شمس ولا قمر ولا جني ولا انسي فلما أراد الله ان يخلق الخلق قسم ذلك النور أربعة أجزاء فخلق من الجزء الاول القلم ومن الثاني اللوح ومن الثالث العرش ثم قسم الجزء الرابع أربعة أجزاء فخلق من الاول حملة العرش ومن الثاني الكرسي ومن الثالث باقي الملائكة ثم قسم الرابع اربعة أجزاء فخلق من

المراد

المراد به النبي صلى الله عليه وسلم مقتبس من قوله تعالى قد جاءكم من الله
نور وكتاب مبين واصله من نار نورا اذا نفر ومنه نوار الظبية وبه سميت المرآة
ذو ضع لا نتشاره ولازالته الظلام فكأنه ينفر منه ثم الطلق على الله وعلى
النبي صلى الله عليه وسلم وعلى القرآن وانما أحلنا ذلك الى الله لانه صلى
الله عليه وسلم طاهر لا عيب فيه ونحن فينا المعائب والنقائص فكيف
يأتي من فيه معائب ونقائص على طاهر كامل ولان المصلى والمسلم في الحقيقة
هو الله تعالى ونسبتهما للعبد مجازي بمعنى السؤال ولانا لم ندرك مراد
الله تعالى فاحلنا ذلك اليه لانه أعلم بما يليق به واعرف بما أراده له صلى
الله عليه وسلم ﴿الموصوف بالتقدم والاولية﴾ أي بالنسبة الى سائر
المخلوقات ولا يرد عليه ما في رواية السدى ان الله لم يخلق شيئا مما خلق قبل
الماء وما في رواية عبادة بن الصامت أول ما خلق الله القلم لما عليه
المحققون ان نوره صلى الله عليه وسلم خلق قبل الاشياء ولحديث جابر بن
عبد الله قال قلت بابي أنت وامي يا رسول الله أخبرني عن أي شئ خلقه الله
تعالى قبل الاشياء قال صلى الله عليه وسلم يا جابر ان الله تعالى خلق قبل
الاشياء نور نبيك من نوره الحديث وقد جمع بين هذا الحديث وما قبله بأن
أول ما خلقه القلم بالنسبة الى ما عدا النور النبوي المحمدي والماء والعرش
فالاولية فيه حقيقية وفي غيره نسبية واختلفوا في الاضافة في قوله من نوره
والذي صفا الناس كلامهم انها يحتمل ان تكون حقيقية على معنى اللام
نظير ما قاله البيضاوي في قوله تعالى ونفخ فيه من روحه فالمراد خلقه من نور
مخلوق له تعالى قبل خلق نور المصطفى فخلقه منه لا من نور قائم بذاته تعالى
واضافه اليه لتوليه خلقه وايجاده وفيه نظر لانه يقتضي عدم اولية خلق نور
نبينا صلى الله عليه وسلم مع انه متفق على اولية خلقه كذا قال بعضهم ويجاب
عن ذلك بأن النور المخلوق له هو نور المصطفى صلى الله عليه وسلم لا غيره ومعنى
خلقه منه تكوينه الى حالة أخرى غير الحالة الاولى كما يقال اتخذت الخبز
من الدقيق والماء ونحو ذلك فان ذلك لا يقتضي ان الخبز غير الدقيق والماء
وانما التغاير في الاحوال والصفات أو تكون الاضافة بيانية أي من نور
هو ذاته تعالى وقد عهد اطلاق النور عليه تعالى في القرآن كما مر لا بمعنى

انما مادة خلق منها وفيه نظر لان الاضافة البيانية لا تأتي في الاضافة للضمير كما نص عليه الائمة وعلى تقدير صحة كون الاضافة بيانية فالتمسك من في قوله من نوره بمعنى الباء فالمراد خلقه بذاته بمعنى تعلق الارادة به قبل كل شيء من غير واسطة شيء في وجوده وهذا التوجيه على ان يكون الاضافة حقيقية أو بيانية واحد وهذا هو الصواب عندي لان ذات الله تبارك وتعالى منزهة عن ان تكون نوراً لانه عرض وتعالى عن الجوهر والعرض لسلامته من هذه التكلفات ولا تشكل الاولية بان النور عرض لا يقوم بنفسه لان هذا من خرق العوائد بالنسبة لنا أقول ولا يبعد ان يجاب بمثل هذا من القول بان النور المحمدي جوهر لا عرض والجوهر لا بد له من سابق في الوجود على التحيز والله سبحانه وتعالى على كل شيء قدير ثم ليس المراد بالنور الذي هو الحقيقة المحمدية مقابل الظلمة كما توهم بل المراد انه شيء يسمى نوراً ولا يعلم كنهه الا الله تعالى فتلك الحقيقة من مواقف العقول ثم قوله صلى الله عليه وسلم كنت نوراً بين يدي ربي قبل خلق آدم بأربعة عشر ألف عام لا ينافي ما مر ان نوره مخلوق قبل الاشياء وان الله قدر مقادير الخلق قبل خلق السموات والارض بخمسين ألف سنة لان نوره مخلوق قبل الاشياء وجعل يدور بالقدرة حيث شاء الله ثم كتب في اللوح المحفوظ ثم جسم صورته على شكل أخص من ذلك النور ولان في التعبير بين اليدين مرتبة أعلى رتبة لم تكن قبله ويروى انه لما خلق الله آدم الهمه ان قال يارب لم كنيتني أبا محمد فقال الله تعالى يا آدم ارفع رأسك فرفع رأسه فرأى نور محمد في سرادق العرش فقال يارب ما هذا النور فقال هذا نور نبي من ذريتك اسمه في السماء أحمد وفي الارض محمد لولاه ما خلقتك ولا خلقت سماء ولا ارضاً ويشهد لهذا ما رواه الحاكم في صحيحه ان آدم عليه السلام رأى اسم محمد مكتوباً على العرش وان الله تعالى قال لولا محمد ما خلقتك ولله در صالح بن الحسين الشاعر

وكان لدى الفردوس في زمن الصبا * واثواب شمل الانس محكمة السدى
يشاهد في عدن ضياء مشعشعا * يزيد على الانوار في الضوء والهدى
فقال الهي ما الضياء الذي أرى * جنود السماء تعشوا اليه ترددا

فقال

فقال لنبي خير من وطأ الثرى * وأفضل من في الخير راح او اغتدا
فخبرته من قبل خلقك سيدا * وأوسعته قبل النبيين سوددا
واعددته يوم القيامة شافعا * مطاعا اذا ما الغير حاد فبددا
فيشفع في انقاذ كل موحد * ويدخله جنات عدن مخلدا
وانه أسماء سميته بها * ولكنني أحببت منها محمدا
فقال الهي امنن علي بتوبة * تكون على غسل الخطيئة مسعدا
بحرمة هذا الاسم والزلفة التي * خصصت بها دون الخليقة أحمدا
أقلني عثاري يا الهي فان لي * عدو العينا جار في القصد واعتدا
فتاب عليه ربه وحباه من * جناية ما أخطاه لا متعمدا

وقوله ضياء مشعشعا الخ لا ينافي ما تقدم من أنه ليس المراد بالنور ما قابل الظلمة وانما هو عبارة عن حقيقة لا يعلمها الا هو عز وجل لاحتمال ان تكون تلك الحقيقة او نور يقابل الظلمة وصح خبر متى كنت نبيا قال كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد ولفظ كنت نبيا وآدم بين الماء والطين لم يوجد مرويا وكذلك حديث كنت نبيا ولا آدم ولا ماء ولا طين لا أصل له قال الخفاجي في شرح الشفاء ليس معناه انه موضوع كما توهم فانه رواية بالمعنى وهي جائزة لانه بمعنى الحديث الذي قبله وليس المراد من ذلك التقدير بل الاشارة الى كون روحه العلية ثبت لها ذلك الوصف دون غيرها في عالم الأرواح وكل ماله من جهة الله تعالى ومن جهة تأهل ذاته الشريفة وحقيقته معجل لا تأخر فيه وانما المتأخر تكونه وتنقله الى ان ظهر صلى الله عليه وسلم وقد علم من هذا ان فسره بعلم الله بأنه سيصير نبيا لم يصل الى هذا المعنى لان علم الله تعالى محيط بجميع الانبياء ووصف النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك الوقت ينبغي ان يفهم منه امر ثابت له في ذلك الوقت خاص به ولو كان المراد بذلك مجرد العلم بما سيصير في المستقبل لم يكن له خصوصية بانه نبي وآدم بين الروح والجسد لان جميع الانبياء يعلم الله نبوتهم في ذلك الوقت وقبله فلا بد من خصوصية للنبي ولاجلها اخبر بهذا الخبر ليعرفوا قدره عند الله وروى انه تعالى لما خلق نور نبيه عليه الصلاة والسلام امره ان ينظر الى نور الانبياء عليهم الصلاة والسلام فغشيهم

من نوره ما أنطقهم الله به فقالوا يا ربنا من هذا فقال هذا نور محمد ابن عبد الله ان آمنتم به جعلتكم أنبياء قالوا آمنا به وبنبوته فقال اشهد عليكم قالوا نعم فذلك قوله تعالى واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة الى من الشاهدين وفى هذه الآية كما قال التقى السبكى من التنويه بقدره العلى ما لا يخفى وفيه مع ذلك انه على تقدير مجيئه يكون مرسلا اليهم والى أممهم فتكون رسالته عامة لجميع الخلق وهو نبى الانبياء عليهم الصلاة والسلام ولذا يكونون كلهم يوم القيامة تحت لوائه صلى الله عليه وسلم ﴿المتنقل﴾ بضم الميم وتقديم النون على التاء وكسر القاف اسم فاعل انتقل من أب سابق الى لاحق من آدم عليه السلام الى عبد الله وضبطها بعضهم بتقديم التاء على النون وكسر القاف المشددة من تنقل بمعنى كثر انتقاله وهو أولى لاستفادة الكثرة منها صراحة ولله در الحافظ شمس الدين بن ناصر الدين الدمشقى حيث قال

تنقل أحمد نورا عظيما * تلألأ فى جباه الساجدين
تقلب فيهم قرنا فقرنا * الى أن جاء خير المرسلين

﴿فى الغرر﴾ بضم الغين المعجمة جمع غرة وهى بياض فوق الدرهم فى جبهة الفرس والمراد بها هنا الجباه اللائقة الحالية ﴿الكريمة﴾ التى كرمت وشرفت على غيرها لكونها غررا أصوله صلى الله عليه وسلم ﴿والجباه﴾ عطفها على الغرر تفسيرى لما مر جمع جبهة وهى أعلا الوجه ثم انتقال النور فى الجباه انما هو بالتبعية لانتقال مادة جسمه الشريف صلى الله عليه وسلم فى الاصلاب فالنور تابع لتلك المادة واصل ذلك ما جاء فى الخبر ان الله تعالى لما خلق آدم جعل ذلك النور فى ظهره فكان يلمع فى جبينه فيغلب على سائر نوره ثم رفعه على سرير مملكته وحمله على أكتاف ملائكته وطاف به فى السموات والارض ليرى عجائب ملكوته ثم لما أهبط آدم وحواء الى الارض ولدت له أربعين ولدا فى عشرين بطنا فى كل بطن ذكر وانثى فكان يزوج ذكر هذا البطن لانثى تلك البطن وبالعكس تنزيلا لاختلاف البطون منزلة اختلاف القبائل فكان اختلاف البطون فى شرعه بمنزلة اختلاف الانساب لضرورة

(قوله المتنقل) بضم الميم وكسر القاف مشددة اسم فاعل تنقل أى الذى كثر انتقاله وتقدم (قوله الغرر) بضم الغين المعجمة جمع غرة كذلك من معانيه الاغرية بياض قدر الدرهم فى جبهة الفرس واما المراد بها هنا الجباه اللائقة الحالية فعطفها عليها تفسير (قوله والجباه) بكسر الجيم وبالواحدة جمع جبهة قال الخليل هى مستوى ما بين الحاجبين الى الناصية وقال الاصمعى هى موضع السجود

التوالد والتناسل وبارك الله في نسله في حياته حتى بلغوا أربعين ألفا ووضعت شيئا وحده اشارة الى انه أفضل اولاده وان النور المحمدي انتقل فيه دون غيره ولذا جعله وصيا عليه ثم أوصى شيث ولده يانش بتحتية ونون مفتوحتين وصاه به آدم ان لا يضع هذا النور الا في المطهرات من النساء ولم تزل هذه الوصية محفوظة معمولا بها من لدن آدم عليه السلام الى عبد الله بن عبد المطلب ولله در العارف سيدى على الوفائي الشاذلي حيث أشار الى بعض هذه المعارف بقوله

لو ابصر الشيطان طلعة نوره * في وجه آدم كان أول من سجد
أولو رأى النمروذ نور جماله * عبد الجليل مع الخليل وما عند
لكن جمال الله جل فلا يرى * الا بتخصيص من الله الصمد

وروى ان الله تعالى جعل نور محمد صلى الله عليه وسلم في ظهر آدم عليه الصلاة والسلام فكانت الملائكة تقف خلفه صفوفا ينظرون تلألأ نوره فقال آدم يارب اجعل هذا النور في مقدمي كى تستقبلني الملائكة فجعله في وجهه فقال آدم يارب اجعله في موضع أراه فجعله في سبابته فكان ينظر الى حسنه فيزداد حسنا وبهاء ثم ان آدم قال يارب لعله بقي من هذا النور شئ في ظهرى فقال له نعم نور خواص أصحابه فقال يارب اجعله في بقية اصابعى فجعل نور أبي بكر في الوسطى ونور عمر في البنصر ونور عثمان في في الخنصر ونور على في الابهام فكانت هذه الانوار تتلألأ في أصابع آدم عليه السلام مادام في الجنة فلما هبط الى الارض ومارس اعمال الدنيا زالت هذه الانوار من أصابعه ورجعت الى ظهره ﴿وأستمنح الله تعالى﴾ أى أطلب من الله تعالى ان يمنح أى يعطى اذ المنح العطاء ﴿رضوانا﴾ بكسر الراء وضمها ضد السخط والمراد هنا لازمه وهو الانعام وقد يراد به الثواب والجنة ﴿يخص العترة﴾ فيه زيادة الاعتناء بتمييزهم عن غيرهم برضوان كثير عظيم وهم أهل بيته لقوله صلى الله عليه وسلم عترتى اهل بيتى وهم على الاصح مؤمنو بنى هاشم و بنى المطلب ابنى عبد مناف ﴿الطاهرة﴾ ذاتا وصفات ﴿النبوية﴾ أى المنسوبة للنبي صلى الله عليه وسلم والطهارة النظافة والخلوص من الادناس والمعائب وهو مقتبس

من قوله تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم
تطهيرا ولله در من قال

وآله أمناء الله من شهدت * لقدرهم سورة الاحزاب في العظم

يشير الى هذه الآية الكريمة المنوهة بقدرهم العلي وقد اشتملت على غرر من
مآثرهم والاعتناء بشأنهم حيث ابتدئت بانما المفيدة لحصر ارادته تعالى
اذهاب الرجس عنهم وهو الاثم او الشك فيما يجب الايمان به وتطهيرهم
من سائر الاخلاق والاحوال المذمومة وقد جاء في أحاديث كثيرة
تحريمهم على النار كحديث ان فاطمة احصنت فرجها فحرمها الله وذريتها
على النار وحديث انه صلى الله عليه وسلم قال يا فاطمة لم سميت فاطمة قال
علي لم سميت فاطمة يا رسول الله قال ان الله فطمها وذريتها من النار
وحديث ان الله غير معذبك ولا أحد من ولدك وورد أيضا يا عباس ان
الله غير معذبك ولا أحد من ولدك وصح يا بني عبد المطلب وفي رواية يا بني
هاشم اني قد سألت الله عز وجل ان يجعلكم رحماء نجباء وسألته ان
يهدي ضالكم ويؤمن خائفكم ويشبع جائعكم وحديث قال لعلي
أما ترضى ان تكون رابع أربعة أول من يدخل الجنة انا وانت والحسن
والحسين وازواجنا عن ايماننا وشمائلنا وذريتنا خلف أزواجنا وهذا
هو فائدة ذلك التطهير وغايته اذ منه الهام الانابة الى الله تعالى وادامة
الاعمال الصالحة ولذا اختصوا باعتبار كونه صلى الله عليه وسلم في
تحريم صدقة الفرض والزكاة والنذر والكفارة وغيرها وخالف بعض
المتأخرين فبحث ان النذر كالنفل وليس كما قال وحكمة ختم الآية بتطهيرا
المبالغة في وصولهم لاعلاه وفي رفع التجوز عنه ثم تنوينه تنوين التعظيم
والتكثير والاعجاب المفيد انه تطهير بديع ليس من جنس ما يتعارف ويؤلف
ثم اكد صلى الله عليه وسلم ذلك كله بتكرير طلب ما في الآية لهم بقوله
اللهم هؤلاء أهل بيتي الحديث وبادخاله نفسه معهم في العد لتعود عليهم
بركة اندراجهم في سلكه وقال بعد ذلك الا من آذى قرابتي فقد آذاني ومن
آذاني فقد آذى الله تعالى وفي رواية والذي نفسي بيده لا يؤمن عبد بي حتى
يحبني ولا يحبني حتى يحب ذوي فأقامهم مقام نفسه وصح حديث ان لكل

بنى أب عصبة ينتمون اليها الا ولد فاطمة فانا وليهم وعصبتهم وهم عترتى
خلقوا من طينتى ويل للمكذبين بفضلهم من أحبهم أحبه الله ومن أبغضهم
أبغضه الله وحديث والذى نفسى بيده لا يبغضنا أهل البيت أحد الا كبه
الله فى النار واذا تقرر ذلك فنقول قال الشيخ الامام العارف بالله الولى
الكبير الشيخ أحمد زروق المغربى البرنسى فى قواعده مانصه قاعدة
احكام الصفات الربانية لا تتبدل وآثارها لا تنتقل فمن ثم قال الحاتمى
قدس سره نعتقد فى أهل البيت ان الله تعالى تجاوز عنهم جميع سيئاتهم
لا بعمل عملوه ولا بصالح قدموه بل بسابق عناية الله تعالى لهم اذ قال
تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم
تطهيرا فعلق الحكم بالارادة التى لا تتبدل أحكامها فلا يحل لمسلم ان
ينتقص ولا ان يشنأ عرض من شهد الله بتطهيرهم وذهاب الرجس عنه
والعقوق لا يخرج من النسب مالم تذهب أصل النسبة وهو الايمان وما
تعين عليهم من الحقوق فايدينا فيها نائبة عن الشريعة ومانحن فى ذلك
الا كالعبد يؤدب أولاد سيده باذنه فيقوم بأمر السيد ولا يهمل فضل الولد
وقال تعالى قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة فى القربى قال ابن عباس
رضى الله عنهما الا أن تودوا اقرابتى ومانزل بنا من قبلهم من الظلم ننزله منزلة
القضاء الذى لا سبب له اذ قال عليه الصلاة والسلام فاطمة بضعة منى
يريبنى مايريبها والعجز من الحرمة مالتكل وقال تعالى وكان أبوهما
صالحا فانتبه لصلاح الاب فبالك بنبوته فان لهم من الفضل مالا يقدر
قدره غير من خصهم به فافهم ذكر هذا العلامة الشيخ محمد بن عنقاء
الحسينى المكى رحمه الله تعالى عن الشيخ أحمد زروق عن الشيخ محيى الدين
قدس سره قال ابن عنقاء وهو كلام نفيس نفيس ثم ذكر عن اجلاء مشايخه
ومشايخهم انهم كانوا يسلكون هذا المسلك الحسن ويرون هذا الرأى الصائب
المستحسن ثم قال رحمه الله عقب ذلك اذا علمت ذلك فايضاح وجه الاستدلال
ان ارادته تعالى أزلية لانها من صفات الذات وكانت شهادته سبحانه وتعالى
لهم بالتطهير واذهاب الرجس فى الازل مع انا نراهم لا يخلون من الذنوب
الملوثة البتة كيف لا والعصمة انما هى للانبياء ونعلم من كثير منهم الانهماك

فى الكبائر فضلا عن الصغائر ولا سيما من كان من أرباب الدولة منهم وترى منهم الغلاة والمبتدعة وقد علم سبحانه وتعالى ذلك منهم فى الازل ومع ذلك فقد شهد لهم بما ذكر اذ المؤاخذة بالمعصية منافية للشهادة المذكورة و يؤخذ مما تقرر امتناع وقوع الردة المتصلة بالموت منهم البتة لانه لو مات احد منهم عليه لزم التناقض فى كلامه تعالى وهو محال فقول الشيخ ابن عربى قدس سره مالم تذهب أصل النسبة وهو الايمان انما أتى به لمجرد تتميم المسئلة ولا يخالف ما ذكرناه فان قلت يلزم على ما تقرر ان لا تقام عليهم الحدود الشرعية لانهم غير مؤاخذين بذنوبهم وهو يخالف قوله صلى الله عليه وسلم انما أهلك الذين من قبلكم انهم كانوا اذا سرق فيهم الشريف تركوه واذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد الحديث رواه الشيخان وغيرهما قلت لا يلزم ذلك لان المراد عدم المؤاخذة بالنسبة الى الآخرة لا الى أحكام الدنيا فتقام عليهم الحدود ولا تقال عثراتهم فيها وذلك لا يحط من قدرهم وشرفهم قال خاتمة المحققين الشيخ أحمد بن حجر الهيتمى رحمه الله تعالى فى فتوى له من علمت نسبته الى البيت النبوى والسر العلوى لا يخرجه عن ذلك عظم جناية ولا عدم ديانة وصيانة ومن ثم قال بعض المحققين ما مثال الشريف الزانى والسكران والسارق مثلا اذا أقمنا عليه الحد الا كأمير أو سلطان تلطخت رجلاه بقذر فغسله عنهما بعض خدمه ولقد برفى المثال وحقق وليتأمل قول الناس فى أمثالهم الولد العاق لا يحرم الميراث انتهى ونقل السيد العلامة ابن عنقاء رحمه الله تعالى عن جمع سماهم من أكابر الأئمة الحنفية وغيرهم انه مما ينبغى اعتقاده ان من الممنوع فى حق أهل البيت النبوى ان يموت أحد منهم مصرا على معصية من بدعة او غيرها بل لا بد ان يمن الله عليهم بتوبة صحيحة ولا يقبضهم الا بعدها ثم قال والظاهر ان مأخذهم هو الآية والاحاديث المذكورة قال وهذه منقبة تضارق أدنى ادنى منها الافكار وتبذل نفائس الاعلاق وفضيلة تميزوا بها على سائر الخلق على الاطلاق تدل على ان لهم من الفخر والقدر الجليل ما لا يقدر قدره سوى من منحهم ذلك من خزائن فضله الجزيل وتشهد بالجاه العريض الطويل عند الملك

الجليل

الجليل لشرفهم هذا النبي الكريم عليه أفضل الصلاة والتسليم *
والله واسع عليم يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم انتهى
كلام العلامة ابن حجر ملخصا من المنهج الاعدل ﴿و﴾ الطلب منه
رضوانا ﴿يعم الصحابة﴾ بفتح اوله وقد يكسر أي أصحابه صلى الله عليه
وسلم اذ هو كالعلم لهم لغلبة استعماله فيهم فلا يستعمل في غيرهم ولهذا
جازت النسبة اليه بان يقال صحابي كما يقال بصري وهو من اجتمع به بعد
بعثته ولو ساعة في حياته مؤمنا به ومات على ذلك ولو لم يروعنه شيئا ولم يره
فيدخل في ذلك الاعمى والصغير ولو غير مميز كمن حنكه صلى الله عليه وسلم
أو وضع يده على رأسه أو غير ذلك ويخرج من آمن به ولم يجتمع كالنجاشي
فلا يكون صحابيا بل هو تابعي لانه أسلم على يد الصحابة في حياته صلى الله عليه
وسلم وسيأتي انه أسلم على يد عمرو بن العاص الصحابي وهي لطيفة صحابي
اسلم على يد تابعي ولا يعلم مثله وهم أفضل من آل لا صحبة لهم والنظر لما فيهم
من البضعة الكريمة انما يقتضي الشرف من حيث الذات وكلامنا
في وصف يقتضي أكثرية العلوم والمعارف ولا بد أن يكون الاجتماع
في عالم الدنيا بالجسد والروح فيدخل في ذلك عيسى عليه السلام فانه اجتمع
به بالروح والجسد في المسجد الاقصى ليلة الاسراء ويخرج غيره من الانبياء
فانهم لم يجتمعوا عليه الا بأرواحهم على الراجح قال الحافظ في الفتح وهل
تختص بجميع بني آدم او تعم غيرهم من العقلاء محل نظر اما الجن فالراجح
دخولهم لانه صلى الله عليه وسلم بعث اليهم قطعا واما الملائكة فيتوقف
عدهم فيهم على ثبوت بعثته اليهم فان فيه خلافا بين الاصوليين حتى نقل
بعضهم الاجماع على ثبوته وعكس بعضهم انتهى ملخصا لكن قال العلامة
ابن حجر انه مرسل الى الملائكة أيضا كما رجحه جمع محققون كالسبكي ومن
تبعه وردوا على من خالف ذلك وصرح آية ليكون للعالمين نذيرا اذ العالم
ماسوى الله وخبر مسلم وارسلت الى الخلق كافة يؤيد ذلك بل قال البارزي
انه أرسل حتى للجمادات بعد جعلها مدركة انتهى فالحق انه مرسل لجميع
المخلوقات حتى الجمادات الا ان ارساله للجن والانس ارسال تكليف
ويكفر منكره ولغيرهم كالمعصوم وغير المكلف ارسال اذعان التشرفه

ودخول تحت دعوته واتباعه تشريفا على سائر المرسلين وهـذا هو المعتمد وافضل الصحابة بعد عيسى سيدنا أبو بكر كما ان أفضل الصحابيات سيدتنا فاطمة الزهراء بل هي واخوها ابراهيم أفضل من سائر الصحابة حتى الخلفاء الاربعة قاله العلقمي ﴿و﴾ يعم ﴿الاتباع﴾ أى التابعين الذين اجتمعوا بالصحابة وطال اجتماعهم بهم على الاصح بخلاف الصحابي كما مر والفرق ان اجتماع لحظة منه صلى الله عليه وسلم تعدل على من حصلت له من انشراح الصدور وحقائق القرب وغرائب العلم والحكمة كما هو مشاهد في الصحابة مالا يعد عشر معاشرها صحبة غيره وان جل قدره واتسع علمه سنين لاعظم منصب النبوة ونورها كذا قرره بعضهم والذى قرره شيخنا الباجوري في حاشية الجوهرة عدم اشتراط طول الاجتماع كما في الصحابي مع النبي صلى الله عليه وسلم قال وهذا ما صححه ابن الصلاح والنووي وهو المعتمد والطريقة المشهورة انه يشترط التمييز في التابعي دون الصحابي والمعتمد عندنا عدم اشتراطه في التابعي كما لا يشترط في الصحابي وافضل التابعين اويس القرني كما ان أفضل التابعية حفصة بنت سيرين على خلاف في المسئلة ﴿و﴾ يعم ﴿من والاه﴾ اى اتخذ النبي صلى الله عليه وسلم وليا واماما وتابعه ولو في مجرد الايمان وهذا يشمل جميع المؤمنين ﴿واستهديه﴾ أى اطلب جدواه أى عطيته واسئله ان تكون ﴿هداية﴾ أى دلالة وفي بعض النسخ استهديه هداية ﴿لسلوك﴾ بضم السين المهملة مصدر سلك اذا مر ﴿السبل﴾ بضم الموحدة واسكانها وهما قريء في السبع قال تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا بضم الباء واسكانها جمع سبيل وهو الطريق ﴿الواضحة﴾ الظاهرة ﴿الجليه﴾ التى لا خفاء فيها بالكلية والمراد بالسبل فيما تقدم أحكام الدين التي يكون العمل بها سببا في الوصول الى الجنة ففي الكلام استعارة مصرحة حيث شبه ما ذكر بالطرق الحسية الموصلة للمقصود واستعار اللفظ الدال على المشبه به للمشبه على سبيل الاستعارة التصريحية والقرينة حالية وكل من الواضحة والجلية ترشيح ﴿و﴾ ان تكون ﴿حفظا﴾ أى صيانة ﴿من الغواية﴾ بكسر المعجمة وفتحها وهو أفصح أى

الضلالة ﴿في خطط﴾ بكسر الخاء المعجمة وطاءين مهملتين الاولى منهما مفتوحة جمع خطة بكسرها أيضا وهي المكان المختط للعمارة والمراد بها طرق الضلال ﴿الخطأ﴾ بفتح الخاء المعجمة العدول عن طريق الصواب والوقوع في الاثم والذنب قال في النهاية ويقال لمن أراد شيئا ففعل غيره خطأ ﴿وخطاه﴾ بضم الخاء المعجمة جمع خطوة بالضم أيضا وهي بعد ما بين القدمين في المشي وأما الخطوة بالفتح فهي نقل القدم وتجمع على خطوات مثل شهوة وشهوات وعلى خطاء بالكسر والمد كركوة وركاء كما في الصحاح وغيره والضمير للخطأ ففي كلامه استعارة بالكناية حيث شبه الخطأ بمفازة مهلكة ذات طرق مختلفة وطوى ذكر المشبه به وهو المفازة ورمز اليه بشيء من لوازمه على سبيل التخييل وهو لفظ الخطط ولفظ الخطاء ترشيح والقرينة التخييل ﴿وأنشر﴾ بضم الشين المعجمة أي ابسط وأوضح ﴿من﴾ تبعيضية ﴿قصة﴾ بكسر القاف وشد الصاد المهملة أي حديث ﴿المولد النبوي﴾ بفتح الميم وكسر اللام مصدر ميمي بمعنى الولادة أي وما سبقه من الحمل ولحقه من نحو نشأته وبعض ما اتفق له في صغره وكبره قبل مبعثه وبعده وسيرته الزكية وشمائله الشريفة وأخلاقه الحسنة وغير ذلك وهذا كله غير داخل في كلامه لكنه لما كان من المعلوم اشتمال لفظ المولد على ما ذكر وانه كالترجمة لذلك على ان نقص الترجمة غير معيب عند المصنفين وانما المعيب عكسه وهو زيادة الترجمة على ما جعلت مبدأ له ودالة عليه اجمالا اكتفى بذكر المولد عن غيره فوضح ان اقتصاره على ذلك مما لا مرية في حسنه عند المصنفين ﴿برودا﴾ بضم الموحدة والراء جمع برد بضم فسكون أصله كساء ملفق من شقتين وفي القاموس البرد ثوب مخطط والمراد هنا جمل الكلام ﴿حسانا﴾ بكسر الحاء المهملة جمع حسن أي رائقة الالفاظ والمعاني ﴿عبقرية﴾ بفتح العين المهملة وسكون الباء الموحدة وفتح القاف نسبة لعبقر موضع بالبادية والعرب تزعم انه بلد الجن فينسبون اليه كل شيء عجيب وفي القاموس عبقر موضع كثير الجن وبلدة ثيابها في غاية الحسن وعليه فالمعنى أنشر من خبر المولد الشريف النبوي أحاديث تشبه في النفع

والرغبة أكسبته سماتا تشبه الاكسية المنسوبة الى تلك المادة في الحسن
والطراوة الكاملة التي لا احال منها ولا قصور في الكلام استعارة
تصريحية حيث شبه ما يتعلق بالمولد الشريف من الاخبار بالبرود المذكورة
بجامع ان كلا تسر به النفوس واستعار اللفظ الدال على المشبه به للمشبه
على سبيل الاستعارة التصريحية وذكر المولد قرينة على ذلك وقوله عبقرية
ترشيح ﴿ناظما﴾ حال من فاعل أنشر والنظم ادخال اللآلئ في السلك
أي جامعا على وجه الترتيب في مؤلفي هذا البديع المعاني الرائق الالفاظ
والمباني ﴿من﴾ فرائد اللآلئ أسماء آبائه الشم الغرانيق الواقعين
في عمود ﴿النسب الشريف عقدا﴾ بكسر العين المهملة وسكون القاف
وهو القلادة والمراد هنا اللآلئ لانها من باب اطلاق الكل وارادة
الجزء اذ هي التي تنظم دون العقد وتشبيه بليغ ﴿تحلى﴾ بحذف احدى
التائين مبنيا للفاعل جريا على القاعدة من أن الفعل المضارع اذا ابتدئ
بتائين جاز حذف احديهما كما قال في الخلاصة

وما بتائين ابتدي قد يقتصر * فيه على تا كتبين العبر

من الحلية اي تزين ﴿المسامع﴾ الاسماع ﴿حلاه﴾ بضم الحاء المهملة
وكسرها وهو أفصح وقد تفتح وعلى انها بضم الحاء او كسرها جمع حلية
بالكسر كما يأتي وعلى انها بفتحها فهي الحلي بالضم جمع حلي بالفتح كثدي
وثدي او هو جمع والواحد حلية كظبية وعلى كل فيطلق على التحلية
بمعنى لبس الحلي بما يتزين به من مصوغ المعدنيات او الحجارة والمراد بها
هنا الصفات من غير تشبيه او مع تشبيهها بالحلي وقد يطلق مفتوحها على
ما يحصل في الفم والعين والقلب ولا يناسب هنا اذ الاسماع لا تتحلى بالدرر
وانما تتزين بسماع رقة الاخبار الواردة في مدح نسبه الشريف المشبه بعقد
الجوهر الذي هو صلى الله عليه وسلم واسطته العظمى وفي كلامه استعارة
بالكناية حيث شبه أسماء آبائه صلى الله عليه وسلم باللؤلؤ النفيس وطوى ذكر
المشبه به وهو اللؤلؤ النفيس ورمز اليه بشيء من لوازمه وهو النظم على سبيل
التخييل فهو قرينة المكنية وذكر العقد ترشيح وفي تحلى المسامع أيضا
استعارة تصريحية تبعية حيث شبه سرور السامع عند سماع ذلك النسب

الشريف بالتحلي بالحلي المحسوس بجامع انشراح النفس لكل واستعار التحلي للسرور واشتق منه تحلى بمعنى تسر فهي استعارة تصريحية تبعية لجريانها في الفعل بعد جريانها في المصدر وشاهد ذلك حديث مسلم ان الله اصطفى كنانة من ولد اسماعيل واصطفى من كنانة قريشا الحديث وحديث الترمذي ان الله خلق الخلق فجعلني في خير فرقهم ثم تخير القبائل فجعلني في خير قبيلة الحديث وغير ذلك من الاحاديث كما يأتي ان شاء الله تعالى ﴿واستعين﴾ أي اطلب العون في اتمام ما انا بصدده وهو هذا التاليف ﴿بحول الله﴾ أي قدرته ﴿وقوته﴾ كذلك ﴿القوية﴾ العظيمة التامة التعلق بكل ممكن ﴿فانه﴾ اي الامر والشان ﴿لاحول﴾ لاقدرة لاحد على فعل شئ ما ﴿ولاقوة﴾ له كذلك ﴿الا با﴾ عانة ﴿الله﴾ العلي العظيم وفي الحديث لاحول عن معصية الله الا بعصمة الله ولا قوة على طاعة الله الا باعانة الله وجاء في الحديث انها كنز من كنوز الجنة أي لقائلها ثواب نفيس مدخر في الجنة فهو كالكنز في كونه نفيسا مدخرا لاحتوائها على التوحيد الخفي وانما تدفع سبعين بابا من البلاء أدناها الهم وجاء والذي نفسي بيده ان لاحول ولا قوة الا بالله شفاء من سبعين داء أدناها الهم والغم والحزن وفرق بين الهم والغم ان الغم يعرض منه السهر والهم يعرض منه النوم قيل ومعنى كونها من كنوز الجنة انها بساط الرضا والتسليم الذي هو جنة الدنيا فقد قال عبد الواحد بن زيد رضي الله عنه الرضا باب الله الاعظم ومستراح العابدين وجنة الدنيا انتهى ومعنى كونها بساط الرضا والتسليم انها كلمة استسلام وتفويض وان العبد لا يملك من أمره شيئا وليس له حيلة في دفع شر ولا قوة في جلب خير الا بارادة الله * في الطبراني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء مر على ابراهيم عليه الصلاة والسلام فقال ابراهيم يا محمد مر أمتك ان يكثروا من غراس الجنة قال وما غراس الجنة قال لاحول ولا قوة الا بالله ولما أراد المصنف رحمه الله تعالى ان يشرع في المقصود فصل كلامه بتعطيرة من الصلاة والسلام على ضريح صاحب المقام المحمود عليه الصلاة والسلام وهكذا كلما أراد الانتقال من أسلوب الى أسلوب لما هو عادة أهل

المدينة المنورة عند عمل المولد الشريف يجتمعون أولاً على قراءة القرآن العظيم وعند الفراغ والختم يشرع قارئ المولد في املاء كيفية المولد الشريف والحاضرون منصتون بخشوع وخضوع فعند وصول القارئ الى فقرة من تلك الفقرات يرفعون بها أصواتهم ويصلون ويسلمون على سيد أهل الارض والسموات فقال رحمه الله تعالى الملك المتعال ﴿عطر اللهم﴾ يا ألله وهو بفتح العين وكسر الطاء المهملة دعاء بتطييب قبره الشريف صلى الله عليه وسلم وانزال الرحمة عليه أى أدم ذلك أو زده فانه لاشك انه عليه الصلاة والسلام لم يزل يترقى في درجات الكمال وهكذا الى مالانهاية له ﴿قبره الكريم﴾ أى المكرم بتكريم الله تعالى والمشرف بتشريفه وقد انعقد الاجماع على تفضيل ماضم الاعضاء الشريفة على سائر الاماكن واختلفوا في هل هو أفضل من العرش فقال جمع من المتأخرين انه أفضل من العرش وهو الذى مال اليه المحققون كالسبكى والسمهودى وابن حجر وامثالهم وخالفهم بعض محققى المتأخرين وقال ان العرش أفضل وصنف في ذلك رسالة ساق فيها ادلة كثيرة ونذكر بعضها هنا للتنبيه فقال وأما قول التاج السبكى نقلاً عن ابن عقيل الحنبلى ان القبر الشريف أفضل من العرش فلم يقم عليه دليل ولم يرد في ذلك نص عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عن الخلفاء الراشدين ولا عن أحد من فقهاء الصحابة والتابعين ولا عن أحد من الائمة المجتهدين بل هو قول محدث بعد الثمانمائة فالحق ان عرش الرحمن أفضل من قبر النبى صلى الله عليه وسلم كيف لا وقد ذكره الله تعالى في كتابه العزيز في مواضع كثيرة ووصفه بأوصاف جليلة فسماه عظيماً وكريماً ومجيداً فقال وهو رب العرش العظيم وقال رب العرش الكريم وقال ذو العرش المجيد وقال ثم استوى على العرش في عدة آيات فأضافه سبحانه الى نفسه وجعله محل استوائه مع تنزهه عن الاستقرار والمماسة وما يوجب الجسمية ويكفى في تشريفه تلك الاضافة والاختصاص ولا يرد ان الكعبة بيت الله لان العرش اخص من البيت ولان الكعبة شرفت بيمين الله والعرش باستواء الرحمن بالمعنى الذى أراده مع التنزه ثم ان شرف العرش سابق منذ خلق الله

العرش وشرف القبر الشريف حدث بدفنه فيه وشرف العرش أبدي باق ببقاء الله وشرف القبر يزول ببعثه صلى الله عليه وسلم منه وأما حديث الاعداد لدفنه فيرد عليه ان الوسيلة في الفردوس الاعلى معدة له صلى الله عليه وسلم ومكثه فيها أطول من مكثه في القبر الشريف فيلزم ان تكون أفضل من القبر الشريف مع انهم لم يقولوا ان الفردوس الاعلى أفضل من العرش قال ابن قاسم هل البقعة المذكورة هذه أفضل من منزلته في الجنة اومنزلته فيها افضل كما هو المتبادر الى الفهم قال وقد يقال هذه أفضل مادام فيها فاذا صار في الجنة صارت منزلته أفضل وقد يقال يحتمل ان تكون هذه منقولة من منزلته في الجنة أو تنقل اليها فاذا احكمها انتهى قال وهو انما يدل على مساواة القبر الشريف للمنزلة الشريفة فغايته انه في فضلها فول قال أحد ان منزلته في الجنة أفضل من العرش لم نره لاحد ولا نفضل الجنة على العرش قال وأما قول ابن حجر في حاشية الايضاح قال جمع انها أفضل من العرش وهو ظاهر يدل له ان مدفن الشخص هو الذى خلق منه فقد يرد عليه ان الكلام في مدفنه صلى الله عليه وسلم والطينة انما هي التي صارت جزء جسده الشريف صلى الله عليه وسلم ولا نزاع فيه فهو استدلال على غير المدعى ومن ثم قال بعضهم الاستشكال في مكان الطينة لا في الطينة وأما حديث ان المرأ يدفن في البقعة التي أخذ منها ترابه عند ما خلق فرواه عبد الرزاق موقوفا والموقوف يحتج به في الفضائل لا في التفضيل وأما استدلال بعضهم بأن القبر الشريف تنزل عليه من الكمالات ما يقصر العقول عنه فكيف لا يكون أفضل الامكنة فأقول القبر الشريف تنزل عليه الكمالات والعرش الكريم تنزل عنه الكمالات وفرق بين المقامين فان قلت ان نزول ذلك من الله لا من العرش قلت فعلى النبي صلى الله عليه وسلم لا على القبر الشريف وأما عبادة النبي صلى الله عليه وسلم في القبر الذى مال اليه السبكي والسمهودي فمعارض بعبادته في مكانه في الجنة فان ترقياته صلى الله عليه وسلم في الجنة دائمة كما قال السمهودي نفسه والجنة لا تفنى أبدية سرمدية وترقياته في الجنة غير متناهية بخلاف ترقياته في القبر الشريف لان مكثه به متناه فكذا ترقياته التي فيه لان ما كان في متناه فهو

مثناه فيلزم ان يكون مكانه في الجنة أفضل من قبره بعين هذا الدليل وقد قال
صلى الله عليه وسلم لقاب قوس احدكم في الجنة خير من الدنيا وما فيها فهذا
صريح في تفضيل الجنة ومعلوم ان العرش أفضل من الجنة ولم يقل احد
ان الجنة أفضل من العرش فيلزم تفضيل العرش على القبر الشريف
بدرجتين قال ولنا أدلة على تفضيل العرش سنوردها هنا فاستمع وانصف
(الاول) ان العرش مخلوق قبل السموات والارض بمدة مديدة لا يعلمها
الا الله بل هو أول مخلوق بعد القلم واللوح كما قاله امام المحققين الشيخ محي
الدين بن عربي قدس سره وهو باق أبدي وهو منذ خلق تشرف بشرف
الاستواء عليه كما أراد الله ورسوله من غير تكييف ولا تجسيم والقبر الشريف
انما تشرف بدفنه صلى الله عليه وسلم فيه سنة عشر من الهجرة (الثاني) ان
العرش لم يصعد اليه مخلوق قط وهو من محض النور وهو من محض الرحمة
باق لا يفنى والقبر الشريف من أجزاء الارض التي داس عليها قبل ان
يكون بيتا له صلى الله عليه وسلم الناس حتى الكفار وعصى الله تعالى عليها
وانما ظهر شرفه بسكناه صلى الله عليه وسلم فيه ودفنه فيه وليس من محض
النور ولا من محض الرحمة وأيضا فهو يفنى (الثالث) ان العرش أول
ما تشرف بشرف الانتساب الى الله واختصاصه به تعالى ومذهب أهل
السنة وجوب الايمان بصفة الاستواء لله تعالى والتسليم من غير اثبات
كيفية وجسمية وجهة كما قال الامام مالك رضي الله عنه الاستواء معلوم
والكيف مجهول فهذا الاختصاص لا يفارق العرش وايضا فشرف القبر
بواسطة وشرف العرش بغير واسطة (الرابع) ان الانبياء والشهداء
والصالحين يوم القيامة يكونون في ظل العرش وان ارواح الشهداء تأوي الى
قناديل معلقة تحت العرش وان موسى عند البعث يأخذ بقائمة من قوائم
العرش وان النبي صلى الله عليه وسلم يكون تحت العرش ساجدا مرة وقائما
أخرى وان خلعته التي يكساها قبل الانبياء التي لا يقوم لها البشر ترمى
عن ساق العرش فهذا غاية قربه صلى الله عليه وسلم من العرش وان القبر
الشريف كان يمشي عليه و ينام عليه قبل وفاته وهو الآن فيه بعد وفاته
فان كان هذا العرش هو عرش الفصل والقضاء غير العرش المحيط فذاك

أجل وأعظم اذلم يرد ليلة المعراج انه وقف تحته وان كان هو وقف هذا غاية قربه صلى الله عليه وسلم من العرش فى آخر أحواله ووقت تميز فضله على جميع أولاد آدم وما هو الا لعظمة العرش ومزيد شرفه وكمال علوه وغاية رفعة قدره فأين هذا من ذاك (الخامس) قال النووى رحمه الله الجمهور على ان العرش أفضل من السموات وان البيت المعمور الذى فى السماء أفضل من الكعبة التى فى الارض وبالاتفاق ان العرش أفضل من السموات ومن البيت المعمور فهو أفضل من الكعبة بمراتب وقد جعل بعضهم شرف القبر من شرف الكعبة لانه منها فيكون على هذا الوجه العرش اشرف من القبر الشريف بمراتب (السادس) اذا كان شرف ملاقى الاعضاء الشريفة بالمجاورة والملامسة فيجب ان يقال ان كل مكان غزاه صلى الله عليه وسلم او مشى عليه او بات فيه او لبسه كعمامته وقميصه أفضل من العرش ولا أظن أحدا يقول بذلك (السابع) ان كالاته صلى الله عليه وسلم فى التزايد أبد الآبدين فكلما جاوره آخرا كان خيرا من الذى جاوره اولا ومعلوم انه فى الجنة أكمل حالا وأكثر ترقيا منه فى الدنيا وفى البرزخ وان مدة اقامته فى الجنة أكثر منهما لانها فى الجنة أبدى فيلزم ان يكون منزلته فيها أفضل العرش بل يلزم كون الوسيلة وهى مقامه فى الجنة أفضل من قبره الشريف بعين علة المجاورة (الثامن) تقدم ان الله سبحانه وتعالى ذكر العرش فى كتابه العزيز فى مواضع اظهار عظمته ووصفه بأوصاف جليلة انه رب العرش العظيم وانه رب العرش الكريم وانه ذو العرش المجيد على من قرأ بجر المجيد انه نعت العرش وانه ذو العرش يلقى الروح من أمره على من يشاء من عباده وفى الادعية النبوية ياذا العرش المجيد يافعالا لما يريد وورد اسئلك بنور وجهك الذى ملأ أركان عرشك ومعلوم انه تعالى ذو كل شئ وخالق كل شئ فلولا ان للعرش مزية وفضلا على بقية الاماكن لما اختص بذلك وتلك الاضافة ثم انه قد ورد فى فضل العرش وعظمه أحاديث كثيرة بخلاف القبر الشريف فانه لم يرد فيه شئ وقد قال العلامة ابن حجر نفسه فيما تعقب به من قال بأفضلية مولده صلى الله عليه وسلم على ليلة القدر أى كما تقدم فى المقدمة فى أول الكتاب ان الشارع اذا نص على أفضلية شئ

وجب علينا ان نقتصر عليه ولا نبتدع شيئا من عند أنفسنا القاصرة عن
ادراكه الا بتوقيف منه صلى الله عليه وسلم ثم تجرؤ بعضهم على هذا
الكلام ونسبته الى سيد الأنام مما اوجب عليه الوبال وعقب الاثم المتعال
وما الجأ لذلك الا التساهل والاسترواح لما غلب من التقليد المحض
والجمود على الاخذ بكل ما قيل من غير فحص اذ لم يرق ذلك حديثا ضعيفا
فضلا عن الاحاديث الصحيحة وهكذا كل من مال الى الابتداع او الى غير
ذلك انتهى كلامه ملخصا مع بعض زيادات ﴿يعرف﴾ بفتح العين وسكون
الراء المهملتين آخره فاء أي ريح طيبة ﴿شذى﴾ بفتح الشين وكسر
الذال المعجمتين وتشديد الياء صفة مشبهة بمعنى قوي الرائحة من الشذا
والياء نسبية ﴿من صلاة﴾ أي رحمة عظيمة تغشاه في كل وقت وحين
﴿وتسليم﴾ أي سلامة من كل نقص وشين وفي بعض النسخ زيادة ﴿اللهم
صل وسلم وبارك عليه﴾ ومعنى بارك عليه أعطه بركة كثيرة وخيرا زائدا
على ما هو حاصل له صلى الله عليه وسلم اذ الكامل يقبل الكمال وما من
كامل الا وعند الله أكمل منه (تمهيد) قال الحافظ ابن حجر قال ابن حزم
وكذا ابن عبد البر من زعم انه ما ورد من أن علم النسب علم لا ينفع وجهل
لا يضر على الاطلاق فليس بمنصف بل ذلك محمول على التعمق فيه وفي علم
النسب ما هو فرض عين وما هو فرض على الكفاية وما هو مستحب ففي ذلك
أن يعلم ان سيدنا محمدا رسول الله هو ابن عبد الله الهاشمي فمن زعم انه لم
يكن هاشميا فهو كافر وان يعلم ان الخليفة من قريش وان يعرف من يلقاه
بنسب في رحم محرمة ليجتنب ما يحرم عليه منهم وان يعرف من يتصل به ممن
يرثه او يجب عليه بره من صلة أو نفقة او معاونة وان يعرف أمهات المؤمنين
وان نكاحهن حرام وان يعرف الصحابة وان حبهم مطلوب وان يعرف
الانصار ليحسن اليهم لثبوت الوصية بذلك وان حبهم ايمان وبغضهم نفاق اه
ملخصا وقد نحا المصنف رحمه الله تعالى هذا القصد في الاهتمام بشأن هذا
النسب الشريف ذي القدر المنيف فقال رحمه الله تعالى ﴿وأقول هو﴾
سيد الاولين والآخرين والملائكة المقربين والخلائق أجمعين سيدنا ومولانا
وذخرنا وملاذنا أبو القاسم ﴿محمد﴾ صلى الله عليه وسلم بحذف تنوينه

لوصفه

لوصفه بابن الآتي قال بعض المحققين وهذا الاسم أفضل الاسماء عند جماعة مطلقا وهو اسم منقول من الصفة اذا اسم له اسم مفعول من حمد المضعف عينه لقصد المبالغة فكان الاصل محمودا من حمد مبنيا للمفعول ثم ضعف فصار الفعل حمد من التضعيف والمفعول محمد كذلك وذلك للمبالغة لتكرر الحمد له مرة بعد المرة قال في الفتح المحمد الذي حمد مرة بعد أخرى والذي تكاملت فيه الخصال المحمودة اه وسمي بذلك تفاؤلا بأن يكثر حمده وقد تحقق له ذلك فهو صلى الله عليه وسلم أجل المحمودين وافضل الحامدين من المخلوقين كيف لا وقد سماه الله تعالى بهذا الاسم قبل الخلق بألفي عام كما ورد في حديث ابن مالك من طريق أبي نعيم في مناجاة موسى وروى ابن عساكر عن كعب الاحبار قال أنزل الله على آدم عصيا بعدد الانبياء والمرسلين ثم أقبل على ابنه شيث فقال أي بني أنت خليفتي من بعدي فخذها بعمارة التقوى والعروة الوثقى فكلما ذكرت الله فاذكر الى جنبه اسم محمد فاني رأيت اسمه مكتوبا على ساق العرش وأنا بين الروح والطين ثم اني طفت السموات فلم أر فيها موضعا الا رأيت اسم محمد مكتوبا عليه ولقد رأيت اسم محمد مكتوبا على نحور الحور العين وعلى ورق قصب آجام الجنة وعلى ورق شجرة طوبى وعلى ورق سدرة المنتهى وعلى أطراف الحجب وبين أعين الملائكة فاكثر ذكره فان الملائكة من قبل تذكره في كل ساعاتها وقال صلى الله عليه وسلم لما عرج بي الى السماء ما مررت بسماء الا وجدت أي علمت اسمي فيها مكتوبا محمد رسول الله وأبو بكر من خلفي ووجد على الحجارة القديمة مكتوب محمد تقي مصلح أمين ذكره في الشفاء وقال أبو عبد الله بن مالك دخلت بلاد الهند فسرت الى مدينة يقال لها نخيلة او نحيلة فرأيت شجرة كبيرة تحمل ثمرا كاللوز له قشر فاذا كسرت ثمرتها خرج منها ورقة خضراء مطوية مكتوب عليها بالحمرة لا اله الا الله محمد رسول الله وأهل الهند يتبركون بها ويستسقون بها اذا منعوا الغيث حكاه القاضي أبو البقاء في منسكه وفي كتاب روض الرياحين عن بعضهم مثله وانه قال فحدثت بذلك ابا يعقوب الصياد فقال ما أستعظم هذا كنت اصطاد على نهر الابلة فاصطدت سمكة على جناحها الايمن لا اله الا الله

وعلى جناحيها الايمن محمد رسول الله فلما رأيته اقدمتها في الماء احتراما
اما ثم ان في هذا الاسم خصائص ومنها كونه على أربعة أحرف ليوافق اسمه
تعالى اسم محمد فان عدد الجلالة اربعة أحرف كمحمد ومنها انه قيل انما
أكرم به الآدمي انه كان صورته على شكل كتب هذا اللفظ محمد فالميم
رأسه والحاء جناحاه والميم سرته والدال رجلاه قيل ولا يدخل النار من
يستحقها اعاذنا الله منها الا ممسوخ الصورة اكراما لصورة اللفظ كما
حكاهما ابن مرزوق والاول ابن العماد ومنها انه صلى الله عليه وسلم قال قال
الله تعالى عز وجل وعزتي وجلالي لا أعذب أحدا اسمي باسمك في النار
أي باسمك المشهور وهو محمد او أحمد ومنها قال صلى الله عليه وسلم يوقف
عبدان أي اسم أحدهما أحمد والآخر محمد بين يدي الله عز وجل فيؤمر
بهما الى الجنة فيقولان ربنا بما استأهلنا الجنة ولم نعمل عملا تجازينا به
الجنة فيقول الله تعالى ادخلا الجنة فاني آليت على نفسي أن لا أدخل النار
من اسمه أحمد او محمد ومنها ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال
اذا كان يوم القيامة نادى مناد ألا ليقم من اسمه محمد فليدخل الجنة كرامة
لنبيه صلى الله عليه وسلم ومنها من ولد له مولود فسماه محمدا حبا لي وتبركا
باسمي كان هو ومولوده في الجنة قال بعض الحفاظ وهذا أصح الاحاديث
الواردة في فضل التسمية بمحمد صلى الله عليه وسلم ومنها من أراد أن يكون
حمل زوجته ذكرا فليضع يده على بطنها وليقل ان كان هذا الحمل ذكرا
فقد سميته محمدا فانه يكون ذكرا ومنها عن عطاء قال ما سمي مولود في
بطن أمه محمدا الا كان ذكرا قال ابن الجوزي في الموضوعات وقد رفع هذا
بعضهم والى غير ذلك من الاحاديث الكثيرة والاخبار الشهيرة الواردة في
خصائص هذا الاسم الشريف وفضل التسمية به وقد حمى الله هذا الاسم
الكريم ان يتسمى به احد من العرب الا حين شاع قبيل مولده صلى الله
عليه وسلم ان نبيا يبعث اسمه محمد فسمى جماعة أبناءهم رجاء أن يكون
أحدهم هو والله أعلم حيث يجعل رسالته وسيأتي ان شاء الله تعالى عدهم
عند قول المصنف وسميه اذا وضعته محمدا ﴿ابن﴾ لفظ مختص بالذكر
اجماعا حكاه العلقمي ﴿عبد الله﴾ ومعنى عبد الله الخاضع الذليل

الله تعالى وقد جاء أحب أسمائكم وفي رواية أحب الاسماء الى الله تعالى
عبد الله وعبد الرحمن وجاء أحب الاسماء ما تعبد به وسمي صلى الله عليه
وسلم بعبد الله في القرآن قال تعالى وانه لما قام عبد الله يدعوه ولان وصف
العبودية أشرف الاوصاف ومن ثم ذكر في أشرف مقاماته أسرى بعبده نزل
الفرقان على عبده فأوحى الى عبده ولم يختلف في اسمه وكنيته أبو قثم بقاف
مثلثة وهو من أسمائه صلى الله عليه وسلم مأخوذ من القثم بقاف مضمومة
مثلثة وهو الاعطاء ومن الجمع يقال للرجل الجموع للخير قثوم وقثم وقيل
أبو محمد وقيل أبو أحمد فان قلنا بالمشهور من وفاته والمصطفى صلى الله عليه وسلم
حمل فلعله كنى بالالهام وان قلنا بعد ولادته فظاهر قال أهل السير كان عبد الله
والد النبي صلى الله عليه وسلم أنهد فتى في قريش وأصبحهم خلقا واحسنهم
اخلاقا وكان نور النبي صلى الله عليه وسلم في وجهه وكان يقال له الذبيح فقد
روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنا ابن الذبيحين يعني بهما عبد الله
واسماعيل وبهذا الحديث استدل من يقول الذبيح اسماعيل لكن رد بأن
الحديث لم يثبت نعم ثبت في حديث الحاكم في مستدركه عن معاوية
ان رجلا قال له يا ابن الذبيحين فتبسم صلى الله عليه وسلم ولم ينكر عليه فقيل
لمعاوية من الذبيحان فقال الذبيح الاول اسماعيل وأما الثاني فعبد الله بن
عبد المطلب وسبب تسميته ذبيحا ما رواه الطبراني بسنده المتصل الى ابن
عباس رضي الله عنهما قال كان عبد المطلب نذران أكمل له عشرة من الولد
نحر أحدهم تقربا الى الله تعالى فلما كملوا نام عبد المطلب عند الكعبة
فرأى قائلا يقول أوف بنذرك لرب هذا البيت فاستيقظ فزعا مرعوبا
وأمر بذبح كبش وتصدق به ثم نام فرأى ان قرب ما هو أكبر من ذلك
فقرب ثورا ثم نام فرأى ان قرب ما هو أكبر من ذلك فقرب جملا ثم نام فرأى
أن قرب ما هو أكبر من ذلك فقال وما أكبر من ذلك قال أحد أولادك
الذي نذرته فاغتم غما شديدا فجمع أولاده فاخبرهم فاتفقوا على القرعة
فأقرع بينهم أيهم ينحر فصارت القرعة على عبد الله وكان أحب الناس الى
عبد المطلب فقال اللهم هو أو مائة من الابل ثم أقرع فصارت القرعة على
الابل فنحرها كذا ساقه الشهاب أحمد بن حجر في النعمة الكبرى وروى

ابن اسحق القصة مطولة وحاصلها ان عبد المطلب لما لقي من قريش عند
حفر زمزم ما لقي نذر ان كمل له عشرة من الولد ثم بلغوا معه حتى يمنعوه
لينحرن أحدهم عند الكعبة عند مستورة تقربا الى الله تعالى فلما بلغوا ذلك
ووافقوه على الوفاء بنذره واقرع بينهم فخرجت القرعة على عبد الله وهو
اصغرهم واحبهم اليه فبادر لذبحه فمنعته قريش ثم اتفقوا على تحكيم
بعض الكهنة فاشار ان يقرع بين عبد الله وعشرة من الابل فان خرجت
القرعة عليه يزيدها والا فعشرة أخرى وهكذا حتى تخرج على الابل ففعل
حتى خرجت القرعة في العاشرة على الابل وقد كانت مائة فكرر ذلك ثلاث
مرات وهي تخرج على الابل المائة فنحرها وخلا بينها وبين الناس * تنبيه *
يؤخذ مما ذكرناه وامثاله ان عبد المطلب كان مؤمنا موحدا معظما لحرم
الله وانه اقتدى بابراهيم على نبينا وعليه الصلاة والسلام في الاقدام على ذبح
ولده لله تعالى وثباته على ذلك لامره بذلك من الله تعالى كما تقدم حيث
قيل له اوف بنذرك وفي وقوع الامر بفداء ولده في اجابة اولاده نظير
ما أجاب به اسماعيل أباه ابراهيم بقوله يا أبت افعل ما تؤمر حيث قالوا له اوف
بنذرك وافعل ما شئت وفي انقياد عبد الله في ذلك حيث ذهب به وهو
يقوده الى المذبح فكان عبد الله الذبيح الثاني وانه اول من سن دية النفس
مائة من الابل واقر ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وصار شرعا الى يوم
القيامة * تنبيه آخر * حمزة أصغر من عبد الله والعباس أصغر من حمزة
فاولاد عبد المطلب جملتهم اثنا عشر كما قيل واما على انهم لا يزيدون على عشرة
فعدهم عشرة قبل وجود هذين لعله بحساب بعض اولاد اولاده معهم وما
قيل من ان عبد الله اصغر اولاد أبيه المراد انه أصغرهم عند ارادة الذبح كما
جزم به العلامة الشيخ أحمد بن حجر في النعمة الكبرى (ابن عبد المطلب)
قيل له عبد المطلب لان عمه المطلب لما جاء به من المدينة الى مكة صغيرا اردفه
خلفه وهو بهيئة بذة اي رثة أي ثيابه خلقة فكان يسئل عنه فيقول هو
عبدي حياء ان يقول ابن أخي فلما أدخله مكة واحسن من حاله أظهر انه
ابن أخيه فلذلك قيل له عبد المطلب وبهذا القول جزم في شرح البخاري
وقيل قيل له عبد المطلب لان أباه هاشما قال لاخيه وهو بمكة حين أدركته

الوفاة أدرك عبدك بيثرب فمن ثم تسمى عبد المطلب قاله في المواهب وقدمه
على ما تقدم ولا شك ان هذا القول غير القول بانه مات بغزة فلا وجه في
ايراده من قال وفيه انه حكى غير واحد ان هاشما خرج تاجرا الى الشام
فنزل على شخص من بني النجار بالمدينة وتزوج بنته على شرط أن لا تلد
ولدا الا في أهلها ثم مضى لوجهه قبل ان يدخل بها ثم انصرف راجعا
فبنى بها في أهلها ثم ارتحل بها الى مكة فلما أثقلت بالحمل خرج بها
فوضعها عند أهلها بالمدينة ومضى الى الشام فمات بغزة وولدت شيبة الحمد
فمكث بالمدينة سبع سنين وقيل ثمان فمر رجل على غلمان يلعبون بالسهام
واذا غلام فيهم اذا أصاب قال أنا ابن سيد البطحاء فقال له الرجل ممن أنت
يا غلام فقال أنا شيبة بن هاشم بن عبد مناف فلما قدم الرجل مكة وجد
المطلب جالسا في الحجر فقص عليه ما رأى فذهب المطلب الى المدينة فلما
رآه عرف شبه أبيه ففاضت عيناه وضمه اليه وفي لفظ انه عرفه بالشبه
وقال لمن كان يلعب معه أهذا ابن هاشم قالوا نعم فعرفهم انه عمه فقالوا
له ان كنت تريد أخذه فالساعة قبل ان تعلم بك أمه فانها ان علمت بك لم تدعك
وحالت بينك و بينه فدعاه المطلب وقال يا ابن أخي انا عمك وقد أردت
الذهاب بك الى قومك وأناخ راحلته فأجلسه على عجز الناقة فانطلق به
ولم تعلم به أمه حتى كان الليل فقامت تدعوه فاخبرت ان عمه قد ذهب به
وكساه حلة يمانية ثم قدم به مكة فقالت قريش هذا عبد المطلب انتهى
قال الحلبي في انسان العيون وهذا السياق يدل على ان عبد المطلب انما ولد
بعد موت أبيه هاشم بغزة وكون عمه المطلب كساه حلة لا ينافي ما سبق انه
دخل به مكة وثيابه رثة خلقة لانه يجوز ان تكون ألبست له عند أخذه ثم
نزعت عنه في السفر وقيل انما أخذه بعلمها فلعله استعجل لئلا تمنعه أمه
بعد وقيل سمي به على عادة العرب في قولهم لليتيم المربى في حجر انسان عبده
وهو أول من خضب بالسواد من العرب وذلك لما ورد على عظيم من حمير فقال
هل لك من تغيير هذا البياض فتعود شابا فقال ذلك اليك فأمر فخضب
لحيته بحناء ثم علا بالوسمة ثم رجع الى مكة فخرج عليهم بالغد كأن
شعره حلك الغراب فقالت له زوجته نتيلة لو دام لك هذا السكان

حسانا فقال

لو دام لي هذا السواد حمدته * وكان بديلا من شباب قد انصرم

تمتعت منه والحياة قصيرة * ولا بد من موت نتيلة أو هرم

وماذا الذي يجدي على المرء خفضه * ونعمته يوما اذا عرشه انهدم

فموت جهيز عاجل لا شوى له * أحب الي من مقالهم حكم

فخضب أهل مكة بالسواد ونتيلة بنت جناب بن كليب بن مالك بن عمرو بن عامر احدى زوجاته فانه كان له خمس نسوة وبنيه وهالة وآمنة بنت هاجر الخزاعي وفاطمة بنت عمرو وأول من خضب بالسواد وكان اذا دخل شهر رمضان صعد حراء وأطعم المساكين وكان يرفع مائدته للطير والوحوش في رؤس الجبال فكان يقال له الفياض لجوده ومطعم طير السماء وكان مجاب الدعوة وقد حرم الخمر على نفسه (واسمه) الاصلي (شيبة الحمد) وقيل عامر والصحيح الاول وهو مركب اضافي قال الشاعر

على شيبة الحمد الذي كان وجهه * يضيء ظلام الليل كالقمر البدر

وكنيته أبو الحارث وقيل أبو البطحاء وسبب تسميته بشيبة الحمد قيل انه ولد وفي رأسه شيبة في رواية كانت ظاهرة في ذؤابته وأخرى كانت وسط رأسه أبيض وقيل ان أباه أوصى أمه بذلك وجزم بالاول في ارشاد الساري وسمى بها الشائب وأضيف الى الحمد رجاء أن يكبر ويشب ويكثر حمد الناس له وقد حقق الله ذلك فكثر حمدهم له لانه كان مفزع قريش في النوائب وملجأهم في الامور وشرفهم وسيدهم كمالا وفعالا وكان يفوح منه رائحة المسك الاذفر ونور رسول الله صلى الله عليه وسلم يضيء في غرته وكانت قريش اذا أصابها قحط تأخذ بيده وتخرج الى ثبير فيتوسلون به ويدعون الله ويسقيهم غيثا عظيما ببركة نور محمد صلى الله عليه وسلم وفي ذلك قالت رقيقة

بشيبة الحمد أسقى الله بلدتنا * وقد فقدنا الحيا واجلوذ المطر

ورفض في آخر عمره عبادة الاصنام ووحد الله تعالى ويؤثر عنه سنن جاء القرآن بأكثرها وجاءت السنة بها منها الوفاء بالنذر كما تقدم والمنع من نكاح المحارم وقطع يد السارق والنهي عن قتل الموؤدة وتحريم الخمر والزنا

وان

وان لا يطوف بالبيت وهو عريان كذا فى كلام سبط ابن الجوزى رحمه الله ومن مآثره أيضا قصته مع صاحب الفيل وسيأتى ذكرها ان شاء الله تعالى وعاش مائة وأربعين سنة وقيل مائة وعشرين سنة ﴿ابن هاشم﴾ وانما قيل له هاشم لانه كان يهشم الثريد عشلة مايتخذ من لحم وخبز فى الجدب قال الشاعر

اذا ما الخبز تأدمه بلحم * فذاك أمانة الله الثريد

والجدب بجيم مفتوحة ودال مهملة ساكنة خلاف الخصب اولانه اول من هشم الثريد بمكة لاهل الموسم ولقومه أولا فى سنة المجاعة فى السبل لما أصاب أهل مكة جهد وشدة رحل الى فلسطين وقيل بلغه ذلك وهو بغزة من الشام فاشترى منها دقيقا كثيرا وكعكا وقدم به مكة فأمر به فخبز ثم نحر جزورا وجعلها ثريدا عم به أهل مكة ولا يزال يفعل ذلك حتى استقلوا انتهى وفى المنتقى كان هاشم أفخر قومه واعلاهم وكانت مائدته لا ترفع لا فى السراء ولا فى الضراء وكان يحمل ابن السبيل و يؤدى الحقائق وكان نور رسول الله صلى الله عليه وسلم فى وجهه يتوقد شعاعه و يتلألأ ضياؤه ولا يراه أحد الا قبل يده ولا يمر بشئ الا سجد له تغدوا اليه قبائل العرب ووفود الاحبار يحملون بناتهم يعرضون عليه ان يتزوج بهن حتى بعث اليه هرقل ملك الروم وقال لى ابنة لم تلد النساء أجمل منها ولا أبهى وجها فاقدم الى حتى ازوجكها فقد بلغنى جودك وكرمك وانما أراد بذلك نور المصطفى صلى الله عليه وسلم الموصوف عندهم فى الانجيل فأبى هاشم انتهى ﴿واسمه﴾ كما قال الشافعى ومالك رحمهما الله ﴿عمرو﴾ منقول من العمر بالفتح الذى هو العمر بالضم او العمر الذى هو من عمور الاسنان أو العمر الذى هو طرف الكم يقال سجد على عمره أى كمه او العمر الذى هو القرط كما قال

وعمرو هند كأن الله صوره * عمرو بن هند يسوم الناس تعنيتا

وزاد أبو حنيفة وجها خامسا فقال من العمر الذى هو اسم لحمل الشكر و يقال فيه عمر انتهى من الروض وهو أول من مات من بنى عبد مناف واختلف فى سنه فقيل عشرون وقيل خمس وعشرون سنة واخوته عبد شمس والمطلب ونوفل وكان يقال لهاشم واخوته قداح النضار اى الذهب

ويقال لهم المجبرون لجبرهم وفخرهم وسيادتهم على سائر العرب قال بعضهم لا يعرف بنو أب تباينوا في محال موتهم مثلهم فان هاشما مات بغزة كما تقدم في قول وعبد شمس مات بمكة وقبره باجياد ونوفلا مات بالعراق والمطلب مات بردمان أرض اليمن انتهى وروى عن بعض الصحابة قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبابكر رضي الله عنه على باب بني شيبة فمر رجل وهو يقول

يا أيها الرجل المحول رحله * هلا نزلت بآل عبد الدار
ثكلتك أمك لو نزلت برحلهم * منعوك من عدم ومن اقتار

فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أبي بكر فقال هكذا قال الشاعر قال لا والذي بعثك بالحق لكنه قال

يا أيها الرجل المحول رحله * هلا نزلت بآل عبد مناف
ثكلتك أمك لو نزلت برحلهم * منعوك من عدم ومن اقراف
الخالطين غنيهم بفقيرهم * حتى يعود فقيرهم كالكافي

فتبسم صلى الله عليه وسلم وقال هكذا سمعت الرواة ينشدونها وكان هاشم بعد أبيه عبد مناف صاحب السقاية وهي حياض من أدم كانت توضع بفناء الكعبة وينقل اليها الماء العذب من الآبار على الابل في المزاود والقرب قبل حفر زمزم وربما قذف فيها التمر والزبيب في غالب الاحوال ليسقي الحاج أيام الموسم حتى يتفرقوا والرفادة وهي اطعام الحاج أيام الموسم حتى يتفرقوا فكان يعمل الطعام للحاج يأكل منه من لم يكن له سعة ولا زاد وذكر انه اذا أهل هلال ذي الحجة قام صبيحته وأسند ظهره الى الكعبة من تلقاء بابها ويخطب ويقول في خطبته يا معشر قريش انكم سادة العرب وأحسنها وجوها وأعظمها احلاما أي عقولا وأوسط العرب أي أشرفها أنسابا وأقرب العرب بالعرب أرحاما يا معشر قريش انكم جيران بيت الله أكرمكم الله بولايته وخصكم بجواره دون بني اسماعيل وانه يأتيكم زوار الله يعظمون بيته فهم اضيافه وأحق من أكرم اضياف الله أنتم فاكرموا ضيفه وزواره فانهم يأتونه شعثا غبرا من كل بلد على ضوامر كالقداح فاكرموا ضيفه وزوار بيته فورب هذه البنية لو كان لي مال

يحتمل ذلك لكفيتكموه وانا مخرج من طيب مالي وحلاله مالم يقطع فيه رحم ولم يؤخذ بظلم ولم يدخل فيه حرام فمن شاء منكم ان يفعل مثل ذلك فعل واسألكم بحرمة هذا البيت ان لا يخرج رجل منكم من ماله لكرامة زوار بيت الله وتقويتهم الا طيبا لم يؤخذ ظلما ولم يقطع فيه رحم ولم يؤخذ غصبا فكانوا يجتهدون في ذلك ويخرجونه من أموالهم فيضعونه في دار الندوة وهي أول دار بنيت بمكة وكانت قريش تجتمع للمشاورة في امورها فيها ولا يدخلها الا من بلغ الاربعين وكانت الجارية اذا حاضت تدخلها وتجيب فيها ولا ينكح رجل امرأة من قريش الا فيها هذه كانت سنة قصي ولما مات قصي استمرت قريش على ما كان عليه في حياته كالدين المتبع فلا زالت تلك الدار الى ان صارت الى حكيم بن حزام فباعها في الاسلام بمائة ألف درهم فلامه عبد الله بن الزبير رضي الله عنه وقال أتبيع مكرمة آبائك وشرفهم فقال حكيم رضي الله عنه ذهبت المكارم الا التقوى والله لقد اشتريتها في الجاهلية بزق خمر وقد بعتها بمائة ألف واشهدكم ان ثمنها في سبيل الله فأينا المغبون وكانت جهة الحجر عند المقام الحنفي الآن وكان بها باب للمسجد وقيل لها دار الندوة لاجتماع الندوة وهي الجماعة فيها ﴿ابن عبد مناف﴾ بميم مفتوحة ونون خفيفة بعدها ألف ثم فاء من أناف ينيف انافة اذا ارتفع وقيل الانافة الاشراق والزيادة وانما لقب بذلك لان أمه حبى بضم الحاء المهملة وموحدة مشددة أخدمته صنما عظيما لهم يسمى مناه وقيل وهبته له لانه أول ولد قصي ثم نظر أبوه فرآه يوافق عبد مناة بن كنانة فحوله عبد مناف وما تقدم من ضبط حبى هو الذي ضبطه الزرقاني وغيره وكذلك هو في القاموس غير انه قال اسم امرأة ولم يقل ام عبد مناف وهو الجد الثالث لرسول الله صلى الله عليه وسلم والجد الرابع لعثمان رضي الله عنه والجد التاسع لامامنا الشافعي رضي الله عنه ﴿واسمه﴾ كما قال امامنا الشافعي رضي الله عنه ﴿المغيرة﴾ منقول من الوصف والهاء للمبالغة سمي به تفاؤلا انه يغير على الاعداء وساد في حياة أبيه وكان مطاعا في قريش ويدعى القمر لجماله قال الواقدي وكان فيه نور رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي يده لواء نزار

وقوس اسماعيل* وذكر ابن الزبير عن موسى ابن عقبة انه وجد كتابته في حجر أنا المغيرة بن قصي آمر بتقوى الله وصلة الرحم وإياه عنى القائل

وكانت قريش بيضة فتفلقت * فالمخ خالصه لعبد مناف

قال ابن هشام ومات بغزة ﴿وابن قصي﴾ بضم القاف تصغير قصي بفتح فكسر فياء لانه تقاصى اي بعد ﴿واسمه مجمع﴾ بتشديد الميم اسم فاعل من جمع مشددا سمى لانه جمع قومه وادخلهم مكة بعد تفرقهم في البلاد واليه يشير قول شاعرهم

أبوكم قصي كان يدعى مجمعا * به جمع الله القبائل من فهر

او لانه كان يجمع قومه يوم العروبة فيذكرهم ويأمرهم بتعظيم الحرم ويخبرهم انه سيبعث فيه نبي ولا مانع من تعدد السبب ولا يخالف ما يأتي ان كعبا كان يفعل ذلك ويخبرهم انه سيبعث فيه نبي وقيل اسمه زيد حكاه احمد بن حنبل عن امامنا الشافعي رضي الله عنهما وبه جزم في السبل والتوشيح والعيون والعراقي وقيل يزيد بزيادة ياء أوله حكاه الحاكم عنه أيضا لكنه لا يساوي ما حكاه احمد عنه لانه أجل تلامذته ولذا اقتصر عليه في الفتح *تنبيه* جزمهم بزيد واقتصار البعض عليه يفيد انه الاسم فان قلت على هذا كان حق المؤلف ان يأتي به لانه اسمه الاصلي وانه الاسم الذي لا يأتي بغيره وهو مجمع قلت انما أتى به لما فيه من الاشارة الى اوصافه الحميدة وافعاله المرضية كما مر من جمعه قريشا بعد تفرقها وتذكيره وامره لهم بتعظيم الحرم واخباره ببعث النبي صلى الله عليه وسلم كيف لا وقد سماه النبي صلى الله عليه وسلم بذلك لذلك كما في كلام بعضهم والله أعلم وكان قصي اول بني كعب اصاب ملكا اطاع له به قومه وكانت اليه الحجابة والسقاية والرفادة والندوة واللواء والقيادة أما السقاية والرفادة والندوة فقد تقدم تفسيرها واما الحجابة فهي فتح باب الكعبة وأما اللواء فهو اللواء الذي يعقد للحرب وأما القيادة فهي قيادة القوم للحرب وحاز شرفا مكة جميعا وكان رجلا جليدا جميلا وعالم قريش واقومها بالحق قيل وهو جماع قريش فلا يقال لاحد من أولاد من فوقه

قرشي ونسب هذا القول لبعض الرافضة وهو قول باطل ظاهر الفساد لانه يتوصل به الى ان سيدنا أبابكر وسيدنا عمر رضي الله عنهما ليسا من قريش فلا حق لهما في الامامة العظمى التي هي الخلافة لقوله صلى الله عليه وسلم الائمة من قريش ولقوله صلى الله عليه وسلم أنتم أولى الناس بهذا الامر ما كنتم على الحق الا أن تعدلوا عنه لانهما لم يلتقيا مع النبي صلى الله عليه وسلم الا فيما بعد قصي لان أبابكر يجتمع مع النبي صلى الله عليه وسلم في مرة وبينهما خمسة آباء وبين عمرو بين كعب سبعة آباء كما سيأتي ان شاء الله تعالى ﴿سمي﴾ أي لقب ﴿بقصي لتقاصيه﴾ أي تباعده عن عشيرته كما في المواهب ﴿في بلاد قضاعة﴾ بضم القاف وضاد معجمة وعين مهملة لاحتمال امه فاطمة بنت سعد العذرى اليها كما قاله الزرقاني عن ابن اسحاق قال الحلبي في انسان العيون ولعلها جهة الشام فلا يخالف ما قيل قيل له قصي لانه بعد مع امه الى الشام لان امه تزوجت بعد موت أبيه وهو فطيم بشخص يقال له ربيعة بن حزام العذري وقيل بالعكس فرحل بها الى الشام انتهى لكن يعكر عليه ما في القاموس انها جهة اليمن وقال الزرقاني في شرح المواهب شعب من معد أو من اليمن انتهى ﴿القصية﴾ بفتح القاف أي البعيدة عن مكة ﴿الى أن أعاده﴾ ارجعه ﴿الله﴾ سبحانه ﴿وتعالى﴾ وذلك ان قصيا كان لا يعرف له ابا الا زوج امه فلما كبر وقع بينه وبين زوج أمه شر وناضل رجالا منهم بنضلة وغلبه فغضب ذلك الرجل وعيره قصيا بالغربة وقال له ألا تلحق بقومك وبلدك فانك لست منا فقال ممن أنا قيل له سل أمك فشكا الى امه فقالت بلدك خير من بلادهم وقومك خير من قومهم أنت أكرم اباما هم أنت ابن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة القرشي وقومك بمكة عند البيت الحرام تغدو اليه العرب وقد قالت لي كاهنة رأتك صغيرا أنك تلي أمرا جليلا فلما أراد الخروج الى مكة صبرته أمه الى أن خرج مع حاج قضاعة ﴿الى﴾ وطنه الاصلي ووطن اصوله من ولد اسماعيل عليه السلام فمن بعده ﴿الحرم﴾ أي حرم مكة وما حولها مما يحرم فيه الاصطياد وغيره قال بعضهم وسمي حرما لتحريم الله تعالى فيه كثيرا مما ليس يحرم في غيره ومسافته ستة عشر ميلا في مثلها

انتهى قيل وانما صار الحرم حرما لان الله تعالى لما قال للسموات والارض ائتيا طوعا أو كرها قالتا اتينا طائعين كان المجيب له بذلك من الارض موضع الكعبة ومن السماء ما قابله انتهى والاصل فى تحديد الحرم ان آدم عليه السلام خاف على نفسه من الشياطين فاستعاذ بالله تعالى فارسل الله تعالى ملائكة حفوا بمكة من كل جانب فكان الحرم من حيث وقفت الملائكة ونقل العلامة المناوى فى شرح الجامع الصغير عن أمالى ابن دريد عن الحبران آدم أهبط ومعه الحجر الاسود فكان أشد بياضا من الثلج فوضعه على أبى قبيس فكان يضئ بالليل كانه القمر فحيث بلغ ضوءه كان من الحرم انتهى قال بعضهم وعلامة الحرم ان سيل الحل اذا أتى وقف دونه ﴿المحترم﴾ بضم الميم وفتح الراء أى المعظم بتعظيم الله تعالى ﴿وحمى حماه﴾ بفتح الحاء المهملة فى الاولى وكسرها فى الثانية أى منع من حواه أى حفظه مما يضره فالاضافة بيانية وعرفت قريش فضله وشرفه وأكرموه وقدموه عليهم فسادهم وهو الذى شرع لقريش السقاية والرفادة والحياض وعمر دار الندوة ودفن قصى بالحجون ﴿ابن كلاب﴾ بكسر الكاف وفتح اللام مخففة قال الحافظ لقب به لمحبته كلاب الصيد انتهى وهو اما منقول من المصدر الذى فى معنى المكالبة نحو كالبت العدو مكالبة وكلابا واما من كلاب جمع كلب الحيوان المعروف كما هو عادة العرب فانهم يسمون أبناءهم بشر الاسماء وعبيدهم بأحسنها وسئل اعرابى عن ذلك فقال انما نسمى أبناءنا لاعدائنا وعبيدنا لانفسنا يريد ان الابناء عدة للاعداء وسهام فى نحورهم فاختاروا لهم هذه الاسماء نحو كلب وكلاب وذئب وذئاب بخلاف العبيد فانهم لا يقصدون منهم قتالا بل كان عادة عندهم ﴿واسمه﴾ الاصلى ﴿حكيم﴾ بفتح الحاء المهملة وكسر الكاف ويقال الحكيم بزيادة الالف واللام وقيل عروة وقيل المهذب وزعم من قال اسمه حكيم وهو غير صحيح بل الصحيح ان اسمه حكيم كما صححه الحب ابن شهاب بن الهائم وتقدمه مغلطاى فى الاشارة ﴿بن مرة﴾ بضم الميم وتشديد الراء اما منقول من وصف الرجل بالمرارة والتاء للمبالغة او من وصف الحنظلة والعلقمة والتاء للتأنيث وبهذا جزم بعضهم تبعا لما

فى السبيل وله ثلاثة أولاد كلاب وتيم ومن نسله الصديق وطلحة رضى الله عنهما و يقظة وبه كنى وهوالجد السادس لابى بكر رضى الله عنه والامام مالك يجتمع معه صلى الله عليه وسلم فيه كذا قاله الحلبى فى انسان العيون وفيه مافيه ﴿بن كعب﴾ بفتح الكاف وسكون العين المهملة سمى بذلك لستره على قومه ولين جانبه لهم منقول من كعب القدم او القناة لارتفاعه وشرفه فيهم وكانوا يخضعون له وهوأول من جمع الناس بمجرد الوعظ يوم العروبة بفتح العين وضم الراء المهملتين وبالموحدة وهو اسم يوم الجمعة فى الجاهلية اتفاقا واختلف فى أول من سماه الجمعة فقال المحقق ابن حجر تبعا لما جزم به الفراء وثعلب وغيرهما أول من سمى يوم العروبة يوم الجمعة كعب وهوأول من قال أما بعد وقيل أول من سماه به أهل المدينة لصلاتهم الجمعة قبل قدومه صلى الله عليه وسلم مع أسعد بن زرارة وقيل بعد الاسلام وصححه ابن حزم وقيل غير ذلك وكانت قريش تجتمع اليه فيه فيخطبهم وكان فصيحا خطيبا وكان يأمرهم بتعظيم الحرم ويخبرهم انه سيبعث فيه نبى و يعلمهم بأنه من ولده وعلمه ذلك من الوصية المستمرة من آدم أن من كان فيه ذلك النورلا يضعه الا فى المطهرات لان ختام الانبياء منه وقد علمه ظاهرا فيه قائما به اومن الكتب القديمة أن من كان بصفة كذا كان محمد من ولده ووجد تلك الصفة فيه والاول أظهر ويأمرهم باتباعه والايمان به وانشد فى ذلك أبياتا منها

على غفلة يأتى النبى محمد * فيخبر أخبارا صدوق خبيرها

ومنها قوله

ياليتنى شاهد فحواء دعوته * اذا قريش تبغى الحق خذلانا

ولله در القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر رحمه الله تعالى حيث يشير الى ذلك بقوله

لقد قال كعب فى النبى قصيدة * وقلنا عسى فى مدحه نتشارك
فان شملتنا بالجوائز رحمة * كرحمة كعب فهو كعب مبارك

وكان بين موته ومبعث النبى صلى الله عليه وسلم خمسمائة وستون سنة وهو الجد السابع لسيدنا أبى بكر والجد الثامن لسيدنا عمر رضى الله عنهما

﴿ابن لؤي﴾ بضم اللام وفتح الهمزة ويسهل بإبدال همزته واوا والهمزة
أكثر وهو تصغير اللأي وهو الثور الوحشي وقال الأصمعي هو تصغير
لواء الجيش زيدت فيه الهمزة انتهى وقيل غير ذلك وكنيته أبو كعب وكان
له سبعة ذكور ﴿ابن غالب﴾ بغين معجمة وكسر اللام اسم فاعل من
الغلب بفتحات أو فتح وسكون وله تيم وبه يكنى ولؤي ﴿ابن فهر﴾ بكسر
الفاء وسكون الهاء آخره راء منقول من الفهر الحجر وقيل هو الحجر
الطويل أو الطويل الأملس أو ملء الكف أو الصغير أقوال ﴿واسمه
قريش﴾ نقل عن الزهري أن أمه سمته به وسماه أبوه فهرا وقيل اسمه فهر
ولقبه قريش وهو المناسب لقولهم إنما سمي قريشا لأنه كان يقرش أي
يفتش عن خلة الناس وحاجتهم فيسدها بماله وكان بنوه يقرشون أهل
الموسم عن حوائجهم فيرفدونهم بما يبلغهم فسموا بذلك قريشا وإما منقول
من التقريش وهو التفتيش كما مر أو من قريش وهو دابة عظيمة من
أقوى دواب البحر سميت به لقوتها لأنها تأكل ولا تؤكل وتعلو ولا تعلى
وكذلك قريش وإليه يشير الشمرخ بن عمرو الحميري بقوله

وقريش هي التي تسكن البحر * بها سميت قريش قريشا
تأكل الغث والسمين ولا تترك * فيه لذي جناحين ريشا
هكذا في البلاد حي قريش * يأكلون البلاد أكلا كميشا
ولهم آخر الزمان نبي * يكثر القتل فيهم والخموشا
يملأ الأرض خيله ورجاله * يحشرون المطي حشرا كميشا

وفي سبب تسمية قريش قريشا أقوال غير ذلك ﴿وإليه﴾ أي قريش
﴿تنسب البطون﴾ جمع بطن بمعنى جماعة أي القبائل ﴿القرشية﴾
أي المتولدة من قريش بما قاله جماعة ﴿وما دونه كناني﴾ نسبة إلى
كنانة بن مدركة ﴿كما جنح﴾ أي مال ﴿إليه الكثير﴾ بل الأكثر من
علماء النسب ﴿وارتضاه﴾ وصححه الدمياطي والعراقي وغيرهما والحجة
لهم حديث مسلم والترمذي مرفوعا إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل
واصطفى قريشا من كنانة واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من
بني هاشم فأنا خيار من خيار وذهب آخرون إلى أن أصل قريش النضر ب

قال الشافعي وقال وعزاه العراقي للاكثرين فقال

أما قريش فالاصح فهر * جماعها والاكثرون النضر

قال النووي وهو الصحيح المشهور وصححه الحافظ الصلاح العلائي وعزاه للمحققين واحتجوا بحديث الاشعث بن قيس قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في وفد كندة فقلت ألستم منا يارسول الله قال لا نحن بنو النضر بن كنانة رواه ابن ماجه وابن عبد البر وأبو نعيم في الرياضة وزاد قال اشعث والله لا أسمع أحدا انفى قريشا من النضر بن كنانة الا جلدته قال الزرقاني في شرح المواهب والاحتجاج بهذا الظاهر لا خفاء فيه انتهى واما احتجاج الاولين بحديث مسلم والترمذي المار ان الله اصطفى كنانة الحديث فليس فيه دليل على ان فهرا هو القريش فلعلهم كما قال المحقق ابن حجر اعتمدوا على تسميته فهرا وتلقيبه بقريش ولا حجة لهم في ذلك بل كثيرا مايسمى الانسان باسم أحد من آبائه فعليه هو دليل الثاني قال الحافظ في سيرته وعندي انه لاخلاف في ذلك لان فهرا جماع قريش ثم ان اباه مالكا ما أعقب غيره فقريش يتنهي نسبها كلها الى مالك بن النضر وكذلك النضر ليس له عقب الا من مالك فاتفق القولان بحمد الله ولا يخفى مافي هذا الجمع من التكلف وقيل ان قريشا هو الياس وقيل مضر وحكى الماوردي وغيره انه قصي ونسب هذا القول لبعض الرافضة وتقدم مافيه قصمهم الله وقبح اعتقادهم الخبيث ﴿ابن مالك﴾ اسم فاعل ملك قال الخميس سمى مالكا لانه ملك العرب انتهى ويكنى بالحارث ﴿بن النضر﴾ بفتح النون واسكان الضاد المعجمة سماه ابوه به لنضارته وحسنه وجماله منقول من النضر اسم الذهب الاحمر واسمه قيس وهو جماع قريش عند الفقهاء فلا يقال لاحد من أولاد من فوقه قرشي فقد سئل صلى الله عليه وسلم عن قريش فقال من ولد النضر اى وعلى ان جماع قريش فهر فمالك واولاده والنضر جده واولاده ليسوا من قريش وتقدم احتجاج الفريقين وتوفيق الحافظ بينهما بمافيه وله من الذكور مالك والصلت ويخلد بفتح التحتية وسكون المعجمة وضم اللام فدال مهملة وبه يكنى أبوه ولم يعقب الا من مالك كما تقدم * تنبيه * وقع لبعضهم ان كنانة تزوج زوجة أبيه برة بنت أد

ابن طابخة بعد موت أبيه خزيمة على ما كانت الجاهلية تفعله اذا مات
الرجل خلف على زوجته أكبر أولاده من غيرها فولدت له النضر وتبعه
السهيلي وقال ولذلك قال تعالى ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء الا
ما قد سلف أي من تحليل ذلك قبل الاسلام قال وفائدة الا ستثناء هنا ئلا
يعاب نسب النبي صلى الله عليه وسلم وليعلم انه لم يكن في اجداده سفاح ألا
ترى انه لم يقل في شئ نهي عنه في القرآن الا ما قد سلف الا في هذه الآية وفي
الجمع بين الاختين وان الجمع بينهما كان في شرع من قبلنا وقد جمع
يعقوب بين اختين وهما راحيل بجيم كما في السبل او حاء مهملة كما في القاموس
ولياه قوله الا ما قد سلف التفات الى هذا المعنى وتعقبه الحافظ القطب
عبد الكريم الحلبي ثم المصري في شرح السيرة لعبد الغني بما حاصله ان
هذا غلط نشأ من اشتباه وذلك ان أبا عثمان الجاحظ قال ان كنانة خلف
على زوجة أبيه بعد وفاته وهي برة بنت أد بن طابخة فماتت ولم تلد لا ذكرا
ولا انثى فنكح ابنة أخيها وهي برة بنت مر بن أد طابخة فولدت له النضر
قال وانما غلط كثير لما سمعوا ان كنانة خلف على زوجة أبيه لاتفاق
اسمهما قال وهذا الذي عليه مشايخنا من أهل العلم والنسب ومعاذ الله
ان يكون أصاب نسبه صلى الله عليه وسلم نكاح مقت وقد قال ما زلت أخرج
من نكاح الاسلام ومن قال غير هذا فقد أخطأ وشك في هذا الخبر والحمد
لله الذي طهره من كل وصم تطهيرا انتهى وتلقاه العلماء بالقبول قال
الزرقاني في شرح المواهب وكذا ما قيل ان هاشما خلف على واقدة زوجة
أبيه بعد موت عبد مناف فولدت له ضعيفة أي بفرض صحته فليست جدة للنبي صلى الله عليه وسلم لان أم عبد
المطلب انصارية ولذا كان الانصار أخوال المصطفى صلى الله عليه وسلم
﴿بن كنانة﴾ بكسر الكاف ونونين مفتوحتين بينهما ألف ثم هاء منقول
من الكنانة التي هي الجعبة بفتح الجيم وسكون العين المهملة سمي بذلك
تفاؤلا بأنه يصير كالكنانة الساترة للسهام فكان ساترا على قومه وقيل انما
سمي كنانة لانه لم يزل في كن من قومه قال في المختار الكن الستر والجمع
اكنان قال الله تعالى وجعل لكم من الجبال أكنانا وكان شيخا حسنا
عظيم القدر تحج اليه العرب لعلمه وفضله وكان يقول قد آن خروج نبي من

مكة يدعى احمد يدعو الى الله والى البر والاحسان ومكارم الاخلاق
فاتبعوه تزدادوا شرفا وعزا الى عزكم وما جاء به فهو الحق فلا تكذبوه قال
ابن دحية كان كنانة يأنف ان يأكل وحده فاذا لم يجد احدا أكل لقمة
ورمى لقمة الى صخرة تسمى بين يديه انفة من أن يأكل وحده ﴿بن
خزيمة﴾ بضم الخاء المعجمة وفتح الزاى وسكون الياء المثناة التحتية
منقول من مصغر خزمة بمعجمتين مفتوحتين وهى مرة واحدة من الخزم
وهو شد الشئ واصلاحه اومن غير ذلك قال ابن عباس رضى الله عنهما مات
خزيمة على ملة ابراهيم على نبينا وعليه الصلاة والسلام ﴿بن مدركة﴾
بضم الميم وسكون الدال المهملة فراء مكسورة فكاف فهاء مبالغة منقول من
اسم فاعل من الادراك لقب به لادراكه كل عز وفخر كان فى آبائه وكان
فيه نور رسول الله صلى الله عليه وسلم واعل المراد ظاهر فيه بين واسمه عمرو
عند الجمهور وهو الصحيح وقال ابن اسحاق عامر وضعف ﴿بن الياس﴾
بهمزة قطع مكسورة وقيل مفتوحة وقيل وصل ونسب للجمهور منقول من
مصدر يئس ضد الرجاء وقطع الامل وذلك ان أباه كبر ولم يولد له ولد فولد له
هذا الولد على الكبر واليأس فسماه الياس قال فى المواهب واللام فيه
للتعريف وسكت عنه الشارح وفيه نظر لان تعريفه بالعلمية وما كان
كذلك فاللام فيه زائدة وكنيته أبو عمرو وقيل كان له أخ يقال له الناس بنون
ذكره الجوهرى وغيره وعظم أمره عند العرب حتى كانت تدعوه بكبير
قومه وسيد عشيرته وكانت لا تقضى أمرا دونه ولم تزل العرب تعظمه تعظيم
أهل الحكمة وقد جاء فى الحديث لا تسبوا الياس فانه كان مؤمنا وقيل انه
جماع قريش كما مر ﴿وهو﴾ أى الياس ﴿أول﴾ أصله وول بالواوين
ادغمت الاولى فى الثانية بعد سلب حركتها ثم زيدت الهمزة فى أوله لتعذر
الابتداء بالساكن فصار أول كذا قيل والصحيح ان أصله أوأل بواو
بين همزتين بدليل جمعه على اوائل قلبت الهمزة الثانية واوا وأدغم وقيل
اصله وول بهمزة بعد واوين قلبت الهمزة واوا والواو الاولى همزة وكان
حقه حينئذ ان يجمع على ووائل لكنهم استثقلوا واوين أول الكلمة
فقلبوا الواو الاولى همزة فقالوا اوائل وله استعمالات فتارة يرد اسما بمعنى

مبدأ الشيء نحو ماله أول ولا آخر وتارة يرد بمعنى سابق نحو لقيته عاما أولا بالتنوين لانه قد يؤنث بالتاء ووزن افعل لا يمنع من الصرف الا اذا لم يلحقه التاء وتارة بمعنى أسبق فتلبس من ويمنع من الصرف للوصفية ووزن الفعل لتجرده من التاء كهذا أول من هذين وتارة يرد ظرفا كرأيت الهلال أول الناس أى قبلهم وهذا هو الذى يبنى على الضم لقطعه عن الاضافة ﴿من أهدى﴾ أى ساق ﴿البدن﴾ تقربا الى الله تعالى بضم الموحدة وسكون الدال المهملة جمع بدنة وهى البعير ذكرا كان أو أنثى والهاء فيها للوحدة لا للتأنيث (قال القرطبى) اختلف العلماء فى البدن هل تطلق على غير الابل من البقر أولا فقال ابن مسعود وعطاء والشافعى لا وقال مالك وأبو حنيفة نعم وفائدة الخلاف فيمن نذر بدنة فقرب بقرة فهل تجزئه اولا فعلى مذهب الشافعى وعطاء لا تجزئه وعلى مذهب مالك وأبى حنيفة تجزئه والصحيح ما ذهب اليه الشافعى وعطاء لقوله صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح فى يوم الجمعة من راح فى الساعة الاولى فكانما قرب بدنة ومن راح فى الساعة الثانية فكانما قرب بقرة الحديث فتفريقه عليه الصلاة والسلام بين البدنة والبقرة يدل على ان البقرة لا يقال لها بدنة والله أعلم قال القرطبى ويدل على ذلك قوله تعالى فاذا وجبت جنوبها فان هذا الوصف خاص بالابل والبقر تضجع وتذبح كالغنم ثم قال ودليلنا ان البدنة مأخوذة من البدانة وهى الضخامة والضخامة توجد فيهما جميعا وايضا ان البقرة فى التقرب الى الله تعالى باراقة الدم بمنزلة الابل حتى تجزئ البقرة فى الضحايا عن سبعة كالابل وهذا حجة لابى حنيفة حيث وافقه الشافعى على ذلك وليس ذلك فى مذهبنا انتهى ملخصا أقول ولا يلزم من مشاركة البقر اياها فى كونها مأخوذة من البدانة كما هو دليل مالك وفى اجزائهما عن سبعة لقوله عليه الصلاة والسلام البدنة عن سبعة والبقرة عن سبعة كما هو دليل أبى حنيفة تناول اسم البدنة لها شرعا بل الحديثان يمنعان ذلك وبالله التوفيق ﴿الى الرحاب﴾ بكسر الراء جمع رحبة بسكون الحاء المهملة ويجمع مفتوحها على رحبات مثل قصبة وقصبات وهى البقعة المتسعة بين أفنية القوم ﴿الحرمية﴾ أى المنسوبة الى الحرم نسبة الجزء

الكلمة ﴿وسمع﴾ بالبناء للمفعول ﴿في صلبه﴾ أي ظهره أي الياس ﴿النبي﴾ نائب الفاعل وقوله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ جملة دعائية خبرية لفظا انشائية معنى ﴿ذكر الله تعالى ولباه﴾ بتشديد الباء الموحدة وروى انه كان يسمع من ظهره أحيانا دوى تلبيته صلى الله عليه وسلم بالحج ﴿ابن مضر﴾ بضم الميم وفتح الضاد المعجمة غير مصروف للعلمية والعدل سمى به لبياضه قال ابن دحية سمى به لانه مضر القلوب بحسنه وجماله وقيل غير ذلك وفي السبل اسمه عمرو وكنيته أبو الياس وكانت له فراسة وقيافة وكلمات حكمية منها من يزرع شرا يحصد ندامة وخير الخير أعجله فاحملوا أنفسكم على مكروهها واصرفوها عن هواها فيما يفسدها فليس بين الصلاح والفساد الاصبر فواق بضم الفاء وقد تفتح ما بين الحلبتين كما في القاموس وكان أحسن الناس صوتا وهو أول من سن الحداء بضم الحاء وفتح الدال المهملتين ممدودا الغناء للابل وذلك انه لما سقط عن بعيره وهو شاب فانكسرت يده فقال يايداه يايداه فاتت اليه الابل من المرعى فلما صح وركب حدا وقيل عبد له ضربه ضربا وجيعا فصار يقول يايداه يايداه فجاءت اليه الابل من مرعاها فوضع الحداء وزاد الناس فيه وذلك لان الحداء مما ينشط الابل لاسيما ان كان بصوت حسن فانها عند سماعه تمد أعناقها وتصغي الى الحادي وتسرع في سيرها وتستخف الاحمال الثقيلة فربما قطعت المسافة البعيدة في زمن قصير فربما أخذت ثلاثة أيام في يوم واحد ولا جل ماذكر ذكر أئمتنا انه مستحب وفيه أحاديث كثيرة ذكرها النووي رحمه الله تعالى في الاذكار وكان له أخ يسمى ربيعة وفي الحديث لاتسبوا ربيعة ولا مضر فانهما كانا مؤمنين وفي رواية لاتسبوا مضر فانه كان على ملة ابراهيم وفي رواية كان قد أسلم قيل هو جماع قريش ففي جماع قريش خمسة أقوال قيل قصي وقيل فهر وقيل النضر وقيل الياس وقيل مضر كما علم مما تقدم وقبره بالروحاء يزار والروحاء على ليلتين من المدينة قاله عبيدة البكري وفيه تجتمع حليمة السعدية مع النبي صلى الله عليه وسلم كما يأتي في قول ﴿بن نزار﴾ بكسر النون فزاي فألف فراء مأخوذ من النزر وهو القليل سمى به لانه كان فريد

عمره وقيل لان أباه لما ولد نظر الى نور محمد صلى الله عليه وسلم بين عينيه وهو نور النبوة الذى كان ينتقل فى الاصلاب ففرح فرحا شديدا ونحر واطعم وقال ان هذا كله نزر أى قليل لحق هذا المولود وقيل لانه اضاقه واسمه خالد وكان أجل أهل زمانه وأكثرهم عقلا ولد انيل كان نور النبى صلى الله عليه وسلم بين عينيه وهو أول من كتب الكتاب العربى على الصحيح والامام أحمد بن حنبل رضى الله عنه يجتمع معه صلى الله عليه وسلم فى هذا الجد الذى هو نزار وكنيته ابو اياد وقيل أبو ربيعة وقبره بذات الجيش قرب المدينة قاله فى الوفاء ﴿ بن معد ﴾ بفتح الميم والمهملة وتشديد الدال المهملة مشتق من العداو من معد فى الارض اذا أفسد وكان صاحب حروب وغارات على بنى اسرائيل ولم يحارب أحدا الا رجع بالنصر والظفر وكنيته أبو قضاعة وقيل أبو نزار وحكى انه لما سلط الله بخت نصر على العرب أمر الله تعالى ارمياء على نبينا وعليه الصلاة والسلام ان يحمل معه معد بن عدنان على البراق كى لا يصيبه النقمة وقال فانى سأخرج من صلبه نبيا اختم به الرسل ففعل أرمياء ذلك فاحتمله معه الى ارض الشام فنشأ مع بنى اسرائيل ثم عاد بعد ان هدأت الفتنة بموت بخت نصر ﴿ بن عدنان ﴾ بزنة مروان من العدن أى الاقامة سمى به لان أعين الجن والانس كانت اليه ناظرة وارادوا قتله وقالوا لئن تركنا هذا الغلام حتى يدرك مدرك الرجال ليخرجن من ظهره من يسود الناس فوكل الله به من يحفظه وهو أول من وضع علامات الحرم واول من كسا الكعبة او كسى فى زمنه فى أول من كساها خلاف ليس هذا موضع بسطه وقيل كان فى زمن عيسى عليه السلام وقيل فى زمن موسى عليه السلام قال الحافظ ابن حجر وهو أولى وضعف الاول بعضهم لما فى الطبرانى عن أبى أمامة الباهلى رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لما بلغ ولد معد بن عدنان أربعين رجلا وقعوا فى عسكر موسى عليه السلام فانتهبوه فدعا عليهم موسى عليه السلام فأوحى الله اليه لا تدع عليهم فان منهم النبى الامى النذير البشير الحديث وهذه الامور التى تقدمت والتى تأتى كلها تدل على ان آباءه صلى الله عليه وسلم كلهم كانوا على التوحيد

ولم يصدر من أحد منهم اشراك ولا شئ من أمور الجاهلية البتة والحمد لله على ذلك ولقد احسن القائل في مدحهم حيث يقول

فاولئك السادات لم ترمثلهم * عين على متتابع الاحقاب
زهر الوجوه كريمة احسابهم * يعطون سائلهم بغير حساب
حلوا الى ان لا تكاد تراهم * يوما على ذى هفوة بغضاب
وتكرموا حتى أبوا أن يجعلوا * بين العفاة وبابهم من باب
كانت تعيش الطير في أكنافهم * والوحش حين يشح كل سحاب
وكفاهم ان النبى محمدا * منهم فدحهم بكل كتاب

ومما يدلك على شرفهم وارتفاع شأنهم وفخامتهم وعلو مكانهم ما جاء عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال قيل يارسول قتل فلان لرجل من ثقيف فقال صلى الله عليه وسلم أبعده الله انه كان يبغض قريشا وفي الجامع الصغير للسيوطي رحمه الله تعالى قريش صلاح الناس ولا تصلح الناس الابهم كما ان الطعام لا يصلح الا بالملح قريش خالصة الله فمن نصب لها حربا سلب ومن ارادها بسوء خزى في الدنيا والآخرة وفيه عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أيضا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من يرد هوان قريش أهانه الله انتهى وعدنان هذا هو النسب المجمع عليه في نسبه صلى الله عليه وسلم ومن فوقه لا يصح فيه شئ ولا يمكن حفظ النسب فيه منه الى اسماعيل عليه السلام كما سيأتي * ثم اعلم ان الترتيب في ذكر الانساب هو المألوف وهو الابتداء بالاب ثم الجد ثم أب الجد وهكذا وقد جاء في القرآن على خلافه في قوله تعالى حكاية عن سيدنا يوسف واتبعت ملة آبائي ابراهيم واسحاق ويعقوب قال بعضهم والحكمة انه لم يرد مجرد ذكر الآباء وانما ذكرهم ليذكر ملتهم التي اتبعها فبدأ بصاحب الملة ثم بمن أخذها عنه اولا فاولا على الترتيب انتهى وقد ذكر المصنف رحمه الله تعالى نسبه الشريف كذلك ثم أشار الى صحته محتجا بالاحاديث الصحيحة فقال ﴿وهذا﴾ أى النسب الشريف النبوى المحمدى الذى لا خلاف فيه بالاجماع السابق سرد اسماء رجاله بهذا الترتيب ﴿سلك﴾ بكسر السين المهملة وسكون اللام وآخره كاف جمع سلكة بالكسر وجمع الجمع اسلاك وسلوك كما

في القاموس وهي الخيوط قبل النظم فيها أما بعد النظم فيها فتسمى عقودا
جمع سمط بضم السين المهملة وسكون الميم آخره طاء مهملة فعلى كل من
المعانى لا تسمى الخيوط وحدها عقدا بل مع المنظوم فيها فالعقد مجموع
الناظم والمنظوم فيه اذا علمت ذلك علمت ان لفظ السلك مراد به هنا
العقد من قبيل المجاز المرسل لعلاقة الكلية والجزئية كما يعلم من قوله
﴿انتظمت﴾ بفتح النون وتشديد الظاء المعجمة مبنيا للفاعل من التنظيم
وهو التأليف وضم الشئ الى آخر يقال نظم اللؤلؤ جمعه في السلك أى
واحدا فواحدا ففيه اشارة الى ذلك الترتيب لا يقال كان على المؤلف ان
يأتى بما يشار به الى الجمع كتلك لانا نقول ان قوله وهذا مشار به الى
المتقدم او المذكور مثلا ﴿فرائد﴾ جمع فريدة وهى الجوهرة النفيسة
الثمينة وفى المختار وقيل فرائد الدر كبارها والكل مناسب هنا لكن
الثانى أنسب ﴿بنان﴾ أى أصابع ﴿السنة﴾ بضم السين وشد
النون الطريقة والمراد بها هنا الاحاديث الصحيحة الدالة على صحة
هذا النسب الشريف شبههما بانسان فى الشرف والنفع على سبيل المكنية
واثبت لها البنان تخييلا ﴿السنيه﴾ بفتح السين المهملة وكسر النون أى
النيرة المضيئة يعنى ان هذا النسب الشريف ورد سرده هكذا فى خبر مرفوع
ودلت عليه أخبار صحيحة ﴿ورفعه﴾ اى ايصاله ﴿الى الخليل ابراهيم﴾
عليه الصلاة والسلام فعيل بمعنى مفعول من الخلة بالفتح وهى الحاجة
وصف به لما قصر حاجته على ربه حين جاءه جبريل عليه السلام او بالضم
وهو تخلل مودة فى القلب لا تدع فيه خلاء الا امتلأته وهو أرقى من مقام
المحبة الا فى حق نبينا صلى الله عليه وسلم كما سيأتى وذلك لما كسر ابراهيم
آلهتهم عاداه واختار واله اهول المعاقبات وهى الاحراق بالنار والمشهور
ان الذى أشار باحراقه نمروذ وهو أول من تجبر وادعى الربوبية وقيل رجل
اسمه هيدر خسف الله به الارض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة قال
الزمخشرى قيل رجل من اعراب العجم يريد الاكراد فهموا باحراقه
وحبسوه ثم بنوا له بنيانا كالحظيرة بكوثى وذلك قوله تعالى قالوا ابنوا
له بنيانا فالقوه فى الجحيم وجمعوا اشهرا أصناف الخشب الصلاب وتكلفوا

فى تشهيرأمرها وتفخيم شأنها ولم يألوا جهدا فى ذلك حتى ان المرأة اذا
مرضت كانت تقول ان عافانى الله لاجمعن حطبا لابراهيم ثم اشتعلوا
نارا عظيمة حتى كادت الطير تحترق فى الهواء من وهجها فلما وضعوه
باشارة من ابليس لعنه الله حيث لم يتمكنوا من القائه فى النار لشدة
حرها فى المنجنيق مقيدا مغلولا قال لا اله الا أنت سبحانك رب العالمين
لك الحمد ولك الملك لا شريك لك اللهم أنت فى السماء واحد وأنا فى الارض
واحد فصاحت السموات والارض ومن فيهن الا الثقلين صيحة واحدة
يا ربنا ليس فى ارضك أحد يعبدك غيرابراهيم وانه يحرق فى النار فاذن
لنا فى نصرته فقال سبحانه وتعالى ان استغاث بكم فاغيثوه وان لم يتمسك الا
بى فانا وليه وكافيه فلما أرادوا القاءه فى النار أتاه خازن الرياح فقال ان
شئت طيرت النار فى الهواء وجاءه ملك البحار فقال ان شئت سلطت البحار
على هذه النار وجاءه ملك السحاب فقال ان شئت مطرت على هذه النار
بحيث لا أترك منها أثرا فقال عليه الصلاة والسلام لا حاجة لى اليكم ثم
جاءه جبريل عليه السلام فقال له هل لك حاجة قال أما اليك فلا قال فسل
ربك قال حسبى من سؤالى علمه بحالى فلما رموه فيها قال حسبى
الله ونعم الوكيل فقال الله تعالى يا نار كونى بردا وسلاما على ابراهيم
فكانت ويحكى انه ما أحرقت منه الا وثاقه وعن ابن عباس رضى الله عنهما لو
لم يقل ذلك أى سلاما لاهلكته ببردها واطلع عليه نمرود من الصرح فاذا
هو فى روضة ومعه جليس من الملائكة فقال انى مقرب الى الهك فذبح
أربعة آلاف بقرة وكف عن ابراهيم وكان ابراهيم اذ ذاك ابن ست عشرة
سنة وهو لفظ سريانى معناه بالعربية اب رحيم قيل وكان مولده عليه السلام
بالسماسرة من أرض الاهواز وقيل بكوثى بالمثلثة كطوبى قرية
بالعراق وهو الصحيح كما يأتى وقيل كسكر بوزن جعفر كورة قصبتها واسط
وقيل حران بوزن شداد بلد بالشام واسكن أبوه نقله الى بابل ارض نمرود بن
كنعان وهو أفضل الانبياء وأكرم الرسل بعد نبينا صلى الله عليه وسلم
﴿أسلك﴾ أى امتنع ﴿عنه﴾ أى الرفع ﴿الشارع﴾ صلى الله عليه
وسلم ﴿وأباه﴾ أى امتنع منه بمعنى انه لم يقله قال ابن دحية أجمع العلماء

والاجماع حجة على ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انما انتسب الى عدنان ولم يجاوزه وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا انتسب لم يجاوز معد بن عدنان ثم يمسك ويقول كذب النسابون مرتين أو ثلاثا رواه في مسند الفردوس لكن قال السهيلي الاصح في هذا الحديث انه من قول ابن مسعود وقال غيره كان ابن مسعود اذا قرأ قوله تعالى ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله قال كذب النسابون يعني انهم يدعون علم الانساب ونفى الله علمها عن العباد وروي عن ابن عمر انه قال انما ننتسب الى عدنان وما فوق ذلك لا يدرى ما هو وعن ابن عباس أيضا بين عدنان واسمعيل ثلاثون أبا لا يعرفون وقيل أربعون وقيل سبعة وثلاثون وفيه أقوال غير ذلك وعنه أيضا مدة الدنيا أي من آدم عليه السلام سبعة آلاف سنة وقد مضى منها قبل وجود النبي صلى الله عليه وسلم خمسة آلاف سنة وسبعمائة واربعون سنة وفي رواية وثمانمائة سنة وجاء كان بين آدم ونوح عليهما السلام عشرة قرون وبين نوح وابراهيم عشرة قرون وقال الله تعالى وقرونا بين ذلك كثيرا ومنه أيضا لو شاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يعلمه لعلمه أي لو أراد أن يعلم ذلك الناس لعلمهم فروايات كلها دالة على انه صلى الله عليه وسلم كره ذلك واعرض عنه فالذي ينبغي لنا الاعراض لاعراضه صلى الله عليه وسلم ولما فيه من التخليط والتغيير للالفاظ وعواصة تلك الاسماء مع قلة الفائدة ﴿وعدنان بلا ريب﴾ أي شك ﴿عند ذوي﴾ جمع ذي بمعنى صاحب أي أصحاب ﴿العلوم النسبية﴾ بفتح النون والسين المهملة أي التي يبحث فيها عن تحقيق الانساب ﴿الى الذبيح﴾ فعيل بمعنى مفعول اى المذبوح امرا لا فعلا ﴿اسمعيل﴾ نبي الله على نبينا وعليه الصلاة والسلام ﴿نسبته ومنتماه﴾ هما بمعنى يقال انتمى الى فلان أي انتسب اليه يعني ان عدنان ينتمي في النسب الى الذبيح اسمعيل باتفاق النسابين وانما الخلاف في عدد من بين عدنان واسمعيل من الآباء ومنه إلى آدم عليهما السلام وما ذكره المصنف رحمه الله تعالى من ان الذبيح هو اسمعيل عليه السلام هو أحد الاقوال فيه وبه قال جماعة من الصحابة كابن عباس

وعمر ومعاوية وأبي هريرة وأبي الطفيل وعامر بن واثلة ومن التابعين سعيد ابن المسيب والشعبي ويوسف بن مهران ومجاهد والربيع ابن أنس ومحمد ابن كعب القرظي والكلبي وعلقمة وغيرهم واليه ذهب الشافعي ومالك ورجحه جماعة وقال أبو حاتم انه الصحيح والبيضاوي انه الاظهر وانتصر له في المواهب وورد ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الذبيح اسمعيل واحتج والهذا القول بأمور منها ان سارة زوجة ابراهيم عليه السلام كانت لا ولد لها وهاجر جارية له ولدت اسمعيل فغارت منها وكرهت مقامها معها فنقلها الى مكة ومعها اسمعيل عليه الصلاة والسلام وكان يأتيها فلما كبرت سارة وشاخ ابراهيم عليه الصلاة والسلام بشرتها الملائكة باسحق فقالت يا ويلتا أألد وانا عجوز الآية فلو كان الذبيح اسحاق نافى ذلك اخبار الله بأنه سيولد له يعقوب للاجماع على انه في صغره ولقوله فلما بلغ معه السعي الآية ذكرت مبشرة باسحاق بعد قصة الذبح وبهذا احتج مالك وغيره وتقدم مايؤيد ذلك في حديث الحاكم وفي تفسير الزهري عن ابن عباس تزعم اليهود ان اسحق هو الذبيح وكذبوا وعن عمر ابن عبد العزيز انه سأل رجلا أسلم من علماء اليهود أي ابني ابراهيم أمر بذبحه فقال والله يا أمير المؤمنين ان اليهود ليعلمون انه اسمعيل ولكنهم يحسدونكم معشر العرب ان يكون اباكم للفضل الذي ذكر الله عنه فهم لا يجحدون ولكن زعموا انه اسحق لانه ابوهم قال الاصمعي سألت أبا عمرو عن الذبح فقال أقرب هذا عقلك ان الموضع الذي اضجع فيه الذبيح بمكة وبمنى ومتى دخل اسحق مكة وقيل ان الذبيح اسحق واحتج بقوله صلى الله عليه وسلم الذبيح اسحق وبهذا القول قال جماعة من الصحابة كالعباس وعلي بن أبي طالب وأبي هريرة أيضا وجابر بن عبد الله وعمر أيضا وابنه عبد الله وعن ابن مسعود وابن عباس أيضا انه الصحيح ومن التابعين جماعة وذهب اليه مالك أيضا وعزاه ابن عطية والمحب الطبري والقرطبي في تفسيره للاكثرين وقال القرطبي وهذا القول أقوى في النقل عن النبي صلى الله عليه وسلم وأجمع عليه أهل الكتابين اليهود والنصارى واختاره ابن جرير وجزم به عياض والسهيلي ومال اليه السيوطي في علم التفسير لكن نقل بعضهم عن القول الفصيح

في تعيين الذبيح للجلال السيوطي انه قال وقد كنت ملت اليه في التفسير وانا الآن متوقف في ذلك قلت وقد نقل القرطبي عن الزجاج القول بالوقف وهو الاسلم قلت هذه المسألة ليست من العقائد التي كلفنا بمعرفتها فلا نسأل عنها يوم القيامة فهي مما لا ينفع علمه ولا يضر جهله فتكون الاقوال ثلاثة وهناك قول رابع نقله مغلطاى وهو انهما أى الذبيحين في قوله صلى الله عليه وسلم أنا ابن الذبيحين عبد الله وهابيل وهو مع غرابته بعيد ولا يصح الا بجعل الاب عاما لمن كان المصطفى من ولده ثبت هذا والقول الاول هو الذى رجحه جماعة من محققي المتأخرين وقال ابن الجوزى هو الصواب والقول بأنه اسحاق باطل من عشرين وجها والمال فيه ابن القيم في الهدى * واذا تقرر ذلك فنقول وقد بسط القصة المفسرون والاخباريون فقال بعضهم * روى كعب الأحبار من رجال قالوا لما رأى ابراهيم عليه السلام في المنام ان يذبح ابنه وتحقق انه أمر ربه قال لابنه يا بنى خذ الحبل والمدية وانطلق بنا الى هذا الشعب لنحتطب لاهلنا فاخذ المدية والحبل وتبع والده فقال الشيطان انى لم أفتن عند هذا ابراهيم لا أفتن احدا منهم أبدا فتمثل الشيطان رجلا فأتى أم الغلام فقال لها أتدرين أين ذهب ابراهيم بابنك فقالت ذهب به يحتطب لنا من هذا الشعب فقال والله ما ذهب به الا ليذبحه قالت كلا هو اشفق به وأشد حبا له منى فقال لها انه يزعم ان الله أمره بذلك قالت ان كان الله أمره بذلك فليطع أمره فخرج الشيطان من عندها حتى أدرك الابن وهو يمشى اثر أبيه فقال له يا غلام هل تدرى أين يذهب بك ابوك قال يحتطب لاهلنا من هذا الشعب فقال والله ما يريد الا ذبحك فقال لاى شئ قال يزعم ان الله أمره بذلك قال فليفعل ما أمره الله به سمعا وطاعة لامر الله تعالى فأقبل الشيطان الى ابراهيم عليه السلام فقال له الشيطان أين تريد أيها الشيخ قال أريد هذا الشعب لحاجة لى فيه فقال انى أرى الشيطان قد جاءك في هذا المنام الذى تريده انك تريد تذبح ابنك وفلذة كبدك فتندم بعد ذلك حيث لا ينفعك الندم فعرفه ابراهيم عليه السلام وقال اليك عنى يا ملعون فوالله لامضين لامر ربى فنكص ابليس على عقبه ورجع بخزيه وغيظه

ولم ينل من ابراهيم وآله شيئا فلما دخل ابراهيم في الشعب ويقال في ثبير قال له يا بني اني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني ان شاء الله من الصابرين قال يعني كعب الاحبار فحدثت ان اسمعيل قال له عند ذلك يا أبتاه اذا أردت ذبحي فاشدد وثاقي لئلا يصيبك من دمي فينقص من أجري فان الموت شديد ولا آمن ان اضطرب عنده اذا وجدت مسه واشحذ شفرتك حتى تجهز علي فتذبحني فاذا أنت أضجعتني لتذبحني فاكببني على وجهي ولا تضجعني لشقي فاني أخشى ان أنت نظرت الى وجهي ان تدركك الرحمة فتحول بينك وبين أمر ربك في وان تران ترد قميصي الى أمي فانه عسى ان يكون أسلى لها فافعل فقال نعم العون أنت يا بني على أمر الله ويقال انه ربطه كما أمر بالحبل فأوثقه ثم شحذ شفرته ثم تله للجبين واتقى النظر الى وجهه ثم أدخل الشفرة حلقه فقلبها جبريل عليه السلام لقفاها في يده ثم اجتذبها اليه ونودي أن يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا فهذه ذبيحتك فداء لابنك فاذبحها دونه وأتاه بكبش من الجنة قال ابن اسحق حدثني الحاكم بن عيينة عن مجاهد عن مقسم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال أخرج الله الكبش من الجنة قيل وهو الذي قربه هابيل جاء به جبريل فذبحه السيد ابراهيم مكبرا قيل انه رعى قبل ذلك في الجنة أربعين خريفا وقيل كان وعلا أهدي اليه من ثبير قاله البيضاوي والوعل التيس الجبلي قال الفاكهي ذكر أهل الكتاب وكثير من العلماء ان الكبش الذي فدي به اسماعيل عليه السلام كبش أملح أقرن أعين وقد بقي قرناه معلقين على الكعبة الى ان احترق البيت في زمن ابن الزبير قال الشعبي رأيت قرني الكبش منوطين بالكعبة وقال ابن عباس والذي نفسي بيده لقد كان أول الاسلام وان رأس الكبش لمعلق بقرنيه في ميزاب الكعبة وقد يبس انتهى خازن قال شيخ الجمل في حواشيه على الجلالين ومن المعلوم المقرر ان كل ما هو من الجنة لا تؤثر فيه النار فلم يطبخ لحم الكبش بل أكلته السباع والطيور أصلا انتهى وهو أعني اسمعيل أول من سمي بهذا الاسم من بني آدم ومعناه بالعبرانية مطيع الله أرسله الله تعالى الى العماليق والى قبائل اليمن في زمن أبيه ابراهيم عليهما الصلاة والسلام وكذا بعث أخاه

اسحاق الى اهل الشام وبعث يعقوب الى الكنعانيين في حياة ابراهيم
عليهم الصلاة والسلام وكان اسمعيل بكر ابيه جاءه وقد بلغ من العمر
سبعين سنة او ستا وثمانين سنة وهو أكبر من اسحاق بثلاث عشرة سنة
وقيل بأربع عشرة سنة وام اسحاق سارة جاءت باسحاق في الليلة التي
خسف الله بقوم لوط فيها وابراهيم من العمر تسعون سنة وكل الانبياء من
بعد ابراهيم من ولد اسحاق وأما اسماعيل فلم يكن من نسله نبي الا نبينا
صلى الله عليه وسلم قال محمد بن أبي بكر الرازي والحكمة في ذلك
انفراده صلى الله عليه وسلم بالفضيلة فهو صلى الله عليه وسلم أفضل الجميع
وعاش اسمعيل بعد أبيه ما عاش وتوفي بمكة ودفن داخل الحجر مما يلي باب
الكعبة وهناك قبر أمه هاجر وكانت توفيت قبله ثم اخذ المصنف رحمه
الله يمدح نسبه الشريف صلى الله عليه وسلم فقال ﴿وأعظم﴾ بقطع
الهمزة وكسر الظاء المعجمة ﴿به﴾ أي بهذا السلك القدسي النبوي
المحمدي وهذه احدى صيغتي التعجب اي ما أعظمه فهو وان كان على
صورة الامر ماض وفاعله يلزم الباء الزائدة فالباء فيه زائدة ﴿من
عقد﴾ بكسر العين المهملة وسكون القاف وهو القلادة من الجوهر
﴿تألقت﴾ بمثناة فوقية وهمزة مفتوحة ولام مشددة فقاف مفتوحة
تليها تاء تأنيث بمعنى استنارت واضاءت ﴿كواكبه﴾ جمع
كوكب وهو الجرم المضيء بنفسه او بغيره فشمل الشمس والقمر
وغيرهما من سائر الكواكب ﴿الدرية﴾ بتشديد الدال والراء
والتحتية مع ضم أوله وكسر ثانيه أي المنسوبة للدر الذي هو كبار اللؤلؤ
فالمراد بالكواكب اللآلئ لما بينهما من التشابه في البريق واللمعان
﴿وكيف لا﴾ يتعجب من عظمه أو لا يكون العقد متألق الكواكب
﴿والسيد﴾ الكامل في السيادة على من سواه من خلق الله ﴿الاكرم﴾
دائما وصفات من غيره حتى عظماء الملائكة المكرمين وخواص رب
الاكرمين ﴿صلى الله عليه وسلم واسطته﴾ أي الدرة العظيمة المتوسطة
فيه ﴿المنتقاه﴾ بضم الميم واسكان النون ومثناة فوقية المصطفاة
المختارة والجملة حالية وسيأتي دلائل اصطفائه صلى الله عليه وسلم ثم أتى

المصنف

المصنف رحمه الله تعالى لما هو بصدده من بيان عظم هذا النسب الشريف
العالى المنيف بيتين من القصيدة الهمزية للامام العارف الكامل والهمام
الواصل امام الشعراء وأشعر العلماء الشيخ شرف الدين البوصيرى رحمه الله
تعالى وهى قصيدة بليغة عز أن يوجد لها نظير فى القصائد التى مدح بها
البشير النذير صلى الله عليه وسلم وشرف ومجد وكرم فقال ﴿نسب﴾
أى هذا نسب عظيم كما دل عليه التنوين بل لا أطهر ولا أجل منه فى
الانساب وهو اسم لعمود القرابة التى يجمع متفرقها ﴿تحسب﴾ بكسر
السين وفتحها أى تظن أيها المخاطب ﴿العلا﴾ بضم العين وفتح
اللام مقصور جمع عليا تأنيث الاعلى من على بالفتح يعلو علوا فى المكان
وعلى بفتح العين وكسر اللام يعلى وعلى بالفتح يعلى علا فى الشرف
﴿بحلاه﴾ بضم أوله وكسره وهو أفصح جمع حلية بكسر أوله وهى
ما يتزين به وتسمى حليا أيضا والباء سببية والضمير للنسب ﴿قلدتها﴾
أى العلا فى محل نصب مفعول تحسب الثانى والاول العلا ﴿نجومها﴾
أى بنجومها فهو منصوب على نزع الخافض ﴿الجوزاء﴾ اسم لبرج
فى السماء كما فى القاموس وعليه فنجومه هى الآتية وتطلق عرفا على النجوم
المجتمعة المعروفة قيل وهى تشبه المرأة فلذا نسب التقليد اليها أى من
كل هذا النسب وشرفه ان من تأمل فيه حسب بسبب ما تحلى به من
الكمالات ان معاليه قلدتها الجوزاء بنجومها أى جعلت نجومها
قلادة لها فاعلم ان كلامه يفيد ان كل واحد من اولئك الآباء الكرام قد ارتفع
فى زمانه حتى صار كأنه النجم فى الشرف وعلو المرتبة والاضاءة والاهتداء به
فى ظلمات البر والبحر حتى يظن الظان انه نجم من نجوم الجوزاء وان
مجموع هذا النسب كالعقد الثمين جدا الذى تقلده جيد تلك المراتب
العلية قاله فى المنح وفى قوله قلدتها الخ ثلاث استعارات كلها تصريحية الاولى
فى النجوم حيث شبه افراد النسب من حيث ارتفاع كل واحد منها فى زمانه
حتى صار كأنه النجم فى علو المرتبة والاضاءة والاهتداء به بنجوم الجوزاء
استعار لفظ النجوم لتلك الافراد الثانية فى الجوزاء حيث شبه مجموع
تلك الافراد المسمى بالنسب فان النسب كما مر اسم لمجموع افراد الاصول

بالجوزاء من حيث التناسب بين افراد كل والشهرة والاضاءة والا
ه الى آخر ما تقدم واستعار لفظ الجوزاء لهذا النسب الثابت في
قلادتها حيث شبه اعطاء النسب افراده المراتب العلية لتزين تلك المرا
بالافراد على خلاف المتعارف بالباس القلادة لمن يتزين بها واستعمل
الباس القلادة لاعطاء الافراد واشتق منه قلدتها بمعنى اعطتها
استعارة تصريحية تبعية والمعنى بحسب ما يظهر بالتأمل فيه نسب الا
القائمة به المراتب العالية القائمة بافراده قد تقلدت تلك الافر
لتتزين بها على خلاف المعتاد من أن الشخص يتزين و يتقلد بالمرا
العالية فيكون قد جعل هنا مراتب النسب هي التي تتزين وتتقلد بالا
ما افراد النسب تكسب المراتب العالية الرتبة والشرف فكأنه قال
العلا تقلدت بافراد النسب لكن على هذا في الكلام الجاري في
الاضمار حيث قال قلدتها نجوم الجوزاء فان الجوزاء المراد بها
النسب وهو مذكور سابقا وارتكبه للتوصل الى تشبيهه بالجوزاء
انه هي ثم أخذ في مدح هذا النسب فقال ﴿حبذا﴾ هي كنعم
ومعنى مع زيادة اعلامها باشعارها بأن الممدوح بها
﴿عقد﴾ بكسر أوله وهو القلادة كما تقدم ﴿سؤدد﴾
﴿وفخار﴾ بفتح الفاء والخاء المعجمة كسلام على ما هو المسموع وان
القياس الكسر لقول ابن مالك

لفاعل الفعال والمفاعله * وغير ما مر السماع عادله

وهو التمدح بالخصال الجليلة ﴿أنت فيه﴾ أي في ذلك العقد ﴿
ى الدرة التي لا شبيه لها في حسنها ﴿العصماء﴾ من العصمة أ
لحفظ أو المنع لان من شأن هذه الدرة أن يبالغ في حفظها ومنعها أ
لم ... الاغيار وجملة أنت وما بعده صفة لعقد أو حال منه لت
بالاضافة وهذا فيه غاية المدح له صلى الله عليه وسلم ولنسبه أي حبذا
الذى ... ذكر وعددت معلنا آباؤك كانوا قلادة منتظمة من جواهر
لها السيادة بحيث تكون أنت واسطتها البديعة النظير والجوهر ...
الرعاية والحفظ والمنع ما لم يوجد لغيرها لتميزها بأنواع من صفات الجمال

ونعوت الجلال مايبهر العقل ويفوق الوصف ﴿وأكرم به﴾ معطوف على قوله أعظم به أى ما أكرمه وأشرفه ويجرى فيه ما مر فى قول المصنف فأعظم به ﴿من نسب﴾ عظيم شريف ﴿طهره الله﴾ سبحانه وتعالى ونزهه ﴿من سفاح﴾ بكسر السين وبالمهملة آخره الزنا والمراد به المرأة تسافح الرجل مدة ثم يتزوجها أو ما لم يوافق شريعة وأصل السفح صب الماء ونحوه كما قال ابن الاثير فى النهاية ومثله فى المصباح قال الزرقانى والاولى كما قال شيخنا ان يراد به ما هو أعم من الزنا فان جملة الاحاديث دلت على نفى جميع نكاح الجاهلية عن نسبه من نكاح زوجة الاب لا كبر بنيه والجمع بين الاختين ومن نكاح البغايا ومن نكاح الاستبضاع ومن نكاح الجمع انتهى ملخصا وما قيل ان كنانة تزوج بزوجة أبيه برة بنت أد ابن طابخة بعد موت أبيه فولدت له النضر وكذا ما قيل فى هاشم فقد تقدم رده ﴿الجاهلية﴾ أى أهلها سموا بذلك لكثرة جهالاتهم قال بعضهم وكان النكاح فيما بينهم على أربعة أنواع لم يكن فيها نكاح محمود صحيح غير واحد منها وهو الذى أقره الاسلام وشرعه النبى صلى الله عليه وسلم بولى وصداق وشهود وقال الامام السبكى رحمه الله تعالى الانكحة التى فى نسبه صلى الله عليه وسلم كلها مستجمعة لشروط الصحة كانكحة الاسلام الموجودة اليوم قال فاعتقد هذا بقلبك وتمسك به ولا تزل عنه فتخسر الدنيا والآخرة انتهى وهذا من أعظم العناية به صلى الله عليه وسلم من آدم عليه السلام الى ان خرج من بين أبويه صلى الله عليه وسلم على نمط واحد وفق شريعته صلى الله عليه وسلم ولم يكن كما كان يقع فى الجاهلية اذا أراد الرجل ان يتزوج قال خطب ويقول أهل الزوجة نكح ويكون ذلك قائما مقام الايجاب والقبول والمراد بنكاح الاسلام ما يفيد الحل حتى يشمل التسرى بناء على ان ام اسماعيل عليه السلام كانت مملوكة لابراهيم حين حملت باسماعيل عليه السلام ولم يعتقوا ولم يعقد عليها قاله بعض المحققين ﴿أورد﴾ أى ذكر فى هذا المعنى السابق الحافظ أبو الفضل ﴿الزين﴾ أى زين الدين بن عبد الرحيم بن الحسين بن أبى بكر بن ابراهيم الكردى الاصل ثم المصرى ولد بمصر فى جمادى الاولى سنة خمس وعشرين وسبعمائة

ونشأ بها وحصل حفظا وإقرارا من العلوم المتداولة وعني بفن الحديث فبرع
فيه وتقدم بحيث كان شيوخ عصره يبالغون في الثناء عليه بالمعرفة
كالسبكي وابن كثير والعلائي وغيرهم ونقل عنه في المهمات ووصفه
بحافظ عصره وله تصانيف كثيرة قال تلميذه الحافظ ابن حجر وشرع في
املاء الحديث من سنة ست وتسعين فأحيى الله به السنة بعد ان كانت داثرة
فأملى أكثر من اربعمائة مجلس غالبها من حفظه متقنة مهذبة محررة
كثيرة الفوائد الحديثية وولي قضاء المدينة المنورة ثم عاد الى مصر وصدع
بالحق الى ان مات سنة ست وثمانمائة رحمه الله تعالى ﴿العراقي﴾
نسبة الى عراق العرب ﴿وارده﴾ أي ما ورد من الاحاديث الصريحة
في ذلك ﴿في مورده الهني﴾ أي كتابه المسمى بالمورد الهني في المولد
السني ﴿ورواه﴾ أي حكاه فيه ولم أقف على هذا التأليف المشار اليه
لكني رأيت في غيره كثيرا من الاحاديث الواردة في ذلك فمنها ما رواه البيهقي
في سننه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما ولدني من سفاح الجاهلية شيء ما ولدني الا نكاح الاسلام ومنها ما أخرجه
الجلال السيوطي في الخصائص الكبرى من تخريج ابن عساكر عن أبي
هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ولدتني بغي قط
منذ خرجت من صلب آدم ولم تزل تنازعني الامم كابرا عن كابر حتى خرجت
من أفضل حيين من العرب هاشم وزهرة وما رواه أبو نعيم عن ابن عباس
مرفوعا لم يلتق أبواي قط على سفاح لم يزل الله ينقلني من الاصلاب الطيبة
الى الارحام الطاهرة مصفى مهذبا ما تشعبت شعبتان الا كنت في خيرهما
وعنه في قوله تعالى وتقلبك في الساجدين قال من نبي الى نبي حتى اخرجتك
نبيا رواه البزار وعنه في الآية قال ما زال النبي صلى الله عليه وسلم يتقلب
في أصلاب الرجال حتى ولدته أمه رواه أبو نعيم وعن جعفر بن محمد عن أبيه
في قوله تعالى لقد جاءكم رسول من أنفسكم بفتح الفاء قال لم يصبه شيء من
ولادة الجاهلية وعن أنس قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد جاءكم
رسول من أنفسكم بفتح الفاء وقال انا انفسكم نسبا وصهرا وحسبا ليس في
آبائي من لدن آدم سفاح كلنا نكاح رواه ابن مردويه وفي الدلائل لابي نعيم

عن عائشة عنه صلى الله عليه وسلم عن جبريل عليه السلام قال قلبت مشارق الارض ومغاربها فلم أجد رجلا أفضل من محمد عليه الصلاة والسلام ولم أر بني أب أفضل من بني هاشم قال الحافظ بن حجر ولوائح الصحة ظاهرة على صفحات هذا المتن وورد أيضا انه صلى الله عليه وسلم قال لما خلق الله آدم أهبطني في صلبه الى الارض وجعلني في صلب نوح في السفينة وفي صلب ابراهيم حين قذف به في النار ولم يزل ينقلني من الاصلاب الى الارحام الطاهرة حتى أخرجني من بين ابوي ولم يلتقيا على سفاح قط والى غير ذلك من الاحاديث المرضية الواردة في هذا المعنى وفيه قال شمس الدين بن ناصر الدين الدمشقي رحمه الله تعالى

تنقل أحمد نورا مبينا * تلألا في جباه الساجدينا

تقلب فيهم قرنا فقرنا * الى أن جاء خير المرسلينا

وقال أيضا ﴿حفظ الاله﴾ عزوجل أي منع وعصم ﴿كرامة﴾ أي من أجل اكرامه ﴿لمحمد﴾ صلى الله عليه وسلم ﴿آباءه الامجاد﴾ جمع ماجد أي شريف مأخوذ من المجد وهو الشرف الواسع وقيل هو الكريم الفعال ﴿صونا﴾ أي حفظا ﴿لاسمه﴾ من أن تدنسه ارجاس الجاهلية التي من جملتها السفاح فان اباءه الكرام كانوا قد ﴿تركوا السفاح فلم يصبهم﴾ أي لم ينلهم بتوفيق الله تعالى ﴿عاره﴾ أي عيبه ﴿من﴾ الاب الاعلا ﴿آدم﴾ بالتنوين لضرورة الوزن ومن الام العليا حواء عليهما السلام ﴿و﴾ هلم جرا نازلا منهما ﴿الى أبيه﴾ الاقرب عبدالله ﴿وأمه﴾ القربى آمنة كما مر كل ذلك بدلائله ومن الدلائل أيضا مارواه ابن سعد عن هشام بن محمد بن السائب الكلبي عن أبيه قال كتبت للنبي صلى الله عليه وسلم مائة أم وفي بعض النسخ خمسمائة أم فما وجدت فيهن سفاحا ولا شيئا مما كان في أمر الجاهلية واستشكل هذا بأن أمهاته لا تبلغ هذا العدد نعم ان كان المراد بالامهات الجدات وجدة الجدات من قبل أبيه وأمه كما قاله الزرقاني فلا اشكال حينئذ فقد قال في نسيم الرياض ما محصله اذا تأملت قولهم لم تكن قبيلة من العرب الا ولها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولادة أو قرابة عرفت المراد فان لك

اذا انظرت لقبيلة فجميع ذكورهم آباؤه وجميع نسائهم جداته أو عماته فمن قرابتهم ولادته ﴿سراة﴾ بفتح السين المهملة جمع سري بفتحها أيضا على غير القياس بمعنى الشريف وقد تضم السين والاسم منه السرو وحته الحديث انه صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه اليوم تسرون أي يقتل سريكم أي شريفكم فقتل حمزة رضي الله عنه ويجمع السراة على سروات بمعنى الاشراف ﴿سرى﴾ أي جرى ﴿نور النبوة﴾ المحمدية ﴿في أسارير﴾ جمع اسرار الجبهة وهي خطوطها التي تجتمع وتتكسر واحدها سر وسرر كعنب كما في النهاية والمختار ﴿غررهم﴾ بضم الغين المعجمة جمع غرة أي جباههم ﴿البهية﴾ بالموحدة أي الجمالية فكان النور النبوي ظاهرا بوجه آدم ثم انتقل الى ابنه شيث عليهما السلام ولما دنت وفاته وصى ابنه بوصية أبيه له أن لا يضع هذا النور الا في المطهرات من النساء ولم تزل الوصية معه ولا يمس ما انطاعابها في جميع الآباء الامجدين ﴿ويبدو﴾ بموحدة فمهملة ثم واو أي تظهر ظهور البدر للابصار وفي بعض النسخ وبدا أي ظهر والاول أبلغ ﴿بدره﴾ أي النور النبوي الشبيه بالقمر ليلة كماله وتمام نوره ﴿في جبين﴾ أي جبهة ﴿عبد المطلب و﴾ في جبين ﴿ابنه﴾ أي ابن عبد المطلب ﴿عبد الله﴾ فقد حكى عن كعب الاحبار ان نور النبي صلى الله عليه وسلم لما صار الى عبد المطلب نام في الحجر فانتبه مكحولا مدهونا قد كسى حلة البهاء والجمال متحيرا من فعل به ذلك فذهب به أبوه أي عمه الى كهنة قريش فقالوا اعلم ان اله السموات قد أذن لهذا الغلام ان يتزوج وسبق انه كان نور رسول الله صلى الله عليه وسلم يضيء في غرته فتزوجه قيلة فولدت له الحارث ثم ماتت فتزوجه بعدها هندا وحملت منه بابنه عبد الله فانتقل نور نبينا صلى الله عليه وسلم منه اليه وسبق أيضا ان عبد الله كان أنم فتى في قريش وأصبحهم خلقا وأحسنهم اخلاقا وما ذاك الا ببركة النور المحمدي والشرف الذي انتقل اليه * تنبيه * قال العلامة المحقق الشيخ أحمد بن حجر رحمه الله تعالى في المنح ان آباء النبي صلى الله عليه وسلم غير الانبياء وأمهاته الى آدم وحواء ليس فيهم كافر لان الكافر لا يقال انه مختار ولا كريم ولا طاهر بل نجس كما في آية انما المشركون نجس وقد صرحت الاحاديث

السابقة انهم مختارون وان الاباء كرام والامهات طاهرات وأيضا فهم الى
اسماعيل كانوا من أهل الفترة وهم فى حكم المسلمين بنص الآية الآتية
وكذا من بين كل رسولين وأيضا قال تعالى وتقلبك فى الساجدين على أحد
التفاسير فيه المراد تنقل نوره من ساجد الى ساجد ولذا أجمع أهل الكتابين
على ان آزر عم ابراهيم عليه الصلاة والسلام واسم أبيه تارح كآدم أوتيرح
أوغير ذلك كما سيأتى وحملوا قوله تعالى واذ قال ابراهيم لابيه آزر على المجاز
والعرب يسمى العم أبا وقد جاء فى القرآن فى قوله تعالى واله آبائك ابراهيم
واسماعيل مع انه عم يعقوب بل لولم يجمعوا على ذلك وجب تأويله بهذا جمعا
بين الاحاديث فمن أخذ بظاهر الآية كالبيضاوى وغيره فقد تساهل
واسترو ح قال وحينئذ فهذا صريح فى أن أبوى النبى صلى الله عليه وسلم
آمنة وعبد الله من أهل الجنة لانهما أقرب المختارين له صلى الله عليه وسلم
وهذا هو الحق بل فى حديث صححه غير واحد من الحفاظ ولم يلتفتوا لمن
طعن فيه ان الله تعالى أحياهما له فآمنا به خصوصية لهما وكرامة له صلى
الله عليه وسلم وقال خاتمة المحققين التقى الصالح الشيخ ابراهيم خليل اليمنى
الزبيدى فى كتابه المنهج الاعدل فى شرح مولد الاهدل أقول وقد نصر
هذا القول وأيده غير واحد من الجهابذة النقاد كالتقى السبكى والجلال
السيوطى وغيرهما فلا مرية فى حقيته انتهى أقول وممن نصر هذا القول
الامام المحقق والهمام المدقق مجدد المائة الحادى عشرة جدنا المرحوم
السيد محمد البرزنجى وألف فيه رسالة سماها سداد الدين وسداد الدين فى
اثبات النجاة والدرجات للوالدين وهى تزيد على نحو خمس عشرة كراسة
وأتى فيها بما يشفى قلب الحبيب و يقصم ظهر المعاند الغضيب قال وقد قال
بنجاتهما جمع كثير وجم غفير ممن جمع بين الحديث والفقه والاصول كابن
العربى وابن شاهين وابن المنير وابن ناصر الدين الدمشقى والامام الفخر
الرازى والسبكى والقرطبى والابى والمحب الطبرى وابن سيد الناس
والشرف المناوى ونقله ابن الجوزى فى كتابه مرآة الزمان عن جماعة
والحافظ ابن حجر العسقلانى والامام حافظ الدين الحنفى صاحب جامع
السلوك فى شرح مناقب الامام أبى حنيفة رضى الله عنه قال وممن اشتهر

بهذه المسئلة خاتمة الحفاظ الامام المجتهد مجدد المائة التاسعة أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن السيوطى فانه ألف فى المسئلة خمس تأليفات وبسط القول فيها والامام العلامة المحقق الشهاب أحمد بن حجر الهيتمى المكى فانه بسط القول فيها بعض البسط فى النعمة الكبرى وفى الفتاوى وفى شرح الهمزية وأتى فيها بالعجب العجاب ورقمت لبعض متأخرى الحنفية من أهل الروم على رسالة أحسن القول فيها وأتى بالتحقيق جزاهم الله خيرا انتهى واذا تقرر ذلك فنقول اعلم انه لم يثبت لا من الكتاب ولا من السنة ولا من الاجماع ولا من القياس دليل على ان الابوين الشريفين فى النار ولم يذكر ذلك أحد من الائمة المجتهدين المتبوعين من الاربعة ولا من غيرهم وليس هذا من المسائل التى تتعلق بالاعتقاد الواجب فى الشرع بل الذى يجب اعتقاده واعتقاده هو والذى ثبت به الادلة وندين الله ونلقاه به ان والدى النبى صلى الله عليه وسلم من أهل التوحيد وانهما ناجيان غير معذبين وانهما من خيار أهل الجنة وأما الاحاديث الدالة على كفرهما وانهما فى النار كحديث ليت شعرى ما فعل أبواى فنزلت ولا تسأل عن أصحاب الجحيم وحديث انه استغفر لامه فضرب جبريل فى صدره وقال لا تستغفر لمن مات مشركا وحديث انه نزل فى أمه ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين وحديث انه قال لابنى مليكة أمكما فى النار فشق عليهما اذ دعاهما فقال ان أمى مع أمكما فقد أجاب الجلال السيوطى بأن غالب ما يروى فى ذلك ضعيف ولم يصح فى أم النبى صلى الله عليه وسلم سوى حديث انه استأذن فى الاستغفار لها فلم يؤذن له ولم يصح أيضا فى أبيه الا حديث مسلم خاصة وسياتى الجواب عنهما وأما الاحاديث التى ذكرت فحديث ليت شعرى ما فعل أبواى فنزلت الآية لم يخرج فى شئ من كتب الحديث المعتمدة وانما ذكر فى بعض التفاسير بسند منقطع لا يحتج به ولا يعول عليه ولو جئنا نحتج بالاحاديث الواهية لعارضناك بحديث رواه ابن الجوزى من حديث على مرفوعا هبط جبريل على فقال ان الله يقرئك السلام ويقول انى حرمت النار على صلب أنزلك وبطن حملك وحجر كفلك ويكون من باب معارضة الواهى بالواهى الا انا لا نرى ذلك ولا نحتج بـ

ثم ان هذا السبب مردود بوجوه أخر من جهة الاصل والبلاغة واسرار البيان وذلك ان الآيات من قبل هذه الآية ومن بعدها كلها في اليهود من قوله تعالى يابني اسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم الى قوله واذا ابتلى ابراهيم ربه بكلمات ولهذا ختمت القصة بمثل ما صدرت به وقوله تعالى يابني اسرائيل اذكروا نعمتي الآيتين فتبين أن المراد بأصحاب الجحيم كفار أهل الكتاب وقد ورد ذلك مصرحا به في الاثر والجواب عن حديث الاستئذان في الاستغفار لامه على تسليم صحته على انه ليس فيه الا النهي عن الاستغفار فقط دون الكفر أو الكون في النار فمن أخذ بظاهره كالبيضاوي وغيره فقد تساهل واستروح اما أولا فلانه لا يلزم من عدم الاذن في الاستغفار كفرهما بدليل انه كان في صدر الاسلام ممنوعا من الصلاة على من عليه دين وهو مسلم فلعله كانت عليهما تبعات غير الكفر فمنع من الاستغفار لها بسببها قاله السيوطي وأما ثانيا فلانه قد عارضته أدلة أرجح منه في عدم تعذيب أهل الفترة من الآيات والاحاديث واتفق عليها علماء الاصول والكلام فوجب الغاء هذا أو تأويله وتقديم تلك الادلة كما هو مقرر في الاصول ولا يمكن الغاء تلك الادلة لقطعيتها وأما ثالثا فلان الاحاديث الواردة في الابوين الشريفين منسوخة بقوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وأمثاله من الآيات كما أجابوا بذلك عن الاحاديث الواردة في أطفال المشركين انهم في النار مع كثرتها بقوله تعالى ولا تزر وازرة وزر أخرى ومن هنا علم الجواب عن حديث مسلم الوارد في أبيه فتنبه ثم رأيت المحقق ابن حجر في النعمة الكبرى قد جمع بين أحاديث الاستغفار والاحياء بان الله تعالى منعه من ذلك حتى يعظم المنة عليه باحيائهما وايمانهما وتصديقهما فتنقلا من حال أهل الفترة الذي لا يخلو عن تفضيل الى حال الايمان الذي هو أكمل الاحوال وأعلاها وبكاؤه صلى الله عليه وسلم يحتمل انه لفوات هذه المرتبة عن الله عليه بتحصيلها لهما * فان قلت قد ذكرت انه لم يذكر ذلك أي القول بكفرهما وانهما في النار أحد من الائمة الاربعة المجتهدين فما جوابك عن قول الامام أبي حنيفة في الفقه الاكبر انهما ماتا على الكفر وعمه أبو طالب مات كافرا قلت هذا

لا يغتر به وان اغتر به بعض الناس مع اشتماله على دلالة أنه ادعى العصمة
ليست الا للانبياء عليهم الصلاة والسلام ولقد قال الامام مالك رضي الله
عنه وغيره ما من أحد الا مأخوذ من كلامه ومردود عليه الا صاحب هذا
القبر يعني النبي صلى الله عليه وسلم والجواب عنه اما أولا فلا نسلم ان أبا
حنيفة قال ذلك وتمسك قال العلامة ابن حجر في الفتاوى وما نقل عن أبي حنيفة
انه قال في الفقه الاكبر ان ابويه ماتا على الكفر مردود فان النسخ المعتمدة
من الفقه الاكبر ليس فيها شيء من ذلك وبأن الموجود فيها ذلك لأبي حنيفة
محمد بن يوسف البخاري لا لأبي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي انتهى
ويكون قد نشأ الاشتباه من اشتراك المؤلفين في الاسم واشتراك المؤلفين
في الكنية ولم يظفروا الا بنسخة واحدة فظنوا انها هي التي للامام ولئن
سلم فنقول لعل أصل النسخة ما ماتا كما في وقع في نسخة بعض علماء عصرنا
واما رأى النساخ تكرارا ظن أحدهما ان احداهما زائدة فتركه
وانتشر النسخ بعد ذلك كرها لتعظيم حضرة الرسول صلى الله عليه وسلم واما
ثانيا فلنا في هذا القول صحيح ذلك لان قوله ماتا على الكفر المراد
بالكفر الفترة وقد يطلق الكفر على الفترة مجازا كما هو مقرر في محله وهو
على وزان قوله تعالى على فترة من الرسل أي ماتا في الفترة وهذا قول صحيح
الا ترى كيف عبر الامام في أبي طالب فقال في حقه مات كافرا فاطلق عليه
الكفر حيث انه دعاه الدعوة وكان كفره حقيقيا نظرا لظاهر الشرع
ولم يطلق ذلك عليهما بل قال ماتا كافرين فهذه لذلك فافهم وهذه التأويلات
وان كانت بعيدة في بادئ النظر الا انها أهون بكثير من نسبة الكفر الى
والدي النبي صلى الله عليه وسلم الذي خلق العالم من أجله فان قلت ما
جوابكم عن قول الامام النووي حيث قال في شرح حديث مسلم ان أبي
وأباك في النار فيه ان من مات كافرا في النار ولا تنفعه قرابة الاقربين وفيه
ان من مات في الفترة على ما كانت عليه العرب من عبادة الاوثان في النار
وليس هذا من التعذيب قبل بلوغ الدعوة لانه بلغتهم دعوة ابراهيم وغيره
من الرسل انتهى وقول الامام الرازي من مات مشركا فهو في النار وان مات
قبل البعثة لان المشركين كانوا قد غيروا الحنيفية دين ابراهيم واستبدلوا بها

الشرك وارتكبوه وليس معهم حجة من الله به انتهى * قلت الجواب قال
المحقق ابن حجر في المنح ان قول النووي هذا بعيد جدا للاتفاق على ان
ابراهيم ومن بعده لم يرسلوا للعرب ورسالة اسمعيل انتهت بموته اذ لم يعلم نبينا
صلى الله عليه وسلم بعموم بعثته بعد الموت وقد يؤول كلامه بحمله على عباد
الاوثان الذين ورد فيهم انهم في النار وبهذا يرد كلام الفخر الرازي القريب
من كلام النووي قال ثم رأيت الابي شارح مسلم بالغ في الرد على النووي بأن
كلامه متناف لحكمه بانهم أهل فترة وبأن الدعوة بلغتهم ومن بلغتهم
الدعوة ليسوا أهل فترة لانهم الامم الكائنة بين أزمنة الرسل الذين لم يرسل
اليهم الاول ولا أدركوا الثاني قال ابن حجر ثم قال وإذا دلت القواطع على ان
لا تعذيب حتى تقوم الحجة علمنا ان أهل الفترة غير معذبين انتهى وهو
موافق لما ذكرته انتهى قال جدنا وما أشار اليه ابن حجر من أن رسالة من عدا
نبينا صلى الله عليه وسلم وعليهم تنتهي بموته وان لم أره في كلام غيره مصرحا به
لكنه موجه بأمور أحدها لو لم تنته لما احتاج بعد موته الى نبي آخر يبعث
بعين ذلك الشرع مع ان كتابه محفوظ وأحكامه معلومة لهم كأنبياء بني
اسرائيل فانهم كانوا قبل عيسى بعثوا بالتوراة ثانيها ان ابراهيم لم يكن مبعوثا
الى العرب فلولا انتهت نبوته لما انتقلت ملته ببعثة اسمعيل عن قومه الى
العرب وذلك لان اسمعيل بعث بشرع ابراهيم الى العرب ثالثها مقتضى
تحقق عموم رسالة نبينا صلى الله عليه وسلم وتفضيله على غيره أن يكون تعميم
الازمان من خصوصياته كما ان تعميم الاشخاص من خصوصياته فيكون
رسالة غيره الى قومه ومدة عمره ورسالته صلى الله عليه وسلم الى الناس
كافة والى يوم القيامة انتهى وهو كما تراه في غاية التدقيق ﴿خاتمة﴾ الحذر
الحذر من ذكرهما بنقص لان ذلك قد يؤذيه صلى الله عليه وسلم لحديث
الطبراني لا تؤذوا الاحياء بسب الاموات وقد منع من اطلاق الكفر
عليهما ما أركوهما في كذا محققوا العلماء فمنهم امام الهدى خامس الخلفاء
الراشدين عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه حين قال له كاتبه أصلح الله الامير
ما على من كان أبوه كافرا كان أبو النبي صلى الله عليه وسلم مشركا فقال عمر آه
ثم سكت ثم رفع رأسه ثم قال اقطع لسانه اقطع يده ورجله اضرب عنقه ثم قال

لا ائي لي شيئا مابقيت فهـذا امرا مام هدى وقد توعـد القائل بهذا الوعيد الشـديد ثم عـزله عن ولايتـه مدى الابد وجعله يقتـدى في الدين وقال السـيوطي وجـدت بخط الشيخ كمال الدين الشـمنى الحنفي ما نصه سئل القاضي أبو بكر بن العربي عن رجـل قال أن أبا النبي صـلى الله عليه وسـلم في النار فأجاب بأنه ملعون لان الله تعـالى قال ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعدلهم عذابا مهينا ولا أذى أعظم من أن يقال عن أبيـه انه في النار وقال السـهيلي في الروض الانف بعـد ايراده حديث مسلم وليس لنا أن نقول ذلك في أبويه صـلى الله عليه وسلم لقوله صلى الله عليه وسلم لا تؤذوا الاحياء بسـب الاموات وقال تعالى ان الذين يؤذون الله الآية وقال الباجى لا يجوز أن يؤذى النبي صـلى الله عليه وسلم بمباح ولا غيره وقال العـلامة ابن حجر في النعمة الكبرى أحـذر أن تروغ عن القول بنجاتهـما فانه صلى الله عليه وسـلم حذرك من ذلك بقوله لما اشتكى اليه عكرمة رضي الله عنه ان الناس يسبون أبا جهـل لا تؤذوا الاحياء بسـب الاموات رواه الطبراني في الصغير قال فالخوض في ذلك على خلاف ما ذكرناه يعني القول بالنجاة ربما يؤذيه صـلى الله عليه وسـلم وايذاؤه كفر يراق به دم قائله فعلى العاقل أن يصرف نفسـه عن هـذه الورطة الصعبة التي قد تفضى الى الكفر والعياذ بالله وقال في الفتاوى واياك أن يسبق لسانك الى غير ما قلنا يعني من النجاة فتكون ممن آذى رسول الله صـلى الله عليه وسلم فتستحق اللعنة بنص القرآن كما قدمناه عن أبي العربي واذا كان رسول الله صلى الله عليه وسـلم قال لما اشتكى اليه عكرمـة بن أبي جهل قول الناس هذا ابن أبي جهل لا تؤذوا الاحياء بسـب الاموات هذا مع كونه أبا جهل فما ظنك بمن يتكلم في آبائهـ صـلى الله عليه وسـلم بما يحطهم عن غاية الشرف والرفعـة نعوذ بالله من ذلك ونسأل الله السـلامة من الخوض في هـذه المهالك انتهى فهذه تصريحاتهم بعـدم جواز نسـبتهما الى الكفر والحكم عليهما بدخول النار ولم يرد في ضـده عن أحد من الائمة المجتهـدين لا تصريح ولا اشارة كيف وقد نص بعض العلماء بأن الطعن في الانسـاب من الكبائر لانه يؤدي الى هتك اعراض النـاس وهذا ذنب كبير وفي الحديث عرض

المؤمن كدمه فاذا كان الطعن في أنساب الخلق كبيرة فما ظنك بمن يتفوه بكلام يلتزم الطعن في نسب سيدنا بل سيد جميع الانبياء عليهم الصلاة والسلام بأن يقول على رؤس الاشهاد ان أبويه كافران نعوذ بالله تعالى من هذا الكلام الذى تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا هذا ولولا مخافة التطويل والخروج عن المرام لزدنا على ماذكرناه الكلام وفي هذا القدر كفاية لمن له أدنى دراية وفي قلبه محبة سيد الانام عليه من الله العظيم ألف صلاة وسلام ماتعاقبت الدوران وتلاحقت الازمان فنرجع الى ماكنا بصدده ونستمد العون من مدده ونقول قال المؤلف رحمه الله تعالى ﴿عطر اللهم قبره الكريم بعرف شذى من صلاة وتسليم اللهم صل وسلم وبارك عليه﴾

ولما ذكر المؤلف رحمه الله نسبه الشريف المعظم انتقل منه الى ذكر بعض ماوقع عند حمله وقبله وبعده ومابين ذلك من الغرائب والعجائب في بعد التعطيرة الآتية داخل فيه فقال ﴿ولما أراد الله﴾ سبحانه و﴿تعالى ابراز﴾ أى اظهار ﴿حقيقته المحمدية﴾ هى عبارة عند القوم عن التعين الاول الذى يلى غيب اللاتعين ويسمى عندهم حقيقة الحقائق وهو من مراتب الوجوب اجماعا فجعله من مراتب الامكان غير مسوغ وعبروا عن الحقيقة المحمدية بحقيقة الحقائق لانها أصل كل حقيقة الهية وكونية وقد بسطنا الكلام في توضيح ذلك في رسالتنا نجم الهداية ﴿و﴾ أراد سبحانه وتعالى ﴿اظهاره جسدا﴾ أى هيئة حال اوتمييز ﴿و﴾ قوله ﴿روحا﴾ تابع له في اعرابه وهو مابه حياة الجسم وقد يؤنث والخلاف في تحقيقه طويل ولفظه مشترك بين عدة معان ومذهب أهل السنة من المتكلمين والمحدثين والفقهاء والصوفية انها جسم لطيف مشتبك بالبدن كاشتباك الماء بالعود الاخضر وبهذا جزم النووى ومذهب جماعة من الصوفية والمعتزلة انها ليست بجسم ولا عرض بل جوهر مجرد متعلق بالبدن للتدبير غير داخل فيه ولا خارج عنه ووجد لاهل مذهب مالك ان الروح ذو جسم ويدين ورجلين وعينين ورأس تسلى

من الجسد مثلا والمختار عند جمهور المحققين عدم الخوض في بيان حقيقتها
لانه لم يرد دليل عن الشارع ببيانها وكل ما هو كذلك فالاولى عدم الخوض
فيه وما وجد لاهل مذهب مالك من الخوض في بيان حقيقتها فعلى غير
المختار فان قيل كيف يخوضون مع ان قوله تعالى ويسئلونك عن الروح
قل الروح من أمر ربي دال على عدم الخوض فيها أجيب بأنه انما أمر
عليه الصلاة والسلام بترك الجواب تصديقا لما في كتب اليهود من ان
الانسان الذي ذلك من علامات نبوته ودلائل رسالته انتهى قال بعضهم
ويكفي النص في الخوض ما تقدم عن أهل مذهب مالك لكن اذا خضت
فلا تخض بأكثر مما ذكر واختلفوا في بيان مقرها من الجسد فقيل هي في
باطن الانسان لا يعرف مقرها الا من أطلعه الله على ذلك وقيل مقرها
البطن وقيل القلب وقيل بقرب القلب والصواب ما تقدم من انها جسم
لطيف مشتبك بالبدن كاشتباك الماء بالعود الاخضر وبه جزم امام
الحرمين وهذا في حالة الحياة واما بعد الموت فارواح السعداء بأفنية القبور
على الصحيح وقيل عند آدم عليه السلام في سماء الدنيا لكن لا دائما بل
يأتي لها تسرح حيث شاءت وأما أرواح الكفار ففي سجين في الارض
السابعة السفلى محبوسة وقيل أرواح السعداء في الجابية بالشام وقيل
بئر زمزم وارواح الكفار ببئر برهوت في حضرموت التي هي مدينة في
اليمن ﴿وصورته﴾ أي صورته التي صوره الله عليها او شكله
او تناسب أعضائه ومقاديره ولون بشرته ﴿ومعناه﴾ أي أصله من
غيره وبر او حاله صلى الله عليه وسلم وهو ما استمر عليه من الآداب الكريمة
والاخلاق المرضية التي لو أفنى غيره عمره الطويل في تحصيل بعضها
لم يحصل وقد حصلت له صلى الله عليه وسلم كلها على الكمال كما ثبت
بالاحاديث الصحيحة التي يفيد مجموعها التواتر القدر المشترك بينها وقد
ثبت ذلك الخلق الكريم له صلى الله عليه وسلم مع ما وصفه الله به في كتابه
حيث قال وانك لعلى خلق عظيم وهذا الثاني هو المتبادر واستقرب بعضهم
الاول في كلا تفسيري الصورة والمعنى وقال والاقرب ان يكون المراد بصورته
صورة النور التي صور الله نوره عليها وبمعناه اصله من غير تصوير واستدل

على

على ذلك يقول الزرقاني ان الله صور نور نبينا بصورة روحانية مماثلة لصورته التي يصير عليها بعد انتهى * قوله مماثلة لصورته يفيد ان صورته صلى الله عليه وسلم كانت موجودة في علم الله قبل تصوير نوره عليها بل قبل خلق نوره وكان النور تابعا لتلك الصورة كما كان تابعا للمادة التي خلق صلى الله عليه وسلم منها وهو المناسب لقول المؤلف نقله الخ فلا مانع من ارادة كل من المعنيين في كل من الصورة والمعنى ثم لم يزل نوره صلى الله عليه وسلم تابعا للمادة المنتقلة من صلب طيب الى رحم طاهر الى ان ﴿نقله﴾ الله تعالى بارادته من ظهر عبد الله بن عبد المطلب ﴿الى مقره﴾ أى موضع استقراره ﴿من صدفة﴾ أى بطن عدل عنه اليها للاشارة الى تشبيهه صلى الله عليه وسلم باللؤلؤة الكامنة في صدفتها على طريقة الاستعارة التصريحية ﴿آمنة الزهريه﴾ أى المنسوبة الى زهرة جد أبيها كما تقدم ﴿و﴾ قد ﴿خصها﴾ من بين نساء عالمها الله الملك ﴿القريب﴾ من عباده قربا معنويا ﴿المجيب﴾ دعاء من دعاه منهم بأن ينيله مطلوبه ويوصله مرغوبه معجلا أو مؤجلا لوعده الصادق بذلك كما قال تعالى واذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان والاجابة لابد منها ولكن ليس بلازم ان تكون بعين المطلوب بل الامر بالاجابة موكول لله عز وجل فيمكن ان يجيبه بما هو خير مما طلبه الا ان يوافق الدعاء ساعة اجابة فلا بد من الاجابة بعين المطلوب ﴿بأن تكون﴾ أى آمنة والباء داخلة على المقصور ﴿أما لمصطفاه﴾ صلى الله عليه وسلم أى مختاره بين سائر خلقه وأصله مصتفاه قلبت تاء الافتعال طاء كما هو القاعدة اذا وقعت بعد حرف من حروف الاطباق قال ابن مالك

طا تا افتعال رد اثر مطبق * وكانت آمنة الزهرية سيدة بني زهرة وكان زوجها عبد الله أجمل قريش لنور محمد صلى الله عليه وسلم الذى في وجهه وكان قد شغف به كل نسوة قريش حتى لقى منهن ما لقى يوسف الصديق عليه السلام في وقته من امرأة العزيز روى الحافظ العراقى من طريق ابن اسحق بسنده قال لما انصرف عبد المطلب يعنى من نحر الابل عن عبد الله أخذ بيد عبد الله فمر به فيما يزعمون على امرأة من بنى أسد

وهي أخت ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي فقالت له حين طرت الى وجهه أين تذهب يا عبد الله قال مع أبي قالت لك مثل الابل التي نحرت عنك وقع على الآن قال أنا مع أبي ولا أستطيع خلافه ولا فراقه وروى الخرائطي وأبو نعيم وابن عساكر عن ابن عباس انه لما انطلق به أبوه ليزوجه مر على فاطمة الخثعمية كاهنة متهودة قرأت الكتب وأنها جمال مفرط وعفة زائدة وكان شاب قريش يتحدثون بها فقالت له يا فتى من أنت فاخبرها فقالت هل لك ان تقع على الآن واعطيك مائة من الابل ونظرت اليه وقال

أما الحرام فالممات دونه * والحل لا حل فاستبينه
فكيف بالامر الذي تبغينه * يحمي الكريم عرضه ودينه

وكانه أراد دفعها بالاحسن فلما ألحت عليه زجرها بالابيات المذكورة وفي غرائب ابن قتيبة ان التي عرضت نفسها عليه هي ليلى المخزومية فخرج به عبد المطلب حتى اتى به وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب وهو يومئذ سيد بني زهرة فزوجه آمنة بنت وهب وهي يومئذ أفضل امرأة في قريش نسبا وموضعا أي وذلك بعد ان تزوج عبد المطلب هالة بنت وهيب أخي وهب وهي أم حمزة بن عبد المطلب فقالت قريش غلب عبد الله أباه عبد المطلب فزعموا ان عبد الله دخل عليها حين أملكها فكان وقع عليها فحملت برسول الله صلى الله عليه وسلم ثم خرج من عندها فأتى المرأة التي عرضت عليه ما عرضت أي ليستخرج ما عندها من العلم فقال لها مالك لا تعرضين على اليوم ما كنت عرضت بالامس فقالت له فارقك النور الذي معك بالامس فليس لي بك اليوم حاجة وفي رواية قالت كان ذلك مرة فاليوم لا فذهب مثلا وفي أخرى انها قالت والله اني لست بصاحبة ريبة ولكن رأيت النور في وجهك فاحببت ان تضعه عندي وأبى الله ان يضعه الا حيث يشاء وقد كانت تسمع من أخيها ورقة بن نوفل وكان قد تنصر واتبع الكتب انه كائن في هذه الامة نبي وفي أخرى عن ابن اسحق عن أبيه اسحاق بن يسار انه حدث ان أبا النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله دخل على امرأة كانت له مع آمنة وقد عمل في طين له وبه آثار من الطين فدعاها

الى نفسه فابطأت عليه لما رأت به من آثار الطين فخرج من عندها فتوضأ وغسل ما كان به من ذلك الطين فلما غسل الطين دعته امرأته الى نفسها فلم يفعل ثم خرج عامدا الى آمنة فدخل عليها فأصابها فحملت بمحمد صلى الله عليه وسلم ثم مر بامرأته تلك فقال لها هل لك فقالت لا مررت بي وبين عينيك غرة تدعوك فأبيت ودخلت على آمنة فذهبت بها قال ابن اسحق فزعموا ان امرأته كانت تقول انه مر بها وبين عينيه مثل غرة الفرس قالت فدعوته رجاء ان تكون تلك الغرة بي فأبى ودخل على آمنة فأصابها فحملت برسول الله صلى الله عليه وسلم فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اوسط قومه نسبا واعظمهم شرفا من قبل أبيه وامه قال الزبير بن بكار انه وقع عليها حين املكها فحملت برسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر أيضا انها حملت به في أوسط أيام التشريق من ذي الحجة وهي ثلاثة أيام أو يومان بعد يوم النحر وأبى قريبا من الـ ... التسترى ان الحمل كان في أول ليلة من رجب وكانت ليلة جمعة في شعب أبي طالب عند الجمرة الوسطى وكان عبد الله عمره اذ ذاك ثلاثين سنة كما رجحه ابن عبد البر ورجح غيره انه ثماني عشرة سنة وقيل أقام عندها ثلاثا قال ابن منيع وغيره عن كعب الاحبار قال لما أراد الله تعالى ان يخلق محمدا صلى الله عليه وسلم أمر جبريل بالطينة التي هي قلب الارض وبهاؤها ونورها فهبط في ملائكة الفردوس وملائكة الرفيع الاعلى فقبض قبضة رسول الله صلى الله عليه وسلم من قبره الشريف وهي بيضاء منيرة فعجنت بماء التسنيم ثم غمست في أنهار الجنة حتى صارت كالدرة البيضاء لها شعاع عظيم ثم طافت بها الملائكة حول العرش والكرسي في السموات والارض والجبال والبحار فعرفت الملائكة وجميع الخلق محمدا صلى الله عليه وسلم قبل ان تعرف آدم أي ثم عجنت تلك الطينة بنطفة أبويه رضي الله عنهما قال العلامة السيد حسن البرزنجي والد المؤلف رحمهما الله تعالى في النجم الثاقب قال البوسعيدي في وصلة الزلفى لا يعدل عبد الله بن عبد المطلب انسان في عالم جنسه اذ هو آخر من حمل النور الزكي وكان صلبه القرار والكرسي ولم تجتمع جوهرته العظمى في ظهره مع ذرة بشر

وكذلك رحم صاحبته آمنة أمنت بحمله من ممن نوائب الضر والم انتهى مرموز السر المكنون وختم ما انتقال النور الموعود المخزون ويحمل بيت بديم ما معدن الصدف المصون فأنى يعدلهما انسان فهما أمهما الله درهما انتهى وروى محمد بن عمر الواقدي عن عبد الله بن وهب بن زمعة عن أبيه عن عمته قالت كنا نسمع ان آمنة كانت تقول ماشعرت انى حملت به ولا وجدت له ثقلا كما تجد النساء الا انى أنكرت رفع حيضتي وربما كانت ترتفع وتعود وعن الزهري قال قالت آمنة علقت به فما وجدت له مشقة حتى وضعته وروى الحافظ العراقي بسنده المتصل الى حليمة السعدية مرضعة النبي صلى الله عليه وسلم ان آمنة بنت وهب قالت لها ان لابني هذا شأنا انى حملت به فلم أحمل حملا قط كان أخف على ولا أعظم بركة منه (تنبيه) مقتضى هذا انها حملت بغيره بل في رواية ابن سعد التصريح بانها حملت بأولاد قبله صلى الله عليه وسلم لكن قال ابن الجوزي أجمع علماء النقل ان آمنة لم تحمل بغيره صلى الله عليه وسلم وقد قال الامام أبو الحسن الماوردي انه لم يشاركه في نسبه احد وحمل غير ابن الجوزي رواية ابن سعد على انها اسقطت من عبد الله قال والد المؤلف رحمهما الله تعالى أقول قد يعكر عليه ما ورد ان رجلا قال يارسول الله ما حقيقة أمرك قال انى دعوة أبي ابراهيم وبشارة أخي عيسى وانى كنت بكر أمي وانها حملت بي كأثقل ما تحمل النساء وجعلت تشتكي الى صواحبها ثقل ما تجد ثم ان أمي رأت في منامها الذي في بطنها نور الحديث فان كونه بكرا يمنع ما ينافي ان يكون قبله سقط والله أعلم قال وفي هذا اعنى وجدانها الثقل مخالفة للاحاديث المارة انها لم تجده وجمع أبو نعيم الحافظ بأن الثقل كان في ابتداء علوقها به والخفة عند استمراره قال فيكون في الحالين خارقا للعادة انتهى ﴿ونودي﴾ أي نادى مناد من قبل الله سبحانه وتعالى ﴿في﴾ الملكوت الاعلى من ﴿السموات﴾ جمع سماء ﴿و﴾ في العالم السفلي من ﴿الارض﴾ أي الارضين كما في رواية وفي أخرى في السماء والارض بالافراد فيهما ﴿بحملها﴾ أي آمنة ﴿لانواره﴾ صلى الله عليه وسلم ﴿الذاتية﴾ التي هي عين ذاته السرية قال في المواهب ولما حملت آمنة

برسول الله صلى الله عليه وسلم ظهر لحمله عجائب ووجد لاجداده غرائب
فذكروا انه لما استقرت نطفته الزكيه ودرته المحمديه في صدفة
آمنة القرشيه نودى في الملكوت وعالم الجبروت أن عطروا جوامع
القدس الاسنى وبخروا جهات الشرف الاعلى وافرشوا سجادات
العبادات في صفف الصفا لصوفية الملائكة المقربين أهل الصدق والوفا
فقد انتقل النور المكنون الى آمنة ذات العقل الباهر والفخر المصون
قد خصها الله تعالى القريب المجيب بهذا السيد المصطفى الحبيب لانها
أفضل قومها حسبا وانجب وازكاهم اصلا وفرعا وأطيب وقال سهل
ابن عبد الله التسترى لما أراد الله تعالى خلق محمد صلى الله عليه وسلم في
بطن آمنة ليلة رجب أى ليلة أوله وكانت ليلة جمعة أمر الله تعالى في تلك
الليلة رضوان خازن الجنان ان يفتح الفردوس ونادى مناد في السماء ألا ان
النور المخزون المكنون الذى يكون منه النبي الهادى في هذه الليلة يستقر
في بطن آمنة الذى يتم فيه خلقه ويخرج الى الناس بشيرا ونذيرا وفي رواية
كعب الاحبار انه نودى تلك الليلة في السماء وصفاحها والارض وبقاعها
ان النور المكنون الذى منه رسول الله صلى الله عليه وسلم انتقل في بطن
آمنة فيا طوبى لها ثم يا طوبى وذكر الزبير بن بكار انها حملت به في أوسط
ايام التشريق وهذان الاثران أعني روايتي سهل والزبير بينهما تناف
ومقتضى الثانية انه صلى الله عليه وسلم مكث في البطن أكثر من تسعة
اشهر والمنقول عن الجمهور خلافه نعم قال الحافظ العراقي ان في رواية
الزبير بن بكار انه ولد في رمضان وعلى هذا فيكون على قوله تسعة أشهر
والله أعلم ﴿وصبا﴾ أى مال فرحا وسرورا ﴿كل صب﴾ بفتح الصاد
العاشق ﴿لهبوب﴾ من حيث الدراية يصح قراءة اوله بالضم والفتح فعلى
الاول يكون مصدرا قياسيا لهب اذ هو لازم مضموم العين في المضارع قال
في الخلاصة

وفعل اللازم مثل قعدا * له فعول باطراد كغدا

وعلى الثاني من ابنية المبالغة المذكورة في قوله

فعال او مفعال أو فعول * في كثرة عن فاعل بديل

فاضافته تكون على الاول حقيقية على معنى اللام وعلى الثانى بيانية وأما الرواية فغير معلومة ﴿صباه﴾ بفتح المهملة وهى الريح الطيبة التى تهب من شرقى الافق وفى كلامه استعارة بالكناية وتخييل حيث شبهه صلى الله عليه وسلم بمطلع الشمس بجامع ان كلا محل لظهور الانوار واستعار الصبا لامارة الحمل به واشاعته تخييلا ورشحها بالهبوب والمعنى اشتاق كل محب شديد المحبة مشتاقا شديدا لعرفه المسكى الظهور حمله صلى الله عليه وسلم والضمير فى صباه للنبى صلى الله عليه وسلم قال بعضهم ولا يخفى ما فى تخصيص ريح الصبا بالذكر من المناسبة الظاهرة من حيث انها تهب الى تجاه الكعبة التى هى أعظم مكان فى مكة التى هى محل حمله وولادته صلى الله عليه وسلم أو هى أعظم بقاع الدنيا بعد البقعة التى ضمت اعضاءه صلى الله عليه وسلم وفيه نظر لما سيأتى من ان مواضع أجساد الانبياء أشرف منها *فائدة* وهى ان الريح اذا هبت من تجاه الكعبة فالصبا وهى حارة يابسة تهب من المشرق تنفع الابدان وتهيج الاشواق الى الاحباب والاوطان او من ورائها فالدبور وهى باردة رطبة أو من يمينها فالجنوب وهى حارة رطبة او من شمالها فالشمال بفتح الشين وهى باردة يابسة وهى ريح الجنة التى تهب عليهم وقد نظم ذلك بعضهم فى قوله

صبا ودبور والجنوب وشمأل * هى الاربع اللاتى تهب لكعبة

وكان الناس قبل حمله فى جدب شديد فعند حمله اخضرت الارض و[illegible] العيش خصبا عظيما بحيث سميت تلك السنة سنة الفتح وأتاهم الوفد من كل مكان بذلك والى هذا أشار المصنف رحمه الله تعالى بقوله ﴿وكسـ[illegible] الارض﴾ أى ألبست ﴿بعد طول جدبها﴾ بجيم مفتوحة فمهملة ساكنة فموحدة أى قحطها الذى طال عليها سنين ﴿من﴾ أنواع ﴿[illegible]﴾ حال من الحلل لانه نعت نكرة تقدم عليها ونعت النكرة اذا تقدم عليها أعرب حالا كما هى القاعدة وأما قول بعضهم انه بيان للحلل فيلزم عليه تقديم البيان على المبين وفيه ما فيه ﴿حللا﴾ بضم الحاء المهملة [illegible] وهى ثوبان من جنس واحد ﴿سندسيه﴾ بضم السين والدال المهملة بينهما نون ساكنة أى منسوبة للسندس ضرب من رقيق الديباج

بلا خلاف من نسبة المشبه للمشبه به بجامع الحسن والنضارة فى كل والمراد أن الارض عمها النبات وسترها ببركته صلى الله عليه وسلم ﴿وأينعت﴾ بفتح الهمزة وسكون المثناة تحت وفتح النون والعين المهملة من الاينـاع وهو الادراك أى أدركت ﴿الثمار﴾ جمع ثمرة ﴿وأدنى﴾ أى قرب بتشديد الراء ﴿الشجر﴾ الحامل للثمار وهو عرفا يطلق على كل ذى ساق من النبات ﴿للجانى﴾ اسم فاعل جنى أى لمريد جنى ثمرته وقطعها من شجره ﴿جناه﴾ بفتح النون والجيم اسم ما يجتنى من الثمر قال ابن عباس رضى الله عنهما من دلالة حمل آمنة برسول الله صلى الله عليه وسلم ان كل دابة لقريش نطقت تلك الليلة وقالت حمل بمحمد صلى الله عليه وسلم ورب الكعبة وهو امام الدنيا وسراج أهلها ولم يبق كاهنة فى قريش والعرب الا حجبت عن صاحبها وانتزع علم الكهانة منهم ولم يبق سرير لملك من ملوك الدنيا الا اصبح منكوسا واصبح كل ملك أخرس لا ينطق يومه ذلك ومرت وحوش المشارق الى وحوش المغارب تبشر بالبشارات وكذا بشر أهل البحار بعضهم بعضا والى ذلك أشار المصنف رحمه الله تعالى بقوله ﴿ونطقت﴾ أى تكلمت ﴿بحمله كل دابة﴾ من الدواب ذوات الاربع وغيرها وان خصها العرف بذوات الاربع ﴿لقريش﴾ القبيلة المشهورة التى منها رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿بفصاح﴾ بكسر الفاء جمع فصيح ﴿الالسن﴾ بضم السين جمع لسان أى بالالسن الفصاح من اضافة الصفة للموصوف ﴿العربية﴾ التى هى أفصح اللغات واشرفها واجلها وأبينها كيف لا وقد نزل القرآن بها وكم وردت فى فضلها وفضل أهلها آيات قرآنية واحاديث نبوية ﴿وخرت﴾ بالخاء المعجمة والراء المشددة أى سقطت حين حمله صلى الله عليه وسلم ﴿الاسرة﴾ بفتح الهمزة وكسر المهملة وشد الراء المفتوحة جمع سرير ويجمع على سرر بضمتين ككثيب وكثب والمراد هنا أسرة الملوك كما مر آنفا ﴿و﴾ خرت ﴿الاصنام﴾ أى الصور المعبودة للمشركين ﴿على الوجوه﴾ جمع وجه ﴿و﴾ على ﴿الافواه﴾ جمع فوه اسم فسكون ويقال فيه فم بالميم عوضا عن الواو والمراد انه وقع منهم ذلك على هيئة يشبه

هيئة الانسان عند الحجود قال فى المورد كر وابعض علماء هذا الشان
انما استقرت بطنة الكريمة ثم أى أمه صلى الله عليه وسلم أصبحت
أصنام الدنيا منكوسة انتهى وقد وقع منهم ذلك أيضا عند ولادته صلى الله
عليه وسلم فعن عبد المطلب قال كنت فى الكعبة فرأيت الاصنام سقطت
من أماكنها وخرت سجدا وسمعت صوتا من جدار الكعبة يقول ولد
المصطفى المختار الذى تهلك بيده الكفار ويطهر من عبادة الاصنام
ويأمر بعبادة الملك العلام وقال الجلال السيوطى فى خصائصه الصغرى ان
من خصائصه صلى الله عليه وسلم تنكس الاصنام لولادته صلى الله عليه وسلم
وبنانيه ما جاء ان عيسى عليه السلام لما وضعته امه خر كل شئ يعبد من دون
الله فى مشارق الارض ومغاربها ساجدا لوجهه فلم تنكس الاصنام
عند حمله وتكرره عنده وعند الولادة كما يعلم مما مر ومما ذكر
خصوصية لنبينا صلى الله عليه وسلم وعليه فليحمل كلام السيوطى تأمل
﴿وناشرت﴾ أى استنشرت وسرت فى أنفسها و بشر بعضها بعضا
﴿وحوش﴾ جمع وحش ﴿المشارق﴾ جمع مشرق بكسر الراء على غير
القياس اذ قياسه فتحها لطلقا فى ارادة المصدر او الزمان او المكان ولا
تكسر الا اذا أريد غير المصدر من الزمان أو المكان وكان المضارع مكسور
العين صحيح اللام وهو مطلع الشمس لان لها فى السنة ثلاثمائة وستين كوة
تطلع كل يوم فى واحدة منها لا تعود اليها الا على دورها ﴿و﴾ وحوش
﴿المغارب﴾ جمع مغرب وهو مغرب الشمس وجمعت لما ذكر فى مثله
ويجرى فى مفرده ما يجرى فى مفرد مشارق وقد يثنى فيقال مشرقين باعتبار
مشرق الصيف والشتاء وبحسب ذلك يثنى المغرب وقد ورد ذكر
الجمع فى التنزيل كما فى قوله تعالى فلا أقسم برب المشارق والمغارب
وكذا بلفظ المثنى بالاعتبار المذكور فى قوله تعالى رب المشرقين
المغربين وكذا بلفظ المفرد باعتبار ارادة الجنس نحو رب
المشرق والمغرب لا اله الا هو الآية والظاهر ان المراد هنا جميع
الارض باعتبار جهاتها كلها قسمين شرقيا وغربيا وكذلك يقال
يأتى من دواب البحر ولذا أعاد اليها ضمير المفرد فقال ﴿و﴾

كذلك ﴿دوابها﴾ جمع دابة أى دواب جميع المشارق والمغارب بالاعتبار المذكور فالمراد جميع اقطار الارض ﴿البحرية﴾ أى المنسوبة الى البحر بسكون الحاء المهملة سمى به لعمقه واتساعه والجمع ابحر وبحار وبحور وكل نهر عظيم بحر ﴿واحتست﴾ بهمزة وصل وسكون الحاء المهملة وفتح المثناة فوق والسين المهملة مخففة أى شربت ﴿العوالم﴾ جمع عالم بفتح اللام وهو ماسوى الله تعالى من الجواهر والاعراض ﴿من﴾ شراب ﴿السرور﴾ بمهملة مضمومة وراءين مهملتين بينهما واو وهو لذة القلب عند حصول نفع او توقعه ﴿كأس﴾ بهمزة ساكنة وقد تبدل للتخفيف ألفا كما فى فاس ورأس وهو اناء الشرب ﴿حمياه﴾ بضم الحاء المهملة على صيغة المصغر وهو فى الاصل الخمر المتخذ من عصير العنب وقد تطلق مجازا على المشروب ولو ماء او لبنا كما هنا فيكون قد شبه السرور بالخمر بجامع حصول الطرب والانتعاش بكل واستعار الحميا للسرور تخييلا ورشحها بالكاس والاحتسا وضبط بعضهم الحميا بكسر الحاء المهملة وسكون الميم وفسره بشدة السرور ونقل عن القاموس ان الحميا من كل شئ شدته قال فشبه السرور بعرق فى النفع ونصب الاحتساء قرينة عليه ورشحه بالكاس وتعقبه الشارح بامور منها ان ماذكره من الضبط لا يناسب مانقله عن القاموس فان مانقله فى الحمياء على صيغة المصغر كما هو الموجود فى صحاح نسخ القاموس وان ماذكره من الضبط انما هو فى مصدر حميت الشمس والنار فانه حمى بكسر الحاء وسكون الميم كما ذكره صاحب القاموس قبل ذلك ﴿وبشرت﴾ بفتح الموحدة وتشديد الشين المعجمة فراء مهملة مفتوحة أى أخبرت بما يسر كل ذى ابتلاء ﴿الجن﴾ سموا به لاستتارهم واختفائهم عن الابصار وهم أجساد هوائية او نارية أى يغلب عليهم ذلك فهم مركبون من العناصر الاربعة كالملائكة على قول وقيل ارواح مجردة وقيل نفوس بشرية مفارقة عن أبدانها وعلى كل فلهم عقول وفهم ويقدرون على التشكل بأشكال مختلفة وعلى الاعمال الشاقة فى أسرع زمن وصح خبر انهم ثلاثة أصناف ذوا أجنحة يطيرون بها وحيات وآخرون يحلون ويظعنون ومع ذلك فقد تكفل الله بهذه الامة

بعصمتهم عن أن يقع منهم ما يؤدي الى رفع الثقة ووقوع الريبة في الدين بتشكلهم بأحد ومن زعم انه رآهم ردت شهادته وعزر لمخالفته القرآن وقد ثبت في الاحاديث الكثيرة الصحيحة رؤيته صلى الله عليه وسلم وقرائته عليهم وسؤالهم منه الزاد ولدوابهم على كيفيات مختلفة والجمهور على ان مؤمنيهم يثابون ويدخلون الجنة وقول أبي حنيفة والليث لا يدخلونها وثوابهم النجاة من النار ما لعراقي رده على انه نقل عن أبي حنيفة انه أخذ دخولهم من قوله تعالى لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان انتهى ملخصا من التحفة وسيأتي عند قول المصنف وملكان على رأسه الشريف قد أظلاه جواز رؤيتهم كالانكة لتصريح الحديث الصحيح بذلك وحملوا قوله تعالى انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم على ما اذا كانوا على صورتهم الاصلية او على الغالب ﴿بإطلال﴾ بكسر الهمزة وسكون الظاء المشالة مصدر أظل أي قرب ﴿زمنه﴾ أي وقت بروزه صلى الله عليه وسلم الى هذا العالم فمن تبشيرهم بذلك ما أخبر به ورقة بن نوفل في قصة ذكرها ابن القطان ان ورقة بن نوفل وزيد بن عمرو بن نفيل أتيا النجاشي وساق القصة الى ان قال ورقة كنت ليلة قريبا من وثن اذ سمعت من جوفه هاتفا يقول

ولد النبي وذلت الاملاك * ونأى الضلال وادبر الاشراك

ومنها ما أخبر زيد بن عمرو بن نفيل قال في حديثه خرجت من عند أهل وهم يذكرون حمل آمنة حتى أتيت جبل أبي قبيس أريد الخلوة فيه اذ رأيت رجلا من السماء وله جناحان قد وقف على أبي قبيس مشرفا على مكة ونادى ذل الشيطان وبطلت الاوثان ثم نشر ثوبا معه فأهوى نحو المشرق والمغرب فرأيته قد طار بين السماء والارض وسطع نور كاد يخطف بصري وهالني ما رأيت وخفق الهاتف بجناحه حتى سقط على الكعبة فقال ذلك الاصنام واذن زلقها اوادما الى الاصنام التي على الكعبة فسقطت كلها وفي القصة فقال النجاشي ويحكما أخبركما بما أصابني اني لنائم في تلك الليلة التي ذكرتماها في قبتي وقت خلوتي اذ بهاتف يقول حل الويل با صحاب الفيل ترميهم الطير الابابيل بحجارة من سجيل ولد النبي الامي

من أجابه سعد ومن أباه عند فذهبت أصيح فلم أطق الكلام ورمت
القيام فلم أطق القيام فقرعت القبة بيدى فسمع ذلك أهلى فتبادروا
وأومأت اليهم ان اخبروا عنى الناس فخبروهم حتى أطلق الله لسانى ويدى
انتهى ومنها ما روى عن يحيى بن عروة عن أبيه كما عند ابن القطان ان نفرا
من قريش منهم ورقة بن نوفل وزيد بن عمرو بن نفيل وعبد الله بن جحش
وعثمان بن الحويرث كانوا عند صنم لهم قد اجتمعوا اليه يوما اتخذوا ذلك
اليوم عيدا فى كل سنة يعظمونه وينحرون عنده الجزور ويأكلون
ويشربون الخمر ويعكفون عليه فرأوه يوما مكبوبا على وجهه فانكروا
ذلك وأخذوه وردوه الى حاله فلم يلبث ان انقلب انقلابا عنيفا فأخذوه
وردوه الى حاله فانقلب الثالثة فلما رأوه اغتموا فقال عثمان بن الحويرث
ماله قد أكثر التنكيس ان هذا الامر حدث وذلك فى الليلة التى ولد فيها رسول
الله صلى الله عليه وسلم فجعل عثمان بن الحويرث يقول

أيا صنم العيد الذى صف حوله * صناديد قوم من بعيد ومن قرب
تنكست مقلوبا فما ذاك قل لنا * بغاك سفيه اوتنكست بالعتب
فان كان من ذنب أتينا فاننا * نبوء باقرار ونلوى عن الذنب
وان كنت مغلوبا تنكست صاغرا * فما أنت فى الاوثان بالسيد الرب

قال فأخذوا الصنم فردوه على حاله فلما استوى هتف بهم بصوت جهير
وهو يقول

تردى لمولود أنارت لنوره * جميع فجاج الارض بالشرق والغرب
وخرت له الاوثان طرا وأرعدت * قلوب ملوك الارض طرا من الرعب
ونار جميع الارض ناحت واظلمت
وقد بات شاه الفرس فى أعظم الكرب
وسارت عن الكهان بالغيب جنها
فلا مخبر منهم بحق ولا كذب
فيا لقصى ارجعوا عن ضلالكم * وهبوا الى الاسلام والمنزل الرحب

فلما سمعوا ذلك خلصوا نجيا فقال بعضهم لبعض تصادقوا الى آخر
ما ذكره ابن القطان فى هذا الخبر وفى آخره عن زيد بن عمرو بن نفيل انه

خرج يطلب الدين حتى أتى بالحيرة راهبا فأخبره بالذي يطلب فقال إنك
لتطلب دينا ما تجد من يحملك عليه ولكن قد أظل زمان نبي يخرج من
بلدك يبعث بدين الحنيفية فلما قال له ذلك رجع يريد مكة فعدت عليه لخم فقتلوه
انتهى وهذا وبعض ما تقدم وإن لم يكن إخبارا بالحمل النبوي لكنه ذكر
معه استطرادا لما بين ذلك كله من المناسبة إذ المقصود من الإخبار بظهوره
صلى الله عليه وسلم كما لا يخفى والبشارات به صلى الله عليه وسلم على الأنواع
المذكورة كثيرة لا يحتملها هذا المحل ﴿وانتهكت﴾ مبنيا للفاعل
أو للمفعول أي انتزعت ﴿الكهانة﴾ بفتح الكاف وهي الإخبار بالأمور
الخفية والبعيدة من أصحابها قال القاضي عياض كانت الكهانة في
العرب ثلاثة أضرب أحدها أن يكون للإنسان ولي من الجن يخبره بما
يسترقه من السمع من السماء وهذا القسم بطل من حين بعث الله نبينا محمدا
صلى الله عليه وسلم الثاني أن يخبره بما يطرأ أو يكون في أقطار الأرض مما
خفي عنه مما قرب أو بعد وهذا لا يبعد وجوده ولكنهم يصدقون ويكذبون
والنهي عن تصديقهم والسماع منهم عام الثالث المنجمون وهذا الضرب
يخلق الله تعالى فيه لبعض الناس قوة ما لكن الكذب فيه أغلب ومن
هذا الفن العرافة وصاحبها عراف وهو الذي يستدل على الأمور بأسباب
ومقدمات يدعي معرفتها بها وقد يعتضد بعض أهل الفن ببعض في ذلك بالزجر
والطير والنجوم وأسباب معتادة وهذه الأضرب كلها تسمى كهانة وقد
كذبهم كلهم الشارع ونهى عن تصديقهم وإتيانهم انتهى ونفت المعتزلة
وبعض المتكلمين الضربين الأولين وأحالوهما ولا استحالة ولا بعد في
وجودهما ومما ورد في النهي عن إتيانهم وتصديقهم ما أخرجه الطبراني
عن معاوية بن الحكم لا تأتوا الكهان وما أخرجه الطبراني أيضا عن
واثلة من أتى كاهنة فسألها عن شيء حجبت عنه التوبة أربعين ليلة فإن صدقها
بما قالت كفر وما أخرجه أحمد والحاكم عن أبي هريرة رضي الله عنه من
أتى عرافا أو كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﴿ورهبت﴾
بفتح الراء المهملة وكسر الهاء مبنيا للفاعل أي خافت أو هو بضم الراء مبنيا
للمفعول كما قبله أي خوفت وتركت ﴿الرهبانية﴾ بفتح الراء وسكون الهاء

عبادة النصارى منسوب الى الرهبنة بزيادة الالف والمراد أصحابها فيكون مجازا بالحذف على حد قوله تعالى واسئل القرية أي أهل القرية أو مجازا مرسلا من اطلاق الحال وارادة المحل وهم الرهبان جمع راهب ويجمع على رهابين ورهابنة ورهبنة سموا بذلك لانهم كانوا يترهبون بالتخلي من اشغال الدنيا وترك ملاذها والزهد فيها والعزلة عن أهلها وتعمد مشاقها حتى ان منهم من كان يخصي نفسه ويضع السلسلة في عنقه وغير ذلك من أنواع التعذيب فنفاها النبي صلى الله عليه وسلم عن الاسلام بقوله لارهبانية في الاسلام قال بعضهم وقد جاء النهي عنها في القرآن قال تعالى ورهبانية ابتدعوها الآية فيه نظر اذ ليس في الآية صيغة نهي الا أن يكون مراده النهي معنى ﴿واهج﴾ بكسر الهاء أي تحدث ﴿بخبره﴾ صلى الله عليه وسلم ﴿كل﴾ شخص ﴿حبر﴾ بفتح الحاء المهملة وكسرها أي عالم والجمع احبار ﴿خبير﴾ بفتح الخاء المعجمة أي عارف بأخبار ظهوره صلى الله عليه وسلم من الكتب القديمة السماوية ﴿وفي حلا﴾ بكسر الحاء المهملة أفصح من ضمها كامر جمع حلية بكسر أوله كلحية ولحى وربما يفتح ولا يناسب هنا وهي في الاصل اسم لكل مايتزين به من مصاغ الذهب والفضة وتطلق الحلية على الصفة أيضا وهو المراد هنا ﴿حسنه﴾ بضم فسكون ﴿تاه﴾ من التيه بمعنى التحير لعدم قدرته على الوقوف على حقيقتها عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت كان يهودي يسكن مكة فلما كانت الليلة التي ولد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في مجلس من مجالس قريش هل ولد فيكم مولود فقال القوم والله مانعلمه قال احفظوا ما أقول لكم ولد هذه الليلة نبي هذه الامة الاخيرة على كتفه علامة فيها شعرات متواترات كأنهن عرف فرس لا يرضع ليلتين ولعل سبب عدم رضاعه صلى الله عليه وسلم كما قاله الحافظ ابن حجر واقره ان عفريتا من الجن وضع يده في فيه اولتوعك اصابه قال في المنح انه جاء ان راهبا كان بمر الظهران وهو موضع على مرحلة من مكة يسمى الآن وادي فاطمة يقول يوشك ان يولد فيكم يا أهل مكة مولود اسمه محمد تدين له العرب ويملك العجم هذا زمانه وكان لا يولد بمكة مولود الا سأل عنه فجاء عبد المطلب صبيحة

ولادته صلى الله عليه وسلم لما رآه قال كن أبا مقعد ولد ذلك المولود الذي كنت احدثكم عنه فاسميته قال محمدا وذكر نحو هذا في النعمة الكبرى وفي آخره فقد ولد ذلك المولود الذي كنت أحدثكم عنه يوم الاثنين طلع نجمه البارحة وولد اليوم واسمه محمد انتهى وفي رواية زيادة على ما مر بعد قوله هذا زمنه فمن أدركه واتبعه اصاب حاجته ومن أدركه وخالفه أخطأ حاجته فتالله ماتركت أرض الخمر والخمير والامن ولاحللت أرض البؤس والجوع والخوف الا في طلبه وفيها أيضا بعد قوله ولد ذلك المولود الذي كنت أحدثكم عنه يوم الاثنين زيادة ويموت يوم الاثنين وآية ذلك انه الآن وجع فيشتكي ثلاثا ويعافى قال الحلبي أقول أي لا يرضع في تلك الثلاث ليلتين فلا يخالف ما سبق من قول الآخر لا يرضع ليلتين انتهى ثم قال لعبد المطلب فاحفظ لسانك فانه لم يحسد حسده أحد ولم يبغ على أحد كما يبغى عليه قال فما عمره قال ان طال لم يبلغ السبعين يموت في وتر دون ثم في السنين في احدى وستين او ثلاث وستين وذلك جل اعمار أمته والخمر بفتح الخاء المعجمة ما أسكره والخمير ما وضع في العجين حتى يعود كالخمر والامن ضد الخوف والبؤس بالهمز الشدة والمراد بالارض المذكورة أرض الشام الكثيرة أشجارها وعنبها الذي يعصر منه الخمر وكنى بذكر الخمير عن الشبع بدليل مقابلته بالجوع والمعنى ماتركت بلاد التبسط وهي بلاد الشام واتيت بلاد الشدة وهي الحجاز الا في طلبه أي طلب ذلك المولود وقوله ادرك حاجته هي النجاة من العذاب وروى ابن عباس رضي الله عنهما قال كانت يهود قريظة والنضير وخيبر يجدون صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان يبعث وان دار هجرته المدينة فلما ولد قالت احبار يهود ولد أحمد الليلة هذا الكوكب قد طلع فلما تنبأ قالوا قد تنبأ أحمد كانوا يعرفون ذلك ويقرون به ويصفونه أخرجه ابن سعد وأبو نعيم واخرج أبو نعيم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال سمعت أبا مالك بن سنان يقول جئت بني عبد الاشهل يوما لاتحدث فيهم فسمعت يوشع اليهودي يقول قد أظل خروج نبي يقال له أحمد يخرج من الحرم فقيل له ما صفته قال ليس بالقصير ولا بالطويل وفي عينيه حمرة يلبس الشملة ويركب الحمار سيفه على عاتقه

وهذا البلد مهاجره فرجعت الى قومى بنى خدرة وأنا أتعجب مما قال فاسمع رجلا يقول أو يوشع يقول هذا وحده كل يهود يثرب تقول هذا فخرجت حتى جئت بنى قريظة فأجد جمعا فتذاكروا النبى صلى الله عليه وسلم قال الزبير ابن باطا قد طلع الكوكب الاحمر الذى لم يطلع لا لخروج نبى وظهوره ولم يبق أحد الا أحمد وهذه مهاجره قال الجلال السيوطى بعد ذكره ماتقدم وأخرج أبو نعيم عن سعد ابن ثابت قال كان احبار بنى قريظة والنضير يذكرون صفة النبى صلى الله عليه وسلم فلما طلع الكوكب الاحمر أخبروا انه نبى وانه لا نبى بعده اسمه أحمد ومهاجره الى يثرب فلما قدم النبى صلى الله عليه وسلم المدينة ونزلها أنكروا وحسدوا وبغوا انتهى ﴿وأتيت﴾ بالبناء للمفعول ﴿أمه﴾ صلى الله عليه وسلم أى أتاها آت وهى بين النائمة واليقظانة كما فى رواية انها قالت أتانى آت وأنا بين النائمة واليقظانة فقال هل شعرت بأنك حملت بسيد الانام وفى نسخة بسيد هذه الامة ونبيها وذلك يوم الاثنين ثم أمهلنى حتى اذا دنت ولادتى أتانى فقال قولى اعيذه بالواحد من شر كل حاسد ثم سميه محمدا اوهى ﴿فى المنام﴾ أى فى مباديه وهو مصدر ميمى بمعنى النوم كما فى رواية انها كانت تقول أتانى آت حين مربى من حملى ستة اشهر فركضنى فى المنام برجله وقال يا آمنة انك حملت بخير العالمين واذا ولدتيه فسميه محمدا او كتمى شأنك وسبب ترددالآتى اليها قيل لما كان عندها من التردد فى وجود حمل ببطنها اذلم تجد ثقلا ولا ألما ولم يكن لها دليل سوى انقطاع حيضها فى غالب أدوارها فاورثها ذلك ترددا فى أمرها ﴿فقيل لها﴾ أى لامه آمنة ﴿انك﴾ قد ﴿حملت بسيد﴾ أى أشرف وأكرم وأجل وأفخم جميع ﴿العالمين﴾ جمع عالم وهو يطلق على كل نوع من أنواع المخلوقات يقال عالم الجن وعالم الانس وعالم الملائكة وعالم كذا وعالم كذا فالعالمون جمع للعوالم الثلاث العقلاء عالم الجن وعالم الانس وعالم الملائكة فحينئذ يكون الجمع أعم من مفرده كما هى طريقة الجموع بخلاف ما اذا قيل العالم اسم لما سوى الله فانه يكون حينئذ أخص من مفرده فيكون خارجا عن طريقة الجموع وعبارة سيدنا والتحقيق انه جمع لعالم لانه كما يطلق على ما سوى الله يطلق على كل

جنس وعلى نوع وصنف فيقال عالم الانس وعالم الجن وعالم الملك وبهذا الاطلاق يصح جمعه على عالمين لكنه جمع لم يستوف الشروط لانه يشترط في المفرد ان يكون علما او صفة وعالم ليس بعلم ولا صفة بل قيل انه جمع استوفى الشروط لان العالم في معنى الصفة لانه علامة على وجود خالقه وقد نص على ذلك جماعة منهم شيخ الاسلام في شرح الشافية واصله من العلامة كما قاله أبو عبيدة لانه ما من نوع من العالم الا وفيه علامة على وجود خالقه أو من العلم كما قاله غيره فيختص بذوى العلم وهم الانس والجن والملائكة لاختصاص العلم بهم والراجح انه يشمل العاقل وغيره تغليبا للعاقل على غيره او تنزيلا لغير العاقل منزلة العاقل وقيل اسم جمع أى اسم دال على الجماعة كدلالة المركب على أجزائه كقوم ورهط وأما الجمع فهو ما دل على الآحاد المجتمعة كدلالة تكرار الواحد بحرف العطف كالزيدين في قولك جاء الزيدون فانه في قوة جاء زيد وزيد وزيد انتهى ﴿وخير﴾ أى أفضل جميع ﴿البرية﴾ أى الخلق ﴿وسميه اذ ارضعتيه﴾ كذا بياء متولدة من اشباع كسر التاء وهى فى لسان المصريين شائعة قاله في نظيرها في المصابيح وفي البرماوى كالكرمانى بغيرياء ﴿محمدا﴾ أى هذا الاسم الكريم الشريف بشرف مسماه ولم تزل أمه صلى الله عليه وسلم ترى وهى حامل به ما يدل على عظم قدره مما تواترت الاخبار بنقله الى أن مرت تلك الشهور وبرز للوجود هذا النور الاعظم فامتلأ به الكون ضياء ونورا واشرقت شمس الهداية والرسالة فادحض الباطل وطهر الكون فيه تطهيرا وقوله وسميه اذا ارضعتيه محمدا الى آخره يفيد ان المسمى له بذلك جده عبد المطلب لانها حدثت بما رأته جده عبد المطلب فسماه محمدا وقد تقدم ما يتعلق بهذا الاسم الشريف من الخصائص وغيرها وان الله سبحانه وتعالى قد حمى هذا الاسم الكريم ان يدعى به أحد من العرب الا حين شاع قبيل مولده ان نبيا يبعث اسمه محمد فسمى قوم قليل أبناءهم بذلك رجاء أن يكون احدهم هو والله أعلم حيث يجعل رسالته أخرج أبو نعيم وغيره ان محمد بن عدى بن ربيعة الآتى ذكره سئل لم سماك أبوك محمدا فى الجاهلية فقال انى سألت أبى عن ذلك فقال انه خرج رابع أربع فنزلوا عند دير بالشام

فسألهم صاحبهم عن قبيلتهم فأخبروه انهم من خندف فأخبرهم انه سيبعث فيهم قرشي اسمه محمد خاتم النبيين فلما انصرفوا من عنده ولد لكل واحد منهم ولد سماه محمدا وذكر القاضي عياض منهم ستة وذكر منهم محمد بن مسلمة وقال لا سابع لهم وقال ومع ذلك حمى الله كل من تسمى به ان يدعي النبوة او يدعيها أحد له او يظهر عليه سبب يشكك في أمره انتهى وقد جمع السخاوي من تسمى بذلك في جزء مفرد فبلغوا نحو العشرين لكن مع تكرر في بعضهم ووهم في بعضهم فيتلخص منهم خمسة عشر أو بعضهم منهم صحابة على خلاف فيهم وهم محمد بن عدي بن ربيعة ومحمد بن أحيحة بن الجلاح الاوسي ومحمد بن الحارث بن حديج بحاء مهملة آخره جيم مصغرا ابن حويص ومحمد بن مسلمة الانصاري شهد بدرا ومات بالمدينة سنة ثلاث واربعين وتعقب السخاوي العياض في ذكره له هنا بقوله وليس ذكره بجيد فانه ولد بعد النبي صلى الله عليه وسلم بازيد من عشرين سنة لكن لا وجه له لما هو مصحح في السيرة لا عن الواقدي والظاهر ان الخلاف في ولادته لا في صحبته وواحد منهم ادرك الاسلام وهو محمد بن البراء البكري وأما الباقون فلم يدركوا الاسلام وهم محمد بن أسامة بن مالك ومحمد بن حرماز بن مالك اليعمري ومحمد بن حمران الجعفي المعروف بالشويعر ومحمد ابن خزاعي بن علقمة بن حزابة بالزاي المعجمة السلمي من بني ذكوان ومحمد ابن خولي التميمي الهمداني ومحمد بن سفيان بن مجاشع ومحمد بن اليحمد الازدي ومحمد بن يزيد بن عمرو بن ربيعة ومحمد الاسيدي ومحمد الفقيمي وقول القاضي فيما تقدم لا سابع لهم مع عده محمد بن مسلمة منهم ينافيه ما في الشفاء من وجود سابع لهم وهو محمد بن اليحمد لكن قال السخاوي بعد ما نقل ما مر عنه لكنه أي القاضي ذكر تلو كلامه المتقدم محمد بن اليحمد الماضي فصار من عنده ستة لا سابع لهم انتهى أي وهذا يقتضي انه لم يثبت عنده محمد بن مسلمة وانه انما ذكره استطرادا للاشارة الى انه مختلف فيه فيكون من عنده بعد اخراج محمد بن مسلمة منهم ستة لا سابع لهم والا فما معنى قوله لا سابع لهم وقد علمت ما رد به السخاوي فالمناقشة في قول القاضي باقية (فائدة) ذكر القاضي عياض ان أول من تسمى قبله صلى الله عليه وسلم

محمد محمد بن سفيان واليمن تقول بل محمد بن الحمد وذكر ابن الجوزي ان أول من سمى في الاسلام محمد محمد بن حاطب (لطيفة) قال الصاوي ذكر الحسين بن الدامغاني في كتابه شوق العروس وأنس النفوس نقلا عن كعب الاحبار انه قال اسم النبي صلى الله عليه وسلم عند أهل الجنة عبد الكريم وعند أهل النار عبد الجبار وعند أهل العرش عبد الحميد وعند سائر الملائكة عبد المجيد وعند الانبياء عبد الوهاب وعند الشياطين عبد القاهر وعند الجن عبد الرحيم وفي الجبال عبد الخالق وفي البر عبد القادر وفي البحر عبد المهيمن وعند الحيتان عبد القدوس وعند الهوام عبد الغياث وعند الوحوش عبد الرزاق وعند السباع عبد السلام وعند البهائم عبد المؤمن وعند الطيور عبد الغفار وفي التوراة مؤذ مؤذ وفي الانجيل طاب طاب وفي الصحف عاقب وفي الزبور فاروق وعند الله طه و يس وعند المؤمنين محمد صلى الله عليه وسلم انتهى وورد ان اسمه في التوراة المنحمنا وفي الانجيل البارقليط وفي الزبور حاط حاط وفي صحف شيث أحوناخ ومعناه صحيح الاسلام وفيه أيضا ركن المتواضعين وفي صحف ابراهيم يوز ور وقيل طاب طاب ولا مانع من وجود ذلك فيهما وفي التوراة والانجيل كما مر وعلل المصنف رحمه الله تعالى أمر القائل لامنة بتسميته محمدا بما تضمنه قوله ﴿فانه﴾ أي النبي محمدا صلى الله عليه وسلم بالماء كما في أكثر النسخ ويؤيده ما في رواية اذا وضع فسميه محمدا فان اسمه في التوراة أحمد يحمده أهل السماء والارض واسمه في الفرقان محمد او بالام كما في نسخة ﴿ستحمد عقباه﴾ بضم العين المهملة أي عاقبته أي ستشكر و يثنى عليه بالخير بين جميع الخلق فانهم احمد الا يشهد له بوصف الكمالات الفائضة من ذى الاكرام والجلال على ذلك الجمال

﴿عطر اللهم قبره الكريم بعرف شذى من صلاة وتسليم اللهم صل وسلم وبارك عليه﴾

﴿ولما تم﴾ أي كمل ﴿من﴾ أيام ﴿حمله﴾ أي حمل أمه به صلى الله عليه وسلم ﴿شهران على﴾ صحيح ﴿مشهور الاقوال﴾ المختلفة ﴿المروية﴾ عن العلماء في وفاة والده عبد الله وقيل قبل ولادته بشهرين

ومنهم من قال توفي ورسول الله صلى الله عليه وسلم في المهد قال السهيلي وهو قول اكثر العلماء واحتج له بقول عبد المطلب أوصيك يا عبد مناف بعدي بموتم بعد أبيه مفرد فارقه وهو ضجيع المهد وعلى كونه توفي وهو صلى الله عليه وسلم في المهد اختلاف كم كان عمره صلى الله عليه وسلم فقيل ابن سبعة أشهر وقيل تسعة قيل وعليه الاكثر وقال الحلبي والحق قول كثير لا الاكثرين وقيل ابن ثمانية عشر وقيل ثمانية وعشرين شهرا ويخالف ما يأتي ان المراضع ابتدأته لتمام زمن الرضاع وكذا يخالف القول الذي قبله لانه لم يبق من زمن الرضاع الا شهران والراجح المشهور الذي رجحه ابن اسحاق وأورده ابن سعد وجزم به الزبير بن بكار وغير واحد قال ابن الجوزي وعليه معظم أهل السير وأطلق غيره عزوه للجمهور وهو الاول يعني انه ﴿توفي﴾ وهو صلى الله عليه وسلم حمل والحجة له ما في المستدرك عن قيس بن مخرمة توفي ابو النبي صلى الله عليه وسلم وأمه حبلى قال الحاكم على شرط مسلم وأقره الذهبي ﴿بالمدينة﴾ المنورة على الصحيح ﴿الشريفة﴾ قديما باشتمالها على طينته صلى الله عليه وسلم التي خلق منها ودحاها الماء يوم الطوفان من مكة اليها وحديثا بسكناه صلى الله عليه وسلم نحو عشر سنين من أواخر عمره الشريف فيها ثم بدفنه في الحجرة الشريفة التي كانت مساكنه اليها والتي فاق ما ضم أعضاءه الكريمة منها سائر الاماكن سوى عرش رب العزة ففيه خلاف وتقدم الكلام على ذلك مبسوطا في التعطيرة الاولى فراجعه وللمدينة المنورة أسماء كثيرة وهي أثرب بفتح الهمزة وسكون المثلثة وكسر الراء وباء موحدة لغة في يثرب الآتي وأرض الله وأرض الهجرة وأكالة البلدان لافتتاحها على يد أهلها فغنموها وأكلوها وأكالة القرى كذلك والايمان قال تعالى والذين تبوؤا الدار والايمان من قبلهم الآية والبارة والبرة والبحرة والبحيرة بفتح أوله على غير التصغير والبلاط والبلد وبيت الرسول صلى الله عليه وسلم وتندد بالمثناة الفوقية والنون واهمال الدالين وتندر كجعفر والجابرة وجبار كعذام والجبارة وجزيرة العرب والجنة الحصينة بضم الجيم والحرم بالفتح وحرم رسول الله وحسنة والخيرة

بتشديد المثناة التحتية كالزبرة والسيرة كما في قبله الا ان الياء مخففة
والدار ودار الابرار ودار الاخيار ودار الايمان ودار السنة ودار السلامة
ودار الفتح ودار الهجرة ودار الجبر وذات الحجار وذات النخل والسلقة
والشافية وطابة وطيبة بسكون التحتية وطيبة بتشديدها وطايب وطاب
والعاصمة والعذراء باهمال أوله واعجام ثانيه مسكنا والغرا باهمال أوله
والراء المشددة بمعنى الذى قبله والعروض كصبور والغراء تأنيث الأغر
وغلبة محركة والفاضحة بالفاء والضاد المعجمة والحاء المهملة والقاصمة
بالقاف والصاد المهملة وقبة الاسلام وقرية الانصار وقرية رسول الله
وقلب الايمان والمؤمنة والمباركة ومبوأ الحلال والحرام ومبين الحلال
والحرام والمجبورة بالجيم والمحبة بضم الميم وبالحاء المهملة وتشديد الموحدة
والمحبية بزيادة موحدة على ما قبله والمحبوبة والمحبورة بالحاء المهملة من
الحبر وهو السرور والمحرمة والمحفوفة والمحفوظة والمختارة ومدخل
صدق ومدينة الرسول والمرحومة والمرزوقة ومسجد الاقصى
والمسكينة والمسلمة كالمؤمنة ومضجع رسول الله صلى الله عليه وسلم
والمطيبة بضم أوله وفتح ثانيه والمقدسة والمقر بالقاف والمكتنا
بفتح الميم وكاف مشددة ومثناة فوقية والمكينة ومهاجر رسول الله صلى الله
عليه وسلم والموفية بتشديد الفاء يعبر لحفة بفتحها ونبلا بفتح النون من النبل
وسعها وهو الفضل والنجابة والناجية بالجيم والنحر بفتح النون
وسكون الحاء المهملة ويثرب لغة فى أثرب ويندد بالمثناة التحتية والندد
ويندر بابدال الدال الاخيرة من الاسم قبله راء قال الشريف السمهودى
ولم أر أكثر من أسماء هذه البلدة الشريفة وذكر ابن السدى الاخذ
من الحى بكتابة أسمائها وتعليقها على المحموم فانهم يأمنون الحمى
من دائها ﴿أبوه﴾ أى أبو النبى صلى الله عليه وسلم بلا واسطة
الله ﴿ابن عبد المطلب عن ثلاثين سنة قاله أبو احمد الحاكم وعبد الله
عبد الله وهما نفسه ثم وقت تزوجه بآمنة أربع عشرة ثمان وعشرين أو عن خمس
وعشرين قال الواقدى وهو الاثبت وقدمه الزرقانى وعن ثمان عشرة
وهو الذى صححه الحافظ العلائى والحافظ ابن حجر واختاره السيد

وقيل بالابواء بفتح أوله وسكون الموحدة والمد قال في القاموس موضع قال في المختار مكان وقيل جبل وقيل قرية جامعة بين مكة والمدينة قرية من الجحفة مما يلي المدينة وقال بعضهم قرية من اعمال الفرع بضم الفاء وسكون الراء على ثلاثين ميلا من المدينة وقال الزرقاني على ثلاث وعشرين ميلا أقول قد تنوسي هذا الموضع اليوم فلا يعرفه أحد على الحقيقة من أهل تلك الناحية وعلى القول بأنها قرية فيكون قد خربت واندثرت بعد ذلك حتى صارت الآن نسيا منسيا والله أعلم لكن قال الحلبي ان الذى بالابواء قبر أمه على الاصح فلعل قائل ذلك اشتبه عليه الامر لانه يجوز أن يكون سمعه صلى الله عليه وسلم يقول وهو بالابواء هذا قبر احدى أبوي انتهى وقيل قبر أمه بالحجون بفتح المهملة وضم الجيم مقبرة أهل مكة ودفن عبد الله في دار التابعة بالتاء المثناة فوق والباء الموحدة والعين المهملة كما في الزهر الباسم وهو رجل من بني عدي بن النجار قال بعضهم وقد شاهدت مدفنه بها ورأيت عليه صندوقا من خشب مصنوعا عليه كسوة خضراء فاخرة وهو تحت سقف هناك ولديه مكان آخر مسقف مفروش معد لارتفاع الزائرين به أقول و يعرف ذلك المكان بزقاق الطوال بضم الطاء المهملة انتهى وتعقبه بعضهم بقوله وقد اشتهر هذا القول عن رجل من المغاربة ومال الى هذا المكان المعروف وقال هنا قبر والد النبي صلى الله عليه وسلم لا يعول عليه ولم نجده مسطرا في كتب ولم يرد فيه نص ولا دليل ولا قول يعتمد عليه والمشهور انه مات بالمدينة الشريفة ودفن بمكان يقال له دار نابغة بنون مفتوحة وباء مكسورة بعدها غين معجمة مفتوحة فهاء ولم يعرف له قبر انتهى وهو وجيه لكن ماذكره من الضبط مخالف لما عليه الحلبي والزرقاني وغيرهما من أهل السير ويدل لما ذكر من كون عبد الله توفي بالمدينة ودفن بدار التابعة ما جاء انه صلى الله عليه وسلم لما هاجر الى المدينة ونظر الى تلك الدار عرفها وقال هنا نزلت بي أمي وفي هذه الدار قبر أبي عبد الله وأحسنت العوم في بئر بني عدي بن النجار ومن هذا ومما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم كان هو وأصحابه يسبحون في غدير أي بجحفة فقال النبي صلى الله عليه وسلم لاصحابه ليسبح كل

بتشديد المثناة التحتية كالخيرة والخيرة كالهدى قبله الا ان الياء مخففة
والدار ودار الابرار ودار الاخيار ودار الايمان ودار السنة ودار السلامة
ودار الفتح ودار الهجرة ودار الهجر وذات الحرار وذات النخل والسلقة
والشافية وطابة وطيبة بسكون التحتية وطيّبة بتشديدها وطايب وطبابا
والعاصمة والعذراء باهمال أوله واعجام ثانيه مسكنا والعذرا باهمال أوله
والراء المشددة بمعنى الذي قبله والعروض كصبور والغراء تأنيث الاغر
وغلبة محركة والفاضحة بالفاء والضاد المعجمة والحاء المهملة والقاصمة
بالقاف والصاد المهملة وقبة الاسلام وقرية الانصار وقرية رسول الله
وقلب الايمان والمؤمنة والمباركة ومبوأ الحلال والحرام ومبين الحلال
والحرام والمجبورة بالجيم والمحبة بضم الميم وبالحاء المهملة وتشديد الموحدة
والمحببة بزيادة موحدة على ما قبله والمحبوبة والمحبورة بالحاء المهملة من
الحبر وهو السرور والمحرمة والمحفوفة والمحفوظة والمختارة ومدخل
صدق ومدينة الرسول والمرحومة والمرزوقة ومسجد الاقصى
والمسكينة والمسلمة كالمؤمنة ومضجع رسول الله صلى الله عليه وسلم
والمطيبة بضم أوله وفتح ثانيه والمقدسة والمقر بالقاف والمكتان
بفتح الميم وكاف مشددة مثناة فوقية والمكينة ومهاجر رسول الله صلى الله
عليه وسلم والموفية بتشديد الفاء وتخفيفها ونبلا بفتح النون من النبل
بضمها وهو الفضل والنجابة والناجية بالجيم والنحر بفتح النون
وسكون الحاء المهملة ويثرب لغة في أثرب ويندد بالمثناة التحتية ودالين
ويندر بابدال الدال الاخيرة من الاسم قبله راء قال الشريف السمهودي
ولم أر أكثر من أسماء هذه البلدة الشريفة وذكر ابن السبكي الاستشفاء
من الحمى بكتابة أسمائها وتعليقها على المحموم فانها تنفي الذنوب وتشفي
من دائها ﴿أبوه﴾ أي أبو النبي صلى الله عليه وسلم بلا واسطة ﴿عبد
الله﴾ ابن عبد المطلب عن ثلاثين سنة قاله أبو أحمد الحاكم ورجحه ابن
عبد البر وجماعة ثم وقت تزوجه بآمنة أو عن ثمان وعشرين أو عن خمس
وعشرين قال الواقدي وهو الاثبت وقدمه الزرقاني وعن ثمان عشرة سنة
وهو الذي صححه الحافظ العلائي والحافظ ابن حجر واختاره السيوطي

وقيل

وقيل بالابواء بفتح أوله وسكون الموحدة والمد قال في القاموس موضع قال
في المختار مكان وقيل جبل وقيل قرية جامعة بين مكة والمدينة قريبة من
الجحفة مما يلي المدينة وقال بعضهم قرية من أعمال الفرع بضم الفاء
وسكون الراء على ثلاثين ميلا من المدينة وقال الزرقاني على ثلاث وعشرين
ميلا أقول قد تنوسي هذا الموضع اليوم فلا يعرفه أحد على الحقيقة من
أهل تلك الناحية وعلى القول بأنها قرية فتكون قد خربت واندرثت بعد
ذلك حتى صارت الآن نسيا منسيا والله أعلم لكن قال الحلبي ان الذي
بالابواء قبر أمه على الاصح فلعل قائل ذلك اشتبه عليه الامر لانه يجوز أن
يكون صلى الله عليه وسلم يقول وهو بالابواء هذا قبر احدى أبوي انتهى
وقيل قبر أمه بالحجون بفتح المهملة وضم الجيم مقبرة أهل مكة ودفن عبد الله
في دار التابعة بالتاء المثناة فوق والباء الموحدة والعين المهملة كما في الزهر
الباسم وهو رجل من بني عدي بن النجار قال بعضهم وقد شاهدت مدفنه
بها ورأيت عليه صندوقا من خشب مصنوعا عليه كسوة خضراء فاخرة
وهو تحت سقف هناك ولديه مكان آخر مسقف مفروش معد لارتفاع
التاوين به أقول ويعرف ذلك المكان بزقاق الطوال بضم الطاء المهملة
انتهى وتعقبه بعضهم بقوله وقد اشتهر هذا القول عن رجل من المغاربة
أوما الى هذا المكان المعروف وقال هنا قبر والد النبي صلى الله عليه وسلم
فلا يعول عليه ولم نجده مسطرا في كتب ولم يرد فيه نص ولا دليل ولا قول
يعتمد عليه والمشهور انه مات بالمدينة الشريفة ودفن بمكان يقال له دار
النابغة بنون مفتوحة وباء مكسورة بعدها غين معجمة مفتوحة فهاء ولم
يعرف له قبر انتهى وهو وجيه لكن ما ذكره من الضبط مخالف لما عليه
الحلبي والزرقاني وغيرهما من أهل السير ويدل لما ذكر من كون عبد
الله توفي بالمدينة ودفن بدار التابعة ما جاء انه صلى الله عليه وسلم لما هاجر
الى المدينة ونظر الى تلك الدار عرفها وقال هنا نزلت بي أمي وفي هذه الدار
قبر أبي عبد الله وأحسنت العوم في بئر بني عدي بن النجار ومن هذا وما
جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم كان هو وأصحابه
يسبحون في غدير أي جحفة فقال النبي صلى الله عليه وسلم لاصحابه ليسبح كل

أحد الى صاحبه فسبح كل رجل الى صاحبه وبقي النبي صلى الله عليه وسلم
وأبو بكر فسبح النبي صلى الله عليه وسلم الى أبي بكر حتى اعتنقه وقال أنا
وصاحبي أنا وصاحبي وفي رواية أنا الى صاحبي صلعم وقول بعضهم وقد
سئل هل عام صلى الله عليه وسلم الظاهر لا لانه لم يثبت انه صلى الله عليه وسلم
عام في بحر ولا بالحرمين بحر انتهى وقد جاء في بعض الروايات ما يدل على ان
موت والده من علامات نبوته في الكتب القديمة ويذكر عن ابن عباس
انه لما توفي عبد الله قالت الملائكة صار نبيك بلا أب فبقي من غير حافظ
ومربي فقال الله تعالى أنا وليه وحافظه وحاميه وربه وعونه ورازقه
وكافيه فصلوا عليه وتبركوا باسمه وقيل لجعفر الصادق لم يتم النبي صلى الله
عليه وسلم قال لئلا يكون عليه حق لمخلوق ولا يرد عليه بقاء أمه حتى بلغ ستة
سنين أو أكثر لان تعلق الحقوق انما هو بعد البلوغ لكن يرد عليه بما
قاله الدميري انه ارتضع من حليمة وكان لها الفضل عليه في ذلك ولو عاش
أبوه وأمه حتى كبر لكان فضله عليهما انتهى وما أحسن قول بعضهم في يتمه
صلى الله عليه وسلم

أخذ الاله أبا النبي ولم يزل * برسوله الفرد الرؤف رحيما
نفسي الفداء لمفرد في يتمه * والدر أحسن ما يكون يتيما

وقال ابن العماد في كشف الاسرار انما رباه يتيما لان أساس كل صغير
كبير وعقبى كل حقير خطير ولينظر النبي صلى الله عليه وسلم اذا رجع
الى مدارج عزه الى أوائل أمره ليعلم ان العزيز من أعزه الله تعالى وان
قوته ليست من الآباء والامهات ولا من المال بل قوته من الله تعالى وأيضا
ليرحم الفقير والايتام انتهى وهذا أولى من قول بعضهم في حكمة يتمه
أن لا يجب عليه طاعة لغير الله تعالى وأن لا يكون عليه ولاية لغير الله
لما فيه ان الجد أب الاب كالاب تجب طاعته وله الولاية وقد جاء ارحموا
اليتامى وأكرموا الغرباء فاني كنت في الصغر يتيما وفي الكبر غريبا
قيل ﴿وكان﴾ عبد الله ﴿قد﴾ خرج من مكة الى المدينة ليمتار
تمرا أو لزيارة أخواله بها ولا مانع من قصد الامرين معا وقيل وهو الاثبت
خرج الى غزة في عير من عيران قريش تحملوا التجارة اليها ففرغوا من

تجارتهم وانصرفوا راجعين الى مكة فرجع معهم و ﴿ اجتاز ﴾ أي مر بالمدينة الشريفة وانصل ﴿ بأخواله بني عدي ﴾ أي أخواله بواسطة اذ هم في الحقيقة أخوال أبيه عبد المطلب لان هاشما تزوج من بني عدي فولدت له عبد المطلب وأما أخوال عبد الله فانما هم من قريش من بني مخزوم ﴿ من الطائفة ﴾ أي القبيلة ﴿ النجارية ﴾ المنسوبة الى تيم النجار قيل له النجار لانه اختتن بقدوم أي آلة النجار وقيل لانه نجر وجه رجل بقدوم ﴿ ومكث ﴾ أي لبث وأقام ﴿ فيهم ﴾ أي بينهم ﴿ شهرا ﴾ كاملا والشهر من الشهرة يقال شهره اذا أظهره وسمى الشهر شهرا لظهوره وأمره لان حاجات الناس داعية الى معرفته بسبب ديونهم واداء نسكهم وصومهم والشهرة ظهور الشئ وسمى الهلال شهرا لشهرته وظهوره وفي القاموس والشهر الهلال والقمر أو هو اذا ظهر وقارب الكمال والعدد المعروف من الايام لانه يشهر بالقمر جمعه اشهر وشهور ﴿ سقيما ﴾ أي مريضا حال من فاعل مكث وكانوا الشفقتهم عليه ومرضه يدا كراههم لما عليهم من حقوق الرحم ﴿ يعانون ﴾ بالعين المهملة من المعاناة وهي المقاساة كما في المختار أي يقاسون ﴿ سقمه ﴾ بضم السين وسكون القاف أو بفتحها أي مرضه بالمعالجة ﴿ و ﴾ يعانون ﴿ شكواه ﴾ أي ما يشكوه عليهم من آلامه الناشئة من شدة مرضه فكانوا يسعون له بما ينفعه من كل وجه من دواء وغيره رجاء ان يتعافى من سقمه و يعود الى وطنه وحرمه والله غالب على أمره فنقل روحه اليه في هذه البلدة الطيبة الشريفة فهنيئا له حيث صارت عرصته مدفنه مجاورا قد دفن ابنه زين الوجود وأشرف كل موجود من خلق الكريم الودود فلما قدم أصحابه مكة سألهم أبوه عبد المطلب عنه فقالوا خلفناه عند أخواله بني عدي بن النجار وهو مريض فبعث اليه أخاه الحارث وهو أكبر أولاد عبد المطلب فوجده قد توفي وقيل أرسل اليه شقيقه الزبير فشهد وفاته ﴿ ولما تم ﴾ أي كمل ﴿ من ﴾ أيام ﴿ حمله ﴾ أي حمل أمه به صلى الله عليه وسلم ﴿ على ﴾ القول ﴿ الراجح ﴾ من الاقوال الخمسة المختلفة في قدر مدة حمل امه صلى الله عليه وسلم حل

هي تسعة أشهر أو أقل أو أكثر كما حررها العلامة الشيخ ابراهيم الزبيدى
في منية ذوى الهمم في بيان تحرير الاقوال المتعلقة في أوقات مولده ومبعثه
واسرائه وهجرته ووفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي الاطوار الخمسة
المحمدية التى أشار بعض المحققين الى كونها جديرة بالاعتناء بها
لكونها أجل وأعظم ما وقع له صلى الله عليه وسلم من الاحوال العلية
﴿تسعة﴾ بالمثناة الفوقية ﴿أشهر﴾ كاملة نص أبو زكريا
ابن عائذ على أنه صلى الله عليه وسلم في بطن أمه تسعة أشهر كملا بتقديم الكاف
الميم أى كاملة وبهذا القول صدر مغلطاى قال في الغرر وهو الصحيح وهو
لا يظهر الا على القول بأنها حملت به صلى الله عليه وسلم في رجب وولدته في
ربيع الاول او الآخر من غير تعيين يوم الحمل والولادة لانه يمكن ان يقال
حينئذ على الاول ان الحمل به كان في أول يوم من رجب والولادة كانت
في آخر يوم من ربيع الاول واذا ما وافقت يوم الاثنين كما هو أحد الاقوال
الآتية في يوم الولادة انها يوم الاثنين من ربيع الاول هكذا من غير تعيين
ما مضى منه وأما على انها في ربيع الآخر فظاهر وأما على القول بأنها
حملت به في رجب وولدته في رمضان فلا يظهر الا أن يقال حينئذ ان الحكم
عليها بأنها كاملة حكم على غالبها والا فيلزم على القول الراجح بأن
الولادة يوم الاثنين ثاني عشر ربيع الاول ان يكون ابتداء الحمل في
جمادى الثاني مثلا ولم أقف على ذلك ولهذا عدل المصنف رحمه الله تعالى
﴿قمرية﴾ لعدم اقتضائه كون الاشهر كلها كاملة والقمر هو اسم للهلال
لكن بعد مضى ثلاثة أيام من أول الشهر وهو في غلاف من ماء فكل ليلة
يظهر منه شئ حتى يتكامل بدرا ثم يعود قليلا قليلا حتى يعود كالعرجون
القديم فيقطع الفلك في ثمانية وعشرين ليلة ثم يختفي حتى يطلع هلالا وهو
مخلوق من نور العرش قاله القرطبي في سورة يس وفيه احتراز عن الاشهر
الرومية والقبطية فان لها حسابا آخر مذكورا في محله من كتب الفن اذ
الاشهر القمرية هي أشهر السنة العربية ﴿وآن﴾ بالمد أى حان وقرب
﴿للزمان﴾ المعهود على الولادة النبوية وظهور الطلعة المحمدية ﴿أن
ينجلى﴾ أى ينكشف ما كان يعلوه بسبب قبائح الجاهلية من شنيع

الافعال وقطيع الاعمال التى كانوا عليها من عبادة الاوثان والاصنام وغيرذلك مما كانوا يعبدونها أمورا حسنة دينية الا الذين هداهم الله والهمهم لابتغاء مرضاته فتركوا ما كانوا عليه ومالوا الى الدين الحنيفى كزيد ابن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل وامرائهما ممن كان يطلب مطالبهما فكانوا اغيرهم من الجاهلية مخالفين كما يعلم ذلك الواقف على اخبارهم وقصصهم فى كتب المؤرخين حتى صار كالعطشان فى شدة الاشتياق الى ظهور ذاته المحمدية المصطفوية لنزول به صلى الله عليه وسلم ﴿منه﴾ أى الزمان ﴿صداه﴾ اى عطشه الناشئ له بسبب ما مر وفيه تشبيهه صلى الله عليه وسلم بالعذب جامع الحياة بكل ﴿حضر﴾ بالتذكير فيه للفصل بينه وبين فاعله المؤنث الحقيقى وهو جواب لما ﴿أمه﴾ آمنة ﴿ليلة مولده﴾ صلى الله عليه وسلم أى ليلة يوم ولادته اذ الصحيح انه ولد نهارا بعيد طلوع فجر يوم الاثنين ثانى عشر ربيع الاول كما يأتى ﴿آسية﴾ بالمد وكسر السين المهملة وتحتية مخففة فتوحدة من الاسى بمعنى الاسف أو الحزن بنت مزاحم قيل اسرائيلية وانها عمة موسى وقيل انها بنت عم فرعون وانها من العمالقة وهى امرأة فرعون ذات الفراسة الصادقة فى موسى حين قالت قرة عين لى ولك ومن فضائلها انها اختارت القتل على الملك وعذاب الدنيا على النعيم الذى كانت فيه وضرب الله بها المثل للمؤمنين اذ قالت رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة ونجنى من فرعون وعمله ونجنى من القوم الظالمين ومن عجيب أمرها انها لما تزوجها فرعون كرها وهم بها أخذه الله عنها فرضى بالنظر اليها فلم يصبها أبدا ﴿ومريم﴾ ابنت عمران التى أحصنت فرجها الآية الى غير ذلك من الآيات المنوهة بقدرها والمصرحة بعظيم فخرها فقيل انهما نبيتان بل قال القرطبى الصحيح ان مريم نبية لكن قال القاضى عياض الجمهور على خلافه وبعضهم نقل الاجماع على عدم نبوة النساء وهو الصحيح وجملة من اختلف فى نبوتهن ست هانان وحواء وسارة وهاجر وأم موسى واسمها يوحانذ وقيل مريم من ذرية سليمان على نبينا وعليه الصلاة والسلام وبينها وبينه أربعة وعشرون أبا والمشهور انها لم تتزوج اصلا وقيل انها تزوجت بابن عمها يوسف

النجار ولم يقربها ولما رفع عيسى عليه الصلاة والسلام كان سنها ثلاثا
وخمسين سنة تعلقت به وبكت فقال لها ان القيامة تجمعنا وبقيت بعد
ذلك خمس سنين أو ست سنين ﴿في﴾ أى مع ﴿نسوة﴾ بكسر النون
وضمها أى نساء من الحور العين أى أتراب ﴿من الحظيرة﴾ بفتح الحاء المهملة
وكسر الظاء المعجمة المثالة بعدها مثناة تحتية ﴿القدسية﴾ أى المقدسة
المطهرة عن جميع الاكدار الدنيوية وحظيرة القدس من أسماء الجنة
قال فى النهاية وفى الحديث لا يلج حظيرة القدس مدمن الخمر أراد بحظيرة
القدس الجنة وهى فى الاصل الموضع الذى يحاط عليه لتأوى اليه الابل
والغنم يقيها البرد والريح انتهى قال الزرقانى وأهل حكمة شهودهن كثرة
الحور له فى الجنة كما ان مريم وآسية من نسائه فى الجنة كما فى الحديث
انتهى ﴿وأخذها﴾ أى آمنة ﴿المخاض﴾ قال البيضاوى بفتح الميم
وكسرها مصدر مخضت المرأة اذا تحرك الولد فى بطنها للخروج وذكر
أبو سعيد النيسابورى فى شرف المصطفى ورواه عنه الحفاظ وسكتوا عليه
عن كعب الاحبار ورواه أبو نعيم عن ابن عباس ان آمنة كانت تقول
أتانى آت حين مر بى من حملى ستة أشهر فركضنى برجله وقال يا آمنة انك
حملت بخير العالمين فاذا ولدتيه فسميه محمدا واكتمى شأنك فكانت
تحدث عن نفسها وتقول أخذنى يوم الاثنين ما يأخذ النساء من الالم ولم
يعلم بى أحد من قرابتى وانى لوحيدة فى المنزل وعبد المطلب فى طوافه غائب
عنى فسمعت وجبة عظيمة وأمرا شديدا فهالنى ذلك فرأيت كأن جناح
طائر أبيض قد مسح على فؤادى فذهب عنى الروع من كل وجع كنت
أجده ثم التفت فاذا أنا بشربة بيضاء ظننتها لبنا وكنت عطشانة فتناولتها
فشربتها فأصابنى نور عال ثم رأيت نسوة كالنخل طوالا كأنهن من بنات
عبد مناف يحدقن بى فبينما أنا أتعجب وأقول واغوثاه من أين علمن بى
وفى رواية فقلن نحن آسية امرأة فرعون ومريم بنت عمران وهؤلاء من
الحور العين واشتد الامر وانى أسمع الوجبة كل ساعة أعظم وأكبر وأهول
مما تقدم فبينما أنا كذلك اذا بديباج أبيض قد مد بين السماء والارض
واذا قائل يقول خذوه عن أعين الناس قالت ورأيت رجالا قد وقفوا فى

الهواء

الهواء بأيديهم أباريق من فضة وأنا أترشح من عرق أطيب من ريح المسك الاذفر وأنا أقول ياليت عبد المطلب دخل علي قالت ثم نظرت فاذا أنا بقطعة من الطير قد أقبلت حتى غطت حجرتي مناقيرها من الزمرد وأجنحتها من الياقوت فكشف الله عن بصري فأبصرت في ساعتي تلك مشارق الارض ومغاربها ورأيت ثلاثة أعلام مضروبات علما في المشرق وعلما في المغرب وعلما على ظهر الكعبة قالت فأخذني المخاض واشتد بي الامر جدا وكأني مستندة الى نساء وكثرن علي حتى كأنهن معي في البيت ﴿ولدته﴾ أي آمنة أم النبي ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ حال كونه ﴿نورا﴾ أي ضياء لامعا ﴿يتلألأ﴾ أي يلمع ﴿سناه﴾ أي ضوءه وهو مقصور قال الله عز وجل يكاد سنا برقه يذهب بالابصار والسناء من الحسب ممدود قالت آمنة فلما خرج من بطني نظرت اليه فاذا هو ساجد قد رفع اصبعيه الى السماء كالمتضرع المبتهل ثم رأيت سحابة بيضاء قد أقبلت تنزل من السماء حتى غشيته فغيب عن وجهي برهة فسمعت مناديا ينادي وقائلا يقول طوفوا بمحمد مشرق الارض ومغاربها وادخلوه البحار كلها ليعرفه جميع من فيها باسمه ونعته وصفته وبركته ويعلمون انه سمي فيها الماحي لا يبقى شيء من الشرك الا محي في زمنه وتقدم عن كعب الاحبار ان الملائكة طافت بطينته لما أراد الله تعالى خلقه صلى الله عليه وسلم حول العرش والكرسي وفي السموات والارض والجبال والبحار فعرفت الملائكة وجميع الخلق محمدا صلى الله عليه وسلم ففي قول الزرقاني خصت الارض بذلك دون السماء لانها محل بعثته وظهور رسالته نظر وقالت ثم انجلت السحابة عنه في أسرع من طرفة عين فاذا به مندرج في ثوب صوف أبيض أشد بياضا من اللبن وتحته حريرة خضراء وقد قبض على ثلاثة مفاتيح من اللؤلؤ الابيض الرطب واذا بقائل يقول قبض محمد صلى الله عليه وسلم على مفتاح النصر وعلى مفتاح الذكر وعلى مفتاح النبوة انتهى وهو مما تكلم فيه وانما ذكرناه لشهرته في الموالد ولان أمره صلى الله عليه وسلم وشأنه فوق هذا فلا بأس بذكره قال بعض الحفاظ وأعجب منه قال غيره ولا عجب ما ذكره الخطيب عنها أيضا انها قالت رأيت سحابة أعظم

من الاول وامانور واسمع فيه اصهيل الخيل وخفقان الاجنحة وكلام الرجال حتى غشيته وغيب عنى اطول من المرة الاولى فسمعت مناديا ينادى طوفوا بمحمد جميع الارضين وعلى مواليد النبيين واعرضوه على كل روحانى الجن والانس والملائكة والطير والوحش واعطوه خلق آدم ومعرفة شيث وشجاعة نوح وخلة ابراهيم ولسان اسماعيل ورضاء اسحق وفصاحة صالح وحلم لوط وبشرى يعقوب وجمال يوسف وشدة موسى وصبر أيوب وطاعة يونس وجهاد يوشع وصوت داود وحب دانيال ووقار الياس وعصمة يحيى وزهد عيسى واغمسوه فى أخلاق النبيين وكان صلى الله عليه وسلم فى جميع ما ذكر اطول الا على مكانه معرفته لا تستقصى وشجاعته لا تحصر وحلمه لا تساويه خلة غير وفصاحته لا يدانيه فصاحة احد اعلم الناس باللغة العربية وأرضى الخلق بأمر ربه وبلغ من الحكمة والعلم مالا مضارع له فيه وكان بشرى يعقوب بسلامة ولده وقد بشر صلى الله عليه وسلم بامور كثيرة أشد الناس فى الدين والقوة وأيضا فاحواله فى الصبر لا ينضبطها الحصر وكان طاعة يونس لله من السبع وطاعة مصطفى لربه قبل السبع من وقت الرضاع وجهاد يوشع الجبابرة كان بعد موسى يوم الجمعة ووقفت له الشمس ساعة حتى فرغ من القتال وجاهد نبينا صلى الله عليه وسلم الجبابرة ببدر يوم الجمعة ونصره الله ثم استمر مجاهدا حتى توفاه الله واستمر الجهاد فى شرعه الى يوم القيامة وفاق داود عليه السلام فى الصوت ويوسف فى الحسن كما قال صلى الله عليه وسلم لم يبعث الله نبيا الا حسن الوجه حسن الصوت وان نبيكم أحسنهم وجها وأحسنهم صوتا ولله در العارف بالله الشيخ البوصيرى فى بردة المديح حيث قال

منزه عن شريك فى محاسنه * فجوهر الحسن فيه غير منقسم

ولم يفتتن به كيوسف لغلبة جلاله على جماله فلم يستطع احد ان يمعن النظر فيه عليه الصلاة والسلام لقوة مهابته ومزيد وقاره وقد عصمه الله من كل شئ من اول أمره الى آخر عمره وفاق كل زاهد كما يأتى تحقيق أكثر ذلك فى اماكنه من شرحنا هذا قالت آمنة ثم انجلت عنى فى أسرع وقت واذا به قد قبض على حريرة خضراء مطوية طيا شديدا ينبع من ذلك الحرير

ما يعجبني وإذا بقائل يقول قبض محمد على الدنيا كلها لم يبق خلق من أهلها إلا دخل طائعا في قبضته ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم القادر على ما يريد وفي رواية قالت ثم انجلت عني فإذا به قد قبض على حريرة خضراء مطوية طيا شديدا ينبع من تلك الحريرة ماء وإذا بقائل يقول بخ بخ قبض محمد على الدنيا كلها قالت ثم نظرت إليه وإذا به كالقمر وريحه يسطع كالمسك الأذفر ولا ينافيه ما يأتي في مبحث الشمائل عن أنس رضي الله عنه أن ظهور النفحات منه ظهر بعد الإسراء لأن هذا طيب ذاتي وذاك طيب مكتسب من العالم الأقدس والكامل يقبل الكمال وإذا بثلاثة نفر في يد أحدهم إبريق من فضة وفي يد الثاني طست من زمرد أخضر وفي يد الثالث حريرة بيضاء فنشرها فأخرج منها خاتما تحار أبصار الناظرين دونه فغسله من ذلك الإبريق سبع مرات ثم ختم بين كتفيه بالخاتم ولفه فرده إلي وقد يقال ما حكمة أصل غسله وقد ولد نظيفا مع أنه قد نزل كما يأتي وما حكمة كون الغسل سبعا وسيأتي في مبحث شق صدره الشريف في الرضاع وإخراج الأذى منه مرارا أن الرواية ضعيفة وعلى فرض صحتها فيحتمل أن يكون ذلك لمزيد الاعتناء بشأنه صلى الله عليه وسلم والمبالغة في تطهير جسده الشريف كما أن إخراج ذلك الأذى منه كان استقصاء لتنظيف جوفه ومبالغة واعتناء بشأنه صلى الله عليه وسلم وروى الحافظ ابن عائذ في كتابه المولد كما نقله عن الشيخ بدر الدين الزركشي في شرح بردة المديح عن ابن عباس لما ولد النبي صلى الله عليه وسلم قال في أذنه رضوان خازن الجنان أبشر يا محمد فما بقي لنبي علم إلا وقد أعطيته فأنت أكثرهم علما وأشجعهم قلبا * فائدة ذكر أن أم إمامنا الشافعي رأت وهي حامل به أن النجم المسمى بالمشتري خرج منها فوقع في مصر ثم وقع في كل بلدة منه شظية فتأول ذلك أصحاب الروايات بأنها تلد عالما يكون علمه بمصر أولا ثم ينتشر إلى سائر البلدان * ثم نقل المؤلف رحمه الله تعالى من القصيدة الهمزية البوصيرية ستة أبيات شبيهة لما تضمنته من الثناء الفخيم على المولد السني والمولود العظيم وفخار أمه صلى الله عليه وسلم على جميع نساء العالم مع تقديم وتأخير فيها للنكتة تعلمها في البيت الأخير وهي والله أعلم القطع بوت

الهنا الصبيح الخلق فقال ﴿ومحيا﴾ بضم الميم وفتح الحاء المهملة فمثناة
تحتية مشددة مقصور مرفوع بالعطف على فاعل حبذا السابق في البيت
الذي قبله وهو قد أي وحبذا وجه ﴿كالشمس﴾ متعلق بمحذوف صفة
اولى لمحيا وقوله ﴿منك﴾ حال منه وقوله ﴿مضيء﴾ صفة ثانية هذا هو
المتعين في اعراب البيت وأما تجويز بعضهم كون مضيء مبتدأ مؤخرا
وكالشمس خبرا مقدما وجعل منك صفة لمحيا كما يؤخذ من قوله أو حال منه
لتخصيصه بمنك اذ لا يتخصص به الا اذا كان صفة ففيه مع التكلف الذي
لا داعي اليه الفصل بين المبتدأ والخبر بأجنبي وهو منك الواقع صفة لمحيا لانه
ليس معمولا للمبتدأ الذي هو مضيء ولا للخبر الذي هو كالشمس وشاهد هذا
حديث البخاري عن الربيع بنت معوذ لو رأيته لقلت الشمس طالعة وحديث
أحمد والترمذي والبيهقي وابن حبان عن أبي هريرة رضي الله عنه ما رأيت
شيئا أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم كأن الشمس تجري في وجهه
وورد تشبيهه أيضا بالقمر في قول ابن أبي هالة يتلألأ وجهه تلألؤ القمر
ليلة البدر ولكل من الشبيهين وجه يرجحه على الآخر فوجه ترجيح التشبيه
بالقمر على التشبيه بالشمس ان القمر حسد يملأ بنوره الارض أحوج
ما كانت اليه ويؤنس كل من شاهده ويجمع النور من غير أذى ويتمكن
الناس من مشاهدته بخلاف الشمس فانها وان ملأ نورها الارض لكن
تغشي البصر من تمكن الرؤية اليها وأما وجه ترجيح التشبيه بها على التشبيه
بالقمر ان صفة الشمس من الاشراق والاضاءة وصفة القمر من الحسن
والملاحة ووجه الشبه مراعى وأيضا فنور الشمس ذاتي كنوره صلى الله
عليه وسلم فانه ذاتي أيضا بخلاف نور القمر فانه عرضي مكتسب من نور
الشمس وعلى هذا فالتشبيه بها مع رعاية وجه التشبيه بها أبلغ منه بالقمر قال
تعالى هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وشتان ما بينهما فعلم ان في
كل منهما البلاغة من جهته ﴿أسفرت﴾ صفة لمحيا أيضا او حال منه على
تقدير قد والرابط بين الصفة والموصوف على الاول وبين الحال وصاحبها
على الثاني الضمير المجرور بعن اى انحسرت وزالت وانقشعت وانكشفت
﴿عنه﴾ أي عن ذلك المحيا واضاءت متجاوزة عنه ﴿ليلة﴾ عظيمة

﴿غراء﴾ أى بيضاء بظهور نوره فيها وفى عقبها وهذا أولى من جعل كونها غراء من حيث ظهور القمر فيها بناء على انها ليلة ثانى عشر أو من حيث كونها من غرة الشهر أى أوله بناء على انها الليلة الثانية من الشهر وغرته ثلاث ليال لان كلا من هذين لا مدح فيه له صلى الله عليه وسلم بخلاف الاول من الغرة وهى بياض فى وجه الفرس فوق الدرهم فهى غرة ففيه اشارة الى أن تلك الليلة استنارت بنوره فكانت غرة فى وجه الدهر ثم أبدل منها قوله ﴿ليلة المولد﴾ على وزن مفعل بكسر العين لا غير مصدر ميمى بمعنى الولادة قال أبو الفضل فى شرحه المولد بالكسر زمن الولادة ومكانها انتهى وكلاهما غير مقصود هنا بل المقصود الاول ﴿الذى كان﴾ أى دام واستمر على حد قوله تعالى وكان الله غفورا رحيما وهى ناقصة ﴿للدين﴾ خبرها وهو لغة الجزاء واصطلاحا الشرع المبعوث به صلى الله عليه وسلم وحد أيضا بأنه وضع الهى سائق لذوى العقول باختيارهم المحمود الى ما هو خير لهم فى معاشهم ومعادهم ﴿سرور﴾ اسمها أى فرح عظيم ﴿بيومه﴾ أى فى يومها أو كان السرور بنفس اليوم من حيث الولادة فيه واضاف ذلك اليوم للمولد دون ذاته مبالغة فى زيادة عظمته لان ذلك اذا وقع لظرفه التابع له فكيف بذاته واليوم هو من طلوع الشمس الى غروبها كما عند الفلكيين ونحوهم او من طلوع الفجر كذلك كما عند الشرعيين فالخلاف فى المبدأ ﴿وازدهاء﴾ وأصله ازتهاء من الزهو اعنى التكبر والفخر ووقعت تاء الافتعال وهى من الحروف الرخوة بعد زاى شديدة فتنافرتا فابدلت دالا ثم ابقيت بلا ادغام ويجوز ادغامها بعد قلبها زايا والزاى دالا فى الاخرى وقد شبه الدين على طريق الاستعارة المكنية بمن يأتى له ان يسر ويفرح وخيل له بالسرور ووجه ورود صلى الله عليه وسلم موارد الاظهار على الدين كله وانطاقه الشرف وتوشحه وشاح الاستقامة الى يوم القيامة بشهادة لا تزال طائفة من أمتى الحديث فالمعنى لما كانت هذه الليلة الغراء هى ليلة ولادتك وأنت أشرف مولود سر الدين وأهله اليوم الذى برزت فيه الى هذا الوجود على الوجه الاكمل وافتخر به على سائر الاديان والايام واستقام ذلك الى يوم القيامة أى الى قربها لما

قيل من انه يفقد الدين ولا يوجد له أثر قبل النفخة الاولى بمائة وعشرين
سنة ﴿مولد﴾ عظيم بالجر بدل من المولد والرفع خبر مبتدأ محذوف
﴿كان﴾ أى صار على الدوام ﴿منه﴾ أى من أجله أو من لابتداء
الغاية ﴿فى طالع﴾ أهل ﴿الكفر﴾ الذى يطلع به على ما يحل بهم من
نحس أو رؤيا أو غيرهما مما هو المراد بالطالع وقيل المراد به غير ذلك ﴿وبال﴾
أى هم وغم عظيم ﴿عليهم﴾ أى على أهله الذين هم الفرس بدليل السياق
أو أعم بدليل الواقع ﴿ووباء﴾ بقصر ويمد لغة وان كان المد متعينا هنا
للوزن وهو المرض الشديد العام ويقال هو كثرة الموت بغير سبب بخلاف
الطاعون فانه الموت بسبب طعن الجن للانس وفى قوله وبال ووباء الجناس
اللاحق وهما كنايتان عما اعترى لهم بوجوده من اشراف ملكهم على
الزوال وعما حل بهم من البوار والوبال والهوان ﴿يوم﴾ قال فى المنح بدل
من مولد ويرد عليه انه اعرب مولد الثانى بدلا من المولد الاول أو خبرا
مبتدؤه محذوف فعلى الاول يلزم عليه البدل من البدل وفيه ما فيه فيتعين
البدلية فى يوم على كون مولد الثانى خبر مبتدأ محذوف وهو اسم زمان
﴿نالت﴾ أى أعطيت ﴿بوضعه﴾ أى بسببه آمنة ﴿ابنت وهب﴾ بن
عبد مناف الساب ﴿من﴾ بيانية ﴿فخار﴾ على وزن سلام التمدح
بالخصال العلية والشيم المرضية ﴿مالم تنله النساء﴾ حتى حواء وهذا
لا يقتضى افضليتها على حواء الا من حيث انها ولدته بلا واسطة والاخواه
أفضل منها للاختلاف فى ايمانهما وفى نجاتهما وان كان الصحيح بل
الصواب بل الواجب القول بهما كما مر بخلاف حواء لان الاجماع قام
على ايمانها الكامل بل قيل بنبوتها ﴿و﴾ يوم ﴿أتت﴾ آمنة ﴿قومها﴾
اسم جمع للذكور كما فى شرح الاشمونى على الخلاصة آخر باب جمع
التكسير فما فى المنح من انه اسم جنس جمعى ويدخل فيه النساء تبعا
كما هنا وقيل انه خاص بالذكور لظاهر قول الشاعر

وما أدرى وسوف اخال أدرى * أقوم آل حصن أم نساء

﴿بأفضل﴾ أى مولود أفضل بالاجماع ﴿مما﴾ أوقع ما على ذات العالم
وهو عيسى عليه السلام وان كانت فى الاصل موضوعة لغير العالم على قول

بعض أئمة اللغة خلافا للاكثرين فانها عندهم موضوعة له ولغيره كما قال في التلويح ملاحظة لصفة غير مفهومة من الصلة من كونه مولودا أو نحوه على سبيل المجاز لانه لما كان الملحوظ فيه ذلك وهو من غير العالم كانت كأنها مستعملة في غير العالم ونظير ذلك قوله تعالى فانكحوا ما طاب لكم من النساء الآية والمعنى انكحوا الموصوفة بأى صفة اردتم من البكر والثيب الى غير ذلك من الاوصاف وتقييد الصفة بغير المفهومة مما ذكر لدفع ما يرد من ان كل موصول استعمل في العالم نحو جاءني من قام ملحوظ فيه الصفة المفهومة من صلته لوجوب ملاحظة الصلة فقول بعضهم بعد ذكر الآية اى الطيب فيه نظر لما علمته والتعبير بالعالم أولى من التعبير بالعاقل لانه لا يشمل البارى تعالى مع ورود اطلاقها عليه تعالى كقول بعضهم سبحان ما سخركن لنا ﴿قد أتت﴾ به وفي نسخة حملت ﴿قبل﴾ أى قبل آمنة ﴿مريم﴾ ابنة عمران الصديقة بنص القرآن كما مر ﴿العذراء﴾ اى البكر لانها لم تتزوج على ما مر والعذرة بضم العين البكارة وتطلق أيضا على معان منها الناصية وهى الخصلة من الشعر وقلفة الصبى والشعر على كاهل الفرس ﴿وتوالت﴾ أى تتابعت ﴿بشرى﴾ أى بشارة ﴿الهواتف﴾ للناس جمع هاتف وهو ما يسمع هتفه أى صوته وقيل صوته الخفى ولا يرى شخصه والمراد هنا أعم من ذلك لان البشارة به صلى الله عليه وسلم جاءت فى ألسنة الاحبار والكهان والجان كما استوعبه أهل السير وجمع اكثره ابن ظفر فى كتابه البشر بخير البشر وقد تقدم نزر يسير من ذلك ومنها أيضا ما جاء انه حين ولد صلى الله عليه وسلم هتف هاتف على الحجون بفتح الحاء جبل بأعلى مكة

فاقسم ما أنثى من الناس انجبت * ولا ولدت انثى من الناس واحده
كما ولدت زهرية ذات مفخر * مجنبة لوم القبائل ماجده

وهتف آخر على أبى قبيس بأربعة أبيات فيها معنى ذلك وزيادة ومنها ان سواد بن قارب الدوسى لما قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وحسن اسلامه اخبره ان رئيه انشده ابياتا ثلاث ليال متوالية وذكرها للنبى صلى الله عليه وسلم فيها حث سواد بن قارب على المجىء الى رسول الله صلى الله

عليه وسلم والايمان به وتعظيم قدره ﴿أو﴾ أي بما يتعلق ببشرى
﴿بمولد المصطفى﴾ أي المختار من الخلق كلهم ﴿وحق﴾ بفتح الحاء
أي ثبت قال الله تعالى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين أي
ثبتت أو بضمها وهو مأخوذ من الحق وهو من أسمائه تعالى ومعناه الذي
لا ينكر الثابت أزلا وأبدا والذي يقابل الحق الباطل لانه جدير
بالثبوت كما أن الباطل جدير بالزهوق انتهى من شرح منهاج البيضاوي
لابن السبكي ﴿الهناء﴾ أي الفرح والسرور والكل الملائم به قال الله
تعالى وما أرسلناك الا رحمة للعالمين فقد علم من هذا أن الذي له وما
مر ذكره من الروايات سابقا ولاحقا أن البشارات به صلى الله عليه
وسلم كانت مستمرة من حين ... في الكتب السماوية حتى في
الجنة قبل خلق آدم عليه السلام * فائدة * ذكر بعضهم ان الى ... وقع في
غير ما يتعلق بالمصطفى عليه الصلاة والسلام فانه سمع يوم موت امام الحرمين
رحمه الله تعالى من الجن ... في البيت وهما

يا دهر بع رتب المعالي بعده * بيع الكساد ربحت أم لم تربح
قدم وأخر من تشاء من الورى * مات الذي قد كنت منه تستحي

وقد خمسها ابن عطاء الله فقال

تلك الزمان بما وأظهر جده * وعدا يجار ساو ... حده
ورمى عزيزا كان يحرز عده * يا دهر بع رتب المعالي بعده
بيع الكساد ربحت أم لم تربح
دمعي على فقد الأحبة قد جرى * يوم الفراق فلا تسل عما جرى
يا دهر قد حكمت فاعدل ما ترى * قدم وأخر من تشاء من الورى
مات الذي قد كنت منه تستحي

﴿هذا﴾ معمول لفعل محذوف والتقدير اعلم هذا ولا تفرط في شيء منه
وقد وقع فيه الانتقال من أسلوب الى آخر كما ... ﴿و﴾ لا يخفى على
الذائقين المتشوقين لمعرفة ... ذكر أوصاف سيد المرسلين ان
... كل محب صادق
اذ ... ذكره غير واحد من العلماء أنه ﴿قد استحسن القيام﴾

اى عندنا وحكم باستحبابه وندبه شرطا ﴿عند﴾ اى لدى وصول القارئ للمولد الى ﴿ذكر مولده﴾ أى ولادته صلى الله عليه وسلم ﴿الشريف﴾ أى الذى له شرف ومزية على ولادة غيره ممن ولد من الانبياء والمرسلين فضلا عن غيرهم من سائر الخلق أجمعين لما اشتمل عليه من الآيات العجيبة والخوارق الغريبة ﴿أئمة﴾ أى طائفة من العلماء العاملين المقتدى بهم و بأمثالهم فى الدين ﴿ذوو﴾ بواوين أى اصحاب ﴿رواية﴾ بكسر الراء أى نقل عمن يقتدى به كالصحابة والتابعين والمجتهدين ﴿و﴾ ذوو ﴿روية﴾ بفتح الراء وكسر الواو وشد المثناة تحت أى فكر وتدبر ونظر وتأمل فيما أخذوها على الوجه الاتم وشاهد ما تقرر من استحسان جماعة من الائمة الاعلام للقيام الشريف مولد سيد الانام عليه من الله العظيم أفضل الصلاة والسلام ما ذكره بعض المحققين من انه جرت العادة بأنه اذا ساق الوعاظ والمداح مولده صلى الله عليه وسلم وذكروا وضع أمه له صلى الله عليه وسلم قام أكثر الناس عند ذلك تعظيما له صلى الله عليه وسلم وهذا القيام بدعة لا اصل لها لكنها بدعة حسنة لاجل التعظيم ولذا قيل بندبها كما تقدم اذ البدعة تنقسم الى واجبة والى مستحسنة أى مندوبة والى غيرهما من بقية الاحكام الخمسة كما ذكره الاصوليون وغيرهم وما أحسن قول الامام البليغ حسان زمانه ابى زكريا يحيى الصرصرى الحنبلى رحمه الله تعالى فى بعض قصائده النبويه

قليل لمدح المصطفى الخط بالذهب * على فضة من خط أحسن من كتب
وان تنهض الاشراف عند سماعه * قياما صفوفا وجثيا على الركب
أما الله تعظيما له كتب اسمه * على عرشه يارتبة سمت الرتب

وقد اتفق أن منشدا أنشد هذه القصيدة فى ختم درس شيخ الاسلام بقية المجتهدين الاعلام تقى الدين السبكى رحمه الله تعالى وكان القضاة والاعيان مجتمعين عنده فلما وصل المنشد الى قوله وان تنهض الاشراف عند سماعه الى آخر البيت نهض الشيخ فى الحال قائما على قدميه امتثالا لما ذكره الصرصرى وقام الناس كلهم وحصلت ساعة تجل عظيمة ذكر ذلك ولده التاج السبكى فى ترجمته من طبقاته قال بعضهم و يكفى ذلك فى الاقتداء

والعمل بعمله فانه كان من كبار الائمة واساطين الامة فعمل مثله حجة أى
حجة ينتفع بها العامل الحجة ﴿فطوبى﴾ هى اسم الجنة وقيل اسم شجرة
فيها واصلها فعلى من الطيب قلبت ياؤه واوا للضم ما قبلها قاله الفراء وقال
وفيها لغتان تقول العرب طوباك وطوبى لك واختلف المفسرون فى معنى
قوله تعالى طوبى لهم وحسن مآب فروى عن ابن عباس أن معناه فرح
وقرة عين وقال عكرمة نعم ما لهم وقال الضحاك غبطة لهم وقال قتادة
حسنى لهم وعن قتادة أيضا اصابوا خيرا وقال ابراهيم خير لهم وكرامة وقال
ابن عجلان دوام الخير وقيل الجنة وقيل شجرة فيها وكل هذه الاقوال محتملة هنا
أيضا وقد جاء لفظ طوبى فى أحاديث كثيرة منها قوله صلى الله عليه وسلم
طوبى لمن بات حاجا وأصبح غازيا رجل ذو عيال متعفف قانع باليسير من الدنيا
يدخل عليهم ضاحكا ويخرج منهم ضاحكا والذى نفسى بيده انهم هم
الحاجون الغازون فى سبيل الله عز وجل أخرجه الديلمى فى مسند الفردوس
عن ابى هريرة رضى الله عنه وأخرج أيضا عن عبد الله بن حنطب طوبى
لمن رزقه الله الكفاف ثم صبر عليه ومنها طوبى لمن تواضع فى غير منقصة وذل
نفسه فى غير مسكنة وأنفق من مال جمعه فى غير معصية وخالط اهل العلم
والحكمة ورحم اهل الذل والمسكنة طوبى لمن ذل نفسه وطاب كسبه
وحسنت سريرته وكرمت علانيته وعزل عن الناس شره طوبى لمن عمل
بعلمه وأنفق الفضل من ماله وأمسك الفضل من قوله أخرجه البخارى
فى تاريخه عن ركب المصرى ومنها طوبى شجرة فى الجنة مسيرة مائة عام ثياب
اهل الجنة تخرج من أكمامها أخرجه ابن حبان فى صحيحه واحمد فى مسنده
عن ابى سعيد ومنها طوبى شجرة غرسها الله بيده ونفخ فيها من روحه تنبت
بالحلى والحلل وان أغصانها لترى من وراء سور الجنة أخرجه ابن جرير عن
قرة بن اياس ومنها طوبى شجرة فى الجنة لا يعلم طولها الا الله يسير الراكب
تحت غصن من أغصانها سبعين خريفا ورقها الحلل يقع عليها الطير كأمثال
البخت ثم على انها اسم الجنة او شجرة فيها فهو مبتدأ خبره ما بعده وأما على
انها من الطيب فهو بدل من اللفظ بفعله وهو طاب والاصل طاب من كان الخ
وعلى كل فيحتمل انه اخبار وانه دعاء ثم الاولى أن يكون الاول هو المقصود

هنا وعليه فأى فالجملة حالية ﴿ان﴾ أى لشخص ﴿كان تعظيمه﴾ أى النبى ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ وشرف وكرم ﴿غاية﴾ أى نهاية ﴿مرامه﴾ بفتح الميم اسم مفعول من رام بمعنى طلب او مصدر ميمى بمعنى اسم مفعوله ﴿و﴾ غاية ﴿مرماه﴾ بفتح الميم وسكون الراء ما يقصد بالرمى فشبه تعظيمه صلى الله عليه وسلم بالمرمى بجامع الاعتناء والقصد فى كل فان الرامى مثلا يعتنى غاية الاعتناء بأن لا يخطئ سهمه فيصيب ما رامه فيجب على كل مسلم مؤمن بالله ورسوله أن يجعل تعظيمه صلى الله عليه وسلم نصب عينيه و يعتنى به غاية الاعتناء حتى تصل همته العلية المشبهة بسهم الرامى الى ما هو قاصده وهو تعظيمه صلى الله عليه وسلم بحيث لا يكون فوقه شئ غير تعظيم الله تعالى كيف لا وقد عظمه الله تعالى وشرفه وفضله على من سواه من جميع الخلق وقربه لديه وحباه بكمال حبه وأرسله رحمة للعالمين صلى الله عليه وسلم مادامت السموات مع الارضين

﴿عطر اللهم قبره الكريم بعرف شذى من صلاة وتسليم اللهم صل وسلم و بارك عليه﴾

ولما فرغ المصنف رحمه الله تعالى من ذكر حمله صلى الله عليه وسلم وذكر بعض ما كان فيه وقبله و بعده شرع الآن يتكلم على أحوال ولادته صلى الله عليه وسلم فما بعدها من نشأته ورضاعه وغيرهما مما ستسمعه ان شاء الله تعالى فيما يلى عليك من نحو بعثته وهجرته وصفته فقال ﴿وبرز صلى الله عليه وسلم﴾ أى ظهر فى هذا الوجود حال كونه ﴿واضعا﴾ ومعتمدا على ﴿يديه﴾ كاتمهما ﴿على الارض﴾ وحال كونه ﴿رافعا رأسه﴾ الشريف ﴿الى﴾ جهة ﴿السماء العلية﴾ ناظرا اليها نظرا حقيقيا كما يعلم من حديث عطاء وابن عباس الآتى قريبا وحال كونه ﴿مومیا﴾ بميم مضمومة وهمزة ساكنة وقد تبدل واوا تخفيفا فياء تحتية فى آخره مبدلة من همزة اسم فاعل اومأ أى مشيرا ﴿بذلك الرفع الى سودده﴾ أى سيادته ﴿و﴾ الى ﴿علاه﴾ أى علو شأنه ﴿و﴾ حال كونه ﴿مشيرا﴾ أيضا ﴿الى﴾ اظهار ﴿رفعة﴾ بكسر الراء أى ارتفاع ﴿قدره﴾ العظيم بأنه يرتفع و يعلو فى الدنيا والآخرة ﴿على﴾ قدر

﴿سائر﴾ من السؤر بضم السين واسكان الهمزة هنا بمعنى باقي لا بمعنى
جميع كما توهمه بعضهم والا لدخل نفسه حينئذ ولا يقال انه صلى الله عليه
وسلم ارفع قدرا على نفسه وسيأتي كلامهم في السائر في مبحث الشمائل
﴿البريه﴾ بتخفيف الراء المهملة وشدة المثناة تحت أي الخلق من انس
وجن وملك وانه يصل الى مراتب علية لا يصلها أحد حتى خواص الانبياء
والرسل ﴿و﴾ مشيرا أيضا الى ﴿انه﴾ صلى الله عليه وسلم هو
﴿الحبيب﴾ لله سبحانه وتعالى على وجه لا يشاركه فيه أحد والمحبة اصلها
الميل الى ما يوافق المحب ولكن هو في حق من يصح منه الميل والانتفاع
بالوفق وهي درجة المخلوق وأما الخالق تعالى فمنزه عن الاغراض فمحبته
لعبده تمكينه من سعادته وعصمته وتوفيقه وتهيئة أسباب القرب اليه
وافاضة رحمته اليه وقصواها كشف الحجب عن قلبه حتى يراه بقلبه وينظر
اليه ببصيرته واساه الذي ينطق به فهي أعم من الخلة اذ الخلة هي تخلل
العبد في الصفات الالهية بحيث لا يشذ شيء منها عنه فالخلة خاصة والمحبة
عامة واختلفوا في تفضيلهما فقال جماعة ان المحبة أفضل وقال جماعة ان
الخلة أفضل ويؤيد الاول حديث البيهقي في شعب الايمان عن أبي هريرة
رضي الله عنه اتخذ الله ابراهيم خليلا وموسى نجيا واتخذني حبيبا ثم قال
وعزتي وجلالي لأوثرن حبيبي على خليلي ونجيي أي وعلى غيرهما من الانبياء
والمرسلين وحديث سلمان عند ابن عساكر قال هبط جبريل على النبي
صلى الله عليه وسلم فقال ان كنت اتخذت ابراهيم خليلا فاعلم اني قد
اتخذتك حبيبا وما خلقت خلقا أكرم علي منك ولقد خلقت الدنيا
وأهلها لأعرفهم كرامتك ومنزلتك عندي ولولاك ما خلقت الدنيا
فالانبياء عليهم الصلاة والسلام وان كانوا فائزين بمحبة الله تعالى اياهم الا
انهم لم يصلوا لدرجة محبته اياه صلى الله عليه وسلم فكل ما لواحد منهم من
المزايا من جهة الله تعالى يجتمع فيه صلى الله عليه وسلم على الوجه الاكمل
الاشمل فقد اجتمع فيه من المزايا ما تفرق في غيره وان كان التحقيق ان
أفضليته صلى الله عليه وسلم ليست لمزاياه التي اختص بها وانما أفضليته
تفضيل من الله تعالى وبما تقرر علم ان مقام المحبة في حق نبينا صلى الله

عليه

عليه وسلم أرقى من مقام الخلة فى حق غيرنبينا رقول بعضهم لا مانع من ان يوجد فى المفضول مالا يوجد فى الفاضل يرد بانه قد صح فى حديث المعراج عن أبى يعلى انه قال له ربه اتخذتك خليلا وحبيبا فثبت انه خليل كابراهيم وزاد كونه حبيبا وعلى تسليم ان مقام الخلة أرقى من مقام المحبة فنقول ان محبة الله تعالى فى حقه بمقام الخلة فى حق غيره وقول ابن القيم وهو ممن قال باكملية الخلة وجهل من قال بخلافه ان الخلة هى نهاية المحبة دليل لما ذكرته لانه صلى الله عليه وسلم فى أعلى طبقات المحبة عند الله فبهذا الاعتبار هى أعظم من الخلة بدليل الايثار المذكور فى الحديث السابق وأما خلة الله فى حقه صلى الله عليه وسلم فلا يساويها الا خلته ولا محبته فى حق غيره من الانبياء وغيرهم وكيف لا وهو ﴿الذى حسنت﴾ حسنا كاملا لم يشاركه فيه أحد ﴿طباعه﴾ الكريمة ﴿وسجاياه﴾ الفخيمة جمع سجية بمعنى الطبيعة أيضا فهو من عطف المرادف مراعاة للتسجيع قال صلى الله عليه وسلم بعثت لاتمم مكارم الاخلاق وشاهد ما ذكره المصنف رحمه الله تعالى ما رواه ابن سعد من حديث جماعة منهم عطاء وابن عباس ان آمنة قالت لما فصل منى تعنى النبى صلى الله عليه وسلم خرج معه نور اضاء له ما بين المشرق والمغرب ثم وقع على الارض معتمدا على يديه ثم أخذ قبضة من التراب قال فى النعمة الكبرى اشارة الى انه يملك الارض كلها وانه ينثر التراب يوم بدر وغيره على وجوه أعدائه فيكون سببا لهزيمتهم وهلاكهم انتهى قالت فقبضها ورفع رأسه الى السماء فبلغ ذلك رجلا من لهب فقال لصاحبه انجه لئن صدق الفأل ليغلبن هذا المولود أهل الارض وفى رواية عن ابن سعد مرسلة لما ولد صلى الله عليه وسلم وقع على كفيه وركبتيه شاخصا ببصره الى السماء ووقع فى اثناء حديث رواه ابن حبان فى صحيحه ان أمه آمنة قالت ثم وضعته فما وقع كما تقع الصبيان وقع واضعا يديه بالارض رافعا رأسه الى السماء وفى رفع بصره صلى الله عليه وسلم الى السماء فى تلك الحالة كما قاله العلامة الشمس الجوجرى رحمه الله تعالى اشارة وايماء الى رفع شأنه وعلو قدره وانه يسود الخلق أجمعين وكان هذا أول فعل وجد منه صلى الله عليه وسلم فى أول ولادته وفيه اشارة وايماء لمن تأمل ات

جميع ما يقع له من حين بولده الى حين يقبض صلى الله عليه وسلم مما يدل عليه ذلك الفعل فانه صلى الله عليه وسلم لا يزال متزايد الرفعة فى كل وقت وحين على الشأن على المخلوقات أجمعين فى الدنيا والآخرة ولله در الامام البوصيرى رحمه الله حيث أشار الى ذلك فى قصيدته الهمزية المحمدية بقوله

رافعا رأسه وفى ذلك الرفع الى كل سودد ايماء
رامقا طرفه السماء ومرمى * عين من شأنه العلو العلاء

وفى رفع رأسه صلى الله عليه وسلم الى السماء اشارة وايماء الى كل سودد وانه لا يتوجه قصده الا الى جهة العلو دون غيرها مما لا يناسب قصده وروى الطبرانى انه لما وقع الى الارض وقع مقبوضة أصابع يده مشيرا بالسبابة كالمسبح بها وسبقت رواية ام المؤمنين ... نظرت اليه فاذا هو ساجد قد رفع أصبعيه الى السماء كالمتضرع المبتهل قال بعض أهل الاشارات لما ولد عيسى عليه الصلاة والسلام قال انى عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبيا فاخبر عن نفسه بالعبودية والرسالة ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم وقع ساجدا وخرج معه نور اضاء له ما بين المشرق والمغرب وقبض قبضة من تراب ورفع رأسه الى السماء فكانت عبودية عيسى عليه الصلاة والسلام بالقال وعبودية محمد صلى الله عليه وسلم بالفعال ورسالة عيسى عليه السلام بالاخبار ورسالة محمد صلى الله عليه وسلم بالانوار وفى قوله ورسالة عيسى بالاخبار الخ نظر لان الانوار عبارة عن المعجزات التى هى سبب فى ثبوت الرسالة عند ادعائها ولا بد منها لكل رسول عيسى وغيره فليست رسالة عيسى بالاخبار مجردا عن الانوار بل هو مصحوب بها كما قص علينا ذلك فى الكتاب العزيز حيث قال تعالى حكاية عنه انى قد جئتكم بآية من ربكم انى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا باذن الله الآية وأيضا فمرجع الرسالة على الآية التى تكلم بها عند الولادة غير ظاهر اذ لم يصرح بها فى الآية وأيضا فرسالة نبينا صلى الله عليه وسلم ليست بالانوار وحدها بل بالانوار والاخبار فكل منهما رسالته بالانوار والاخبار وفى سجوده صلى الله عليه وسلم عند وضعه اشارة الى ان مبدأ أمره على القرب قال تعالى واسجد واقترب وقال صلى الله عليه وسلم أقرب

ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فحال عيسى عليه الصلاة والسلام يشير الى مقام العبودية وحال محمد صلى الله عليه وسلم يشير الى مقام القرب من الحضرة الالهية كما قيل في هذا المعنى

لك القرب من مولاك يا أشرف الورى * وأنت لكل المرسلين ختام
وأنت لنا يوم القيامة شافع * وأنت لكل الانبياء امام
عليك من الله الكريم تحية * مباركة مقبولة وسلام

وخرج أبو نعيم في الدلائل من حديث عبد الرحمن بن عوف عن أمه الشفا بنت عمرو بن عوف قابلة آمنة قالت لما ولدت آمنة بنت وهب محمدا صلى الله عليه وسلم وقع على يدي فاستهل فسمعت قائلا يقول رحمك الله ورحمك ربك وهذا الاينافي ما تقدم عن آمنة انها قالت ولم يعلم بي أحد من قرابتي واني لوحيدة في المنزل لامكان حضورها بعد ذلك ولا ما تقدم آنفا عن ابن سعد من حديث جماعة منهم عطاء وابن عباس من انه وقع على الارض معتمدا على يديه لامكان حصول الامرين على التعاقب قالت الشفا فاضاء لي ما بين المشرق حتى نظرت الى بعض قصور الشام وفي لفظ قصور الروم ثم البسته وانجعته فلم انشب ان غشيتني ظلمة وقشعريرة عن يميني فسمعت قائلا يقول أين ذهبت به قال الى المغرب واسفر ذلك عني ثم عاودني الرعب والظلمة والقشعريرة عن يساري فسمعت قائلا يقول أين ذهبت به قال الى المشرق قالت فلم يزل الحديث مني على بال حتى ابتعثه الله يوم الاثنين فكنت في أول الناس اسلاما وقولها فاستهل أي صاح وعليه فقول القائل رحمك الله ليس تشميتا بل تعظيما لقدره وحمله بعضهم على العطاس مع الاعتراف بانه لم يكن في شيء من الاحاديث تصريح بانه صلى الله عليه وسلم لما ولد عطس بقرينة قول القائل أي الملك رحمك الله لما استقر من شرعه الشريف انه لا يسن التشميت الالمن حمد الله وقد جاء ان العاطس اذا حمد الله فشمتوه وان لم يحمد الله فلا تشمتوه فلعله صلى الله عليه وسلم حمد الله تعالى بعد عطاسه فشمته الملك ومن لطيف ما اتفق ان الخليفة المنصور وشي عنده في بعض عماله فلما حضر عنده عطس المنصور فلم يشمته ذلك العامل فقال له المنصور ما منعك من التشميت فقال انك لم تحمد الله فقال حمدت الله

في نفسي فقال قد تمت لك في نفسي فقال له ارجع الى محلك فانك لم تنادني ولا تنادي غيري ويدل لما مر ما روى انه حين خروجه من بطن أمه قال الحمد لله كثيرا فقيل له على العطاس فانه قريب بكمل القائل على الثالث والا فالاستهلال صياح المولود أول ما يولد وقد أشار الى التشميت صاحب الهمزية بقوله

شمته الاملاك اذ وضعته * وشفتنا بقوله الشفاء

وذكر ابن سبع في الخصائص ان مهده صلى الله عليه وسلم كان يتحرك بتحريك الملائكة وان أول كلام تكلم به ان قال الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وروى الواقدي انه قال حين ولادته جلال ربي الرفيع ولا مانع من تكرار ذلك حين خروجه وحين وضعه في المهد وانه زاد بعد قوله والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا كما في رواية فحينئذ يكون تكلمه صلى الله عليه وسلم حين خروجه من بطن أمه لم يشاركه فيه غيره من الانبياء الا الخليل والا فوجد خلاف تكلمه في المهد على انه يجوز ان يكون المراد بالتكلم في المهد التكلم في صغر أوان الكلام وهو صلى الله عليه وسلم من جملة من تكلم في المهد وان كان صلى الله عليه وسلم عدهم ولم يذكر نفسه معهم وقد أشار الجلال السيوطي رحمه الله تعالى الى جملة من تكلم في المهد بقوله

تكلم في المهد النبي محمد * وعيسى ويحيي والخليل ومريم
ومبرى جريج ثم شاهد يوسف * وطفل لدى الاخدود يرويه مسلم
وطفل عليه مر بالامة التي * يقال لها تزني ولا تتكلم
وماشطة في عهد فرعون طفلها * وفي زمن الهادي المبارك يختم

وزاد بعضهم فقال

وزاد أم نوح ابن مسعود بعده * ومثلهما موسى الكليم المعظم
ووجدتهم أمش سيرة الشامي

وبنت محي الدين قدس سره * وأعني به العربي فتلك تتم

وزاد بعضهم ادريس * تنبيه * يجمع بين الروايات السابقة بان وقت ولادته صلى الله عليه وسلم وقع منه جميع ما ذكر فمرة قبض بيده التراب ومرة وقع

على كفيه وركبتيه شاخصا ببصره الى السماء وتارة وضع يديه رافعا رأسه الى السماء وتارة قبض أصابع يده أو يديه مشيرا بالسبابة او بالسبابتين وتارة روى ساجدا وتارة جاثيا على ركبتيه كما فى رواية وتارة قاعدا على حريرة بيضاء وقيل خضراء وفى تفسير ابن مخلد ان ابليس لعنه الله رن أى صوّت بحزن وكان له أربع رنات رنة حين لعن ورنة حين أهبط ورنة حين ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ورنة حين أنزلت عليه صلى الله عليه وسلم فاتحة الكتاب قال فى انسان العيون وقد اشار صاحب الاصل الى الرنة التى كانت عند ولادته بقوله

لمولده قد رن ابليس رنة * فسحقا له ماذا يفيد رنينه

وعن عطاء الخراسانى لما نزل قوله تعالى ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما صرخ ابليس صرخة عظيمة اجتمع بها جنوده من أقطار الارض قائلين ماهذه الصرخة التى افزعتنا قال أمر نزل بى لم ينزل قط أعظم منه قالوا وما هو فتلى عليهم الآية وقال لهم فهل عندكم من حيلة قالوا ماعندنا من حيلة فقال اطلبوا فانى سأطلب قال فلبثوا ماشاء الله ثم صرخ فى أخرى فاجتمعوا اليه وقالوا ماهذه الصرخة التى لم نسمع مثلها الا التى قبلها قال هل وجدتم شيئا قالوا لا قال لكنى قد وجدت قالوا وما الذى وجدت قال أزين لهم البدع التى يتخذونها دينا ثم لا يستغفرون الله أى لان صاحب البدع يراها يجعلها حقا وصوابا ولا يراها ذنبا حتى يستغفر الله منها وعن الحسن قال بلغنى ان ابليس قال سولت لامة محمد المعاصى فقطعوا ظهرى بالاستغفار فسولت لهم ذنوبا لا يستغفرون الله منها وهى الاهواء أى البدع وعن عكرمة ان ابليس لما ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأى تساقط النجوم قال أى لجنوده لقد ولد الليلة ولد يفسد علينا امرنا فقال له جنوده لو ذهبت اليه فخبلته فلما دنى من رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث الله جبريل عليه السلام فركضه برجله ركضة وقع بعدن وقال النصير الطوسى فى شرح الاشارات فى الحديث مامن مولود يولد من بنى آدم الا ولد ومعه قرينه من الشيطان فقيل وأنت يارسول الله قال وأنا ذلك الا ان الله أعاننى عليه فأسلم بفتح الميم وهى رواية صحيح البخارى فأسلم

الشيطان قال القاضي بعد قوله فأسلم يعني القرين انه انتقل عن حال كفره الى الاسلام فصار لا يأمر الا بخير كالملك وهو ظاهر الحديث انتهى ويؤيده ما في الوفاء عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم قال فضلت على آدم بخصلتين كان شيطاني كافرا فأعانني الله عليه حتى أسلم وكان أزواجي عونا لي وكان شيطان آدم كافرا وكانت زوجته عونا له على خطيئته وقد أشار الى ذلك الصرصري رحمه الله بقوله

في خصلتين فوق آدم فيهما * وهما لاهل الحق واضحتان
شيطان آدم كافر يغوي وقد * وصلت هدايته الى الشيطان
وله زوجة عون عليه وانه * بسلامة قد كان خير معان

ونقل الشيخ محمد الشامي في سيرته عن المطلع ما أسلم من الشياطين الا شيطانان شيطان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وشيطان نوح عليه السلام قال الشهاب الخفاجي وقال بعضهم بل سائر الانبياء على هذا المنوال بغير انتهى وفيه نظر لتصريحه في الحديث السابق بكفر شيطان آدم ومنهم من أنكر هذه الرواية وقال الرواية الصحيحة فأسلم أي بضم الهمزة وضم الميم ومعناها ان الله أعانني عليه حتى أسلم من شره فان الشيطان لا يسلم قط انتهى قال القاضي عياض في الشفاء وصحح بعضهم هذه الرواية ورجحها أي على الرواية الاولى ثم اعلم ان الامة مجتمعة على عصمة النبي صلى الله عليه وسلم من الشيطان وعدم تسلطه عليه في جسمه بانواع الاذى وفي خاطره بالوساوس لانه اذا أخبر بسلامته من قرينه القريب منه اللازم له فسلامته من البعيد عنه غير اللازم له من باب أولى وقد جاءت الآثار بتصدي الشياطين له في غير موطن رغبة في اطفاء نوره واذ حال شغل عليه اذ تسوروا من قوله هاتفا واخذوا بحاشيتي قال الحلبي وهذا أي عدم قربه من نبينا محمد صلى الله عليه وسلم يجوز أن يكون في خصوص ابليس ولا ينافي ما تقدم عن الحافظ ابن حجر ان عدم ارتضاعه صلى الله عليه وسلم في ليلتين بوشع عفريت من الجن يده في فيه على تسليم صحته انتهى وقد يقال هذا ينافي ما تقدم من اجماع الامة على عصمته من الشيطان وعدم تسلطه عليه في جسمه وخاطره الا ان يحمل كلامهم في عدم القرب والتسلط الى

جسمه وشاطره على ما بعد النبوة وفي عدم القرب والتسلط الى خاطره على ماقبل النبوة وعلى كلا الحالين فهم قد يئسوا من اغوائه صلى الله عليه وسلم ولم يكن لهم الى ذلك سبيل ﴿ودعت﴾ بتخفيف الدال المهملة أى أرسلت تدعو ليواف في رواية ابن اسحق الآتية ﴿أمه﴾ صلى الله عليه وسلم بعد ولادته جده ﴿عبد المطلب﴾ بن هاشم الجد الاول لرسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿وهو يطوف بما تيك﴾ أي بما يشار اليه للبعيد تنويها على بعدها وعلو شأنها في الشرف والعظم على سائر الاماكن اذ ذاك فقول بعضهم نزلها منزلة القريب لقربها من القلوب المؤمنة حتى كأنها فيها كامنة كغيرها من سائر المحبوبات من شعائر الله سبحانه فيه نظر اذ لا يؤتى بالاشارة لقريب الا بدون الكاف ﴿البنية﴾ بفتح الموحدة وكسر النون وتشديد التحتية أي الكعبة المبنية بامر الله تعالى للاشكة فمن بعدهم من عمارها وقد بنيت الكعبة مرارا عديدة يأتي بيانها ان شاء الله تعالى في محله ولها أسماء أخرى يأتي ذكرها ان شاء الله تعالى ﴿فأقبل﴾ منها عليها حال كونه ﴿مسرعا ونظر اليه﴾ أى الى ابن ابنه محمد صلى الله عليه وسلم نظر محب مشتاق الى محبوبه الغائب ﴿وبلغ من السرور﴾ أي الفرح به صلى الله عليه وسلم حال مقدم على صاحبها وهو ﴿مناه﴾ بضم الميم وتخفيف النون فقول بعضهم بيان له فيه ماتقدم من ان البيان لا يتقدم على مبينه والمراد ما كان يتمناه من اقرار عينه بولد لاحب اولاده اليه وأكرمهم عليه ابنه عبد الله سيما وقد كان مبشرا بعظمة هذا المولود الاعظم وجلالة قدره الافخم صلى الله عليه وسلم وروى انه لما جاء البشير الى جده عبد المطلب بولادة آمنة له صلى الله عليه وسلم سر بذلك سرورا عظيما وقام مع من كان معه من اشراف قومه حتى دخل عليها وكانت وضعته تحت برمة كفأتها عليه كما هو عادتهم فيمن ولد من قريش وأرادت أن يكون جده أول من يراه فوجدت البرمة قد انفلقت عنه فلقتين واذا هو قد شق بصره ينظر الى السماء فأخبرت أمه جده عبد المطلب بما رأت حين حملت به وما قيل لها فيه فقال احفظيه فاني ارجو أن يصيب خيرا وفي رواية قالت أمه صلى الله عليه وسلم الولد قد وضعت عليه جفنة بفتح الجيم فانفلقت عنه فلقتين

قال في انسان العيون وهذا مما يؤيد انه صلى الله عليه وسلم ولد ليلا وعن ابن
عباس رضي الله عنهما قال كان في عهد الجاهلية اذا ولد لهم مولود من تحت
الليل وضعوه تحت الاناء لا ينظرون اليه حتى يصبحوا فلما ولد صلى الله عليه
وسلم وضعته تحت برمة وزاد في لفظ ضخمة والبرمة القدر فلما أصبحوا أتوا
البرمة فاذا هي قد انفلقت ثنتين وعيناه الى السماء فتعجبوا من ذلك وعن
آمنة انها قالت لو وضعت عليه الاناء فوجدته قد انفلق الاناء عنه وهو يمص
ابهامه يشخب أي يسيل لبنا وفي رواية ان عبد المطلب هو الذي دفعه
للنسوة ليضعنه تحت الاناء ويؤيده رواية ابن اسحاق قال ان أمه لما ولدته
ارسلت الى جده وكان يطوف في البيت تلك الليلة انه قال ولد لك غلام فجاء
اليها فقالت له يا أبا الحارث ولد لك مولود له أمر عجيب فتعجب عبد المطلب
فقال أليس بشرا سويا قالت نعم ولكن سقط ساجدا ثم رفع رأسه
واصبعيه الى السماء فأخرجته له ونظر اليه فأخذه وأم به أشرف محل من
بلده حتى وصل به الى المسجد الحرام قال ﴿وأدخله الكعبة﴾ الكعبة هذا
الاسم المأخوذ من التكعيب بمعنى الارتفاع او الارتباع لكونها مرتفعة
أو مربعة وهي أشرف من كل ما سواها من الارض حتى المدينة المنورة
ما عدا ما ضم الاعضاء الشريفة ومواضع اجساد الانبياء على نبينا وعليهم
الصلاة والسلام ﴿الغراء﴾ بفتح الغين المعجمة وشد الراء المهملة أي
النيرة الارجاء قال ﴿وقام﴾ أي عبد المطلب حينئذ منتصبا على قدميه حال
كونه ﴿يدعو﴾ الله تعالى ﴿بخلوص﴾ أي مع اخلاص ﴿النية﴾
بتشديد التحتية الخالصة من الخبطات راجيا من الله تعالى استجابته وانه
يؤمنه ﴿ويشكر الله تعالى﴾ ويثني عليه بانواع الثناء ﴿على ما﴾ أي
الجميل الذي ﴿من﴾ بتشديد النون أي أنعم ﴿به عليه و﴾ ويشكره
ايضا على ما ﴿اعطاه﴾ أي أنعم عليه من ايجاد هذا المولود السعيد
الاكرم فعطفه على ما قبله تفسيرا اذ العطية هي المنة قال ابن اسحاق ثم
خرج به الى أمه فدفعه اليها قال في انسان العيون وبه يظهر التوقف في
قول ابن دريد أكفأت عليه جفنة لئلا يراه احد قبل جده فجاء جده والجفنة
قد انفلقت عنه الا ان يقال يجوز أن يكون جده اخذه بعد انفلاق الجفنة

ثم دخل به الكعبة ثم بعد خروجه من الكعبة دفعه اليها والاسوة ليضعنه تحت جفنة اخرى الى أن يصبح فانفلقت تلك الجفنة الاخرى حتى لا ينافى ذلك ما تقدم عن امه فوجدت الاناء قد انفلق وهو يمص ابهامه انتهى قال بعض أهل الاشارات فى انفلاق البرمة عنه صلى الله عليه وسلم اشارة الى ظهور أمره وانتشاره وانه يفلق ظلمة الجهل ويزيلها ﴿و ولد﴾ النبى ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ حال كونه ﴿نظيفا﴾ أى ليس عليه من اقذار الولادة شئ كما ورد عن أمه انها قالت ولدته نظيفا ما به قذر قال الحلبى أقول لم يصاحبه قذر ولا بلل فلا ينافى جواز وجود البلل والقذر بعده أى فى زمن امكان النفاس فلا يستدل بذلك على ان أمه صلى الله عليه وسلم لم تر نفاسا فان النفاس عندنا هو البلل الحاصل بعد الولادة فى زمن امكانه لا الحاصل مع الولد انتهى ملخصا وفيه نظر اذ اللائق بعظيم شأنه انه لم يكن معه فى الرحم شئ من الاقذار حتى يخرج بعده وحال كونه أيضا ﴿مختونا﴾ من الختن بالمعجمة والفوقية الساكنة وهو قطع القلفة بضم القاف وسكون اللام التى تغطى حشفة الذكر وبعض الجلدة التى فى أعلى فرج الانثى ويسمى ختان الرجل اعذارا بالعين المهملة والذال المعجمة وختان المرأة خفاضا بالخاء المعجمة المكسورة والفاء والضاد المعجمة قال النووى رحمه الله تعالى الختان واجب عند الشافعى وكثير من العلماء وسنة عند مالك وأكثر العلماء أى ومنهم أبو حنيفة رضى الله عنه وهو عند الشافعى واجب على النساء والرجال انتهى وذهب بعض أصحابه الى انه واجب فى حق الرجال سنة فى حق النساء والمعتمد ما ذهب اليه الشافعى ثم الصحيح من مذهبنا ان الختان جائز فى حال الصغر ليس بواجب وعليه الجمهور ولنا وجه انه يجب على الولى ان يختن الصغير قبل بلوغه ووجه انه يحرم ختانه قبل عشر سنين والصحيح انه لا يجب الختان الا بعد البلوغ والصحيح انه يستحب أن يختن المولود فى اليوم السابع من ولادته وهل يحسب يوم الولادة من السبع أم يكون سبعة سواه وجهان أظهرهما يحسب كما فى الاعلام بشرح الالمام وهو الذى صححه النووى فى شرح مسلم فى خصال الكفرة وهو ظاهر قوله فى المنهاج حيث قال و يندب تعجيله

في سابعه والراجح من الوجهين ندب وقوع الختان في اليوم الثامن وهو
الاصح في الزوائد ونكت التنبيه قال بعضهم انه المعتمد وجزم به اليمني وحكاه
المستظهري عن الاكثرين وأقروه وفي المهمات انه المنصوص المفتى به ولا
يبعد أن يقال ان ولد المولود في أول اليوم حسب أي يوم الولادة فيكون
الختان في السابع او في آخره أي آخر اليوم فلا يكون الختان في الثامن
وشاهد ما ذكره المصنف رحمه الله تعالى ما رواه الطبراني وغيره من طرق
عن أنس من كرامتي على ربي اني ولدت مختونا ولم ير احد سوأتي والمراد بقوله
مختونا أي على صورة المختون اذ هو القطع ولا قطع هنا لان الله تعالى يوجد
على تلك الهيئة من غير قطع فيحمل الكلام على المجاز باعتبار انه على صفة
المقطوع لعلاقة المشابهة في الصورة وحال كونه أيضا ﴿مقطوع السر﴾
بضم السين ما تقطعه القابلة من سرة الصبي وقد جاء في لغة سرر بفتح السين
وكسرها مع تكرار الراء ومنه قوله صلى الله عليه وسلم النفساء يجرها ولدها
بسررها الى الجنة وجمعه اسرة كما في القاموس وقد وقع في نسخة مقطوع
السرة بزيادة تاء آخره كما في المواهب وقال شارحه الزرقاني الاولى حذف
التاء اذ السر بالضم ما تقطعه القابلة من سرة الصبي كما في النهاية وغيرها الا
أن يكون سمى السر سرة مجازا لعلاقة المجاورة او فيه حذف أي مقطوع
منه ما يتصل بالسرة لان السرة لا تقطع وانما هي الموضع الذي قطع منه
السر وذلك على الاصح ﴿بيد القدرة﴾ الباهرة ﴿الالهية﴾ فقد ورد
عن العباس رضي الله عنه ولد النبي صلى الله عليه وسلم مختونا مسرورا أي
مقطوع السر ففرح به جده وقال ان لابني هذا شأنا وحال كونه أيضا
﴿طيبا﴾ بكسر المثناة التحتية مشددة أي يسطع ريحه كالمسك الاذفر كما
تقدم في رواية وحال كونه أيضا ﴿دهينا﴾ أي مدهونا أي كأنه مدهون
لرونق جسمه وليونته ونعومته وحال كونه أيضا ﴿مكحولة بكحل﴾ بضم
الكاف وسكون المهملة لا بفتحها ﴿العناية﴾ الربانية ﴿عيناه﴾
الكريمتان ﴿وقيل﴾ لم يولد مختونا بل ختنه جبريل عليه السلام حين
كان عند مرضعته حليمة السعدية وشق صدره الشريف وطهر قلبه
وختمه بخاتم النبوة وقيل بل ﴿ختنه﴾ [illegible] او بأمره بالربي

﴿جده﴾ عبد المطلب ﴿بعد﴾ مضى ﴿سبع ليال سويه﴾ أى مستوية من كون كل ليلة منها كاملة من أولها الى آخرها وهذا صريح فى أن الختان كان فى اليوم الثامن ففى نظر بمضهم فى قوله بعد سبع ليال نظر ورواية كذوله غيره ختنه فى سابع ولادته حتى يقتضى خلاف الراجح من وقوع الختان فى اليوم الثامن كما زعم بل طرفا كلامه أعنى بعد وسويه يبعدان ذلك كل البعد سواء قلنا ان الولادة كانت ليلا أم قلنا انها كانت نهارا وانها فى طلوع فجر يوم الاثنين كما هو الصحيح وعليه جرى المصنف رحمه الله كما سيأتى لانه يكون حينئذ أول الليالى السبع التى كان الختان بعد مضيها يوم الثلاثاء وآخرها يوم الاثنين فيكون الختان يومئذ فى ثامن يوم الولادة الذى ندب على الراجح المعتمد أن يكون الختان فيه كما مر بيان ذلك قريبا وذلك أن العرب كانوا يختتنون لانه سنة توارثوها من ابراهيم واسماعيل لا لمجاورة اليهود وقد حصل من الاختلاف فى ختانه ثلاثة أقوال أرجحها الاول وبه جزم ابن الجوزى وقال الخيضرى هو الارجح عندى وادلته مع ضعفها أمثل من ادلة غيره ولانه فى حقه صلى الله عليه وسلم غاية الكمال لان القلفة قد تمنع كمال النظافة والطهارة واللذة أو جدير به مكملا سالما من النقائص والمعائب ولان الختان من الامور الظاهرة المحتاجة الى فعل آدمى تخلق سليما منها لئلا يكون لاحد عليه منة وبهذا الاثر العلقة التى أخرجت بعد شق صدره لان محلها القلب ولا اطلاع عليه للبشر فأظهره الله على يد جبريل عليه السلام ليتحقق الناس كمال باطنه انتهى ملخصا وفى قوله قد تمنع كمال النظافة والطهارة نظر لان فضلات الانبياء طيبة طاهرة بل قيل انه كان يشم من المحل الذى يقضى فيه حاجته رائحة كرائحة المسك وان لم ير ما يخرج منه لما قيل من أن الارض كانت تبتلعه فكانت الرائحة من الاثر لا من العين وليس هذا من خصائصه صلى الله عليه وسلم كما قال ابن القيم فان كثيرا من الناس ولد مختونا وقال الحافظ ان العرب تزعم أن الغلام اذا ولد فى القمر فسخت قلفته فيصير كالمختون وفى الوشاح لابن دريد قال ابن الكلبى بلغنى أن آدم ولد مختونا واثنى عشر نبيا من بعده خلقوا مختونين آخرهم محمد صلى الله عليه وسلم ثم عدهم وذكر اسماءهم وزاد محمد بن حبيب

أربعة فجملتهم ستة عشر نظمهم الحافظ السيوطي في قلائد الفوائد فقال

وسبعة مع عشرة قد رووا اختلفوا * وهم ختان خذ لازلت مأنوسا

محمد آدم ادريس شيث ونوح سام هود شعيب يوسف موسى

لوط سليمان يحيى صالح زكريا وحنظلة الرسي مع عيسى

وماذكر في سام على سبيل التغليب لانه ليس بنبي على الصحيح ولا حجة في أثر الكلبي لانه مقطوع مع انه متروك متهم بالوضع واما ابراهيم عليه الصلاة والسلام فقد اختتن كما في الصحيحين بالقدوم بفتح القاف وتخفيف الدال عند أكثر رواة البخاري قال النووي ولم يختلف فيه رواة مسلم وقيل تشديدها وأنكره يعقوب بن شيبة وعلى الاول فالمراد به الفأس كما في رواية ابن عساكر والاصيلي وعلى الثاني المكان الذي وقع فيه الختان وهو قرية بالشام وأنكره النضر بن شميل وقيل بالعكس والذي في القاموس جواز اطلاق الضبطين على كل منهما والراجح أن المراد الآلة لحديث ابي يعلى أمر ابراهيم بالختان فاختتن بقدوم فاشتد عليه فأوحى اليه عجلت قبل أن نأمرك بآلته قال يارب كرهت أن أؤخر أمرك وقال الحافظ ابو نعيم قد يتفق الامران فيكون قد اختتن بتلك الآلة في ذلك الموضع * لطيفة * قال القطب الشيخ أحمد المتولي رحمه الله تعالى ونفعنا ببركاته أنه أخبرتني امرأة من الصالحات من أهل حارة خيط العنقبة باب الحرق انها ولدت احد عشر ولدا ذكرا نزلوا من بطنها مختونين وذلك ضحى يوم الثلاثاء ثالث عشرين رجب عام تسعمائة وسبعين وتسعة كذا وجدته بخطه بهامش كتاب * فائدة * أول من اختتن من الرجال ابراهيم عليه الصلاة والسلام كما ان هاجر أول من اختتن من النساء كما في القلائد المشحون ﴿وأولم﴾ أى صنع حين تلك حضره وليمة وهي تقع على كل دعوة تتخذ لسرور حادث كنكاح وختان وغيرهما والاشهر استعمالها عند الاطلاق في النكاح وتقيد في غيره فيقال وليمة الختان وغيره ويقال لطعام الختان اعذار وقول بعضهم والانسب وصنع مأدبة لان الوليمة ما يصنع للعرس والمأدبة ما يصنع للختان وهم لان المأدبة اسم لما يصنع بلا سبب كما صرح به العلامة محمد بن شمس الدين الحجازي الانصاري في كتابه مرشد السائل في تصحيح المسائل

وضيير واحد قال فى المصباح أدب أدبا من باب ضرب صنع صنيعا ودعا الناس اليه قال واسم الصنيع المأدبة بضم الدال وفتحها وقال فى الاعذار الاعذار طعام يتخذ لسرور حادث ويقال هو طعام الختان خاصة وهو مصدر سمى به يقال اعذر اعذارا اذا صنع ذلك الطعام ومثله فى القاموس وغيره فقول الزرقانى فى شرح المواهب المأدبة اسم لطعام الختان كما أفاده القاموس والمصباح مهو ومنه فان قلت لو عبر المصنف وغيره بالاعذار لكان أولى وانسب لان القصد الطعام الطعام لختانه كما يفيده ما رواه بعض الحفاظ بسنده الى ابن عباس ان عبد المطلب ختنه يوم سابع ولادته وجعل له مأدبة وسماه محمدا قلت لا يفيد ذلك لان الضمير فى له للنبى صلى الله عليه وسلم أى للفرح بظهوره صلى الله عليه وسلم ويؤيده ما روى انه لما ولد صلى الله عليه وسلم أمر عبد المطلب بجزور فنحرت ودعا رجالا من قريش فحضروا وأطعموا وفى بعض الكتب كان ذلك يوم سابعه فلما فرغوا من الاكل قالوا ما سميته قال سميته محمدا الحديث ثم قرينة سياق الاول أعنى حديث ابن عباس تفيد ذلك ويرد انه لو كان لذلك لقال وصنع اعذارا او صنع مأدبة للختان مثلا دفعا للتردد فى جعله لختانه أو لظهور الفرح والسرور به صلى الله عليه وسلم ثم رأيت بعضهم قد جزم بما ذكرناه وقال أى واطعم القوم الذين حضروا ذلك الطعام الذى صنعه لهم قصد الاظهار الفرح والسرور والبشرى بظهور سيد أهل الدنيا والاخرى صلى الله عليه وسلم ماحد احادى السرى انتهى وللوليمة أسباب ذكرها العلماء وبلغوها نحو عشرة نظمها بعضهم فقال

عشر تحب من الولائم يافتى * من يحصها قد عز فى أقرانه
فالخرس ان نفست كذا العقيقة * للطفل والاعذار عند ختانه
ولحفظ قرآن وآداب لقد * قالوا الحذاق لحذقه وبيانه
ثم الملاك لعقده ووليمة * فى عرسه فاحرص على اعلانه
وكذاك مأدبة بلا سبب يرى * ووكيرة لبنائه لمكانه
ونقيعة لقدومه ووضيمة * من أقرباء الميت أو جيرانه

الولائم مستحبة وآكدها وليمة العرس والاجابة فرض عين فى وليمة العرس

وسنة في غيرها وقد نقل النووي كابن عبد البر الاجماع على وجوب الاجابة
الى وليمة العرس عند توفر الشروط التي بلغت عشرة تزيد منها ان يعم
وان لا يخص الاغنياء وان يعينه بالدعوة وان يكون الداعي حرا رشيدا
مكلفا مسلما على الاصح وان يخص باليوم الاول على المشهور وان لا يسبق
والا قدم السابق وان لا يكون ثم من يتأذى بحضوره من منكرا وعدو
أو غيرهما وان لا يكون له عذر وغير ذلك من الشروط وضبطها الماوردي
بما يلاحظ في ترك الجماعة وليس المراد بالتعميم ان يعم الناس جميعا
بالدعوة لان هذا غير ممكن بل الشرط ان لا يظهر منه قصد التخصيص واما
عند عدم تمكنه فلا يظهر التخصيص ﴿والمطعم ومعطاه محمدا﴾ صلى الله
عليه وسلم اما لما رأته أمه صلى الله عليه وسلم في المنام حين قيل لها اذا وضعتيه
فسميه محمدا او حدثته به او لرؤيا رآها كأن سلسلة من فضة خرجت من
ظهره لها طرف بالسماء وطرف بالارض وطرف بالمشرق وطرف
بالمغرب ثم عادت كأنها شجرة على كل ورقة منها نور واذا أهل المشرق وأهل
المغرب يتعلقون بها فعبرت له بمولود يكون من صلبه يتبعه أهل المشرق
والمغرب ويحمده اهل السماء والارض أو بالهام له من الله تعالى ولا مانع
من وقوع التسمية منهما بذلك فيكون سمته أمه مرة وجده مرة
كل ذلك ليطابق تسميته به قبل فقد صح ان آدم رأى اسم محمد مكتوبا على
العرش وان الله تعالى قال لآدم لولا محمد ما خلقتك كما تقدم وورد عن ابن
عباس رضي الله عنهما انه قال لما ولد صلى الله عليه وسلم عق عنه عبد المطلب
بكبش وسماه محمدا فقيل له يا أبا الحارث ما حملك على ان تسميه محمدا ولم
تسمه باسم آبائه فقال أردت أن يحمده الله في السماء ويحمده الناس في
الارض وقد حقق الله رجاءه كما سبق في علمه سبحانه وتعالى والحمد لله
﴿واكرم مثواه﴾ بفتح الميم وسكون الثاء أي مقامه وهو كناية عن
اكرامه صلى الله عليه وسلم فمن اكرامه اياه ما ذكره الجلال السيوطي في
خصائصه الكبرى انه كان يوضع لعبد المطلب فراش في ظل الكعبة
لا يجلس عليه أحد من بنيه اجلالا له وكان صلى الله عليه وسلم يأتي حتى
يجلس عليه فيذهب اعمامه يؤخرونه أي اجلالا لجده فيقول جده دعوا

ابني عباس فسمع ظهره وبقول ان لابني هذا الشأنا انتهى وفي رواية ان لولدي هذا الشأنا عظيما وفي أخرى دعوا ابني يجلس عليه فانه يحس من نفسه بشيء وارجو أن يبلغ من الشرف مالم يبلغه عربي قبله ولا بعده وكان عبد المطلب عند الجدب والقحط يستسقي به صلى الله عليه وسلم فيسقون ببركته وكان يبعثه في مهم حاجاته فلا يبعثه في حاجة قط الا أنجح فيها

﴿عطر اللهم قبره الكريم بعرف شذي من صلاة وتسليم اللهم صل وسلم وبارك عليه﴾

ولما فرغ المصنف رحمه الله تعالى من ذكر المولد الشريف وتوابعه وبعض ما يتعلق به شرع يتكلم أيضا على بعض ما يتعلق به من الخوارق والغرائب التي وقعت تلك الليلة وذلك اليوم اذهي أخص ما يتعلق بالمولد النبوي وحيث كان الامر كذلك لزم ان نذكر حقيقة الخارق وثبوته ثم أقسامه فنقول اعلم ان الخارق فعل من أفعال الله يفعله على خلاف عادته المستمرة في خلقه قال في المواقف فعل الله اوما يقوم مقامه من التروك قال وقولنا أو ما يقوم مقامه ليتناول التعريف ما اذا قال أنا أضع يدي على رأسي وانتم لا تقدرون عليه ففعل وعجزوا فانه لا فعل لله ثمة فان عدم خلق القدرة فيهم على ذلك الوضع ليس فعلا صادرا عنه تعالى بل عدم صرف ومن جعل الترك وجوديا بناء على انه الكف حذفه لعدم الحاجة اليه قال شارحه الشريف الجرجاني وفي كلام الآمدي ان الخارق ان كان الترك عدميا كما هو أصل شيخنا فالخارق هنا هو عدم خلق القدرة فلا يكون فعلا وان كان وجوديا كما ذهب اليه بعض أصحابنا فالخارق هنا هو خلق العجز فيهم فيكون فعلا فلا حاجة الى قولنا او ما يقوم مقامه انتهى قال جدنا المحقق السيد محمد بن رسول البرزنجي في شرح الخارق بعد سوقه ما ذكرناه اقول ومن هنا عبر المحققون بقولهم أمر بدل فعل قال وانكر قوم جواز خرق العادة وقالوا انه محال عقلا وان تجويزه سفسطة ولو جوزناه لجاز انقلاب الجبل ذهبا وماء البحر دما ودهنا وأواني البيت رجالا ويولد هذا الشيخ من غير أب أو أم دفعة ويكون من أظهر المعجزة غير من ادعى النبوة بأن ينعدم المدعي عقب دعواه ويوجد مثله في آن اعدامه وان

يكون الشخص الذي يتقاضى الدين غير الذي عليه ولا يخفى ما فيه من الخبط
والاخلال بالقواعد المتعلقة بالنبوة واحكام الشريعة ويختل نظام المعاش
والمعاد ثم قال بعد ان ذكر ما أجاب به عنهم أئمتنا في كتب الكلام وأقول
من المعلوم المقرر ان الوقوع يستلزم الامكان فوقوع الخوارق في كل عصر
يبطل دعوى الاستحالة ويثبت الامكان فان الوقوع وراء الامكان فبطل
دعواهم الاستحالة وان الامكان لا يستلزم الوقوع لعدم وقوع الممكنات
بأسرها فلا يلزم من امكان الخارق ثبوت الاحتمالات التي أوردوها في
لزوم الاخلال بقواعد الشريعة لان الاصل بقاؤها على منوال العادة
وعدم تغييرها استنادا الى العادة المستمرة فلا يترك ذلك الاصل بمجرد
الاحتمال الناشئ عن القول بالامكان فتجويز الاخلال بمجرد الاحتمال
سفسطة في المقال والله التوفيق الملك المتعال انتهى هذا وقد علمت
حقيقة الخارق وثبوته وبطلان دعوى استحالته وان وقوعه ممكن في كل
وقت وأما أقسامه فكثيرة تأتي على أنواع شتى حصرها العلماء في ستة
أقسام • أولها الارهاص وهو ما وقع من الخوارق قبل زمان دعوى النبوة
تأسيسا لها فما وقع لنبينا صلى الله عليه وسلم من الخوارق قبل البعثة النبوية
كشق صدره الشريف وتسليم الحجر عليه وميل فيء الشجر اليه ونحوها
من هذا القسم • ثانيها المعجزة وهو ما يظهر على يد مدعي النبوة سواء كان
بتحد او دونه اذا كان موافقا المراده فما وقع منها له صلى الله عليه وسلم بعد
البعثة مع التحدي كانشقاق القمر ونحوه او بدونه كحنين الجذع ونبع
الماء ونحوهما معجزة لانه كان موافقا لمراده وهو دعوى الرسالة وهذان
القسمان قد فرغ منهما لانه لا نبي بعد سيدنا صلى الله عليه وسلم ثبت ذلك
بالكتاب والسنة والاجماع القطعي الضروري فكل من ادعى النبوة
بعده صلى الله عليه وسلم وجب قتله ولا يتوقف في شأنه وكل ما وجد من خارق
على يد مدعي النبوة بعده صلى الله عليه وسلم بفرض وقوع ذلك منه فاستدراج
ان كان على وفق مراده والا فاهانة • ثالثها الكرامة وهو ما يظهر على يد
مدعي الولاية مع اتصافه بالاستقامة ومتابعة السنة متابعة كاملة قال
دعوى الولاية فانه لا كرامة الا مع كمال متابعة الشريعة ومن هنا قالوا ان

كل كرامة لولى فهي معجزة لنبيه لانه انما نالها ببركة اتباعه ومن هنا
كان الاصح ان كل ماجاز ان يكون معجزة للنبي جاز أن يكون كرامة للولى وما
يظهر على يده قبل دعوى الولاية فهو أيضا كرامة متبهة لغيره وأما مايظهر
على يدمؤمن غير مدع للولاية فمع الاستقامة كرامة وبدون الاستقامة ان
عقبه الانابة والاستقامة فتنبهة وايقاظ له وان عقبه عدم الاستقامة او ظهر
على يدمدعى الولاية مع عدم متابعته السنة فمكر واستدراج واملاء *
رابعها الاستدراج وهو مايظهر على يد نحو الساحر من كل ذى زيغ مائل عن
الدين فاجر كطيرانه فى الهواء وركوبه فرسا على ظهر الماء ونحوهما * خامسها
المعونة بالمهملة والنون وهو مايظهر على يد مؤمن غير مستقيم ولا مدع للولاية
ولم يعقبه لاتوبة واستقامة ولا عجب وغرور ورؤية نفس * سادسها
الاهانة وهو مايظهر على يدمدع للنبوة ولا يكون الامخالفا لدعواه لاستحالة
تصديق الله تعالى كذب الكاذب لاحتمال صدقه بحسب الظاهر قبل
ظهور الخارق بخلاف المتأله لاستحالة صدقه فلا يحتاج الى تكذيبه بمخالفة
الخارق لدعواه كما وقع لمسيلمة الكذاب فى خوارقه المخالفة لدعواه فانه دعا
لاعور بذهاب عوره وشفاء الصحيحة من عينيه فذهبت الاخرى وانه تفل
فى ماء بئر كثير عذب فقل وملح زيادة فى خزيه وفضيحته حيث أراد مضاهاة
المصطفى صلى الله عليه وسلم فيما جرى على يده من نحو هذه الخوارق ومنه
الفتنة والابتلاء وهو مايظهر على يد مبطل متأله أى مدع للالوهية سواء
وافق دعواه أم لا فهو فتنة للكفار وابتلاء للمؤمنين وقد يقال له الفتنة مطلقا
قال تعالى حكاية عن رسوله ان هى الافتنتك تضل بها من تشاء وتهدى من
تشاء وقال صلى الله عليه وسلم من فتن الدجال كذا وكذا فسماها فتنا مطلقا
ولا يضر موافقة الخارق لدعواه لان دلالة العقل القطعية قد عارضت
خوارقه فهذه جملة ماذكره العلماء من أقسام الخوارق فلنقدم الكلام
على القسم الاول الواقع فى كلام المصنف رحمه الله تعالى ثم نردفه بذكر
بعض القسم الثانى فان اخلاء هذا الكتاب منه غير لائق فنقول قال المؤلف
رحمه الله تعالى ﴿و﴾ اعلم انه قد ﴿ظهر﴾ ووقع ﴿عند﴾ لدى
﴿ولادته﴾ صلى الله عليه وسلم ﴿خوارق﴾ جمع خارق من خرق يخرق

من باب ضرب وهو لغة خرق الشيء وقطعه وعرفا تبدل حكم العادة بغيره من غير سبب ظاهر ﴿وغرائب﴾ رديف الخوارق ﴿عجيبة﴾ أي مصورة للعجب أي العائب منا لا يقال كان ينبغي للمصنف رحمه الله تعالى أن يقول آيات أو بينات أو برهان لأن هذه هي الواردة في القرآن والسنة دون لفظ الخارق والمعجزة ونحو ذلك لانا نقول هي وان لم ترد لكن صارت في اصطلاح المتأخرين أبين وأظهر فلذلك خصت بالذكر وكان ظهور ذلك ووقوعه ﴿ارهاصا﴾ أي تأسيسا ﴿لنبوته﴾ صلى الله عليه وسلم ﴿واعلاما﴾ أي اخبارا للناس من شأنه أن يعلم ويخبر ﴿بأنه﴾ أي الذي ظهرت عند ولادته هذه الخوارق والغرائب التي لم يظهر نظيرها لولادة مخلوق من بني آدم الذين هم أفضل المخلوقات سوى الملائكة على تفصيل في المسئلة عند الاشاعرة والماتريدية ﴿مختار الله﴾ تعالى أي مستخلصه ﴿و﴾ بأنه ﴿مجتباه﴾ عطف تفسير على ما قبله اذ المجتبى والمختار بمعنى واحد وأتى به لتتميم القافية الملتزمة في التسجيع ﴿و﴾ من الغرائب التي ظهرت عند ولادته صلى الله عليه وسلم ما رأته أمه صلى الله عليه وسلم فيما تقدم من الروايات من حضور آسية ومريم وجمع من حور العين وكان ديباجا أبيض قد مد بين السماء والارض وكأن قطعة طير قد أقبلت حتى غطت حجرتها وانها رأت ثلاث أعلام علما بالمشرق وعلما بالمغرب وعلما على ظهر الكعبة وانها رأت سحابة عظيمة قد أقبلت تنزل من السماء وانها سمعت مناديا ينادي طوفوا بمحمد مشارق الارض ومغاربها وانه صلى الله عليه وسلم مندرج في ثوب صوف أبيض وتحته حريرة خضراء وانها رأت ثلاثة نفر في يد أحدهم ابريق من فضة وفي يد الثاني طست من زمرد وفي يد الثالث حريرة بيضاء فنشرها فاخرج منها خاتما فغسله من ذلك الابريق سبع مرات ثم ختم بين كتفيه بالخاتم ولفه فرده اليها الى غير ذلك وانه ﴿زيدت السماء حفظا﴾ عبر بالزيادة للاشارة الى ان السماء سبق لها حفظ قبل وجوده صلى الله عليه وسلم فقد جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما ان الشياطين كانوا لا يحجبون عن السموات وكانوا يدخلونها و يأتون بأخبارها بما سيقع في الارض فيلقونها على الكهنة فلما ولد عيسى عليه

نبينا وعليه الصلاة والسلام حجبوا من ثلاث سموات وعن وهب من أربع سموات ولما ولد النبي صلى الله عليه وسلم حجبوا من السموات كلها فما منهم أحد يريد استراق السمع الا رمي بشهاب وهو الشعلة من النار فلا تخطئ ابدا فمنهم من تقتله ومنهم من تحرق وجهه ومنهم من تخبله فيصير غولا يضل الناس في البراري كذا قال بعضهم لكن مقتضى كلام البيضاوي انها تارة تصيب الصاعد وتارة لا ولذلك لا يرتدعون عنه رأسا ولا يقال ان الشيطان من النار فلا يحترق بها لانه ليس من النار الصرف كما ان الانسان ليس من التراب الخالص وانما نسب اليها خلقه في قوله تعالى وخلق الجان من مارج من نار كما نسب خلق الانسان الى التراب كما في قوله هو الذي خلقكم من تراب لكون الجزء الناري في نوع الجن أغلب كما ان الجزء الترابي في نوع الانسان اغلب والا فكل موجود مركب من العناصر الاربع التي هي النار والتراب والماء والهواء مع ان النار القوية اذا استولت على النار الضعيفة أهلكتها وفي عبارة بعضهم روى ان الشياطين كانت تصعد الى السماء ثم تجاوز السماء الدنيا الى غيرها فلما ولد عيسى عليه الصلاة والسلام منعوا من مجاوزة السماء الدنيا وصاروا يسترقون السمع في السماء الدنيا في بعض الاحايين وفي أكثر الاحايين يسترقون دونها حتى بعث النبي صلى الله عليه وسلم فمنعوا أصلا فصاروا لا يسترقون السمع الادون سماء الدنيا وقوله منعوا من مجاوزة السماء الدنيا فيه نظر لما مر عن ابن عباس ووهب من ان الحجب كان عن ثلاث سموات اوعن أربع واختلف متى كان هذا الرمي بالنجوم فقيل انما حدث بعد مبعثه صلى الله عليه وسلم لئلا تلتبس الكهانة بالوحي ولان ذلك أظهر للحجة واقطع للشبهة واحتج من قال بهذا بكون العرب قد استغربت ذلك حتى أفزعوا لذلك وسار بعضهم الى عمرو بن أمية الثقفي وكان من دهاة العرب فقالوا يا عمرو الا ترى ما حدث من السماء من القذف بالنجوم فقال بلى فانظروا فان كانت معالم النجوم التي يهتدى بها في البر والبحر ويعرف الانواء من الصيف والشتاء لما يصلح الناس في معايشهم هي التي يرمى بها فهو والله طي الدنيا وهلاك الخلق الذي فيها وان كانت نجوما غيرها

وهي ثابتة على حالها فهذا الامر اراد الله به هذا الخلق فلو كانوا يعرفون هذا
الرمي بالنجوم قبل ذلك ما انكروه وأيضا انكار الجن عما يدل على حدوثها
قال تعالى وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع الآية وقيل بل كان قديما ويدل
عليه حديث ابن عباس السابق و وهب وقد ذكره قوم من قدماء
الجاهلية في اشعارهم فوصفوا الرمي بالنجوم ولكن الشياطين كانت
تسترق السمع في بعض الاحوال فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم
كثر الرجم وزاد زيادة ظاهرة حتى تنبه لها الانس والجن ومنع الاستراق
اصلا فلم ينكروا اذا أصل الرجم بالشهب وانما أنكروا كثرة ذلك
والتغليظ فيه والتشديد ولم يكن كذلك قبل ذلك ويدل أيضا قوله تعالى
ملئت حرسا شديدا وشهبا على انه كان قبل ذلك شئ لكنه كثر ذلك واشتد
عند مبعثه لتنقطع تخليطات الشياطين وتلبيساتهم بالكلية وجاء عن معمر
انه قال للزهري أكان يرمي بالنجوم في الجاهلية قال نعم قلت أفرأيت قوله
تعالى وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع الآية قال غلظت وشدد أمرها حين
بعث صلى الله عليه وسلم وجرى على هذا ابن قتيبة وفي المنح ما يفيد انه انما
وجد بعد وجود النبي صلى الله عليه وسلم قرب مبعثه لكن لا بشدة ثم وجد
بشدة بعد مبعثه فكأنه لم يصح عنده حديث ابن عباس وغيره وحمل قول
معمر في الجاهلية على ما قبل مبعثه و بعد وجوده صلى الله عليه وسلم
بدليل قوله وشدد أمرها الخ ﴿ ورد ﴾ بالبناء للمفعول عطف على قوله
قوله زيدت أي طرد ﴿ عنها ﴾ أي السماء أي عن الوصول واستراق
السمع من مقاعدهم القريبة منها فانهم كانوا يقعدون فيها اليسمعوا شيئا من
الملائكة المتكلمين عما يقع في الارض من الاقضية والمغيبات اما لكون
ربهم يلقيه عليهم ليكتبوه فيتلقونه منه أو لان بعضهم يتلقاه من كتب
البعض الآخر زيادة في الاعتناء والظهور للملائكة وكانوا يأتون الكهان
و يلقون ما استلقوه منهم اليهم مع ما يضمونه اليه من الكذب ﴿ المردة ﴾
بحركة جمع مارد وهو المتمرد العاتي من الجن وهم أجسام نارية تقدر على
التشكل في الصور المختلفة كما يأتي بيانه ﴿ وذوو ﴾ بواوين أي أصحاب
﴿ النفوس الشيطانية ﴾ أي المنسوبة للشيطان فيعال من شطن يقال

شطان صاحبه خالفه من نيته ووجهه وفي الارض دخل امارا حتا واما واغلا
والشياطين الخبيث والشيطان وكل عات متمرد من انس اوجن اودابة
وشطن وتشطن فعل نعله كما في القاموس وقيل من شط اذا بعد لبعدهم
من رحمة الله تعالى أو من شاط بمعنى احترق أوهلك لاحتراقه
وهلاكه بالشهب فنونه على الاول أصلية وعلى الاخير زائدة قال
العلامة والشياطين مردة الجن وعليه فعطفه على المردة من عطف
المرادف ويصح ان يكون من عطف العام على الخاص ويؤيده قول
القاموس وقول العلامة محمد بن طيب المغربي الفاسي في شرح حزب النووي
ان الشيطان يطلق على كل عات متمرد من انس أوجن أودابة ﴿ورجمت﴾
بالبناء للفاعل أي أصابت مجاز من الرمي لعلاقة السببية اورمت والاسناد
مجاز عقلي والا فالرامي في الحقيقة هو الله ﴿رجوم﴾ بضم الراء والجيم
فواحده رجم بفتح أوله وسكون ثانيه وهو أي الرجم مصدر سمي به ما يرجم
به ويجوز ان يكون الرجوم في حد ذاته مصدرا لا جمعا كما في النهاية ويمتنع
هنا التأنيث الفعل الا ان يقال انه قد يكتسب التأنيث من المضاف اليه ومن
ثم ذكر بعضهم انه في الاصل مصدر نقل الى ما يرجم به من الشهب وفيه نظر
لان رجم متعد كما هنا وقياس مصدر المتعدي فعل بفتح أوله وسكون ثانيه
كما قال في الخلاصة

فعل قياس مصدر المعدى ... من ذى ثلاثة كرد ردا

لا فعول اذ هو مصدر الفعل اللازم مفتوح العين في الماضي كما قال أيضا
وفعل اللازم مثل قعدا ... له فعول باطراد كغدا الا ان يقال انه مصدر سماعي
فليراجع وبينهما وبين الرجيم الآتي جناس الاشتقاق والمراد بالرجوم
الشهب جمع شهاب وهو شعلة نار أوما ينفصل من نور الكواكب
﴿النيرات﴾ بفتح النون وكسر التحتية أي المضيئات فالاضافة بيانية
والمراد انهم يرجمون بنار الكواكب ونورها لا انهم يرجمون بالكواكب
نفسها لانها ثابتة لا تزول وما ذاك الا كقبس يؤخذ من نار والنار ثابتة
بمكانها قال الحليمي ليس في كتاب الله تعالى ان الشياطين ترمى
بالكواكب أو بالنجوم ثم أطال في تقرير ان الرمى انما هو بالشهب

وجعل المصابيح أي في قوله تعالى ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح
وجعلناها رجوما للشياطين كناية عن الشعل لا عن النجوم قال أبو شامة
وما جاء في الأحاديث وشعر العرب القديم من التصريح بالرمي بالنجوم
يمكن تأويله إما بأنه على تقدير مضاف واستعمل النجم في الشهاب مجازا
انتهى أقول وبهذا يؤول ما في بعض النسخ نجوم بالنون وقيل تنقض ثم
ترجع إلى مكانها قال الزرقاني وهذا لا ينافي ما سبق لجواز أن صورة الشعلة
النازلة رجعت إلى مكانها الذي جاءت منه وهو النجم انتهى وتبعده
المشاهدة ﴿كل رجيم﴾ أي مرجوم ﴿في حال مرقاه﴾ بفتح الميم
وسكون الراء المهملة أي صعوده قال بعضهم لما رجمت الشياطين ومنعت من
مقاعدها في السماء لاستراق السمع شكوا ذلك لإبليس فقال لهم هذا
أمر حدث في الأرض وأمرهم أن يأتوا بتربة من كل أرض فصار يشمها
إلى أن أتى بتربة أرض تهامة فلما شمها قال من هنا الحدث ﴿و﴾ من
العجائب التي وقعت عند ولادته صلى الله عليه وسلم أيضا أنه ﴿تدلت﴾
بتشديد اللام أي قربت ودنت ﴿إليه﴾ صلى الله عليه وسلم ﴿الأنجم﴾
أي الكواكب ﴿الزهرية﴾ بضم الزاي المعجمة أي المنسوبة إلى
الزهرة بمعنى البياض النيرة نسبة الموصوف إلى صفته حتى يظن المشاهد لها
سقوطها عليه روى البيهقي والطبراني وابن عبد البر عن عثمان بن أبي
العاص عن أمه أم عثمان الثقفية واسمها فاطمة بنت عبد الله أنها قالت
لما حضرت ولادة رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت البيت حين وقع قد
امتلأ نورا ورأيت النجوم تدنو حتى ظننت أنها ستقع علي ﴿واستنارت﴾ بـ
ـسبب ﴿نورها﴾ أي الأنجم ﴿وهاد﴾ بكسر الواو جمع وهدة
وهو ما انخفض من الأرض أي استضاءت بسبب تدلي تلك النجوم جميع
ما انخفض من أرض ﴿الحرم﴾ المكي ﴿و﴾ كذا ﴿رباه﴾ بضم
الراء وتخفيف الموحدة جمع ربوة بضم أوله وفتحه وحكى في المختار كسرها
أيضا وهو ما ارتفع من الأرض فالمراد جميع بقاع الحرم ﴿و﴾ من الغرائب
التي ظهرت عند ولادته صلى الله عليه وسلم أيضا أنه حين وقع ﴿خرج
معه﴾ صلى الله عليه وسلم ﴿نور﴾ عظيم ﴿أضاءت له﴾ أي لذلك

النور «قصور» جمع قصر «الشام» الاقليم الكبير المشهور
بهمزة ساكنة ويجوز ابدالها الفا «البصرية» أى المنسوبة الى
بصرى ملك الروم وهو من حوران «رآها» رؤية بصرية «من»
أى الذى «بطاح مكة داره» بكسر الموحدة جمع ابطح و بطحا وهو
فى الاصل المسيل الواسع المشتمل على دقاق الحصى والمراد من كان داره
داخل مكة فان قريشا كانوا فرقتين بطاح وظواهر فالبطاح من دخل مكة
والظواهر من اقام بظاهر مكة ولم يدخل الابطح «ومغناه» بالغين
المعجمة أى منزله وشاهد ذلك ماروى من جملة حديث صححه ابن حبان
والحاكم ان أم رسول الله صلى الله عليه وسلم رأت حين وضعته نورا أضاءله
قصور الشام وماروى عن ابن سعد ان أم رسول الله صلى الله عليه وسلم
قالت لما ولدته خرج من فرجى نور اضاءله قصور الشام فولدته نظيفا مابه
قذر وسبقت رواية ابن عباس خرج منه نور أضاءله مابين المشرق والمغرب
ورواية الشفا فأضاءلى مابين المشرق والمغرب حتى نظرت الى بعض قصور
الشام وفى رواية انها رأت حين حملت به انه خرج من فرجها نور أضاءله
قصور الشام فولدته نظيفا مابه قذر وفى رواية فى غير هذا الحديث انها رأت
حين حملت به انه خرج منها نور رأت به قصور بصرى من أرض الشام
ويمكن ان يجمع بين اختلاف الروايات فى خروج النور حين الحمل وحين
الوضع بانه لامانع من وقوعه فى الوقتين زيادة فى البشارة بظهوره وظهور
دينه صلى الله عليه وسلم وان كانت الرواية لحين الوضع أولى لاتصالها
وصحتها وقد جمع الحافظ الجلال السيوطى بين الروايتين بأن قولها حين
الحمل هى رؤيا نوم وقعت فى الحمل وأما ليلة الولادة فرأت ذلك رؤيا عين
وفى الحديث الصحيح انه صلى الله عليه وسلم قال انى عند الله لخاتم النبيين وان
آدم لمنجدل فى طينته وسأخبركم عن ذلك انى دعوة أبى ابراهيم و بشارة
أخى عيسى ورؤيا أمى التى رأت وكذلك أمهات الانبياء يرين وروى ابن
اسحاق كانت آمنة تحدث انها أتيت حين حملت فقيل لها انك حملت بسيد
هذه الامة وآية ذلك انه يخرج معه نور يملأ قصور بصرى من أرض الشام
فاذا وقع فسميه محمدا فلما وضعته خرج معه ذلك النور الذى أضاءله ماذكر

واستدل بعضهم على أنها رأت ذلك النور في الشام حين الحمل بهذا الحديث وفيه تنظير إلى هذا النور بشعر عمه العباس رضي الله عنه في قصيدته التي امتدح بها النبي عند رجوعه صلى الله عليه وسلم من غزوة تبوك وقد قال له قبل مدحه يا رسول الله أريد أن أمتدحك فقال له صلى الله عليه وسلم قل لا يفضض الله فاك فقال قصيدته منها

وأنت لما ولدت أشرقت الأرض وضاءت بنورك الأفق

فنحن في ذلك الضياء وفي النور وسبل الرشاد نخترق

قال في اللطائف وخروج هذا النور عند وضعه إشارة إلى ما يجيء به من النور الذي اهتدى به أهل الأرض وزال به ظلمة الشرك كما قال تعالى قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم وخصت الشام بالذكر في أكثر الروايات لما اختصت به من سبق نور نبوته إليها ولأنها مهاجره لأنه من أرسله كما في حديث صحيح فهي أفضل الأرض بعد الحرمين قيل ومصر وقال العلماء ذكره في صفة ملكه صلى الله عليه وسلم ومن ثم قال كعب في الكتب السابقة إن امتداد ملكه أي باعتبار سيفه الشام قيل نظرا إلى أنها ولد أسري به صلى الله عليه وسلم إلى البيت المقدس منها ثم هاجر إليها إبراهيم ولوط وبها ينزل عيسى ابن مريم وهي أرض المحشر والمنشر وفي تخصيص بصرى من أرض الشام كما في بعض الروايات لطيفة وهي أن النبي صلى الله عليه وسلم وصل بنعمه الكريمة إلى أرض بصرى من أرض الشام ولم يجاوزها فكان إشارة إلى ذلك قاله ابن الجوزي وقال غيره في تخصيصها لأنها أول موضع من بلاد الشام دخلها ذلك النور المحمدي ولذلك كانت أول ما فتح من بلاد الشام وأما ما ورد في رواية ابن سعد عن ابن القبطية في مولد النبي صلى الله عليه وسلم قال قالت أمه رأيت كأن شهابا خرج مني أضاءت له الأرض انتهى فالتعبير بشهاب لأنه مراد به النور وللإشارة إلى أنه شهاب على أهل الكفر يحرقهم ويمحقهم ولأجل أنه وقت ولادته حراسة السماء بالشهب وقطع رصد الشياطين ومنعهم من استراق السمع كما تقدم (و) من العجائب

التي وقعت عند ولادته صلى الله عليه وسلم انه تزلزلت الكعبة ولم تسكن ثلاثة أيام ولياليها وكان ذلك أول علامة رأت قريش من مولده صلى الله عليه وسلم و ﴿انصدع﴾ أي انشق شقا آل به الى خرابه وسمع له صوت عظيم ﴿الايوان﴾ بكسر الهمزة الصفة العظيمة كالازج قال الجوهري يقال بيت مؤزج أي مبني طولا غير مسدود الوجه اي فهو صفة طويلة واسعة بأولها انعقد واسع بابه وهو فارسي وقيل بيت الملك اعد لجلوسه مع أرباب مملكته لتدبير ملكه وقيل غير ذلك وجمعه ايوانات وأواوين لان أصله اوّان بتشديد الواو فابدلت من احدى الواوين ياء لانكسار ما قبلها وقد تحذف الياء فيقال اوان كخوان وكان ذلك الايوان من أعاجيب الدنيا سعة وبناء واحكاما ﴿بالمدائن﴾ بالهمز جمع مدينة على الصرا الجامع والمراد به هنا بلد بالعراق والنسبة اليه مدائني ﴿الكسروية﴾ أي المنسوبة الى كسرى بفتح الكاف وكسرها لقب لكل من ملك الفرس كما يأتي في مبحث الهجرة الى النجاشي وهو معرب خسرو اي واسع الملك وهو اسم أعظم ملوك الفرس كما هو مشهور في كتب التاريخ ويجمع على أكاسرة على غير قياس وقياسه كسرون كعيسون وموسون بفتح السين فيهما والنسبة اليه كسرى وكسروي ﴿الذي﴾ أسسه سابور ذو الاكتاف و ﴿رفع﴾ ابن قباد بن فيروز المسمى ﴿أنوشروان﴾ بفتح الهمزة وضم النون وسكون الواو وفتح الشين المعجمة كالراء والواو بعدها ومعناه بالعربي مجدد الملك الملقب بكسرى وهو غير كسرى الذي كتب له رسول الله صلى الله عليه وسلم فمزق كتابه ذكر الدميري ان كسرى هذا أول من اقتص من قاتله وذلك انه قال له منجموه انك تقتل فقال والله لاقتلن قاتلي فعمد الى سم ناقع ووضعه في حق وكتب عليه دواء الباه صحيح مجرب اذا استعمل منه وزن كذا وكذا انعظ وجامع كذا وكذا فلما قتله ابنه قباد وفتح خزائنه فوجد ذلك الحق مختوما فقرأ ما كتب عليه فقال هذا كان كسرى يقوى على مجامعة النساء ففتحه واستعمل منه ما ذكر فمات وكان لكسرى ثلاثة آلاف امرأة تسرى وكان كسرى مجوسيا ﴿سمكه﴾ أي جعل سمكه أي طوله في جهة العلو رفيعا وقيل سقفه ﴿وسوّاه﴾ اتمه واتقنه

واحكمه وجعله سورا لا اعوجاج فيه حتى كأن بناءه لا يهدمه الا نفخة
الصور وقد مكث في بنائه نيفا وعشرين سنة وقيل اثنا عشر وانما لقب بكسرى
ايضا ابن هرمز بن انوشروان وهو الذي كتب له رسول الله صلى الله عليه
وسلم فمزق كتابه وكان سمكه مائة ذراع وطوله كذلك وعرضه خمسون ذراعا
وبناؤه من الجص والآجر وفي حاشية الجمل على الهمزية وقد رأيته شيخنا
العمادي انه في مكان مسجد السلطان حسن بمصر على شكل وقدر وصورة
ايوان كسرى انتهى ولما ملك المسلمون المدائن احرقوا ستر هذا الايوان
فأخرجوا منه الف الف دينار من الذهب قال ابن نباتة يروى ان الرشيد
هارون أراد هدمه فاستشار يحيى بن خالد البرمكي فنهاه وقال في بقائه معجزة
باقية فقال الرشيد بل ابيت الا تعصبا لآبائك يعني الفرس وأمر بهدمه
فصرفوا على هدم شرافة منه مالا كثيرا فكف عنه فقال له يحيى أرى الآن
تهدمه لئلا يقال ان الملك عجزت عن هدم ما بناه غيرك فتغافل عن قوله
وتركه انتهى ﴿و﴾ بسبب انصداعه وتحركه ﴿سقط﴾ منه
﴿أربع وعشر﴾ أي أربع عشرة عدل عنه لثقل تركيبه ﴿من
شرفاته﴾ جمع شرفة بضمتين كما في تثقيف اللسان ويجوز سكون الراء وفتحها
كما قاله البرهان وهو ما يبنى على أعلى الحائط منفصلا بعضه من بعض على
هيئة معروفة وله شرفات كثيرة قيل اثنتان وعشرون وطول كل شرفة
خمسة عشر ذراعا ﴿العلوية﴾ أي المنسوبة للعلو ضد السفل وهي صفة
كاشفة لان الشرفات لا تكون الا كذلك قال الشيخ ابن حجر في النعمة
الكبرى قال ابن الجوزي وهذا الشق باق الى الآن أخبرنا به جماعة ممن رآه
بالمدائن وانه سقط من أعلى الايوان أربع عشرة شرافة وقال في المنح علم
بالقطع البرهاني ان ذلك ليس الا لخصيصة منه صلى الله عليه وسلم الدالة
على نبوته وانه لا ملك ولا عز لاحد مع ملكه وعزه وسر تلك الاربع عشرة
الاشارة الى انه لم يبق من ملوكهم الا أربعة عشر أي كما أشار الى ذلك سطيح
كما يأتي ان شاء الله تعالى فقد ملك منهم عشرة في أربع سنين وأربعة الى زمن
عثمان رضي الله عنه وفتح في زمن عمر رضي الله عنه أكثر اقليم فارس
وكسر كسرى واهله غاية الهوان فتفرقوا الى أقصى مملكته ثم قتل في زمن

عثمان

عثمان رضي الله عنه أكثر اقاليم فارس وزال ملكه بالكلية وصح انه صلى الله عليه وسلم أخبر بانه اذا هلك كسرى فلا كسرى بعده وان أمواله وكنوزه تنفق في سبيل الله فانقطع ملكه وزال من جميع الارض وتمزق ملكه كل ممزق لانه صلى الله عليه وسلم دعا عليه بذلك لما جاءه كتابه فزقه وقد بشر صلى الله عليه وسلم أمته في حفر الخندق بملك بلاده وقال لسراقة حين أراد الانصراف عن النبي صلى الله عليه وسلم كما سيأتي في طريق الهجرة وكان من فقراء الصحابة كيف بك اذا لبست سواري كسرى فلما جيء لعمر رضي الله عنه في زمن خلافته بسواري كسرى وتاجه ومنطقته وبساطه وكان ستين ذراعا في ستين ذراعا منظوما باللؤلؤ والجواهر الملونة على ألوان زهر الربيع كان يبسط له في ايوانه ويشرب عليه اذا عدمت الزهور وجيء له بمال كثير من مال كسرى وبنات كسرى وكن ثلاثا وعليهن الحلي والحلل والجواهر ما يقصر اللسان عن وصفه وعند ذلك دعا رضي الله عنه سراقة وقال ارفع يديك والبسه السوارين أي اظهارا للمعجزة وتحقيقا لخبره صلى الله عليه وسلم وقال الحمد لله الذي سلبهما كسرى وألبسهما سراقة ﴿وكسر﴾ بالبناء للمفعول ﴿ملك كسرى﴾ وهو كناية عن ماحل به وبأتباعه من الوبال والهوان والنكال ﴿لهول ما﴾ أي الذي ﴿أصابه وعراه﴾ هما بمعنى يقال عراه وعراه وكعلاه لوأى أصاب والمعنى ان ملكه تفرق وتشتت لهول ما أصابه وافزعه واخافه من المصائب النازلة به والكروب العظيم الذي وقع فيه ورأى في تلك الليلة المؤبذان أي القاضي الكبير وفي كلام المحدث وهو خادم النار الكبير ورئيس أحكامهم وعنه يأخذون مسائل شرائعهم في نومه ابلا صعابا تقود خيلا عرابا قد قطعت دجلة وانتشرت في بلادها ورأى كسرى ما هاله وافزعه وهو ارتجاس الايوان وسقوط شرفاته فلما أصبح تصبر أي لم يظهر الانزعاج لهذا الامر الذي رآه ثم رأى انه لا يدخر ذلك أي هذا الامر الذي هاله وافزعه عن مرازبته أي فرسانه وشجعانه فجمعهم ولبس تاجه وجلس على سريره ثم بعث اليهم فلما اجتمعوا عنده قال أتدرون فيما بعثت لكم قالوا لا الا ان يخبرنا الملك فبينما هم كذلك اذ ورد عليهم كتاب بخمود النيران وكتاب من

صاحب ايليا أن بحيرة ساوة غاضت وكتاب من صاحب الشام ان وادي
السماوة انقطع وكتاب من صاحب طبرية أن الماء لم يجر في بحيرة طبرية
فازداد غما الى غمه فأخبرهم بما رأى وما هاله فقال الموبذان وانا قد رأيت في
هذه الليلة رؤيا فقصها عليه فقال أي شئ هذا يا موبذان قال حدث يكون
في ناحية العرب فابعث الى عاملك بالحيرة يوجه اليك رجلا من علمائهم فانهم
أصحاب علم بالحدثان فكتب كسرى الى النعمان بن المنذر ملك العرب ان
يرسل اليه أعلم من في أرضه من العرب فبعث اليه عبد المسيح بن عمرو الغساني
وهو معدود من المعمرين عاش مائة وخمسين سنة فلما ورد عليه قال ألك علم
بما أريد ان أسألك عنه قال ليسألني الملك فان كان عندي علم منه والا أخبرته
بمن يعلمه فاخبره بالذي وجه اليه فيه قال علم ذلك عند خالي سطيح يسكن
مشارف الشام بالقاف أي أعاليها فأمره كسرى بالذهاب اليه فأتاه فوجده
مشفيا على الموت وعمره اذ ذاك ثلثمائة سنة وقيل خمسمائة سنة فأخبره
سطيح من غير أن يذكر له شيأ عما من أجله جاء عبد المسيح على جمل مشيح
الى سطيح وقد وافى على الضريح بعثه ملك ساسان لارتجاس الايوان
وخمود النيران ورؤيا الموبذان رأى ابلا صعابا تقود خيلا عرابا قد قطعت
دجلة وانتشرت في بلادها يا عبد المسيح اذا كثرت التلاوة أي تلاوة القرآن
وظهر صاحب الهراوة وفاض وادي سماوة وغاضت بحيرة ساوة وخمدت
نيران فارس فليست بابل للفرس مقاما ولا الشام لسطيح شاما يملك منهم
ملوك وملكات على عدد الشرفات وكل ما هو آت آت ثم قضى سطيح مكانه
أي مات من ساعته وقيل أدرك الاسلام فلم يسلم والهراوة بكسر الهاء
العصا وسمي النبي صلى الله عليه وسلم صاحب الهراوة لانه كان يمسك في
يده العصا كثيرا عند مشيته وكان يمشي بالعصا بين يديه وتغرز له فيصلي اليها
التي هي العنزة وفي الحديث حمل العصا علامة المؤمن وسنة الانبياء ذكره
في انسان العيون وقد يقال مراد سطيح بالعصا العنزة التي كانت تغرز له
فيصلي اليها في غير المسجد لانه لم يحفظ ان ذلك كان لمن قبله من الانبياء
انتهى وسمي أيضا صاحب القضيب أي السيف كما وقع مفسرا في الانجيل
قال معه قضيب من حديد يقاتل به وأمته كذلك وقد يحمل على انه القضيب

المشرق الذى كان يمسكه صلى الله عليه وسلم والمشوق الطويل الممدود الرقيق فان كان المراد بالقضيب السيف فهو كناية عن جهاده وكثرة غزوه وقتاله وفتوحاته وغنائمه وان كان المراد به العصا فهو عبارة عن كونه من صميم العرب وخطبائهم فعلى الاول فعيل بمعنى فاعل وعلى الثانى فعيل بمعنى مفعول فهو صلى الله عليه وسلم صاحب العصا يرعى بها الاخيار والقضيب يهذب به الاشرار وعند موت سطيح نهض عبد المسيح الى راحلته وهو يقول

شمر فانك ماضى العزم شمير * ولا يفزعنك تفريق وتغيير
ان يمس ملك بنى ساسان افرطهم * فان ذا الدهر اطوار دهارير
فربما ربما أضحوا بمنزلة * تخاف صولهم الاسد المهاصير
منهم اخو الصرح بهرام واخوته * والهرمزان وشابور وسابور
والناس أولاد علات فمن علموا * ان قد أقل فمحقور ومهجور
وهم بنو الام أما ان رأوا نشبا * فذاك بالغيب محفوظ ومنصور
والخير والشر مقرونان فى قرن * فالخير متبع والشر محذور

فلما قدم عبد المسيح على كسرى وأخبره بما قال سطيح فقال كسرى الى أن يملك منا أربعة عشر ملكا كانت أمور وأمور فملك منهم عشرة فى أربع سنين وملك الباقون الى خلافة عثمان رضى الله عنه وقد ذكر أن آخرهم هلك منهم كان فى اول خلافة عثمان رضى الله عنه ﴿و﴾ من الغرائب التى ظهرت عند ولادته صلى الله عليه وسلم أيضا انه ﴿خمدت﴾ بفتح الميم من باب قعد وكسرها من باب علم والاول أفصح وأشهر أى سكنت بسكون لهبها من غير انطفاء جمرها والا قيل همدت كما فى المخ ﴿النيران﴾ جمع نار وهى من ذوات الواو وانما جمعت على نيران لانكسار ما قبل الواو المستلزم لقلبها ياء ﴿المعبودة﴾ من دون الله تعالى ﴿بالممالك الفارسية﴾ أى المنسوبة الى فرس من الفراسة بفتح الفاء بمعنى الشجاعة وفارس أقليم معروف هو وأهله وكان كسرى من أجل ملوكهم وكان لها ألف عام لم تخمد لشدة اشتعالها وكثرة امدادها دائما وكانوا يعبدونها كما قال ابن هانئ

خمدت الى النيران أعصرها وقد * شعرت به خمدت له نيرانها

وقال آخر

وذاك دليل لاصاقس اللظى * بلا يطفاء النار من كل موقد

وكان كسرى وأتباعه يعبدونها ويرمون أنها الملك والاله بزعمهم ولهم بها فتنة عظيمة اذلم تزل تأجج وان لم تقد وكان في أقليم فارس من بيوت النار الموقدة التي من السنين ما تحيل العادة انطفاءه فلما انطفت تلك النيران كلها في ساعة واحدة تلك الليلة أورثهم ذلك كربة وبلاء عظيما أصابهم الله عليهم مما بان لهم ما يعتقدونه الهم ومعبودهم لانهم مجوس وعلموا ان ذلك لامر عظيم حدث في العالم يكون سببا لازالة ملكهم وتفريقهم كل ممزق وكان في وقوع ذلك آية عظيمة على نبوة النبي صلى الله عليه وسلم ومن عظيم ﴿لطلوع﴾ أى ظهور ﴿بدره﴾ أى بدر هو هو والاضافة للبيان ويرد عليه ما تقدم عن اللقاني من أن الاضافة البيانية لاتاتي في الاضافة للضمير والخلاص من ذلك ان يكون الكلام على تقدير مضاف أى بدر وجوده وحينئذ تكون الاضافة حقيقية ﴿المنير﴾ مقتبس من قوله تعالى انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا انه الزائد النور والمظهر لغيره ما خفي عليه اسم فاعل انار أى أضاء هو في نفسه وانار غيره أى اكسبه نورا وصيره ذا نور يهتدى به فهو صلى الله عليه وسلم منير في نفسه ومنير لغيره لانه المرشد الهادي للناس بما يفيض عليه من الانوار القدسية المبين ما يهتدون به ويتخلصون من ظلمات الجهل والضلال وللامام الغزالي رحمه الله تعالى كلام لطيف في النور نقله عنه الخفاجي في شرح الشفاء لمناسبة هنا نذكره بالاختصار وهو النور يشير الى الظهور وهو أمر اضافي فقد يظهر الشئ لانسان ويبطن عن غيره واضافة الظهور الى الحواس الداركة أقوى واجلاها حاسة البصر والاشياء بالنسبة اليه ثلاثة أقسام منها ما لا يبصر بنفسه كالاجسام المظلمة ومنها ما يبصر ويبصر به غيره كالشمس والسراج والنور اسم لهذا القسم الثالث وهو عبارة عما يبصر بنفسه ويبصر عنده غيره وما يبصر بنفسه وغيره أولى باسم النور من الذي لا يؤثر في غيره أصلا ولما كان سر النور ووو

هو الظهور والادراك كان الادراك موقوفا على وجود النور وهو الظاهر
المظهر وقال وهذه الخاصة توجد في الروح القدسي النبوي اذ تفاض بواسطته
أنوار المعارف على الخلائق وبهذا ظهر معنى تسمية محمد صلى الله عليه وسلم
سراجا منيرا انتهى وفي كلام المصنف رحمه الله تعالى تشبيه بالبدر وبرشحه
قوله ﴿واشراق﴾ أي اضاءة ﴿محياه﴾ بضم الميم وفتح الحاء وشد المثناة
تحت أي وجهه الشريف المشبه بالشمس في الاشراق والاضاءة ولا يخفى
ما في كلامه من مزيد الحسن حيث جمع بين التشبيهين بهذين الكوكبين
النيرين اللذين بهما قوام نظم العالم وتقدم شاهد تشبيه وجهه صلى الله
عليه وسلم بالشمس في حديثي الربيع بنت معوذ وابي هريرة رضي الله عنهما
وان لكل من التشبيهين وجها يرجحه على الآخر ﴿و﴾ من العجائب التي
وقعت عند ولادته صلى الله عليه وسلم أيضا انه ﴿غاضت﴾ بالغين والضاد
المعجمتين اي غارت وذهبت في الارض حتى لم يبق فيها قطرة ماء ﴿بحيرة﴾
بصيغة التصغير وهو تصغير تعظيم كما يعلم مما يأتي ﴿ساوه﴾ وتسمى عين
ساوه بسين مهملة وبعد الالف واو وهاء ساكنة قرية من قرى بلاد فارس
بينها وبين الري من أشهر بلاد خراسان كما في تاريخ ابن خلكان اثنان
وعشرون فرسخا واضيفت البحيرة اليها لبنائها بمكانها وهي المعروفة
بالغيض واما بحيرة طبرية التي بالشام يخرج منها نهر بينها وبين الصخرة
ثمانية عشر ميلا فباقية الى يومنا هذا ويكون ذهاب مائها عند خروج
يأجوج ومأجوج كما ورد انهم يمرون ببحيرة طبرية فيشربون مافيها ويمر
آخرهم فيقولون كان بهذه مرة ماء وهو الذي عليه المحققون كالازهري
والبرهان والزرقاني وغيرهم وتعقب الخفاجي البرهان في نسيم الرياض وقال
الجواب الحق ان المراد بحيرة طبرية وقد روى الحديث البيهقي وابن ابي
الدنيا وابن السكن فالمعترض لم يقف على هذه الرواية ولعل ماءها انقص نقصا
لم ينقص مثله في زمان طويل او غار ماؤها ثم عاد بعد ذلك لما فيها من العيون
النابعة التي تمدها الامطار انتهى اي وهذا وجه اثبات انه بحيرة طبرية
جيب بأن غيض كل منهما ثابت في الاحاديث التي نقلها السيوطي وغيره
ة الامر ان بحيرة ساوه نشف ماؤها بالكلية وبحيرة طبرية نقص ماؤها

فقط وهو جمع حسن ووقع للشيخ ابن حجر الهيتمي في النعمة الكبرى
وغاضت بحيرة ساوه وتسمى بحيرة طبرية وكأن مراده الجمع أي تسمى
في بعض الاحاديث بحيرة طبرية فهي واحدة فلا يعترض عليه بأن ساوه
بفارس وطبرية بالشام ﴿وكانت﴾ بحيرة ساوه بعراق العجم ﴿بين﴾
مدينتي ﴿همذان﴾ بفتح الهاء والميم والذال المعجمة بلدة بخراسان
من بلاد العجم بناها همذان بن الفلوج بن سام بن نوح عليه السلام وهي
المرادة هنا ومن خاصيتها ان الانسان لا يكون بها حزينا ولو كان ذا
مصائب كذا في عجائب البلدان للقزويني واما الهمدان بفتح الهاء وسكون
الميم ودال مهملة فهي قبيلة باليمن ﴿وقم﴾ بضم القاف وسكون الميم
مدينة ببلاد العجم بها آبار ليس في الارض مثلها عذوبة وبردا وابنيتها
بالآجر وبها سراديب في نهاية الطيب ومنها الى الري مفازة سبخة ومنه
قول الشاعر

أيها القاضي بقم * قد عزلناك فقم

﴿من﴾ جملة ﴿البلاد العجمية﴾ وهو اقليم خراسان كانت تلك البحيرة
كما قال الخميس أكثر من ستة فراسخ في الطول والعرض وكان يركب
فيها السفن ويسافر الى ما حولها من البلدان انتهى وفي المنح وكانت تعبد
العادة ان يغيض ماؤها لكثرته ﴿و﴾ مع ذلك فقد ﴿جفت﴾ اى تلك
البحيرة أو الينابيع على ما يأتي ليلة ولادته صلى الله عليه وسلم وأصبحت يابسة
كأن لم يكن بها ماء حتى ان اوب النار ينبع من قعرها وأشار الى ذلك
في البردة

كأن بالنار ما بالماء من بلل * حزنا وبالماء ما بالنار من ضرم

(وكذا في الهمزية)

وعيون للفرس غارت فهل كا ن لنيرانهم بها اطفاء

وهذا توبيخ وتقريع لهم أي هل تلك المياه التي غارت كانت بها اطفاء تلك
النيران ويقال في جوابه لا بل اطفاؤها انما هو لامر وجود هذا النبي
المعظم وظهوره المضمحل به كل امر باطل ﴿اذ﴾ تعليل لسبب الجفاف
﴿كف﴾ بفتح الكاف والفاء مشددة أى متعدية ويلزم ﴿وا كف﴾

اسم فاعل وكف يكف فهو واكف أى شديد مفعول لما قبله مضاف لقوله
﴿موجها﴾ من اضافة الصفة للموصوف وهو مضاف للضمير العائد على
بحيرة ﴿الثجاج﴾ بفتح المثلثة وجيمين بينهما ألف الاولى منهما مشددة اى
سيال صفة للموج ﴿ينابيع﴾ جمع ينبوع وهو عين الماء او الماء نفسه
اذ الينبوع بالنبع والنابع فى حاشية شيخ زاده الينابيع جمع ينبوع
وهو اما الموضع الذى يجرى فيه الماء من خلال الارض أو نفس الماء
الجارى والمراد هنا الاول وهى فاعل قوله كف هذا ان جعلناه متعديا
ولم يقل كفت بالتأنيث للفصل بينه وبينها والمعنى جففت تلك البحيرة بسبب
انكفاف أى امتناع ينابيع تلك المياه التى كان لها موج شديد بحيث
تنقطع وتمتنع من السيلان وفاعل قوله جففت ان جعلناه لازما وجعلنا واكف
فاعله وحينئذ فالمعنى جففت ينابيع ﴿هاتيك﴾ وفى بعض النسخ تلك اسم
اشارة لما بعده وهو ﴿المياه﴾ الكائنة ببحيرة بسبب انكفاف موجها
الشديد الذى كان استمداده منها والاقرب من ذلك كله والاوضح ان تكون
اذ ظرفا للماضى مجردة عن معنى التعليل والمعنى جففت البحيرة وقت كف
الينابيع واكف الموج الكثير هذا اذا كان فاعل جففت ضميرا يعود للبحيرة
وجعلنا كف متعديا فان جعلنا كف لازما وجعلنا الينابيع فاعل جففت
فيكون المعنى حينئذ جففت الينابيع وقت انكفاف واكف الموج
الكثير ﴿و﴾ من الغرائب التى ظهرت عند ولادته صلى الله عليه وسلم
أيضا انه ﴿فاض﴾ الماء حتى كثر وسال وفى كلام بعضهم ان نهر
الفرات الذى كان به قوام معيشتهم ضل الطريق ووقع فى ﴿وادى سماوة﴾ أى
واد يعرف بسماوة بفتح السين المهملة ثم ميم فالف فواو فهاء ساكنة فاصبح الفرات
ساكنا غير جار اشارة الى وقوف أمرهم وتعطله ﴿وهى﴾ اى سماوة
موضع بين الكوفة والشام وليست من العواصم كما فى القاموس وغيره
وبهذا يعلم ما فى المنح انها قرية بينهما ويحتمل على بعد ان يقال انها بنيت
بعد ذلك اوكانت قرية ثم خربت واندثرت فيطلق عليه تارة موضع وتارة
قرية وفسرها المصنف بقوله ﴿مفازة﴾ وهى أرض متسعة مهلكة سميت
بذلك تفاؤلا بالسلامة والفوز من الهلاك فيها ﴿فى فلاة﴾ بفتح الفاء

مرادفة لمفازة أتى بها لزيادة الإيضاح وكذا قوله ﴿وبرية﴾ بفتح الموحدة
وشد الراء والمثناة التحتية ورعاية للتسجيع وعلم من ذلك أن سماوة هذه
غير سماوة القرية المعروفة بين الكوفة والبصرة على نهر الدجلة اذ يبعده
قوله ﴿لم يكن﴾ يوجد وبعد ﴿بها﴾ أي فيها ﴿قبل﴾ أي قبل ذلك
﴿ماء﴾ بالتنوين ثم رأيت في المراصد ما يؤيد ما ذكرناه ونص عبارته
السماوة بفتح أوله وبعد الألف واو بادية بين الكوفة والشام أرض
مستوية لا حجر بها وماء بالبادية وقيل السماوة ماء لكلب انتهى وفي
الجمل السماوة ماء بالبادية قال النووي في التهذيب قال السمعاني في
ترجمة المتنبي إنما قيل له ذلك لأنه ادعى النبوة في بادية السماوة وتبعه
كثير من كلب وغيرهم فخرج له لؤلؤ أمير حمص فأسره ثم أشهد عليه أنه
تاب وكذب نفسه فيما ادعاه وأطلقه انتهى وما تقدم من أنه ماء بالبادية
يعكر عليه قوله لم يكن الخ إلا أن يقال إن الماء بقي بعد ما غاض فأطلق عليه
اسم المحل لكن قال في الوشاح قدة وهي لفظ سماوة اليوم ولم يعرف الا
موضع بين الحلة والبصرة يريد بذلك ما قدمناه ولله الحمد وفي قوله وهي
لفظ سماوة نظر تأمل ﴿ينقع﴾ بفتح المثناة التحتية فنون فقاف مفتوحة
فعين مهملة مضارع نقع بفتحتين أي يبل ﴿الظمآن﴾ العطشان
﴿اللهاء﴾ بفتح اللام اللحمة المشرفة على الحلق في أقصى سقف الفم أو
ما بين منقطع أصل اللسان إلى منقطع القلب من أعلى الفم والجمع لهوات
ولهيات والمراد الفم جميعه فهو مجاز مرسل من إطلاق الجزء وإرادة الكل
وعلم مما مر أن الإضافة في قوله وادي سماوة بيانية أي واد هو سماوة
ويحتمل أن تكون حقيقية على معنى اللام أي واد لسماوة وأعاد ضمير
التأنيث إليه وهو قوله هي إما باعتبار ما اكتسبه من المضاف إليه وهو
سماوة أو باعتبار إرادة البقعة أو راعى جانب الخبر وهو قوله مفازة فقوله
لم يكن بها الخ يصح أن يكون نعتا لمفازة أو لسماوة أو لوادي بالاعتبار
المذكور والله أعلم ولشرفاصي أبيات أنها مناسبة بهذا المقام

ضاءت لمولده الآفاق واتصلت * بشرى الهواتف في الإشراق والطفل
وصرح كسرى تداعى من قواعده * وانقض منكسر الأرجاء ذا ميل

وكل فارس لم توقد وما خمدت * من ألف عام ونهر القوم لم يسل
خرت لبعثه الاوثان وانبعثت * ثواقب الشهب ترمي الجن بالشعل

﴿ ح ﴾ هنا تم الكلام على القسم الاول الواقع في كلام المصنف رحمه الله تعالى وقد تبين بهذا انقسام الخوارق كلها باعتبار اختلاف ازمنتها الى ثلاثة أقسام قسم منها ما وقع قبل البعثة النبوية وهو شامل لما وقع قبل المولد النبوي وبعده وقد مر وقسم بين المبعث والوفاة النبوية وقسم وقع من وقت الوفاة النبوية الى الآن اما على الامة وهو غير محصور اذ كل خارق وقع لخواص أمته صلى الله عليه وسلم اعامة وفي الحقيقة له اذ هو السبب فيه وسبق ان الذي يسمى معجزة حقيقة هو ثاني الاقسام وأفراده كثيرة جدا حتى قيل انه ظهر على يديه صلى الله عليه وسلم من المعجزات ألف بل قيل ثلاثة آلاف وهما وهو أعظمها وأشهرها وأعمها القرآن العظيم وهو منطو على وجوه من الاعجاز كثيرة وتحصيلها كما قال القاضي عياض من جهة ضبط أنواعها في أربعة أوجه احدها حسن تأليفه والتئام كلمه وفصاحته ووجوه ايجازه وبلاغته الخارقة عادة العرب فانهم مع فصاحتهم وبلاغتهم لم يقدروا على معارضته والاتيان بمثله كما جاء ذلك في القرآن في كثير من الآيات ولم يخف على أهل الميز منهم انه ليس من نمط فصاحتهم ولا جنس بلاغتهم ولهذا لما سمع الوليد من النبي صلى الله عليه وسلم ان الله يأمر بالعدل والاحسان الآية قال والله ان له الحلاوة وان عليه الطلاوة وان أسفله لمغدق وان أعلاه لمثمر ما يقول هذا بشر وذكر أبو عبيد ان اعرابيا سمع رجلا يقرأ فاصدع بما تؤمر فسجد وقال سجدت لفصاحته وحكى ان عمر ابن الخطاب رضي الله عنه كان يوما نائما في المسجد فاذا هو بقائم على رأسه يتشهد بشهادة الحق فاستخبره فأعلمه انه من بطارقة الروم ممن يحسن كلام العرب وغيرها وانه سمع رجلا من أسارى المسلمين يقرأ آية من كتابكم فتأملتها فاذا قد جمع فيها ما أنزل الله على عيسى بن مريم من احوال الدنيا والآخرة وهي قوله تعالى ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون * ثانيها صورة نظمه العجيب واسلوبه الغريب المخالف لاساليب كلام العرب ومناهج نظمها ونثرها الذي جاء عليه

ووقفت منها على آية وانتهت فواصل كلماته اليه ولم يوجد قبله ولا بعده نظير له
ولا استطاع احد مماثلة شئ منه بل حارت فيه عقولهم وتدلهت دونه
احلامهم * ثالثها ما انطوى عليه من الاخبار بالمغيبات وما لم يكن ولم يقع
فوجد كما ورد على الوجه الذي أخبر كقوله تعالى لتدخلن المسجد الحرام
ان شاء الله آمنين وقوله وهم من بعد غلبهم سيغلبون وقوله ليظهره على
الدين كله وقوله وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم
في الارض الآية وقوله اذا جاء نصر الله الى آخرها فكان جميع هذا كما
قال فغلبت الروم فارس في بضع سنين ودخل الناس في الاسلام افواجا
رابعها ما انبأ به من أخبار القرون السالفة والامم البائدة والشرائع
الداثرة وقد كان كثيرا ما يسألونه صلى الله عليه وسلم عن هذا فينزل عليه
من القرآن ما يتلوه عليهم منه ذكرا كقصص الانبياء مع قومهم وخبر موسى
والخضر ويوسف واخوته وأصحاب الكهف وذي القرنين ولقمان وابنه
واشباه ذلك من الانباء والقصص وبدء الخلق وما في التوراة والانجيل
والزبور وصحف ابراهيم وموسى مما صدقه فيه العلماء بها ولم يقدروا
على تكذيب ما ذكر فيها وهذه الوجوه الاربعة من اعجازه بينة لا نزاع
فيها ولا مرية ومن الوجوه البينة في اعجازه كونه آية باقية لا تعدم ما بقيت
الدنيا مع تكفل الله تعالى بحفظه فقال انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون
وسائر معجزات الانبياء عليهم الصلاة والسلام انقضت بانقضاء اوقاتها
فلم يبق الا خبرها والقرآن العزيز الباهرة آياته الظاهرة معجزاته على
ما كان عليه من اول نزوله الى وقتنا هذا حجة قاهرة ولاعجازه وجوه كثيرة
ذكرها الائمة الاعلام لا يسعها المقام وحقيقة الاعجاز الوجوه الاربعة
التي ذكرناها فليعتمد عليها وبالله التوفيق انتهى ملخصا من الشفاء
ومنها انشقاق القمر فلقتين وفي رواية مرتين لما طالبه كفار قريش آية على
صدقه في دعوى النبوة ومنها رد الشمس بعد غروبها وحبسها عن
الغروب ومنها نبع الماء بين أصابعه مرارا متعددة ومنها تفجير الماء في
عين تبوك وبئر الحديبية ومنها تكثير الطعام ببركته ودعائه ومنها تسليم
الحجر والشجر عليه وشهادتها له بالنبوة واجابتها دعوته ومشيها بين يديه

ثم رجوعها الى منابتها بأمره غير مرة وكذا سائر الجمادات كحنين الجذع
وتسبيح الحصى والطعام فى كفه والحيوانات كسجود الجمل وشكواه اليه
قلة العلف وكثرة العمل وكلام الضب والذئب والظبى وشهادة جميعها له
بالرسالة ومن هذا الباب تسخير الاسد لسفينة مولى رسول الله صلى الله
عليه وسلم لما وجهه الى معاذ باليمن فلقى الاسد فعرفه انه مولى رسول الله
صلى الله عليه وسلم ومعه كتابه فهمهم وتنحى عن الطريق ودفعه لعكاشة
جذل حطب وقال اضرب به حين انكسر سيفه يوم بدر فعاد فى يده سيفا
صارما طويل القامة أبيض شديد المتن فقاتل به ثم لم يزل عنده يشهد به
المواقف الى أن استشهد فى قتال الردة وكان هذا السيف يقال له العون
ودفعه لعبد الله بن جحش يوم أحد وقد ذهب سيفه عسيب نخل فرجع فى يده
سيفا وذكر القاضى عياض هذين المعجزتين فى فصل كراماته صلى الله
عليه وسلم بناء على ان ما لم يقع مع التحدى كرامة وتقدم ان المعجزة ما وقع
بعده أو بدونه اذا كان موافقا المراد ومنها احياء الموتى وابراء المرضى وذوى
العاهات كنطق الشاة التى اهدتها له يهودية مصلية مسمومة فأكل صلى
الله عليه وسلم منها ومن معه فقال ارفعوا أيديكم فانها أخبرتنى انها
مسمومة وقال لليهودية ما حملك على ما صنعت قالت ان كنت نبيا لم يضرك
ما صنعت وان كنت ملكا أرحت الناس منك ورد عين قتادة بن النعمان
بعد سقوطها على خده فعادت أحسن عينيه وأحدهما وبصق على أثر
سهم فى وجه أبى قتادة بن النعمان بعد سقوطها على خده فعادت فى يوم
ذى قرد قال فما ضرب على ولا قاح وأتاه أعمى يسأله أن يدعو له ان يكشف الله
عن بصره فأمره أن يتوضأ ثم يتوسل الى الله بنبيه صلى الله عليه وسلم فى دعاء
علمه اياه ففعل فرجع وقد كشف الله عن بصره وتفل فى عينى على رضى
الله عنه يوم خيبر وهو رمد فعوفى من ساعته ولم يرمد بعد ذلك ومسح على
رجل عبد الله بن عتيك بعد انكسارها فصحت لحينها وعادت كأحسن
ما كانت ووضع كفه على المريض فعقل من ساعته ومسح على رأس أقرع
فنبت شعره واستوى فى وقته وذهب داؤه واتته امرأة من خثعم معها صبى
به بلاء لا يتكلم فأتى بماء فمضمض فاه وغسل يديه ثم اعطاها اياه وأمرها

بسقيه ومسه به فبرئ الغلام وعقل عقلاً يفضل عقول الناس وجاءت امرأة
بابن لها به جنون فمسح صدره فثع ثعة فخرج من جوفه مثل الجرو الاسود
فشفي وظهرت اجابة دعائه صلى الله عليه وسلم في من دعا لهم وعليهم في أمور
لا تحصى ومن ذلك دعاؤه لانس بن مالك بطول العمر وكثرة ماله والولد فعاش
نحو المائة أو أكثر ودفن مائة من ولده لصلبه وكان كرمه يحمل في السنة
مرتين ولعبد الرحمن بن عوف بالبركة فحفر الذهب في تركته بالفؤوس حتى
مجلت فيه الايدي ولابن عباس بالفقه في الدين والحكمة والتأويل فكان
بحر الاحبار وسمي حبر الامة وترجمان القرآن ولعلي رضي الله عنه أن
يكفى الحر والقر فكان يلبس في الشتاء ثياب الصيف وفي الصيف ثياب
الشتاء ولا يصيبه حر ولا برد ولفاطمة رضي الله عنها أن لا يجيعها الله تعالى
فما جاعت بعد ودعا على مضر فأقحطوا حتى استعطفته قريش فدعا لهم فسقوا
وعلى كسرى حين مزق كتابه ان يمزق الله ملكه فلم يبق له باقية ولا
بقيت لفارس رياسة وقال لرجل يأكل بشماله كل بيمينك فقال لا أستطيع
فقال لا استطعت فما رفعها الى فيه بعد وعلى عتبة بن أبي لهب اللهم سلط
عليه كلباً من كلابك فأكله الاسد وعلى الحكم بن أبي العاص وكان يختلج
بوجهه ويغمز عند النبي صلى الله عليه وسلم فرآه صلى الله عليه وسلم فقال
كن كذلك فلم يزل يختلج الى أن مات وعلى محلم بن جثامة فمات لسبع
فلفظته الارض ثم دفن فلفظته مرات فالقوه بين صدين ورضموا عليه
الحجارة قال القاضي عياض وهذا الباب أكثر من ان يحاط به انتهى قال
في المنهج الاعدل نقلاً عن بعض العلماء ان من أعظم معجزاته حاله صلى الله
عليه وسلم وهو ما استمر عليه من الآداب والاخلاق كتأدبه بآداب القرآن
وعزائمه كالحلم والصبر والعفو مع الاقتدار وكتمام التواضع للضعفاء
والترفع على الاغنياء ومقابلة السيئة بالحسنة وكتمام الجود مع تمام الزهد
في الدنيا وشدة الخوف من الله تعالى بحيث يظهر عليه أثره ومع الفراغ
من حظوظ النفس وكالشجاعة الى حد الغاية والاصرار على الدعوة مع
ما يرى فيها من المتاعب والمشاق ومنها تكميله لغيره بحيث بلغ من الصحابة
والتابعين وتابعيهم الى مقام الولاية أكثر من عشرة آلاف وظهر في أمته

من العلماء المجتهدين والعباد والزاهدين والاولياء العارفين ما لا يحصى
ببركته صلى الله عليه وسلم وتأييده اياهم من الدين والكمالات ما كان سببا
لذلك انتهى ملخصا ﴿و﴾ اختلف في محل مولده صلى الله عليه وسلم فقيل
كان بعسفان وهذا القول باطل وقيل بباب شبيكة كجهينة واد قرب العرج
وموضع بين مكة والزاهر او بئر هناك كما في القاموس وقيل بردم بني جمح
وقيل بشعب بني هاشم وهو المشهور بل حكي عليه الاجماع وعبارة
الازرقي لا اختلاف فيه بين أهل مكة انه ﴿كان مولده﴾ أي ولادته
﴿صلى الله عليه وسلم بالموضع﴾ المشهور بمكة ﴿المعروف﴾ في سوق
الليل آخر شعب بني هاشم قال في النعمة الكبرى كان دار الاخي الحجاج
ابن يوسف الثقفي وصلت اليه من ولد عقيل بن أبي طالب وكان عقيل وضع
يده عليها لما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم ثم اشترتها الخيزران أم هارون
وبنتها مسجدا يصلى فيه ثم لا زال الخلفاء والسلاطين يتعاهدونها
بالبناء والتجديد الى الآن وقد كان وراءها بركتان عظيمتان يستقي منهما
الحاج ثم خربتا وهما على ما ظاهر الى الآن ومن الغريب جدا ان المولد بردم بني
جمح سمي به لما ردم فيه من قتلاهم لما قاتلوا بني محارب بن فهر وقيل وليس
هو الردم المسمى بالمدعى الآن لان هذا انما كان في خلافة عمر رضي الله
عنه واغرب منه ما قيل انه ولد بعسفان ولم يعول أئمتنا عليه بل قالوا يجب
الايمان بأنه ولد بمكة وهذا أول واجب للاولاد على اصولهم انهم يعلمونه
اياهم اذا بلغوا سبع سنين وميز وابن قضية كلام بعضهم ان انكار ذلك كفر
كانكار كونه قرشيا ﴿بالعراص﴾ بكسر العين المهملة فراء فصاد
مهملتين بينهما ألف جمع عرصة كضربة وهي كل موضع واسع لا بناء فيه
وتجمع على عرصات سميت بذلك لان الصبيان يتعرصون فيها أي يلعبون
ويمرحون ﴿المكية﴾ أي المنسوبة لمكة ﴿والبلد﴾ اسم من أسماء
مكة قال تعالى وأنت حل بهذا البلد ﴿الذي لا يعضد﴾ بضم أوله وسكون
العين المهملة وفتح الضاد المعجمة بعدها دال مهملة مبنيا للمفعول اى
لا يقطع ﴿شجره﴾ وهو ما له ساق من النبات ﴿ولا يختلى﴾ بضم المثناة
تحت وسكون الخاء المعجمة وفتح المثناة فوق فلام أي لا يقطع فهو من قبيل

عطف الرديف (خلاه) بفتح الخاء المعجمة مقصورا جمع خلاة النبات
الرقيق ما دام رطبا واذا يبس فهو حشيش واصل هذا ما رواه البخاري في
صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يوم فتح مكة ان هذا البلد حرام حرمه الله تعالى لا يعضد شوكه ولا ينفر
صيده ولا تلتقط لقطته الا من عرفها وعن أبي شريح العدوي رضي الله
عنه انه قال لعمرو بن سعيد لما أراد بعث الناس الى مكة لقتال ابن الزبير
ائذن لي أيها الامير احدثك حديثا سمعته اذناي ووعاه قلبي انه صلى الله
عليه وسلم قال ان مكة حرمها الله تعالى ولم يحرمها الناس فلا يحل لامرئ
يؤمن بالله واليوم الآخر ان يسفك بها دما ولا يعضد بها شجرا فان احد
ترخص بقتال رسول الله فيها فقولوا ان الله عز وجل اذن لرسوله ولم يأذن
لكم وانما أذن لي فيها ساعة من نهار ثم عادت حرمتها اليوم كحرمتها
بالامس فليبلغ الشاهد الغائب انتهى قوله لا يعضد شوكه فيه دليل على
تحريم نبات الحرم من الشجر والكلأ سواء الشوك المؤذي وغيره وهو
الذي اختاره المتولي وقال الزركشي وهو الاصح وقال جمهور أصحابنا لا يحرم
الشوك وان لم يكن بائنا في الطريق لانه مؤذ كصيد صول واعتبروا
لقابله بصحة النهي عن قطع شوكه بخصوصه فلا يصح الجواب عنه بأنه
مخصوص بالقياس على الفواسق الخمس على ان الفرق ان تلك نوع
اختيار بخلاف الشوك وحاصل المذهب انه لا فرق في التحريم وايجاب
الضمان بين النابت بنفسه والمستنبت كالاشجار المثمرة والقرع
والخلاف والفرصاد لظاهر الخبر قال الماوردي ومحل الخلاف فيما انبت
في موات الحرم فان انبت في املاكه لم يحرم بلا خلاف هذا بالنسبة
الى الشجر وقيده ابن الرفعة بالرطب قال اما اذا كان الشجر قد جف
وقلعه فلا شيء عليه وجوز القاضي حسين القطع بالطاء لا بالدال فلا يلزم من
جواز القطع القلع بدليل الحشيش اليابس فانه يجوز قطعه ولا يجوز قلعه
لكن فرق الشهاب ابن حجر في التحفة بان الحشيش ينبت اذا اصابه ماء قال
ومن ثم لو علم فساد منبته من اصله جاز قلعه قال وكأنهم انما لم يعبروا بهذا
التفصيل في الشجر لندرته فيه بفرض تصوره اه فلا يقاس الشجر على

الحشيش ولم يتكلم النووي في الروضة وشرح المهذب على الشجر اليابس وانما تعرض للقلع فقط قال الزركشي قديوهم تحريم القلع والصواب الجواز كما سبق انتهى وأما المستنبت بالنسبة الى غير الشجر كالحنطة والشعير وسائر المضروات فيجوز قطعه وقلعه بلا خلاف لمالكه ولو قطعه غيره فعليه قيمته له ولا شئ عليه لما كين قاله الخفاف في كتاب الخصال وقد استثنى اصحابنا من التحريم والتفهيم في الثابت بنفسه مسائل احدها الاذخر لورود التصريح باستثنائه في الصحيح الثانية الشوك كالعوسج وغيره لاذاه الثالثة اذا احتيج لشئ من الكلا لعلف البهائم جاز أخذه على الاصح لان المنع منه لاجابها كما يجوز تسرحها فيه الرابعة اذا احتيج اليه للدواء فالاصح لايحرم قطعه كالحاجة الى الاذخر وقد استثناه الشرع الخامسة اذا احتيج اليه للحاجة التي يقطع لها الاذخر كتسقيف البيوت ونحوه السادسة مايتغذى به كالرجلة المسماة بالبقلة ونحوذلك لانه في معنى الزرع صرح باستثنائها المحب الطبري في شرح التنبيه ﴿فائدة﴾ لمكة أسماء كثيرة بكة والبيت العتيق والبيت الحرام والمأمون وام القرى والناسة بالنون في أوله والسين المهملة في آخره والباسة بالباء الموحدة والناسة بنون ثم سين مشددة وصلاح بفتح الصاد وكسر الحاء المهملتين قال في القاموس كقطام وقد يصرف مكة انتهى وأم رحم بضم الراء وتسكين الحاء المهملتين وام زحم بالزاي المعجمة وفي القاموس ام الصبح بالضم مكة انتهى وكوثى بضم الكاف وفتح الثاء المثلثة والحاطمة والعرش بفتح العين المهملة واسكان الراء على وزن نذر ويصح ضم العين والراء والتصغير والقادسة والمقدسة والبلد الامين والبلد والبلدة والقرية والثنية وطيبة والحرم والمسجد الحرام والعطشة وبرة والرتاج والكعبة والرأس ذكرها الزركشي في اعلام الساجد وقال الحافظ صدر الدين أبوعلي الحسن بن محمد البكري في الاربعين البلدانية ويقال لها قبلة أهل الاسلام ومعاد وصاحب المشاعر العظام والزمزم والمقام والمسجد الحرام وهي مهبط الوحي وملاذ الرسل ومعاذ الصالحين من سائر الامم وقال النووي في أسماء البلدان لا يعلم أبدا أكثر

من أسماء مكة والمدينة وتقدم ذكر أسمائهما الكريمة أفضل الارض
وذلك لكثرة الصفات المقتضية للتسمية وكثرة الاسماء تدل على شرف
المسمى أي غالبا ولهذا كثرت أسماء الله تعالى ورسوله صلى الله عليه
وسلم حتى قيل ان لله تعالى ألف اسم ولرسوله صلى الله عليه وسلم كذلك
انتهى ﴿و﴾ اعلم انه قد ﴿اختلف﴾ بالبناء للمفعول ﴿في﴾ تعيين
﴿عام﴾ هو من اول المحرم الى آخر ذي الحجة كما نقل عن ابن الاثير ويطلق
السنة على أي وقت في دور الى مثله من الدور الثاني وقد فرق بينهما الامام
السهيلي في الروض الانف لكن باعتبار أصل الوضع فان السنة من دور
الشمس الى عودها لمحلها الاول من سنى بمعنى دار ومنه السانية والعام
ما اشتمل على الفصول الاربعة بتمامها وهما هنا بمعنى ﴿ولادته صلى الله
عليه وسلم﴾ هل هو عام الفيل او قبله أو بعده فقيل عام الفيل قال الحافظ
ابن كثير هو المشهور عند الجمهور وعن ابراهيم بن المنذر شيخ البخاري لا يشك
فيه أحد من العلماء ونقل غير واحد فيه الاجماع وقال كل قول يخالفه وهم
وسيأتي ما فيه واختلفوا فيما بقي منه وقيل يوم الفيل وقيل بعده بشهر
وقيل بأربعين يوما وقيل بخمسين يوما وهو الراجح المشهور كما سيأتي وقيل
بخمسة وخمسين يوما وقيل بشهرين وستة أيام وقيل قبل الفيل بخمس
عشرة سنة قال بعضهم وهذا غريب منكر وضعيف أيضا وقيل بعد
الفيل بسنتين وقيل بعشر سنين وقيل بخمس عشرة سنة وقيل بثلاثة
وعشرين عاما وقيل بثلاثين عاما وقيل بأربعين وقيل بسبعين عاما ويرد
القول بأن الولادة كانت بعد الفيل بعشر سنين فما بعدها بأن قصة الفيل
انما كانت توطئة لنبوته ومقدمة لظهوره وبعثته والا فأصحاب الفيل كما
قال ابن القيم كانوا نصارى أهل كتاب وكان دينهم خيرا من دين أهل مكة
اذ ذاك لانهم كانوا عباد أوثان فنصرهم الله تعالى على أهل الكتاب نصرة
لا صنع للبشر فيها ارهاصا وتقدمة لخروج هذا النبي صلى الله عليه وسلم
الاعظم من هذه البنية التي قصدوا هدمها وتخريبها وارادة أهلها
المندرج نور النبوة في رتبهم المقصود بالسلالة الزوجية الزكي في انسان
العيون ان الارهاصات انما تكون بعد وجوده وقيل مبعثه الذي هو

دعواه

دعواه الرسالة لاقبل وجوده بالكلية الذى هو المراد بظهوره وحينئذ فقول القاضى البيضاوى رحمه الله انها من الارهاصات اذ روى انها وقعت فى السنة التى ولد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم أى بعد وجوده ومن ثم قال ابن القيم فى الهدى انه مما جرت به عادة الله تعالى ان يقدم بين يدى الامور العظيمة مقدمات تكون كالمقدمة لها فمن ذلك قصة بعثه صلى الله عليه وسلم تقدمها قصة الفيل انتهى قال وذلك يضعف أيضا الاقوال بانها كانت بعد الفيل بشهر فأكثر ويؤيد القول بانها كانت قبل الفيل كان ذلك والقول بان الولادة كانت قبل عام الفيل اوفيه او بعده يقتضى تضعيف ماذكره الحافظ أبو سعيد النيسابورى رحمه الله تعالى فى قصة طويلة ذكرها فى سبب اتيان ابرهة الى هدم الكعبة وماوقع بينه وبين عبد المطلب من ان نور النبى صلى الله عليه وسلم كان فى ظهر عبد المطلب وانه استدار ذلك النور فى وجهه يومئذ أى وان الفيل لما نظر الى وجهه برك كما يبرك البعير وخر ساجدا وأنطق الله الفيل وقال السلام على النور الذى فى ظهرك يا عبد المطلب واشباه ذلك مما ورد فى وجود النور فى عبد المطلب اذ لا يتم ان الولادة فى ذلك الوقت يلزمه ان يكون النور انتقل من عبد المطلب الى عبد الله ومنه الى آمنة ثم رأيت العلامة ابن حجر حاول الجواب عن ذلك بان النور وان انتقل من عبد المطلب لكن اكرمه الله باحداث نور آخر أوجده فى صلبه أو أثر ذلك النور كان باقيا فى ظهره والله أعلم ﴿و﴾ كذا اختلف ﴿فى﴾ تعيين ﴿شهرها﴾ فقيل فى ربيع الاول وقيل فى شهر غير معين وقيل فى صفر وقيل فى ربيع الآخر وقيل فى رمضان لثمان خلت منه وصححه كثير من العلماء وقيل لاثنتى عشرة ليلة خلت منه وقيل فى رمضان كما مر عن الزبير بن بكار ونقله عن ابن عمر غير صحيح وهو موافق لما هو مثله فى الشذوذ ان أمه حملت به فى أيام التشريق وقيل فى محرم وقيل يوم عاشوراء من شهر المحرم حكاه ابن شاهين وقيل لخمس بقين منه قال بعضهم وهذا القول غريب جدا ﴿و﴾ كذا اختلف ﴿فى﴾ تعيين ذات ﴿يومها﴾ وفى أى وقت منه وفى أى يوم من شهرها فقيل يوم الاثنين قال بعضهم لاخلاف فيه والله وقيل يوم الجمعة وهو قول ساقط مردود بل قال

بعضهم خطأ وان ثم قال بعضهم مقتضى قول المصنف رحمه الله تعالى وفى يوما انه وقع خلاف فى ذات اليوم فقيل يوم الاثنين وقيل يوم الثلاثاء ولا نعلم ان بعضهم حكى الاجماع على انه يوم الاثنين ويجاب بانه اعاد كره اشارة لوقوع الاختلاف فى ذات اليوم وقد وقع وان كان سقوطا مردودا كما علمت ولا يقدح ذلك فى حكاية الاجماع الا يعترض عليه وقيل يوم الاثنين من ربيع الاول من غير تعيين والجمهور على انه معين واختلفوا فى تعيينه فقيل لاثنتى عشرة ليلة خلت منه وهو الراجح المشهور وقيل لليلتين خلتا منه وقيل لثمان خلت منه واختاره أكثر أهل الحديث وغيرهم بل اجمع عليه أهل التاريخ بل نقل عن ابن دحية انه قال وهو الذى لا يصح غيره وقيل لعشرة منه حكاه مغلطاى والدمياطى وصححه ورواية عن الباقر لم تصح وقيل لست عشرة منه وقيل لثمان عشرة وقيل لسبع عشرة خلت منه وقيل لثمان بقين منه وقيل لاثنى عشر بقين منه وقيل ان اليوم غير معين ﴿على أقوال﴾ مختلفة ونعت ﴿للعلماء﴾ أى علماء هذا الشأن يعنى التاريخ ﴿مرويه﴾ محكية عنهم وقد حررنا بعضها كما رأيت ﴿و﴾ مع ذلك فـ ﴿الراجح﴾ من الاقوال فى تعيين كل من العام والشهر واليوم ﴿انها﴾ أى الولادة الشريفة على طريق اللف والنشر المعكوس كانت ﴿قبيل﴾ طلوع ﴿فجر يوم الاثنين﴾ قال بعضهم وحكى عليه الاجماع وعليه العمل الآن فى الامصار خصوصا اهل مكة فى زيارتهم موضع مولده الشريف صلى الله عليه وسلم وقيل انها كانت عند ابهار النهار أى وسطه لثنتى عشرة خلت من شهر ربيع الاول وعلى كل فالولادة كانت نهارا والاحاديث الصحيحة دالة على ذلك كحديث مسلم سئل صلى الله عليه وسلم عن صوم يوم الاثنين فقال فيه ولدت وفيه أنزل على واخرج احمد عن ابن عباس ولد صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين ونبئ فيه وخرج من مكة مهاجرا فيه وقدم المدينة فيه ورفع الحجر الاسود فيه وزيد ان نصرة بدر فيه ورد بان الاكثر على انها يوم الجمعة سابع عشر من رمضان وأجيب بانه الذى عند أهل التاريخ ومشاهير المحدثين ومن يعتمد على قوله من السلف الاول وقال بعض متأخرى الحفاظ ومنهم البدر الزركشى الصحيح انه ولد يوم

الفجر يوم الاثنين أي لهذه الاحاديث الصحيحة الصريحة فيه فلا يعارضه تدلي النجوم قال ابن دحية لانها ضعيفة وقال البدر الزركشي لان الزمان زمان ظهور الخوارق فلا مانع من تدلي النجوم نهارا قال الزرقاني قال النجم وقد يقال ان الولادة عقب الفجر وللنجوم حينئذ سلطان كما في الليل فلا ينافي سقوطها انتهى وقيل كان مولده عند طلوع الغفر بفتح الغين المعجمة وسكون الفاء ثم راء مهملة وهو ثلاثة أنجم صغار بنزلها القمر وهو مولد النبيين أي وقت مولدهم انتهى وقال جماعة ولد ليلا واستدلوا بخبر رواه ابن السكن من حديث عثمان بن أبي العاص عن أمه فاطمة بنت عبد الله الثقفية انها شهدت ولادة النبي صلى الله عليه وسلم ليلا قالت فما شيء أنظر اليه من البيت الا نور وانى لانظر الى النجوم تدنو حتى انى لاقول ليقعن على وبتصريح عائشة رضي الله عنها بذلك كما رواه الحاكم وسبقت أخبار تدل له ومن ثم قال شيخ الاسلام الحافظ ابن حجر أكثر الاخبار تقتضي انه ولد ليلا لكن الذي صح عند مسلم وغيره كما مر خلاف ما فيها فالاصح انه ولد نهارا لكن بعيد الفجر كما في حديث وان كان فيه ضعف لان الضعيف في الفضائل والمناقب يعمل به اتفاقا وهو الذي رجحه المصنف رحمه الله تعالى قال المحقق ابن حجر فن اطلق انه ولد ليلا أراد بالليل ما قبل طلوع الشمس أو أراد مجاز المجاورة وليس في رواية ان النجوم تدلت عند ولادته ما يدل على ان ذلك كان قبل الفجر لما مر عن الزركشي وزيادة في اكرامه صلى الله عليه وسلم وقد أشار صاحب الهمزية الى التردد في وقت الولادة بقوله

ليلة المولد الذي كان للدين سرور بيومه وازدهاء

وقد أضاف كلا من الليل واليوم للولادة مراعاة للخلاف في ذلك هذا تحرير ما وقع من الخلاف في يوم ولادته صلى الله عليه وسلم وأما شهرها فالراجح في تعيينه كما قال المصنف رحمه الله تعالى انه ﴿ثاني عشر شهر ربيع الاول﴾ هو في الاصل اسم لفصل معين من فصول السنة الاربعة ثم جعل علما على كل من الشهرين المعروفين اللذين هما الثالث والرابع من شهور السنة العربية فلذا التزم اضافة شهر اليه عند ارادة أحد الشهرين العربيين تمييزا

لمن فصل الربيع ووجب تمييز كل من الشهرين بوصفه اللازم له من الاول والآخر اعتبر احدهما بالآخر كذا قال بعضهم وقد ينازع في لزوم الاضافة لاجل التمييز اذ يحصل بالوصف الا ان يقال لزوم الاضافة لحصول التمييز من أول الامر قبل النطق بالوصف وكون الولادة في شهر ربيع الاول هو الصحيح الذي عليه المعول وهو الاشهر بل الصواب بل حكى ابن الجوزي الاتفاق عليه لكن قال ابن حجر مراده اتفاق الاكثر وأما موسم ذلك الوقت فكان في نيسان كما أشار الى ذلك في المواهب وشرحه حيث قالا ووافق ذلك من الشهور الشمسية نيسان بفتح النون وهو سابع الاشهر الرومية كما في القاموس وكان برج الحمل وفي الدرر عن الدمياطي ولد في برج الحمل وهو يحتمل ان يكون في نيسان وان يكون في آذار انتهى لكن ما جزم به المصنف نقله في روضة الاحباب عن أبي معشر الفلكي وكان ذلك أي مولده لعشرين مضت منه من نيسان بالهاء الواردي انتهى كلام المواهب وشرحه قال الخفاجي في شرح الشفاء وجاءت به أمه آمنة نهارا وولد ليلا في شعب أبي طالب عند الجمرة الوسطى ووافق مولده يوم عشرين من نيسان سنة اثنين وثمانين من التاريخ الاسكندري وقيل كان في الساعة العاشرة لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الاول فكان كما قيل ربيع في ربيع انتهى وحكمة كونه صلى الله عليه وسلم لم يولد في ليلة الجمعة ولا في يومها ولا في رمضان ولا في بعض اشهر الحرم مع انها افضل من غيرها انه لا يتوهم انه تشرف بالزمان وليس الامر كذلك بل الزمان هو الذي يتشرف برسول الله صلى الله عليه وسلم فخص بزمن غير شريف ليحصل له التشرف به على التشريف وهذا وحكمة كونه دفن بالمدينة دون مكة وفي ولادته صلى الله عليه وسلم في فصل ربيع الذي هو أعدل الفصول وأحسنها رمز الى ان شريعته أعدل الشرائع وأحسنها ولله در من قال

يقول لنا لسان الحال عنه * وقول الحق يعذب للسميع

فوجهي والزمان وشهر وضعي * ربيع في ربيع في ربيع

وقد اختص هذا الشهر بهذه المنقبة العظيمة التي فاق بها على سائر الشهور وفاز بهذه الكرامة الكبرى التي صار بها مذكورا على مر الدهور

ولقد أجاد من قال

لهذا الشهر في الاسلام فضل * ومنقبة تفوق على الشهور
فمولود به واسم ومعنى * وآيات برزن لدى الظهور
ربيع في ربيع في ربيع * ونور فوق نور فوق نور

والراجح ايضا من الاقوال في عام ولادته صلى الله عليه وسلم ويومها انها بعد مضى خمسين يوما على المشهور ﴿من عام الفيل﴾ أى من يومه كما في الفتح وغيره وفي المواهب فالاكثرون على انه ولد عام الفيل وبه قال ابن عباس رضى الله عنهما ومن العلماء من حكى الاتفاق عليه وقال كل قول يخالفه وهم لكن قال مغلطاى فيه نظر قال الزرقانى يعنى لكثرة الخلاف وتقدم عن الحافظ ابن كثير في سرد الاقوال المختلفة في عام الولادة انه المشهور عند الجمهور قال ووقع عند البيهقى والحاكم عن ابن عباس قال ولد صلى الله عليه وسلم يوم الفيل لكن المراد مطلق الوقت لقول يحيى بن معين يعنى عام الفيل اه كما في اليوم الفتح ويوم البدر ويحتمل حقيقة اليوم فهو أخص من الاول وبه صرح ابن حبان في تاريخه فقال ولد عام الفيل في اليوم الذى بعث فيه الطير الابابيل على أصحاب الفيل ذكره الحافظ في شرح الدرر وفي النعمة الكبرى وكان مولده صلى الله عليه وسلم عام الفيل كما رواه الترمذى وغيره والحاكم وصححه وهو المراد بيوم الفيل في رواية اذ اليوم يطلق ويراد به مطلق الوقت قال في المنهج الاعدل أقول والذى تلخص من الاقوال المحكية في عام الولادة الشريفة خمسة عشر قولا منها قول واحد بانها قبل الفيل والباقى متفقة كلها على انها كانت بعده وانما الاختلاف بين قائليها في قدر المدة الفاصلة بين وقت الفيل ووقت الولادة وهل مقدرة بالايام والاشهر أو السنين فتأمله والله أعلم انتهى وقد تقدم تحرير ذلك ثم أشار المصنف الى قصة الفيل بقوله ﴿الذى صده الله﴾ أى منعه ﴿عن﴾ الوصول والبعث في ﴿الحرم﴾ المحترم ﴿وحماه﴾ أى حفظه منه ومن أصحابه كما قص الله سبحانه وتعالى علينا من خبرهم في قوله عز من قائل ألم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل السورة وذلك ان أبرهة ابن الصباح الاشرم ملك اليمن من قبل اصحمة النجاشى وكان نصرانيا رأى الناس يتجهزون أيام

الموسم للحج فقال أين يذهبون قيل يحجون بيت الله بمكة قال وما هو قيل
من الحجارة فقال والمسيح لابنين لكم بيتا خيرا منه فبنى لهم كنيسة لم ير مثلها
في زمانها وجعل أرضها من الرخام الاسود والاحمر والاصفر كان نقله اليها
من قصر بلقيس وركب فيها صلبانا من ذهب وفضة وجعل فيها منابر
عاج وأبنوس وجعل ارتفاعها ما ظهر جدا واتساعها كبيرا وحلاها
بالذهب والفضة وأنواع الجواهر ثم كتب الى النجاشي اني
كنيسة لم يبن مثلها لملك كان قبلك وأريد ان أصرف اليها حاج العرب فلما
تحدثت العرب بكتاب أبرهة ذلك الى النجاشي غضب رجل من كنانة فخرج
حتى أتى الكنيسة فتغوط فيها ولطخ قبلتها بالعذرة ولحق بأرضه
ذلك ابرهة وحلف ليسيرن الى البيت حتى يهدمه وكتب الى النجاشي يخبره
بذلك وسأله ان يبعث اليه بفيله فلما قدم اليه الفيل بعث رجلا
الى بني كنانة يدعوهم الى حج تلك الكنيسة فقتلت بنو كنانة ذلك الرجل
فزاد أبرهة ذلك غضبا فأمر الحبشة فتهيأت وتجهزت ثم خرج في ستين ألف
ومعه الفيل حتى اذا كان بأرض خثعم عرض له نفيل بن حبيب الخثعمي
في قبيلتي خثعم وناهس ومن تبعه من قبائل العرب فقاتله فهزم
واصحابه وأتي به اسيرا الى ابرهة فلما هم بقتله قال له نفيل أيها الملك لا تقتلني
فاني دليلك بأرض العرب فخلى سبيله وخرج معه يدله حتى أتى المغمس بضم
الميم الاولى وفتح الغين المعجمة وتشديد الميم الثانية مفتوحة أو مكسورة فلما
نزل به بعث رجلا من الحبشة على خيل له حتى انتهى الى مكة فساق اليه
أموال تهامة من قريش وغيرهم وأصاب فيها مائتي بعير لعبد المطلب بن
هاشم فهموا بقتاله ثم عرفوا أنهم لا طاقة لهم به فتركوه وبعث ابرهة حناطة
الحميري الى مكة وقال له سل عن سيد هذا البلد وشريفهم ثم قل ان الملك
يقول اني لم آت لحربكم انما جئت لهدم هذا البيت فان لم تعرضوا للحرب فلا
حاجة لي بدمائكم فان لم يرد حربي فأتني به فلما دخل مكة سأل عن سيد
قريش وشريفها فقيل له عبد المطلب بن هاشم فجاءه وأخبره بما أمره به
ابرهة فقال له عبد المطلب والله ما نريد حربه وما لنا بذلك من طاقة هذا بيت
الله الحرام و بيت خليله ابراهيم عليه السلام وان يمنعه منه فهو حرمه وبيته

وان يخل بينه و بينه فوالله ما عندنا دفع عنه ثم قام وانطلق معه الى ابرهة فلما وصل الى قريب من ابرهة أمر بادخاله على الفيل أولا ارهابا له فادخلوه عليه وكان الفيل المذكور لا يسجد لاحد الا للنجاشي فحين رأى عبد المطلب سجد له وذكر بعضهم ان نور النبي صلى الله عليه وسلم كان فى ظهر عبد المطلب وانه استدار ذلك النور فى وجهه يومئذ وان الفيل لما نظر الى وجه عبد المطلب برك كما يبرك البعير وخر ساجدا وانطق الله الفيل وقال السلام على النور الذى فى وجهك وفى ظهرك فاخبروا ابرهة بذلك فوقع فى نفسه شئ منه وكان عبد المطلب أوسم الناس وأجملهم وأعظمهم فلما دخل على ابرهة ألقيت له الهيبة فى قلبه فاجله واعظمه عن ان يجلسه تحته فنزل عن سريره وأجلسه بجنبه على بساطه ثم قال لترجمانه سله عن حاجته فقال حاجتى ان يرد الى الملك مائتى بعير اصابها لى فلما قال ذلك قال له ابرهة قل له لقد كنت اعجبتنى حين رأيتك ثم قد زهدت فيك حين كلمتنى أتكلمنى فى مائتى بعير أصبتها لك وتترك بيتا هو دينك ودين آبائك قد جئت لهدمه ولا تكلمنى فيه قال انى أنا رب الابل وان للبيت ربا سيمنعه قال ما كان ليمنع منى قال أنت وذاك فرد عليه ابله وانصرف عبد المطلب الى قريش فاخبرهم الخبر وأمرهم بالخروج من مكة والتحرز فى شعب الجبال ثم قام عبد المطلب ومعه نفر من قريش يدعون الله ويستنصرونه على ابرهة وجنوده وأخذ عبد المطلب بحلقة باب الكعبة وهو يقول

يارب لا أرجو لهم سوالك * يارب فامنع منهم حمالك

ان عدو البيت من عادالك * امنعهم ان يخربوا قرالك

ثم أرسل عبد المطلب حلقة باب الكعبة وانطلق هو ومن معه من قريش حتى طلع جبل ثبير فاستدارت دائرة غرة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى جبهته كالهلال واشتد شعاعها على البيت الحرام كالسراج فلما نظر عبد المطلب ذلك قال يامعشر قريش ارجعوا فقد كفيتم هذا الامر فوالله ما استدار هذا النور منى الا ان يكون الظفر لنا فرجعوا متفرقين والظاهر كما تقدم عن ابن حجر ان الله أكرم عبد المطلب فاحدث فيه ثانيا نورا آخر أوجده فى صلبه وأطلع الفيل وغيره عليه أو أثر لما تقدم من انه انتقل الى عبد الله. ومنه الى

آمنة لانه صلى الله عليه وسلم ولد عام الفيل كما تقدم ثم ان ابرهة أرسل رجلا
يتعرف حال القوم فلما نظر وجه عبد المطلب خضع وخر مغشيا عليه فلما
أفاق سجد لعبد المطلب وقال أشهد انك سيد قريش فقال عبد المطلب
يا معشر قريش لا يصل الى هدم هذا البيت لان له ربا يحميه ثم امر ابرهة
بدخول مكة وهيأ فيله وكان اسمه محمودا وكنيته أبو العباس وقيل أبو الحجاج
فقام نفيل بن حبيب الى جنبه ثم أخذ باذنه وقال ابرك محمود او ارجع راشدا
من حيث جئت فانك في بلد الله الحرام ثم أرسل أذنه فبرك فضربوه في رأسه
بالطبرزين وهو آلة من حديد وادخلوا محاجن لهم في مراقه فبزغوه به ليقوم فأبى
فوجهوه راجعا الى اليمن فقام يهرول ووجهوه الى الشام ففعل مثل ذلك
ووجهوه الى مكة فبرك وأورد عليه ان الفيل ليس له مفصل في ركبتيه حتى
يكون منه ذلك قال السهيلي يحتمل ان يكون بروكه سقوطه الى الارض لما
جاءه من أمر الله ويحتمل انه فعل فعل البارك وهو الذي يلزم موضعه ولا
يبرح فعبر بالبروك عن ذلك وقال في انسان العيون وقد سمعت من يقول ان
الفيلة صنفان صنف منها يبرك كما يبرك الجمل قال ابن الصلت

ان آيات ربنا بينات * ما يماري بهن الا كفور
حبس الفيل بالمغمس حتى * ظل يحبو كأنه معقور

ثم أرسل الله عليهم الطيور الابابيل أي الجماعات المتفرقات امام كل جماعة
طائر احمر المنقار اسود الرأس طويل العنق من جهة البحر مع كل طائر ثلاثة
أحجار حجر في منقاره وآخران في رجليه وكانت أمثال العدس وقيل كانت
أكبر من العدس ودون الحمصة وكان الحجر يصيب رأس الرجل فيخرج
من دبره أو من أسفل مركوبه ان كان راكبا مكتوب على كل حجر اسم صاحبه
المقتول به وقيل كان على كل حجر مكتوب من أطاع الله نجا ومن عصاه غوى
وجلس عبد المطلب في مكان عال ينظر ما يصنع أبرهة فمرت عليه تلك الطير
وقيل ما هي بنجدية ولا تهامية بل هي طير غير مؤلفة بيضاء قدر اليعاسيب
جمع يعسوب وهي أم النحل قال سعيد بن جبير كانت طيرا من السماء لم ير
قبلها ولا بعدها مثلها وروى جويبر عن الضحاك عن ابن عباس قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انها طير بين السماء والارض تعشش

وتفرخ وعن ابن عباس كانت لها خراطيم كخراطيم الطير وأكف كأكف الكلاب وقال عكرمة كانت طيرا خضرا خرجت من البحر لها رؤس كرؤس السباع ولم ترقبل ذلك ولا بعده وقالت عائشة هي أشبه شئ بالخطاطيف وقيل بل كانت أشباه الوطاويط حمراء وسوداء وقيل غير ذلك ولعلها كانت أنواعا وكان عدد الطيور عشرين ألفا فكان كل طائر يقتل ثلاثة فلم يرجع منهم أحد الا وزير ابرهة ابو يكسوم ومعه طائر يطير فوقه حتى بلغ النجاشي فقص عليه القصة فلما أتمها وقع عليه الحجر فخر ميتا بين يديه ويروى انها لم تصبهم كلهم لكنها أصابت من شاء الله منهم وخرجوا هاربين يبتدرون الطريق التي منها جاؤا ويسئلون عن نفيل ابن حبيب ليدلهم على الطريق الى اليمن فقال نفيل بن حبيب حين رأى ما أنزل الله بهم من نقمته

أين المفر والاله الطالب * والاشرم المغلوب ليس الغالب

وقال أيضا

حمدت الله اذ أبصرت طيرا * وخفت حجارة تلقى علينا

فكل القوم يسأل عن نفيل * كأن عليه للحبشان دينا

فخرجوا يتساقطون بكل طريق ويهلكون على كل منهل وأصيب ابرهة في جسده بالجذام وخرجوا به معهم تتساقط أعضاؤه وأنامله أنملة أنملة وسال منه القيح والصديد والدم وما مات حتى انشق قلبه وكان كلما دخل أرضا وقع منه عضو حتى قدموا به صنعاء وهو مثل فرخ الطائر ليس عليه غير رأسه فمات بها قال ابن اسحاق لما رد الله الحبشة من مكة عظمت العرب قريشا وقالوا أهل الله قاتل عنهم وكفاهم مؤنة عدوهم فكان ذلك نعمة من الله عليهم وكانت هذه القصة ارهاصا لنبوته عليه الصلاة والسلام ولما هلك ابرهة وتمزقت الحبشة بقيت تلك الكنيسة خربة وسكنها الجن فكان كل من تعرض لاخذ شئ من بنائها وامتعتها اصابته الجن بسوء لانه كان بناها على اسم صنمين واستمرت هكذا الى زمن السفاح أول خلفاء بني العباس فبعث اليها جماعة من أهل الحزم والعزم والعلم فنقضوها حجرا حجرا واندرست ولله الحمد والمنة

﴿عطر اللهم قبره الكريم * بعرف شذي من صلاة وتسليم اللهم صل
وسلم وبارك عليه﴾

ولما فرغ المصنف رحمه الله تعالى من الكلام على ولادته صلى الله عليه وسلم
وما يتعلق بها من العجائب والغرائب شرع يتكلم في الرضاع وما يتعلق به
من ذلك فقال ﴿وارضعته﴾ من الرضاع وهو امتصاص اللبن من
الثدي ﴿أمه﴾ نسبا آمنة بنت وهب ﴿أياما﴾ قيل ثلاثة وقيل
سبعة وقيل تسعة ووقع لبعضهم سبعة أشهر وهو وهم كأنه اشتبه عليه
سبعة أيام بأشهر أو أنه تحريف من الناقل ﴿ثم أرضعته﴾ أياما قلائل
قبل قدوم حليمة ﴿ثويبة﴾ مصغر ثوب مع زيادة تاء التأنيث في آخره
﴿الاسلمية﴾ أي المنسوبة الى أسلم بطن من أزد وهي جرثومة من جراثيم
قحطان وقد صح ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اسلم سالمها الله وثويبة هذه
هي ﴿التي أعتقها﴾ أي أخرجها من الرقية الى الحرية ﴿أبو لهب﴾
واسمه عبد العزى بن عبد المطلب بن هاشم كني بذلك لتوقد لونه من الحسن
وهو أخو عبد الله والد النبي صلى الله عليه وسلم وكان كافرا عاتيا شديد
الأذى لرسول الله صلى الله عليه وسلم حتى مات والعياذ بالله على ذلك وكان
موته بعد غزوة بدر الكبرى بليال رماه الله بالعدسة وهي بثرة تخرج بالبدن
تتشاءم بها العرب وانها تعدي أشد العدوى فلما رمي أبو لهب بها وأصابته
في رجله تباعد عنه بنوه فبقي ثلاثة أيام ميتا لا يقرب جنازته احد فلما خافوا
السبة أي العار دفعوه بعود في حفرته ثم قذفوه بالحجارة ودفن بأعلى مكة
وذكر ابن اسحاق انهم لم يحفروا له ولكن اسندوه الى حائط وقذفت عليه
الحجارة من خلف الحائط حتى ووري وذكر ان عائشة رضي الله تعالى عنها
كانت اذا مرت بموضعه ذلك غطت وجهها انتهى ﴿حين وافته﴾
أي جاءت سيدها ابا لهب ﴿عند ميلاده﴾ وقت ولادته ﴿عليه
الصلاة والسلام ببشراه﴾ أي بالبشارة به صلى الله عليه وسلم حيث أخبرته
قبل غيرها بما يسره وهو حصول الولد لأخيه عبد الله وذلك انها قالت أشعرت
ان آمنة قد ولدت غلاما لأخيك عبد الله فقال لها اذهبي فأنت حرة كما في
الروض هذا هو الصحيح وقيل انما اعتقها بعد الهجرة قال الشامي وهو

ضعيف

ضعيف والجمع بأنه أعتقها حينئذ ولم يظهره الا بعد الهجرة مما لا ينبغي فانه لما هاجر كان عدوه فلا يتأتى منه اظهاره انه كان فرح بولادته وايضا فالقائل بالثاني لا يقول انه أعتقها للبشارة بالولادة وقد روي انه اعتقها قبل ولادته بدهر طويل * تنبيه * ما مر قريبا من انه كان كافرا عاتيا شديد الاذى لرسول الله صلى الله عليه وسلم حتى مات وما نزل في حقه من القرآن بذمه الذي لا ذم فوقه لا يبعد ما تقدم في مقدمة الكتاب من تخفيف العذاب عنه كل ليلة اثنين وانه يمص الماء من بين أصابعه باعتاقه ثويبة حين بشرته بولادة النبي صلى الله عليه وسلم وبارضاعها له أي بأمره فلا يرد انه ليس فعله حتى يجازى عليه ولا يعارضه قوله تعالى فجعلناه هباء منثورا لانهم لم يخرجوا من النار ولم يدخلوا الجنة كأنه لم يفدهم أصلا أولانه هباء بعد الحشر وهذا قيل وقال السهيلي هذا النفع انما هو نقصان من العذاب والا فعمل الكافر كالمحبط بلا خلاف أي لا يجده في ميزانه ولا يدخله الجنة انتهى وجوز الحافظ تخفيف عذاب غير الكفر بما عملوه من الخير بناء على انهم مخاطبون بالفروع وفي التوشيح قيل هذا خاص بها اكراما للنبي صلى الله عليه وسلم كما خفف عن أبي طالب بسببه ﴿فأرضعته مع ابنها مسروح﴾ بفتح الميم وسكون السين المهملة فراء مضمومة فحاء مهملة بينهما واو قال البرهان لا أعلم احدا ذكره باسلام والجلال السيوطي في خصائصه الصغرى انه لم يقف على اسلامه ﴿وأبي سلمة﴾ عبد الله بن عبد الاسد المخزومي كني بابن له من أم سلمة التي صارت بعده من أمهات المؤمنين رضي الله عنهن وكان ارضاع ثويبة لابي سلمة بعد النبي صلى الله عليه وسلم كما رواه ابن سعد كذا في كلام بعضهم وقال غيره والذي في المواهب انها أرضعته أيضا معه صلى الله عليه وسلم بلبن ابنها مسروح وهو ظاهر عبارة المصنف رحمه الله وكان أبو سلمة هذا من اجلاء الصحابة وامه برة بنت عبد المطلب عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم مات في حياة النبي صلى الله عليه وسلم وذكر بعضهم ان أبا سلمة رضي الله عنه أول من يدعى الى الحساب اليسير ﴿وهي﴾ أي ثويبة ﴿به﴾ صلى الله عليه وسلم ﴿حفية﴾ بفتح الحاء المهملة وكسر الفاء مبالغة في الاكرام والبر

والاطاف ﴿وأرضت﴾ ثويبة ﴿نسله﴾ صلى الله عليه وسلم
عمه أخا أبيه من أبيه ﴿حمزة﴾ بن عبد المطلب بن هاشم أسد الله
وأسد رسوله وسيد الشهداء كان رضي الله عنه شديدا ذا شكيمة لا يرام
ما وراء ظهره ولا يطمع طامع عند المحاشة كسره أسلم في السنة الثانية من
البعثة كما جزم به في أسد الغابة والاصابة وقيل في السادسة وفيه نظر وكان
ابتداء اسلامه حمية ادخلته الى السعادة الابدية فضرب يوم اسلامه رأس
أبي جهل بقوس كانت في يده فشجه شجة منكرة ثم قال له أتسب محمدا وأنا
على دينه وذلك ان أبا جهل نال من النبي صلى الله عليه وسلم وسبه وآذاه كل
ذلك لا يجيبه صلى الله عليه وسلم فغضب حمزة لما أخبر بذلك ففعل بأبي
جهل ما فعل وأصلحت قريش بينهما مخافة الشر فاستوثقت اسلامه رضي
الله عنه عز الدين وذل لوطأته عاتق المشركين والنبي صلى الله عليه وسلم
اذ ذاك مختف بدار الارقم فانطلق الى النبي صلى الله عليه وسلم وأسلم وقال
للنبي صلى الله عليه وسلم يا ابن أخي أظهر دينك والله ما أحب ان لي ما اظلته
السماء وأنا على ديني الاول فعز رسول الله صلى الله عليه وسلم باسلامه
وكف المشركون عن بعض ما كانوا ينالونه وأول لواء عقده النبي صلى الله
عليه وسلم كان له حين بعثه الى سيف البحر من أرض جهينة وكان رضي الله
عنه أسن من النبي صلى الله عليه وسلم بسنتين على الصحيح وفي قوله رحمه الله
﴿الذي جد﴾ بالبناء للمفعول ﴿في نصرة الدين﴾ الحنيفي المحمدي
﴿سراه﴾ نائب الفاعل قال بعضهم ويجوز ان يكون الجار والمجرور نائب
الفاعل اشارة الى ما ورد انه شهد بدرا مع النبي صلى الله عليه وسلم وقاتل
قتالا شديدا وهو معلم بريشة نعامة والى انه ابلى بلاء عظيما وقتل بين
يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد صناديد الكفر وفعل باهل الشرك
الافاعيل وخرج يوم أحد مع النبي صلى الله عليه وسلم فكان يهد الابطال
من المشركين هدا مثل الجمل الاورق والأسد الضاري ما يقوم له شيء
كيف وقد قال صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده انه لمكتوب عند الله
عز وجل في السماء السابعة حمزة أسد الله وأسد رسوله وقتل أحدا وثلاثين
رجلا كذا قاله الامام النووي رحمه الله تعالى ولم أقف على سنده في ذا

والذي رأيته في كتب السير ان قتلى كفار قريش يوم أحد ثلاثة وعشرون
وقيل اثنان وعشرون فليحرر وقد يقال لا منافاة لاحتمال ان ما في السير على عدد
من وجد منهم مقتولا يومئذ غير الذين لم يعلم بقتلهم بأن حملهم المشركون
معهم ودفنوهم في أماكن لم يطلع عليهم المسلمون او ان المراد ان جميع من
قتله حمزة في حروبه من المشركين والله أعلم ثم عثر فوقع منها على ظهره
ببطن الوادي عند جبل الرماة فانكشف الدرع عن بطنه فزرقه وحشي
ابن حرب مولى جبير بن مطعم بحربة فأكرمه الله بالشهادة على
يده في يوم السبت منتصف شوال سنة ثلاث او أربع من الهجرة عن سبع
وخمسين سنة وقيل تسع وخمسين وقيل اربع وخمسين سنة ومثل به المشركون
وبقروا بطنه ولما وقف صلى الله عليه وسلم ورأى ما به من التمثيل نظر الى شئ
لم ينظر الى شئ كان أوجع لقلبه منه وغاظه ذلك وقال لن أصاب بمثلك
ابدا ما وقفت موقفا اغيظ لي من هذا وبكى صلى الله عليه وسلم وشهق حتى
كاد يبلغ الغشي وقال صلى الله عليه وسلم لئن أظفرني الله بقريش لأمثلن
بسبعين منهم فأنزل الله تعالى عليه وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به
الآيات الى آخر السورة فقال صلى الله عليه وسلم بل نصبر وكفر عن يمينه
وعن سعيد بن المسيب كان يقول كنت أعجب لقاتل حمزة كيف ينجو حتى انه
مات غريقا في الخمر رواه الدارقطني على شرط الشيخين وهذا ينافي
الحكم بعد التوبة الواجب له كباقي الصحابة هكذا قاله الحلبي قال في انسان
العيون وفي الخصائص الصغرى نقلا عن شرح جمع الجوامع ان الصحابة
رضي الله عنهم كلهم لا يفسقون بارتكاب ما يفسق به غيرهم انتهى
﴿وكان صلى الله عليه وسلم يبعث﴾ أي يرسل ﴿اليها﴾ الى ثويبة
على ما عرف من مكارم اخلاقه صلى الله عليه وسلم ووفائه بأداء الحقوق
﴿من المدينة﴾ الشريفة بعد هجرته اليها ﴿بصلة﴾ بكسر المهملة أي
عطية ﴿وكسوة﴾ بضم الكاف وكسرها اى ثياب وهي وان كانت
داخلة في عموم الصلة لكن نص عليها لبيان ان الكسوة كانت ترسل اليها
ثيابا لا قيمتها حتى لا تحتاج الى معاناة اشترائها مبالغة منه صلى الله
عليه وسلم في اكرامها ومجازاتها ﴿هي بها﴾ أي بتلك الصلة

﴿حرية﴾ جديرة وحقيقة بسبب رضاعها له بثديها ولم يزل صلى الله عليه وسلم محافظا على ايصال ذلك اليها ﴿الى أن أورد هيكلها﴾ جثتها مفعول اول لاورد وقوله ﴿رائد المنون﴾ فاعله والمعنى الى أن اورد الموت جثتها ﴿الضريح﴾ القبر مفعول ثان لاورد وقوله ﴿ووارها﴾ غطاها وسترها وكان موتها سنة سبع عقب خيبر وقد اختلف العلماء في اسلامها ﴿فقيل﴾ انها ماتت ﴿على دين قومها الفئة﴾ الفرقة ﴿الجاهلية﴾ ﴿وقيل﴾ انها ﴿أسلمت﴾ قال أبو نعيم لا اعلم احدا ذكره الا ابن منده وقال ابن الجوزي لا نعلم انها أسلمت والبرهان في النور لم يذكرها ابو عمر في الصحابة وقال الذهبي يقال انها أسلمت وهذا يقتضي ان الراجح عنده انها لم تسلم قال النور الحلبي قال الحافظ ابن حجر وفي طبقات ابن سعد ما يدل على انها لم تسلم لكن قد ﴿أثبت الخلاف﴾ في اسلامها وعدمه الامام الحافظ أبو عبد الله محمد بن اسحاق بن محمد بن يحيى ﴿ابن منده﴾ بفتح الميم وسكون النون وفتح الدال المهملة آخرها هاء الاصبهاني الحافظ الجوال ختام الرحالين وفرد المكثرين مع الحفظ والمعرفة والصدق وكثرة التصانيف سمع ألفا وسبعمائة شيخ وعاد من رحلته وكتبه اربعون حملا قال المستغفري ما رأيت أحفظ منه مات سنة خمس وخمسين وثلاثمائة ﴿وحكاه﴾ فيه اشارة الى رد من أنكر اسلامها كالدمياطي وابن حيان النحوي فقد ذكر الحافظ ابو بكر بن العربي في سراج المريدين انه لم ترضعه مرضعة الا وأسلمت ونقله الجلال السيوطي عن بعضهم ﴿ثم﴾ بعد ارضاع ثويبة ﴿ارضعته﴾ صلى الله عليه وسلم ﴿الفتاة﴾ الثانية ﴿حليمة﴾ بنت أبي ذؤيب بمعجمة وموحدة مصغر واسمه عبد الله بن الحارث وهو عبد العزى بن شجنة بكسر المعجمة وسكون الجيم بعدها نون ابن جابر بن رزام بكسر المهملة ثم الفوقية ابن ناصرة بن فصية بن سعد بن بكر بن هوازن هكذا في الاستيعاب وقيل في نسبها غير ذلك ابن منصور بن عكرمة بن حفصة بن قيس بن عيلان بن مضر احد اجداد النبي صلى الله عليه وسلم وتكنى حليمة بام كبشة اسم بنت لها وأبوها الحارث بن عبد العزى كما في فتح الباري * لطيفة * ذكروا انه لما ولد صلى الله عليه

وسلم قيل من يكفل هذه الدرة اليتيمه التي لا يوجد لها قيمه قالت الطيور نحن نكفله ونغتنم خدمته العظيمه وقالت الوحوش نحن أولى بذلك لنال شرفه وتعظيمه فنادى لسان القدرة بأن جميع المخلوقات ان الله قد كتب في سابق حكمته القديمه ان نبيه الكريم يكون رضيعا لحليمة الحليمه ﴿السعدية﴾ نسبة لجدها السابع سعد بن بكر لانه أشهر آبائها وبه عرفت القبيلة بأمرها وبنو سعد من أكرم العرب وأفصحهم وحليمة من أوسطهم ولذا اختارها الله تعالى لرضاعه صلى الله عليه وسلم لان الرضاع يؤثر في الطباع وكان من عادة نساء قريش دفع أولادهن الى المراضع من غير بلدهم لينشأ الولد عربيا فيكون أنجب وأسانه أفصح كما في الحديث أنا أعربكم أنا من قريش واسترضعت في بني سعد بن بكر وقيل ليتفرغ النساء للازواج وقيل لانهم كانوا يستوخمون مكة على الاطفال وقيل لانهم كانوا يرون عارا على المرأة ان ترضع ولدها ﴿وكان قد رد كل من اقومه﴾ الذين يريدون اتخاذ المراضع لاولادهم وهم أهل مكة ﴿تديها الفقرها وأباه﴾ اذ الفقر يستلزم قلة لا كل الاستلزام عادة قلة اللبن المضرة بالرضيع غالبا وما تعطاه من الجعل ربما تصرفه في حوائجها الخارجة فلا يفيدها في دفع الجوع الذي هو المحذور قال في انسان العيون أقول لم أقف على رواية فيها ان حليمة أبتها الرضعاء لفقرها وكأن بعضهم اخذ ذلك من قولها فما بقيت امرأة قدمت معي الا اخذت رضيعا غيري وما حملني على اخذه الا اني لم اجد غيره ولا دلالة في غيره انتهى ﴿فأخصب عيشها﴾ من الخصب بكسر اوله وهو ضد الجدب اى اتسع قوتها وقوت دوابها بسبب ارضاعها له صلى الله عليه وسلم وحصلت البركة والنماء في رحابها ببركة حلوله صلى الله عليه وسلم في رحابها وديار قومها ﴿بعد﴾ ان كانت الارض قفرة والاشجار يابسة من شدة ﴿المحل﴾ بفتح الميم وسكون الحاء المهملة مصدر محل من باب قطع ضد الخصب أى الضيق والقحط وعدم البركة في نفس نهار اخذته قبل دخول ليلة اليوم الثاني كما يفيده قول المصنف ﴿قبل العشيه﴾ أى عشية ذلك اليوم والعشية أول الليل كذا في كلام بعضهم والذي في القاموس والعشي

والعشية آخر النهار وعلى كل فالمراد انه حصل لها ذلك قبل دخول ليلة اليوم الثاني اذ لا مانع من مبادرة ذلك لها لا جله صلى الله عليه وسلم ويؤيد هذا المقصود ما سيأتي عن حليمة ﴿ ودر ﴾ بفتح المهملة أي امتلأ وسال يقال در الضرع باللبن يدر بالضم درورا وادرت الناقة لبنها وهي مدر ﴿ ثدياها ﴾ تثنية ثدي وهو خاص بالانثى وقيل عام ﴿ بدر ﴾ بضم الدال وشد الراء جمع درة وهي اللؤلؤة الجيدة ﴿ ودر ﴾ بفتح الدال وشد الراء أي لبن كالدر في صفاء البياض فالاضافة من اضافة المشبه للمشبه كما في لجين الماء ﴿ ابنه ﴾ بفتحات وبابه ضرب كما في المختار ﴿ اليمين ﴾ أي سقاه اللبن الثدي اليمين وما وقع في بعض النسخ ألبنه بزيادة همزة في أوله وسكون اللام فتحريف اذ لا يتأتى تزيده هنا ﴿ منهما ﴾ أي من ثديي حليمة ﴿ وابن الآخر ﴾ أي الايسر ﴿ أخاه ﴾ عبد الله بن الحارث السعدي وفي كلام المصنف اشارة الى قول حليمة رضي الله عنها واعطيته ثديي الايمن واقبل الثدي بما شاء من لبن فحولته الى الايسر فأبى وكانت تلك حالته بعد قال في المواهب وشرحه للعلامة الزرقاني قال أهل العلم في حكمة امتناعه صلى الله عليه وسلم من الثدي الايسر ألهمه الله تعالى ان له شريكا فالهمه العدل فلذا امتنع وأخذ الايمن لانه كان يحب التيامن في أموره كلها قال بعضهم وفاعل قوله ابنه ضمير مستتر عائد الى الله تعالى ومفعوله البارز يعود الى النبي صلى الله عليه وسلم وكذا فاعل قوله وابن الآخر اي سقى الله النبي صلى الله عليه وسلم لبن الثدي الايمن منهما وأعطى ابن الثدي الآخر وهو الايسر أخاه أو فاعله اليمين أي سقى الثدي اليمين اللبن النبي صلى الله عليه وسلم انتهى ﴿ وأصبحت ﴾ صارت ﴿ بعد الهزال ﴾ بضم الهاء الضعف الحاصل لها من الفاقة والجوع قوية قال في القاموس الهزال بالضم نقيض السمن هزل كعني هزالا وهزل كنصر هزلا ويضم انتهى وأما نقيض الجد فبابه ضرب وفرح كما فيه أيضا وليس مرادا هنا كما هو معلوم وباب الاول أيضا ضرب كما في المختار وغيره ﴿ ونمت ﴾ بعد ﴿ الفقر ﴾ قلة ذات اليد ﴿ غنية ﴾ ذات غنى ﴿ وسمنت الشارف ﴾ بشين معجمة فألف فراء مكسورة ففاء الناقة المسنة الهرمة

وعن الاصمعي يقال للذكر والانثى شارف والمراد هنا الانثى لا غير والجمع الشرف بضم الراء وتسكن ﴿لديها﴾ عندها ﴿والشياه﴾ جمع شاة وهي تطلق على كلا نوعي الغنم من الضان والمعز ذكورا واناثا روي ان حليمة رضي الله عنها قالت ثم قدمنا أرض بني سعد ولا أعلم أرضا أجدب منها وكانت غنمي تروح شباعا الينا فنحلب ونشرب وما يحلب انسان غيرنا قطرة لبن ولم يجدها في ضرع حتى يؤمر الرعيان ان تسرح غنمها حيث تسرح غنمي فتروح اغنامهم جياعا ما تبض بقطرة لبن وتروح أغنامي شبعا لبنا فلم نزل نتعرف من بركته الزيادة والخير حتى مضت سنتاه ﴿وانجاب﴾ بالنون والجيم اي زال وانقطع وفي بعض النسخ انجم بفتح التاء المثناة فوق والميم المشددة والمعنى واحد ﴿عن جانبيها﴾ أي عنها وعن جهتها ﴿كل ملمة﴾ بضم الميم الاولى وفتح الثانية مشددة بينهما لام مكسورة اسم فاعل الم بشد الميم أي نازلة من نوازل الدنيا ﴿و﴾ كل ﴿رزية﴾ بمعناها ﴿وطرز﴾ بفتح الطاء المهملة والراء المشددة وتخفف قال في القاموس الطراز بالكسر علم الثوب وطرزه تطريزا علمه فتطرز والمراد حسن وزين ﴿السعد﴾ الخير وحسن الحال والبركة ﴿برد﴾ بضم الموحدة وسكون الراء نوع من الاكسية ملفق من شقتين واضافته الى ﴿عيشها﴾ من اضافة المشبه به للمشبه والعيش ما يكون به الحياة او نفس الحياة والظاهر ان المراد الاول ﴿الهني﴾ بفتح الهاء وكسر النون وشد الياء أي الذي سلم العاقبة وحمودها ﴿ووشاه﴾ بالواو والشين المعجمة من الوشي وهو نقش الثوب وتحسينه فالمراد من طرز ووشى شيء واحد وهو التحسين والتزيين والمراد من ذلك ان الله تعالى ازال عنها المحل والجدب وابدلها منهما الخصب والخير الكثير وذلك لان الجزاء من جنس العمل وأصل ذلك ما رواه ابن اسحاق وغيره عن حليمة رضي الله تعالى عنها كما قدمنا عنها البعض قريبا قالت قدمت مكة في نسوة من قومي في سنة شهباء على اتان لي ومعي صبي وشارف لنا ما تبض بقطرة لبن ولا ابن بثدي فلا ينام صبي من الجوع لانه لا يجد في ثديي ما يغنيه ولا في شارفنا ما يغذيه قالت وما علمت امرأة منا الا وقد عرض عليها رسول الله

صلى الله عليه وسلم فتأبيناه اذ قيل يتيم والله ما بقي من صواحبي امرأة الا
اخذت رضيعا غيري فلما لم اجد غيره قلت لزوجي والله اني لاكره ان ارجع
من بين صواحبي وليس معي رضيع لانطلقن الى ذلك اليتيم فلآخذنه
فذهبت فاذا به مدرج في ثوب صوف أبيض من اللبن يفوح منه المسك
وتحته حريرة خضراء راقد على قفاه يغط فاشفقت ان اوقظه من نومه لحسنه
وجماله فدنوت منه رويدا فوضعت يدي على صدره صلى الله عليه وسلم
فتبسم ضاحكا وفتح عينيه ونظر الي فخرج من عينيه نور حتى دخل خلال
السماء وانا انظر فقبلته بين عينيه واعطيته ثديي الايمن فاقبل الذي عليه
بما شاء من لبن فحولته الى الايسر فابى وكانت تلك حاله بعد قالت ثم اخذته
فما هو الا ان جئت به رحلي فقام صاحبي يعني زوجها الى شارفنا تلك فاذا
هي حافل فحلب ما شرب وشربت حتى روينا وبتنا بخير ليلة فقال صاحبي حين
اصبحنا يا حليمة والله اني لاراك اخذت نسمة مباركة الم ترى الى ما بتنا به
الليلة من البركة والخير حين اخذناه فلم يزل الله يزيدنا خيرا قالت فودعت
النساء بعضهن بعضا وودعت انا ام النبي صلى الله عليه وسلم ثم ركبت اتاني
واخذت محمدا صلى الله عليه وسلم بين يدي قالت فنظرت الى الاتان وقد
سجدت نحو الكعبة ثلاث سجدات ورفعت رأسها الى السماء ثم مشت حتى
سبقت دواب الناس الذين كانوا معي وصار الناس يتعجبون مني ويقول
النساء لي وهن ورائي يا بنت ابي ذؤيب أهذه اتانك التي كنت عليها وانت
جائية معنا ترفعك طورا وتخفضك اخرى فاقول تالله انها هي فيتعجبن منها
ويقلن ان لها لشأنا عظيما قالت فكنت اسمع اتاني تنطق وتقول والله ان لي
لشأنا ثم شأنا بعثني الله بعد موتي ورد لي سمني بعد هزالي ويحكن يا نساء بني
سعد انكن لفي غفلة وهل تدرين من على ظهري خير النبيين وسيد المرسلين
وخير الاولين والآخرين وحبيب رب العالمين قالت ثم قدمنا منازل بني سعد ولا اعلم
ارضا من ارض الله اجدب منها فكانت غنمي تروح علي حين قدمنا به صلى
الله عليه وسلم شباعا لبنا فنحلب ونشرب وما يحلب انسان قطرة لبن ولا يجده
في ضرع حتى كان الحاضرون من قومنا يقولون لرعاتهم اسرحوا حيث تسرح
غنم بنت ابي ذؤيب فتروح اغنامهم جياعا ما تبض بقطرة لبن وتروح اغنامي

شيء بعالبنا قالت فلم نزل نتعرف من الله الزيادة والخير حتى مضت سنتاه وفصلته فلته درها من بركة كثرت به ماوانتي حليمة وغنت وارتفع قدرها به وسعت فلم تزل حليمة تتعرف الخير والزيادة وتفوز منه بالحسنى وزيادة وما احسن ما قال

لقد بلغت بالهاشمي حليمة * مقاما علا في ذروة العز والمجد
وزادت مواشيها واخصب ربعها * وقد عم هذا السعد كل بني سعد

وذلك ان حليمة قالت لما دخلت منزلي لم يبق منزل من منازل بني سعد الا شممنا منه ريح المسك والقيت محبته في قلوب الناس حتى ان احدهم كان اذا نزل به اذى في جسده اخذ كفه صلى الله عليه وسلم فيضعها على موضع الاذى فيبرأ باذن الله تعالى سريعا وكذا اذا اعتل لهم بعير أو شاة قالت حليمة وكان ينزل عليه صلى الله عليه وسلم كل يوم نور كنور الشمس ثم ينجلي عنه وجملة مرضعاته صلى الله عليه وسلم عشرة نظمها بعضهم في قوله

ان رمت تحفظ مرضعات المصطفى * خذهن بالترتيب في التبيان
امه وكذا ثويبة يافتى * وحليمة نالت رضى الرحمن
وكذاك امرأة لحمزة ارضعت * وثلاث ابكار روى في الشان
مع ام فروة وام أيمن بعدها * مع خولة شرفن بالعدنان

تنبيه * اقتصر المصنف رحمه الله تعالى من المرضعات على امه وثويبة وحليمة للنزاع في غيرهن ولم يستقل بارضاعه غير ثويبة وحليمة ولم يتصف منهن بالاستقلال سواهما وثويبة وان قلت ايام رضاعها مستقلة به فهي اقامامه وان ارضعته تلك المدة فهي في معرض دفعه لمرضعته فلم تستقل به والذي ذكر ام ايمن من المرضعات القرطبي والمشهور انها من الحواضن كالشيماء بنت حليمة والذي ذكر ان خولة من المرضعات ابن الامين وتبعه بعضهم واطه اليعمري قال الشامي وهو وهم لانها انما ارضعت ولده ابراهيم ذكره ابن سعد وابن عبد البر وغيرهما وهو الذي في الاصابة بخطه والله اعلم

﴿ عطر اللهم قبره الكريم بعرف شذي من صلاة وتسليم اللهم صل وسلم
و بارك عليه ﴾

﴿ وكان ﴾ صلى الله عليه وسلم ﴿ يشب ﴾ بضم الشين المعجمة من باب

ضرب «في اليوم» الواحد شبابا يشبه في نحو جمعة الشهر بعض شباب
«الصبي في الشهر» الواحد وذلك انما هو «بعناية» اي اعانة
«ربانية» بفتح الراء وشد الموحدة وكسر النون نسبة للرب تبارك وتعالى
بزيادة الالف والنون على غير القياس والمتبادر من كلام المصنف رحمه الله
تعالى انه كان يمشي ويتكلم في اثني عشر يوما تقريبا لانها بمنزلة السنة لغيره
وانه كان يفصل من الرضاع في اربعة وعشرين يوما لانها بمنزلة حولين لغيره
وانه كان يقارب الحلم في اربعة اشهر تقريبا لانها بمنزلة العشر سنين لغيره
ولم ار ما يؤيده فلعل المراد من ذلك انه كان صلى الله عليه وسلم يشب شبابا
لا يشبه الغلمان كما يؤخذ من كلامه الآتي قريبا وقد وقع في رواية ابن اسحق
كما في المواهب وشرحه للزرقاني انه كان صلى الله عليه وسلم يشب شبابا
لا يشبه الغلمان هكذا مجملا من غير تعيين «فقام» صلى الله عليه وسلم
«على قدميه في ثلاث» اي ثلاثة اشهر كما في الرواية ولم يقل ثلاثة لان
المعدود اذا حذف يجوز تذكيره مع المذكر وتأنيثه مع المؤنث كما قالوه في قوله
صلى الله عليه وسلم واتبعه ستا من شوال وانما تلزم قاعدة العدد اذا ذكر
المعدود «ومشى في خمس» اي خمسة «وقويت في تسع» اي تسعة «من
الشهور» جمع شهر كما مر «فصيح النطق قواه» بضم القاف جمع قوة
واصل ذلك ما روي كما في شواهد النبوة ولما صار ابن شهرين كان يتزحلف مع
الصبيان الى كل جانب وفي ثلاثة اشهر كان يقوم على قدميه وفي اربعة كان
يمسك الجدار ويمشي وفي خمسة حصلت له القدرة على المشي ولما له ستة
اشهر كان يسرع في المشي وفي سبعة اشهر كان يسعى ويعدو الى كل جانب
ولما مضى عليه ثمانية اشهر شرع يتكلم بكلام فصيح وفي عشرة اشهر كان يرمي
بالسهام مع الصبيان «و» لما تم له من العمر سنتين فصلته حليمة وقدمت
به على امه بمكة على عادة المراضع في اتيانهن بالاولاد الى امهاتهم بعد تمام
الرضاع واتت به مع والدته لهن مع انها كانت احرص شيء على مكثه عندهم
وحاولت الرجوع به لتصل الى مقصودها لما رأت من بركته صلى الله عليه وسلم
وقالت لامه لو تركتيه عندنا حتى يغلظ فاني اخشى عليه وباء مكة ولم تزل تلاطف
بها وتناشدها حتى ردته معها فرجعت فبعد قدومها «بشق» بالة كما قاله

جماعة منهم المنذرى والنووى والسيوطى رحمهم الله تعالى وظاهر
الروايات ولا مانع منه وقيل بغير آلة ولم يثبت انه كان بسكين بيضاء مجاية
﴿الملكان﴾ هما جبريل وميكائيل ﴿صدره الشريف طولا﴾ من ثغرة
نحره بضم المثلثة وسكون الغين المعجمة وهو الموضع المنخفض بين الترقوتين
الى شعرته كما فى البخارى او من عند المفرق كمسجد وهو الموضع الذى
يفترق فيه عظام الصدر وهو رأس المعدة الى منتهى العانة كما فى رواية
وفى بعض الروايات الاقتصار على الصدر ويجمع بان المراد بالبطن الصدر
ولم يجد له الما ألما كما قال صلى الله عليه وسلم لم اجد له مسا ولا ينافيه وجدانه
منتقعا كما فى رواية اتيل وهو منتقع اللون لجواز انه من الفزع الحاصل من
مجرد رؤية الملك وشق الصدر ولعل هذا هو المراد بقوله فى المنح ووقع له صلى الله
عليه وسلم من ذلك الشق نوع مشقة وتقدم فى قول ختانه هل على يد جبريل
﴿واخرجا منه﴾ اى من صدره والمراد به القلب فسماه باسم ما هو فيه من
اطلاق المحل وارادة الحال فيه ﴿علقة﴾ وهى قطعة دم جامدة سميت بذلك
لانها تعلق بما تصيبه ﴿دموية﴾ وفى رواية مضغة سوداء فقد تكون العلقة
المعبر بها تشبه المضغة قال فى المنح وفى رواية صحيحة انه اخرج منه علقتان
سوداوان ولا ينافى مذكرانه واحدة لان المراد به الجنس على ان الشق
تكرر كما يأتى فلا بدع انه صلى الله عليه وسلم اخرج واحدة ثم ثنتان لان المراد
المبالغة فى تطهيره وتكريمه وذلك يستدعى استقصاء تنظيف جوفه انتهى
قال بعضهم وهو كما تراه نص فى تكرار اخراج العلقة ويؤيده ما ذكره
الحافظ الغيطى فى قصته من تأويل الاذى الذى اخرج من صدره الشريف
ليلة الاسراء بها اعنى العلقة لورود ما يشهد له فى بعض الروايات وتعقبه بعضهم
بقوله وفيه ان اخراج العلقة مرتين فاكثر قد يتوقف فيه سيما مع قول الملك
هذا حظ الشيطان منك والذى ينبغى ان يكون نزع تلك العلقة انما هو
فى المرة الاولى التى كانت وهو صغير السن فى بنى سعد والواقع فى غيرها انما
هو اخراج تلك الاذى وانه غير تلك العلقة وان المراد به ما يكون فى الجبلات
البشرية وتكرار اخراج ذلك الاذى استقصاء له ومبالغة وذكر العلقة
فى غير المرة الاولى وقول الملك هذا حظ الشيطان منك وهم من بعض الرواة

انتهى وهو وجيه وان قال بعضهم غير صاف عن الاشكال فتأمل وقد وقع له
صلى الله عليه وسلم هذا الشق مرارا مرة في حال صباه وهو عند حليمة
ومرة وهو ابن عشر او نحوها ومرة وهو في غار حراء عند مجيء جبريل له بالوحي
ومرة عند الاسراء وروى شق صدره وهو ابن عشرين ولم يثبت
والحكمة في شق صدره الشريف في حال صباه واخراج العلقة منه كما
قال الحافظ تطهيره من حالات الصبا حتى يتصف في سن الصبا باوصاف
الرجولية ولذلك نشأ على اكمل الاحوال من العصمة من الشيطان وغيره
وفي بلوغه عشر سنين كما قال الشامي ان العشر قريب من سن التكليف فشق
قلبه وقدس حتى لا يلتبس بشيء مما يعاب على الرجال قال لكن هل كان
في هذه المرة بختم لم اقف عليه في شيء من الاحاديث واما الثلاث مرات
ففي كل مرة منها بختم كما هو مقتضى الاحاديث انتهى وعند مجيء جبريل له
بالوحي في غار حراء زيادة الكرامة ليتلقى ما يوحى اليه بقلب قوي في اكمل
الاحوال من التطهير وعند الاسراء به ليتأهب للخطاب والمناجاة وفي
بلوغه عشرين سنة لكمال الرجولية لكنها لم تثبت كما تقدم وخلقت
هذه العلقة لانها من جملة الاجزاء الانسانية فخلقت تكملة للخلق الانساني
ولا بد منه ونزعها كرامة ربانية طرأت بعده فاخراجها بعد خلقها ادل على
مزيد الرفعة وعظيم الاعتناء والرعاية من خلقه بدونها قاله العلامة السبكي
ولا يرد على ذلك ولادته صلى الله عليه وسلم من غير قلفة على احد القولين كما
تقدم لان القلفة لما كانت تزال ولا بد من كل أحد مع ما يلزم على ازالتها من
كشف العورة كان نقص الخلقة الانسانية منها عين الكمال وقد تقدم
البحث في ذلك عند قول المصنف وولد صلى الله عليه وسلم مختونا فراجعه
وقال غير السبكي لو خلق سليما منها لم يكن للآدميين اطلاع على حقيقته
فاظهره الله على يد جبريل ليتحققوا كمال باطنه كما برز لهم مكمل الظاهر وأما
قول الرازي وقوعه في حال الطفولية مشكل لانه معجزة لا تجوز تقدمها على
النبوة لان الذي عليه اكثر اهل الاصول اشتراط اقتران المعجزة
بالتحدي فمردود بان هذا من باب الارهاص لا المعجزة ونظائر ذلك كثيرة
وقيل وهذا الشق هو المراد بقوله تعالى ألم نشرح لك صدرك وقال الخطيب

فى القائه من بعض اكابر القوم فى تأويل قوله تعالى لقد تاب الله على النبى
ان أصل هذه التوبة اخذ العلقة من صدره الكريم وقيل هذا حظ
الشيطان منك انتهى ﴿وازالا﴾ اى ابعدا ﴿منه﴾ اى من صدره
﴿حظ﴾ بالظاء المشالة اى نصيب ﴿الشيطان﴾ وهى العلقة المذكورة
التى خلقها الله فى قلوب البشر قابلة لما يلقيه الشيطان فيها فازيلت من
قلبه فلم يبق فيه مكان يلقى الشيطان فيه شيئا وهذا لا يقتضى ان يكون قبل
ذلك للشيطان فيه حظ لانه كما قال الامام السبكى لا يلزم من وجود المحل
القابل لما يلقيه حصول الالقاء بالفعل ﴿وبالثلج غسلاه﴾ قال بعضهم
وقع الغسل فى هذه المرة بالثلج وفى ليلة الاسراء بماء زمزم قال فى الفتح اى لانه
يقوى القلب ويسكن الروع واخذ البلقينى من ايثار الثلج له على ماء الكوثر
انه افضل منه وهو ظاهر خلافا لمن نازعه فيه بما لا يجدى كما بينته فى شرح
العباب انتهى * تنبيه * قال النجم الغيطى اختلف هل كان شق الصدر
وغسله مخصوصا به او وقع لغيره من الانبياء قال الحافظ ابن حجر قد وقع عند
الطبرانى فى قصة تابوت بنى اسرائيل انه كان فيه الطست الذى تغسل فيه
قلوب الانبياء وهذا مشعر بالمشاركة انتهى وصحح الحافظ الجلال السيوطى
فى خصائصه الصغرى عدم المشاركة وانه من خصائصه صلى الله عليه وسلم
وخالفه تلميذه الشامى فقال الراجح المشاركة وما صححه الشيخ يعنى السيوطى
فى خصائصه الصغرى من عدم المشاركة لم ار ما يعضده بعد التفحص
الشديد قال قلت يمكن ان يقال وقوع شق الصدر له مع تكرره ثلاث مرات
او اربعا لم يشاركه أحد من الانبياء فيه وعليه يحمل كلام السيوطى وأما
مطلق شق الصدر فوقعت فيه المشاركة لغيره من الانبياء وعليه يحمل كلام
غيره قال ومستند ما قلته ان تكرر شق الصدر له صلى الله عليه وسلم ثبت
فى الاحاديث التى بعضها فى الصحيحين ووقوع شق الصدر لغيره انما اخذ من
القصة المذكورة وليس فيها تعرض للتكرر هذا ما ظهر والله اعلم انتهى
ويحتمل ان يراد بما فى القصة من غسل قلوب الانبياء ظاهر قلوبهم لان
القلب من جملة الاحشاء التى غسلت بغسل الصدر والبطن على ان ان
دعية ابطله وأيضا فقد يطلق الصدر على القلب من باب تسمية الحال باسم

محله ومنه ما وقع في قصة المعراج ثم أتي بطست ممتلئ حكمة وإيمانا فأفرغ في
صدره وعليه فالحاصل ما صحح به الجلال وان شق الصدر غير شق القلب فتأمل
ذلك تأملا جيدا ولا تكن ممن لا يفهم الا تقليدا والحكمة في غسله بالثلج كما
قال السهيلي لما يشعر به من ثلج اليقين وبرده على الفؤاد ولذا حصل له اليقين
بالأمر الذي يراد به بوحدانية ربه انتهى ويستأنس لهذا بقوله صلى الله
عليه وسلم ثم أعاده مكانه فوجدت برد ذلك الخاتم في قلبي دهرا وفي رواية فأنا
الساعة أجد برده في عروقي ومفاصلي ويشهد له قوله ﴿ومُلئ﴾ عقب غسله
وإخراج ما فيه من العلقة والأذى ﴿حكمة﴾ بكسر الحاء المهملة وسكون
الكاف تطلق على العلم والمعرفة والنبوة قال النووي رحمه الله فيها أقوال
كثيرة مضطربة صفا لنا منها أنها العلم المشتمل على معرفة الله تعالى مع نفاذ
البصيرة وتهذيب النفس وتحقيق الحق للعمل به والكف عن ضده والحكيم
من حاز ذلك كله انتهى ملخصا قال الحافظ أصح ما قيل فيها أنها وضع الشيء
في محله أو الفهم في كتاب الله تعالى انتهى ﴿ومعانى ايمانا﴾ أي حلما
وعلما ويقينا وإسلاما كما ورد في حديث ليلة الإسراء ولذا كان صلى الله
عليه وسلم أحلم الناس وأعلمهم وأثبتهم في كل أموره وأشدهم انقيادا
لأوامر ربه وأقضيته ونسبة المعاني للإيمان من نسبة المتعلق للمتعلق وتجسيم
الحكمة والمعاني جائز كما جاء ان سورة البقرة تجيء يوم القيامة كأنها
ظلة والموت في صورة كبش وكذلك وزن الأعمال ويحتمل ان المراد
أنهما ملآ سرا من أسرار الله تعالى يحصل به زيادة في كمال الإيمان وكمال
الحكمة والمقصود بهذا التأويل الجواب عما قيل انهما من الأعراض
وهي لا تقوم بنفسها ولا تقبل الانتقال لانه من صفات الأجسام قال العلامة
ابن حجر المكي وفي وضع الإيمان والحكمة بالقلب دليل كما عليه أكثر أهل
السنة والجماعة ان العقل في القلب دلت عليه الآيات لا في الدماغ انتهى
﴿ثم خاطه﴾ أي المكان صدره الشريف خياطة معنوية كما في بعض
الروايات وفي الرواية الآتية انه كان يرى أثر المخيط في صدره فتقضي
ذلك انها كانت حسية ويدل له قول الملك في حديث أبي ذر الآتي خطه
فخاطه وإن كان يبحث في وجه الاستدلال منه لان المراد خطه خياطة

معنوية

معنوية فالمعول عليه في كون الخياطة حسية رؤية أنس أثر المخيط في
صدره الشريف ولا ينافي منطوق الأحاديث الآتية قريبا أن الخائط
أحدهما لأنا نقول إنما نسب المصنف الخياطة إلى مجموعها وإن كانت
في الحقيقة من واحد على سبيل المجاز أو على سبيل تنزيل فعل المشارك له
في الفعل منزلة المشارك في نفس الخياطة فأطلق عليه اسمه ومثل هذا يقال
في نظيره من كل الظاهر أنه وعليه فأولا أحدهم جبريل عليه السلام كما
صرح به غير واحد ﴿وختام﴾ بفتح التاء فقط ويقال له ختم وخاتم
﴿النبوة﴾ قال القرطبي سمي بذلك لأنه أحد العلامات التي يعرفه بها أهل
الكتب السابقة ولذا لما حصل عند سلمان من علامات صدقه ما حصل
كوضع مبعثه ومهاجره جد في طلبه فجعل يتأمل ظهره فعلم صلى الله عليه
وسلم أنه يريد الوقوف على خاتم النبوة فأزال الرداء عنه فلما رأى سلمان
الخاتم أكب عليه فقبله وقال أشهد أنك رسول الله وفي قصة بحيرا الراهب
وإني أعرفه بخاتم النبوة وقال غيره إضافته للنبوة لكونه من آياتها أو لكونه
ختما عليها لحفظها وختما عليها لإتمامها كما تكمل الأشياء ثم يختم عليها
أو لأنه من نبوته كخاتم فضة قال السهيلي وحكمة وضعه أنه لما شق صدره
وأزيل عنه مغمز الشيطان ملئ إيمانا وحكمة وإيمانا فختم عليه كما يختم على
الإناء المملوء مسكا أو درا فجمع الله أجزاء النبوة لسيدنا محمد صلى الله عليه
وسلم وتممه وختم عليها بختمه فلم يجد عدوه سبيلا إليه ﴿ختماه﴾ وأصل ذلك
ما رواه البزار وغيره عن أبي ذر يا رسول الله متى علمت أنك نبي وبم علمت حتى
استيقنت قال أتاني اثنان وفي رواية ملكان وأنا ببطحاء مكة أي بنواحيها
لأنه كان في بني سعد قال أحدهما لصاحبه شق بطنه فشق بطني فأخرج
قلبي فأخرج منه مغمز الشيطان وعلق الدم فطرحهما فقال أحدهما
لصاحبه اغسل بطنه غسل الملاء أي الثوب الذي يتغطى به ثم قال أحدهما
لصاحبه خط بطنه فخاط بطني وجعل الخاتم بين كتفي كما هو الآن وولّيا
عني فكأني أرى الأمر معاينة وعند الإمام أحمد وصححه الحاكم ثم استخرجا
قلبي فشقاه فأخرجا منه علقتين سوداوين فقال أحدهما لصاحبه ائتني بماء
وثلج فغسلا به جوفي ثم قال ائتني بالسكينة فذراها في قلبي ثم قال أحدهما

له أحبه خط له خطاطه وختم عليه بخاتم النبوة فان قيل كيف جعله صلى الله
عليه وسلم علامة على النبوة وانما كانت بعد الاربعين * أجيب بجواز أنه
صلى الله عليه وسلم لما رأى تلك الحالة العجيبة في صغره علم انه يكون له شان
وصار مطمئنا لما يرد عليه فلما جاءه الوحي علم بالمقدمات المتقررة ان هذا
أمر من الله ليس للشيطان فيه سبيل انتهى ولا ينافيه ما في حديث عائشة
رضي الله تعالى عنها من انه رجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف
فؤاده الى ان قال خشيت على نفسي فقد وجهت الخشية على أحسن
الاقوال وأصحها بأنها من الموت أو من المرض أو من عدم القوة على تلقي
الوحي والطاقة وليس المراد انه خشي ان يكون ما أتاه ليس من عند الله
كما سيأتي لانه متحقق انه من عند الله فقول خديجة كلا والله ما يخزيك الله
الى آخر ما في الحديث لعلها لم تفهم ما سبب الخوف ولذا انطلقت به الى ورقة
قال القاضي عياض وهذا الخاتم هو أثر شق الملكين بين كتفيه وأبطله
الامام النووي بان شقهما كان في بطنه وصدره أي كما في الروايات ومن ثم
صح من أنس رضي الله عنه كنت أرى أثر المخيط في صدره صلى الله عليه
وسلم وقد ثبت ان خاتم النبوة كان بين كتفيه صلى الله عليه وسلم وورد
التصريح في بعض الروايات بالختم على قلبه صلى الله عليه وسلم ففي رواية أبي
نعيم كما في النعم عن حليمة عنه صلى الله عليه وسلم ثم قال أي أشار الملك بيده
يمنة ويسرة كأنه يتناول شيئا فاذا خاتم من نور يحار الناظر دونه فختم به على
قلبي فامتلأ نورا وذلك نور النبوة والحكمة ثم أعاده مكانه فوجدت برد ذلك
الخاتم في قلبي دهرا الحديث ويؤيد هذا ما مر في رواية الامام أحمد وختم
عليه بخاتم النبوة اذ ظاهره ان الختم على القلب واعادة الضمير على النبي
صلى الله عليه وسلم بعيد ويوافق هذا رواية أبي ذر المتقدمة وفي رواية ابن عائذ
انه بين ثدييه أي على صدره قال الحلبي في انسان العيون وقد يقال في الجمع
لا مانع من تعدد الختم في الحال المذكورة أي في قلبه وصدره وبين كتفيه
فختم القلب لحفظ ما فيه وختم الصدر وبين كتفيه مبالغة في حفظ
ذلك لان الصدر وعاؤه القريب وجسده وعاؤه البعيد وخص بين
الكتفين لانه أقرب الى القلب من بقية الجسد ولعله أولى من جواب

القاضى عياض بأن الذى بين كتفيه أثر ذلك الشق الذى كان فى صدره اذ هو خلاف الظاهر من قوله وجعل الخاتم بين كتفى واولى من جواب الحافظ ابن حجر أيضا بانه يجوز ان يكون الختم لقلبه ظهر من وراء ظهره عند كتفه الايسر لان القلب فى ذلك الجانب لما علمت انتهى ثم على كون خاتم النبوة بين كتفيه فالصحيح كما قال السهيلى انه كان عند نغض كتفه الايسر وهو بنون مضمومة وقد تفتح وغين وضاد معجمتين اعلا الكتف ورواية الا عن ضعيفة والسر فى وضعه على جهة كتفه الايسر ان القلب فى تلك الجهة وبه جزم الجلال فقال وجعل خاتم النبوة ظاهره بازاء قلبه حيث يدخل الشيطان لغيره روى ابن عبد البر بسنده قوى عن عمر بن عبد العزيز ان رجلا سأل ربه ان يريه موضع الشيطان من ابن آدم فأرى جسدا ممهى يرى داخله من خارجه وأرى الشيطان فى صورة ضفدع عند كتفه حذاء قلبه له خرطوم كخرطوم البعوضة وقد أدخله فى منكبه الايسر الى قلبه يوسوس اليه فاذا ذكر الله تعالى العبد خنس * وممهى بضم الميم الاولى وسكون الثانية وتخفيف الهاء اسم مفعول من امهاه اى مصفى وفى النهاية انه رأى ذلك مناما والمهاة البلور وكل شئ صفى فهو ممهى تشبيها به * وفيما تقدم عن الحلبى اشعار بأن الختم قد وقع على القلب أيضا ولا ينافيه صريح قول المصنف وبخاتم النبوة ختمها أن الختم على الصدر لان المراد بالصدر القلب مجازا كما مر على انه لا يحسن ان يراد بالصدر القلب لانه يصير ساكتا عن ختم الصدر وما صححه السهيلى وجزم به الجلال هو الصحيح الصواب وقد اختلف الآثار فى تشبيه ذلك الختم اختلافا كثيرا وكل شبهه بما سنح له وكلها الفاظ متقاربة المراد منها واحد وهو قطعة لحم بارزة عليها شعرات اذا قلل قيل كبيضة الحمام واذا كثر قيل كجمع الكف أى على هيئته وهو ما يجتمع عند قبض اليد لكنه اصغر منه واختلف هل ولد وهو به أو وضع بعد الولادة وعلى الثانى فهل حين ولد او عند شق صدره وهو فى بنى سعد به قطع العياض وقال الحافظ وهو الاثبت وفى حديث عائشة انه عند البعث وعند أبى يعلى وغيره فى حديث المعراج من حديث أبى هريرة ثم ختم بين كتفيه بخاتم النبوة

وظهر بقي الجمع ان الختم تكرر ثلاث مرات في بني سعد ثم عند المبعث ثم ليلة
الاسراء كما دلت عليه الاحاديث ولا بأس بهذا الجمع فان فيه اعمال
الاحاديث كلها اذ لا داعي لرد بعضها واعمال بعضها مع صحة كل منها وأما
رواية بعد الولادة وقد تقدم ذكرها ثم انها ضعيفة وأما انه ولد به فضعيف أيضا
قال الزرقاني وبطلان زاعمه قد تبين لما مر عن ... وبنقل الحلبي في انسان العيون
عن الحافظ ابن حجر ما يوافقه حيث قال ومقتضى الاحاديث التي فيها شق
الصدر ووضع الخاتم انه لم يكن موجودا حين ولادته وانما كان أول وضعه
لما شق صدره عند حليمة خلافا لمن قال ولد به او حين وضع قال هذا كلامه
ولا يخفى ان ما قاله من ان هذا الخاتم غير خاتم النبوة اولى لانه يجتمع
القولان وتندفع المخالفة والجمع أولى من التضعيف لما صح من أنه ولد به
وعلى انه هو يلزم ان يكون خاتم النبوة تعدد محله فوجد بين كتفيه وفي
صدره وفي قلبه * لا يقال قد اشير الى الجواب عن ذلك بأن الموجود بين كتفيه
هو أثر ما في صدره وقلبه * لانا نقول يبطله ما تقدم عن الدلائل لابي نعيم وما
تقدم من بعض الروايات فادخل الملك يده فختم ووضعه بين كتفيه وثدييه
وأيضا يلزم عليه ان يكون خاتم النبوة تكرر الاتيان به ثانيا في قصة المبعث
وثالثا في قصة الاسراء ففي قصة المبعث ما كفأني كما يكفأ الاناء ثم ختم في
ظهري وفي قصة الاسراء ثم ختم بين كتفيه بخاتم النبوة وكل منهما يبطل
كون ما في ظهره او بين كتفيه أثر ذلك الختم الذي وجد في صدره او قلبه
الا ان يقال ما في قصة المبعث وقصة المعراج غير خاتم النبوة وان خاتم
النبوة هو الاثر الحاصل من ختم صدره وقلبه في قصة الرضاع وانه يلزم
تكرار الختم على ذلك الاثر في المبعث وفي قصة الاسراء وفيه انه لا معنى
لتكرير الختم على ذلك الاثر في محل واحد ولا يقال الغرض منه المبالغة في
الحفظ لان ذلك انما يكون عند تعدد محل الختم لا عند اعادته ثانيا وثالثا
في محل واحد وأيضا هو خلاف ظاهر كلامهم في أنه في المحال الثلاثة
خاتم النبوة انتهى والحاصل ان جملة الاختتام الحاصلة من مقتضى الروايات
سبعة احدها ولد به ثانيها بعد ولادته ثالثها عند حليمة على قلبه وعلى صدره
وعلى كتفيه وهذه خمسة سادسها في غار حراء سابعها عند الاسراء وعلى

تقدير صحة الروايات كلها والجمع بينهما بأن الختم تعدد فليس منها خاتم النبوة
الا الذى كان على كتفه الشريف عند حليمة السعدية ولما مر عن
السهيلي ويحمل بقيتها على ما مر عن الحلبي فى انسان العيون من ان المراد
من تعدد الختم فى الشق انما ذكره المبالغة فى حفظ ما فى قلبه من نور
النبوة والحكمة والايمان وخص بين الكتفين لانه أقرب الى القلب من
بقية الجسد فابعاد القابرى التعدد بحمله مع الامكان غير مستقيم والصحيح
ان خاتم النبوة لم يرفع عند موته صلى الله عليه وسلم وما روى عن عائشة رضى
الله تعالى عنها انها قالت التمست الخاتم حين توفى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فوجدته قد رفع مؤول بأن المراد قد رفع ظهوره فلا ينافى انما اختفى
وتقاصر كما يتقاصر الانسان بعد الوفاة على ان العلامة الشامى توقف فى صحة
ذلك الحديث فقال لا أظنه صحيحا فلينظر سنده ووضع الخاتم بين كتفيه
صلى الله عليه وسلم بازاء قلبه كما مر مما اختص به على سائر الانبياء فقد روى
الحاكم فى المستدرك عن وهب بن منبه قال لم يبعث الله نبيا الا وقد كان
عليه شامة النبوة فى يده اليمنى الا أن يكون نبينا فان شامة النبوة كانت بين
كتفيه وبه جزم الجلال كما تقدم قال الحلبي لم أقف على بيان تلك الشامات
التى كانت للانبياء غير نبينا ما هى وفى النعمة الكبرى انها كانت شامات
سوداء * تنبيه * ما مر عن الجلال فى قوله وجعل خاتم النبوة على ظهره الخ
مشكل اذ مفهومه ان للشيطان موضع الدخول لقلوب الانبياء غير نبينا
صلى الله عليه وسلم وعليهم لم يختم ولا يخفى ما فيه من الخطور ما اشنعها من
عبارة واخطأها من اشارة كذا قال القسطلاني فيما كتبه على هامش
الخصائص ويجاب بأن المراد بغيره فى قوله حيث يدخل الشيطان لغيره
سوى الانبياء لما علم وتقرر فى النفوس من عصمة الانبياء عليهم الصلاة
والسلام من الشيطان واختص نبينا من سائر الانبياء بالختم فى المحل
المذكور مبالغة فى حفظه من الشيطان وقطعا لاطماعه فليتامل وجميع
ما ورد من الشق واخراج القلب وغيره مما يجب الايمان به وان كان خارقا
للعادة ولا يجوز تأويله لصلاحية القدرة له ﴿ووزناه﴾ أى الملكان
النبي صلى الله عليه وسلم وزنا اعتباريا أى اعتبر فضله وشرفه وقاساه

بعشرة ووقع في حديث سابه الشامي ثم قال زنه بألف فوزنوني فرجحتهم
فجعلت انظر الى الالف فوق اشفق ان يخر على بعضهم وهذا كالصريح
في انه معنى الامم الا أن يقال فيه تجوز والمراد أنه تميز بادة رجحان في
الاعتبار على الالف حتى صارت في الاعتبار لو كانت محسوسة لكادت
ان يسقط على بعضها ﴿فرجح﴾ أى زاد صلى الله عليه وسلم ﴿بألف من
أمته﴾ ويبدل منه ﴿أمة الخيرية﴾ أى المنسوبة الى الخير والفضل قال
تعالى كنتم خير أمة أخرجت للناس واصل ذلك ما ذكره السيوطي في
الخصائص ولفظه أخرج البيهقي وابن عساكر من طريق محمد بن
زكريا الغلابي عن يعقوب بن جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن
عباس عن أبيه عن جده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كانت حليمة
تحدث انها لما فطمت رسول الله صلى الله عليه وسلم تكلم فقال الله
أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا فلما ترعرع
كان يخرج فينظر الى الصبيان يلعبون فيجتنبهم فقال لي يوما يا أماه مالي
لا أرى اخوتي بالنهار فقلت فدتك نفسي يرعون غنما لنا فيروحون من
ليل الى ليل قال ابعثيني معهم فكان يخرج مسرورا ويرجع مسرورا
فلما كان يوم من ذلك خرجوا فلما انتصف النهار اذا بابني ضمرة يعدو فزعا
وجبينه يرشح باكيا ينادي يا أبه يا أمه الحقا أخي محمدا فما تلحقانه الا ميتا
قلت وما قصته قال بينا نحن قيام اذ أتى رجل فاختطفه من أوساطنا وعلا
به ذروة الجبل ونحن ننظر اليه ثم شق صدره الى عانته ولا أدري ما فعل به
فأقبلت أنا وأبوه نسعى فاذا نحن به قاعدا على ذروة الجبل شاخصا ببصره
الى السماء يتبسم ويضحك فأكببت عليه وقبلت بين عينيه وقلت فدتك
نفسي ما الذي دهاك قال خيرا يا أماه بينا أنا الساعة قائم اذ أتاني رهط ثلاثة
بيد احدهم ابريق فضة وفي يد الثاني طست من زمردة خضراء ملئ ثلجا
فأخذوني فانطلقوا بي الى ذروة الجبل فأضجعوني على الجبل اضجاعا لطيفا
ثم شق أحدهم من صدري الى عانتي وأنا أنظر اليه فلم أجد لذلك مسا ولا
ألما ثم أدخل يده في جوفي فأخرج احشاء بطني فغسلها بذلك الثلج فأنعم
غسلها ثم أعادها وقام الثاني فقال للأول تنح فقد أنجزت ما أمرك الله به

فدنا

فدنا مني فأدخل يده في جوفي فانتزع قلبي فشقه واخرج منه نكتة سوداء مملوءة بالدم فرمى بها فقال هذا حظ الشيطان منك يا حبيب الله ثم حشاه بشئ كان معه ورده مكانه ثم ختمه بخاتم من نور فأنا الساعة أجد برد الخاتم في عروقي ومفاصلي وقام الثالث وقال تنحيا فقد أنجزتما ما أمركما الله به فيه ودنا مني فأمر يده في مفرق صدري الى منتهى عانتي وقال زنوه من أمته بعشرة فوزنوني بهم فرجحتهم ثم قال زنوه بمائة من أمته فوزنوني فرجحتهم ثم قال زنوه بألف من أمته فوزنوني بهم فرجحتهم ثم قال دعوه فلو وزنتموه بأمته كلها لرجحهم ثم أخذ بيدي فأنهضني انهاضا لطيفا فاكبوا علي وقبلوا رأسي ومابين عيني وقالوا يا حبيب الله ان ترع ولو تدري ما يراد بك من الخير لقرت عينك وتركوني قاعدا في مكاني هذا الحديث وفي حديث شداد بن أوس عن أبي يعلى وأبي نعيم وابن عساكر نحوه غير انه فيه ان الطست من ذهب فلعله كان مرصعا بالزمرد وقوله صلى الله عليه وسلم أتاني رهط ثلاثة موافق لما في حديث شداد ويخالف قول ضمرة رجل أو رجلان فلعله لم يروي اثنين وأما المصطفى صلى الله عليه وسلم فرأى الثلاثة والحكمة في اختصاص الاتيان بطست من ذهب ان الطست أشهر آلات الغسل وأما كونه من ذهب فلانه أعلا الاواني وأصفاها ولان فيه خواص ليست في غيره منها انه من أواني الجنة وانه لا تأكله النار ولا التراب ولا يصدأ وانه أثقل الجواهر فناسب ثقل الوحي قال بعضهم وان نظر الى لفظه ناسب من جهة اذهاب الرجس عنه وان نظر الى معناه فلوضاءته ونقائه وثقله والوحي ثقيل قال النجم الغيطي وأما تحريم استعماله فهو مخصوص بأحوال الدنيا وذلك كان من أحوال الغيب فيلحق بأمور الآخرة قال النووي رحمه الله ليس في هذا الخبر ما يوهم جواز استعمال اناء الذهب والفضة لان هذا فعل الملائكة واستعمالهم وليس بلازم أن يكون حكمهم حكمنا ولانه كان قبل تحريم النبي صلى الله عليه وسلم استعمال أواني الذهب والفضة انتهى وهذا أحسن من جوابه الاول لانه تعقب بأنه لا يكفي أن يقال ان المستعمل له ممن لم يحرم عليه ذلك من الملائكة لانه لو كان قد حرم عليه استعماله لنزه

انه يستعمله غيره في أمر يتعلق ببدنه المكرم انتهى ﴿ونشأ﴾ بفتح النون
والشين المعجمة والهمزة من باب نفع أي تجدد وحدث وكبر ﴿صلى الله
عليه وسلم على أكمل الأوصاف﴾ وحاويا ﴿من حال صباه﴾ من
حال نشأته وهذا بيان لحكمة شق صدره الشريف في حال صباه واستخراج
ما من منه وتطهيره عن ذلك من الصبا ليكون على أكمل الصفات من
حين نشأته ولذلك أعيد شق صدره ليكون لكل طور من أطوار طفوليته ثم
بلوغه ثم بعثته ثم الاسراء به كما بحثه بعضهم والتحقيق انه صلى الله عليه
وسلم لم يزل يترقى في مراتب الكمال كما أخذه بعضهم من قوله تعالى
وللآخرة خير لك من الاولى ﴿ثم﴾ بعد ما حصل له من الشق المذكور
﴿ردته﴾ حليمة ﴿الى أمه﴾ وهو ابن أربع سنين على الراجح كما
يأتي ﴿وهي به﴾ أي بالرد الى أمه ﴿غير سخية﴾ بفتح السين
المهملة وكسر الخاء المعجمة راضية أي لم تكن تسمح نفسها بفراقه لما
عاينته في اقامته عندها من الخيرات الكثيرة عليها وعلى زوجها وبنيها
وسائر متعلقاتها من بركاته صلى الله عليه وسلم بل كانت كارهة لذلك وانما
ردته مع عدم سخائها برده ﴿حذرا﴾ بفتح الحاء المهملة والذال المعجمة أي
خوفا عليه ﴿من أن يصاب بمصاب﴾ بميم مضمومة أي اصابة أمر
﴿حادث﴾ وفي بعض النسخ بصاب بغير ميم وبصاب بتخفيف الباء عصارة
شجر مر أي بمرارة حادث كريه يشبه عصارة ذلك الشجر المر ﴿تغشاه﴾
أي تخاف وقوعه به وهو تعرض الجن له وقد عصمه الله من ذلك وأصل ذلك
بعد ما قدمناه كما في البزار قول حليمة فوالله انه لبعد مقدمنا أي من مكة
بعد رده عندنا بعد فصاله كما مر بشهرين أو ثلاثة مع أخيه من الرضاعة لفي بهم
لنا خلف بيوتنا جاء أخوه يشتد فقال ذاك أخي القرشي قد جاءه رجلان
عليهما ثياب بيض فأضجعاه وشقا بطنه فخرجت أنا وأبوه نشتد نحوه فوجدناه
قائما منتقعا لونه فاعتنقه أبوه وقال أي بني ما شأنك فقال جاءني رجلان
عليهما ثياب بيض فأضجعاني وشقا بطني ثم استخرجا منه شيئا فطرحاه ثم رداه
كما كان فرجعنا به معنا فقال أبوه يا حليمة اني خشيت أن يكون ابني قد
أصيب فانطلقي بنا نرده الى أهله قبل أن يظهر به ما نتخوف فاحتملناه حتى

قدمنا به مكة على أمه قالت ما رد كابه فقد كنتما حريصين عليه قلنا نخشى الاتلاف والاحداث فقالت ما ذالك بكما فاصدقانى ما شأنكما فلم تدعنا حتى أخبرناها خبره فقالت أخشيتما عليه الشيطان لا والله ما للشيطان عليه سبيل وانه لكائن لابنى هذا شأن دعاه عنكما وذكر السيوطى فى الخصائص الكبرى حديثا أخرجه أبو نعيم من طريق الواقدى قال فى آخره فرددته به مما وظاهر هذا السياق بل صريحه ان شق الصدر ورجوعه الى أمه كان فى السنة الثالثة لقوله فيه بشهرين أو ثلاثة وقد قال ابن عباس رجع الى أمه وهو ابن خمس سنين ويومين وقال الاموى وهو ابن ست سنين والراجح انه صلى الله عليه وسلم رجع الى أمه وهو ابن أربع سنين وان شق الصدر انما كان فى الرابعة كما جزم به الحافظ العراقى فى نظم السيرة وتلميذه الحافظ ابن حجر فى سيرته ﴿ووفدت﴾ بكسر الفاء من باب تعب أى قدمت ﴿عليه﴾ السيدة ﴿حليمة﴾ السعدية تقدم ذكر نسبها ونسبتها تشكو اليه السنة وذلك ﴿فى أيام﴾ أم المؤمنين ﴿خديجة﴾ بنت خويلد القرشية الآتى بيان حالها وخصالها الزكية ﴿السيدة﴾ الشريفة فى قومها ﴿الرضيه﴾ بالراء المهملة فعيلة بمعنى مفعولة أى المرضية وفى بعض النسخ الوضيئة بالواو من الوضاءة وهو الحسن ﴿فحباها﴾ بموحدة أعطاها بلا جزاء ولا من ﴿من حبائه﴾ بكسر الحاء المهملة فموحدة وبعد الالف همزة ممدود أى عطائه ﴿الوافر﴾ التام الكثير ﴿بحياه﴾ بفتح الحاء مقصور المطر أى بما تحيى به الارض شبه عطاءه بالمطر اذا نزل على الارض المجدبة فانه يحصل لها به غاية الحياة وفى بعض النسخ بحباء والحباء المحل أى المحل المعد للاعطاء والمعنى أعطاها من اعطائه الكثير فى المحل الذى أعده للاعطاء قال فى النعمة الكبرى وروى انها قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متزوج خديجة رضى الله عنها فشكت اليه جدب البلاد فكلم خديجة فأعطتها أربعين شاة وبعيرا انتهى وفى بعض الروايات عشرين من الغنم وبكرات ﴿وقدمت﴾ أى وفدت أيضا ﴿عليه﴾ صلى الله عليه وسلم مرة ثانية وهو بالجعرانة بعد وقعة هوازن

﴿يوم حنين﴾ سنة ثمان بعد فتح مكة وكان المسلمون فيها اثني عشر ألفا والكفار أربعة آلاف وحنين وادٍ بين مكة والطائف ﴿فقام﴾ صلى الله عليه وسلم ﴿اليها﴾ اكراما لها واعترافا بحقها وفيه دليل على جواز القيام تعظيما لمن يستحقه * واعلم انه قد اختلف العلماء في القيام لا تعظيم المعتاد هل هو مكروه أم لا فقيل مكروه استدلالا بحديث لا تقوموا كما يقوم الاعاجم يعظم بعضهم بعضا وحديث من أحب أن يتمثل له الناس قياما فليتبوأ مقعده من النار ونحوه حتى ذهب بعضهم الى حرمته والاحسن ما قاله القاضي زكريا في شرح الروض انه مستحب لاهل العلم والصلاح وللحكام العدول بل قد يجب اذا خشي من تركه ضررا كجبابرة الملوك ويستحب لمن قدم من سفره ولذوي الارحام تكريما وبرا لهم ويدل على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم للانصار لما قدم عليهم سعد رضي الله عنه قوموا الى سيدكم والمنهي عنه انما هو الذي يكون على سبيل الرياء والتكبر وحمل حديث سعد على انه كان مريضا وقدم راكبا فأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقيام ليعينوه في النزول عن دابته خلاف الظاهر وقد فعله صلى الله عليه وسلم فكان يقوم لفاطمة رضي الله تعالى عنها وانما تركه لهم لئلا يظنوه سنة أي لكل أحد ويتخذوه عادة وسيأتي مزيد لذلك في الكلام على تواضعه في ذكر شمائله صلى الله عليه وسلم ﴿وأخذته الاريحية﴾ والاريحي الواسع الخلق المرتاح للندا أي العطا والمراد ارتاح لفعل المعروف معها ﴿وبسط﴾ نشر ﴿لها من ردائه الشريف﴾ لتجلس عليه أو وسع عليها في العطاء كما يدل عليه قوله ﴿وبساط بره ونداه﴾ ولا مانع من وقوع الحالين كما ذكره ابن حجر في النعمة الكبرى انه صح عن أبي الطفيل عامر بن واثلة رضي الله عنه قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم بالجعرانة لحما وانا يومئذ غلام أحمل لحم الجزور اذ أقبلت امرأة حتى دنت من النبي صلى الله عليه وسلم بسط لها رداءه فجلست عليه فقلت من هذه قالوا هذه أمه التي أرضعته قال ابن حجر له شواهد قال الشهاب الخفاجي وهذا الحديث رواه أبو داود في سننه بسند حسن قال وقالوا وهذه المرأة هي حليمة أمه صلى الله عليه وسلم من الرضاع

ونقل الحلبي في انسان العيون عن الحافظ ابن حجر انه قال بعد ان أورد عدة آثار في مجيء أمه صلى الله عليه وسلم من الرضاعة اليه في حنين وفي تعدد الطرق ما يقتضي ان له أصلا أصيلا قال في اتفاق الطرق على انها أم رد على من زعم ان التي قدمت عليه أخته انتهى والقائل بأن القادم يوم حنين تو يقصر دونه بأنها توفيت منه سبع وحنين كانت سنة ثمان بعد فتح مكة كما تقدم ﴿و﴾ قد اختلف العلماء في اسلامها وعدمه فمن أنكره الحافظ الدمياطي وأبو حيان النحوي ﴿الصحيح﴾ من القولين ﴿انها أسلمت﴾ كما قاله غير واحد ﴿مع زوجها﴾ الحارث ابن عبد العزى بن رفاعة بن ملان بن ناصرة بن سعد بن بكر فحليمة تلتقي نسبا مع زوجها والحارث في ناصرة فهو الجد الخامس لحليمة قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أنزل عليه القرآن فقالت له قريش ألا تسمع يا حارث ما يقول ابنك قال وما يقول قالوا يزعم ان الله يبعث من في القبور وان لله دارين يعذب في احداهما من عصاه ويكرم في الاخرى من أطاعه فقد شتت أمرنا وفرق جماعتنا فأتاه فقال أي بني مالك ولقومك يشكونك ويزعمون انك تقول ان الناس يبعثون بعد الموت ثم يصيرون الى جنة ونار فقال صلى الله عليه وسلم نعم ولو قد كان ذلك اليوم لقد أخذت بيدك حتى أعرفك حديثك اليوم فأسلم وحسن اسلامه وكان يقول لو أخذ ابني بيدي فعرفني ما قال لم يرسلني ان شاء الله تعالى حتى يدخلني الجنة ﴿و﴾ كذا الصحيح من القولين أيضا اسلام ﴿البنين و﴾ عطف ﴿الذرية﴾ على البنين من عطف العام على الخاص لشموله الاناث وهم عبد الله الذي أرضعت حليمة رسول الله صلى الله عليه وسلم بلبانه وأنيسة وجذامة وهي الشيماء أولاد الحارث بن عبد العزى كما أشار اليه الحافظ مغلطاي في سيرته ﴿وقد عدهما﴾ أي حليمة وزوجها الحارث ﴿في الصحابة جمع من ثقات﴾ بكسر المثلثة جمع ثقة بمعنى موثوق به لعدالته وضبطه ﴿الرواة﴾ بضم الراء جمع راو منهم الحافظ ابن حجر في الفتح وقال في الاستيعاب روى زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار قال جاءت حليمة بنت عبد الله أم النبي صلى الله عليه وسلم من الرضاعة يوم حنين فقام اليها وبسط

لما ردته فجاءت عليه وروت عن النبي صلى الله عليه وسلم وروى عنها عبد الله بن جعفر وقال الحافظ مغلطاي في سيرته ما نصه وصحح ابن حبان وغيره حديثا دل على اسلامها رضي الله عنها وقال الحافظ أبو الفرج بن الجوزي بعد كلام له ثم قدمت أي حليمة عليه صلى الله عليه وسلم وأسلمت وبايعت ونصر هذا القول الشهاب الخفاجي في نسيم الرياض قال وصنف الحافظ مغلطاي جزأ في اسلامها سماه التحفة الجسيمة في اسلام حليمة وارتضاه علماء عصره انتهى وقد ذكرها في الصحابة ابن أبي خيثمة وابن عبد البر وابن الجوزي والمنذري وابن حجر وغيرهم وكفى بهم حجة ونقل الجلال السيوطي رحمه الله تعالى في مسالك الحنفاء عن بعض العلماء بعد ايراد خبر ارضاع حليمة رضي الله عنها لرسول الله صلى الله عليه وسلم وما نالها من معروفه واحسانه الذي أسداه اليها حين قدمت عليه أبياتا حسنة وهي هذه

هذا جزاء الأم عن ارضاعه * لكن جزاء الله عنه عظيم
وكذاك أرجو أن يكون لأمه * عن ذاك آمنة يد ونعيم
ويكون أحياها الإله وآمنت * بمحمد فحديثها معلوم
فلربما سعدت به أيضا كما * سعدت به بعد الشقاء حليم

وفي قوله سعدت به بعد الشقاء حليم أي حليمة اشارة الى ما سبق من ترجيح القول باسلامها اذ ليست السعادة بعد الشقاء الا الاسلام بعد الكفر كما هو واضح والله تعالى أعلم

﴿عطر اللهم قبره الكريم بعرف شذي من صلاة وتسليم اللهم صل وسلم وبارك عليه﴾

ولما بلغ صلى الله عليه وسلم من العمر ﴿أربع سنين﴾ فيما حكاه العراقي وصدر به مغلطاي والقسطلاني في المواهب وتبعهما المصنف وهو لا يظهر الا على القول بأن رجوع حليمة به صلى الله عليه وسلم بعد شق صدره الشريف كان في السنة الثالثة ومع ذلك فهو يرد القول بأن حليمة لما ردته الى أمه كان عمره خمس أو ست سنين وقيل خمسا وقيل ستا وقيل سبعا وقيل تسعا وقيل عشرا وقيل اثنتي عشرة سنة وشهرا وعشرة أيام

وقيل غير ذلك والقول بالست هو الذي قطع به ابن اسحاق «خرجت به آمنة» أمه بنت وهب ومعهما حاضنته أم أيمن الحبشية «الى المدينة النبوية» لزيارة قبر والده وأخوال جده عبد المطلب لان أم سلمى بنت عمرو بن زيد بن لبيد بن خداش بن عامر بن عدي ابن النجار النجارية فهم أخوال النبي صلى الله عليه وسلم مجازا كما تقدم وقصدت بزيارتها أهل المطلب اليهم وأرحامهم فنزلت بدار النابغة رجل من بني عدي بن النجار وأقامت به عندهم شهرا فكان صلى الله عليه وسلم وكان قوم من اليهود يختلفون ينظرون اليه قالت أم أيمن فسمعت أحدهم يقول هو نبي هذه الامة وهذه أي المدينة دار هجرته فوعيت ذلك كله من كلامهم «ثم عادت» أي رجعت هي ومعها النبي صلى الله عليه وسلم وأم أيمن قاصدة مكة المشرفة فتخوفا عليه من اليهود وفي رواية أبي نعيم قال صلى الله عليه وسلم فنظر الي رجل من اليهود يختلف ينظر الي فقال يا غلام ما اسمك قلت أحمد ونظر الى ظهري فأسمعه يقول هذا نبي هذه الامة ثم راح الى اخوانه فأخبرهم فأخبروا أمي فخافت علي فخرجنا من المدينة «فوافتها» أتتها «بالابواء» بفتح الهمزة وسكون الموحدة ممدود موضع بين مكة والمدينة قريب من الجحفة وقال بعضهم قرية من أعمال الفرع على ثلاثين ميلا من المدينة كما تقدم سميت بذلك لتبوء السيول بها «أو» بعد ان وصلت مكة وأتتها كما قيل «بشعب» بكسر المعجمة ما انفرج بين جبلين أو الطريق في الجبل «الحجون» بفتح المهملة وضم الجيم قال المجد جبل بمعلاة مكة «الوفاة» الموت عن عشرين سنة من العمر تقريبا كما صححه الحافظ العلائي أخرج أبو نعيم في دلائل النبوة من طريق الزهري عن ام سماعة بنت أبي رهم عن امها قالت شهدت آمنة في علتها التي ماتت فيها ومحمد صلى الله عليه وسلم غلام يفع له خمس سنين عند رأسها فنظرت الى وجهه ثم قالت

بارك فيك الله من غلام * يا ابن الذي من حومة الحمام
نجا بعون الملك المنعام * فودي غداة الضرب بالسهام
بمائة من ابل سوام * ان صح ما أبصرت في المنام

فانت مبعوث الى الانام * من عند ذى الجلال والاكرام
تبعث فى الحل وفى الحرام * تبعث بالتحقيق والاسلام
دين أبيك البر ابراهام * فالله أنهاك عن الاصنام
أن لا توالها مع الاقوام *

ثم قالت كل حى ميت وكل جديد بال وكل كبير يفنى وأنا ميتة وذكرى باق وقد تركت خيرا وولدت طهرا ثم ماتت فكنا نسمع نوح الجن عليها فحفظنا من ذلك

نبكى الفتاة البرة الامينه * ذات الجمال العفة الرزينه
زوجة عبد الله والقرينه * أم نبى الله ذى السكينه
وصاحب المنبر بالمدينه * صارت لدى حفرتها رهينه

والقول بوفاة أمه بالابواء ودفنها بها هو الصحيح المشهور وهو قول ابن اسحاق وجزم به العراقى وتلميذه الحافظ بل قال الحلبى هو الاصح كما تقدم وفى الوفاء عن ابن سعد أن كونها توفيت بمكة غلط وانما قبرها بالابواء وقد جاء انه صلى الله عليه وسلم لما مر بالابواء فى عمرة الحديبية قال ان الله اذن لمحمد فى زيارة قبر أمه فأتاه وأصلحه وبكى عنده وبكى المسلمون لبكائه وقيل له فى ذلك قال أدركتنى رحمتها فبكيت ويعارضه ما ورد من الاحاديث من ان قبرها بالحجون وجمع بعضهم كما فى الخميس بانها دفنت اولا بالابواء ثم نقلت الى مكة ودفنت بالحجون وفى القاموس فى فصل الراء من باب العين المهملتين دار رابعة براء بعد الالف ضيعة بمكة فيه مدفن آمنة أم النبى صلى الله عليه وسلم وظاهره انها مدفونة داخل مكة وقال الحلبى لم أقف على محل تلك الدار ﴿و﴾ لما ماتت أمه صلى الله عليه وسلم فى رجوعها الى مكة ﴿حضانته﴾ أى استقلت بخدمته ﴿حاضنته﴾ ومربيته وحافظته ﴿أم﴾ اسامة بن زيد وأم ﴿أيمن﴾ ابن عبيد الخزرجى المستشهد يوم حنين واسمها بركة بنت ثعلبة بن حصن واشتهرت بكنيتها بابنها هذا أسلمت قديما هى وابنها أيمن وهاجرت الهجرتين الى أرض الحبشة والى أرض المدينة ورثها النبى صلى الله عليه وسلم من أبيه عبد الله أو من أمه واعتقها بعد النبوة وزوجها مولاه حارثة فاولدها أسامة

الذي قال النبي صلى الله عليه وسلم فيه اسامة أحب الناس الي وهو الحب ابن
الحب بكسر الحاء أي الحبيب ابن الحبيب لان أباه كان حبيبا له صلى الله عليه
وسلم أيضا وقيل ان الذي أعتقها أبو المصطفى ولها مناقب جليلة منها انها
حضنت المصطفى صلى الله عليه وسلم فنشأ في حجرها وكان يقول لها أنت أمي
بعد أمي أي كأمي في رعايتك لي وتعظيمي والشفقة علي أو في رعايتي لك
واحترامك وقد كانت تدل عليه صلى الله عليه وسلم وكان يزورها في بيتها
وكان العمران يزورانها بعده وكانت تبكي وتقول أنا أبكي لخبر السماء كيف
انقطع عنا ومن مناقبها الشريفة ما رواه ابن سعد لما هاجرت الى المدينة
امست بالمنصرف دون الروحاء وكانت منفردة في حر شديد فعطشت فسمعت
حسيسا فوق رأسها فالتفتت فاذا دلو قد أدليت اليها من السماء فشربت
منها حتى رويت وكانت تقول ما أصابني بعد ذلك عطش ولقد تعرضت للصوم
في الهواجر فما عطشت بعد تلك الشربة وكانت أول أهله لحوقا به بعد
السيدة فاطمة رضي الله تعالى عنها ففي صحيح مسلم انها ماتت بعده صلى الله
عليه وسلم بخمسة أشهر وقيل بستة قال البرهان وبه يرد قول الواقدي
انها ماتت في خلافة عثمان لكن أيده في الاصابة بما رواه ابن سعد بسند
صحيح عن طارق بن شهاب لما قتل عمر بكت أم أيمن فقيل لها فقالت اليوم
وهى الاسلام واعتمد ابن منده وغيره قول الواقدي وجمع ابن السكن
بين القولين بأن الاولى هي مولاة النبي صلى الله عليه وسلم وان الثانية هي
مولاة أم حبيبة واسم كل منهما بركة وتكنى أم أيمن وهو محتمل على بعد
﴿الحبشية﴾ نسبة الى الحبشة وهم أمة عظيمة مشهورة مساكنهم بالجانب
الغربي من بلاد اليمن يقال انهم من ولد حبش بن كوش بن حام ﴿التي﴾
أعتقها و ﴿زوجها عليه السلام بعد﴾ بالضم لقطعه عن الاضافة ونية
معنى المضاف اليه أي بعد النبوة ﴿من زيد بن حارثة مولاه﴾ أي عتيقه
فهو صفة ثانية لزيد وهو أولى مما قيل انه بدل منه اذ في بدل المشتق من الخلاف
واسم حارثة شراحيل وقيل شرحبيل كذا وقع في عبارة بعضهم وهو غلط
والصواب ان شراحيل اسم جده ففي أسد الغابة والاصابة في ترجمة زيد بن
حارثة بن شراحيل بن كعب الكلبي وامه سعدى بنت ثعلبة بن عبد عامر من

بني معن من طيء سبي في الجاهلية وذلك أن أمه سعدى خرجت به تزور قومها
بني معن فأغارت عليهم خيل بني القين بن جسر فأخذ وأريد فقدموا به سوق
عكاظ بمكة فاشتراه حكيم بن حزام لعمته خديجة بنت خويلد بأربعمائة
درهم فلما تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهبته له وستأتي قصة إتيان
أبيه حارثة وعمه كعب بن شراحيل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في طلب
فدائه فخيره النبي صلى الله عليه وسلم بين أن يقيم عنده أو يذهب معهما
فقال ما أنا بالذي اختار عليك أحدا فأعتقه النبي صلى الله عليه وسلم وتبناه
قال ابن عمر ما كنا ندعو زيد بن حارثة إلا زيد بن محمد حتى أنزل الله تعالى
ادعوهم لآبائهم قال في أسد الغابة ويكنى أبا أسامة وهو مولى رسول الله
صلى الله عليه وسلم أشهر مواليه وهو حب رسول الله صلى الله عليه وسلم
وستأتي ترجمته تامة عند قول المصنف وأول من آمن به من الموالي زيد
ابن حارثة وفي كلام بعضهم وبقي النبي صلى الله عليه وسلم بعد موت أمه بالأبواء
حتى انتهى الخبر إلى مكة وجاءت أم أيمن مولاة أبيه عبد الله لما سمعت من
موت أمه بالأبواء وهو خلاف ما عليه الأكثر من أن أم أيمن كانت مصاحبة
لأمه في سفرها ذاهبا وآيبا وكون موت أمه في حياة عبد المطلب هو المشهور
الذي لا يكاد يعرف غيره وقول المصنف رحمه الله ﴿وأدخلته﴾ أي بعد
خمسة أيام من موت أمه ﴿على﴾ جده ﴿عبد المطلب﴾ يرد ما قيل مات
عبد المطلب قبل موت أمه بسنتين ﴿فلما أدخلته عليه﴾ ﴿ضمه إليه﴾
حبا وتوددا ﴿ورق له﴾ من الرقة بالكسر التحنن والعطف أي حن عليه
وتعطف به ﴿وأعلى رقيه﴾ بضم الراء وكسر القاف وشد المثناة تحت
مصدر رقي أي علوه أي زاد في رفعة منزلته ومكانته وقدره الفخيم وشأنه
العظيم ﴿وقال﴾ منبئا لتخصيصه بذلك من بين أولاده وغيرهم ﴿إن
لابني﴾ هذا ابنه كما سماه النبي صلى الله عليه وسلم أبا في قوله أنا النبي لا كذب
أنا ابن عبد المطلب لأن ابن الابن ابن ﴿هذا الشأنا﴾ أي حالا فخيما
جليلا ﴿عظيما﴾ وفي الإتيان بالمؤكدات زيادة معرفة عبد المطلب
بشأنه صلى الله عليه وسلم ويدل على ذلك ما في خصائص الكبرى كما قدمناه
أنه كان يوضع لعبد المطلب فراش في ظل الكعبة وكان لا يجلس عليه أحد

من بنيه اجلالا له وكان صلى الله عليه وسلم يأتي حتى يجلس عليه فيذهب
اعمامه يؤخرونه فيقول جده دعوا ابني فيمسح على ظهره ويقول ان لابني
هذا الشأنا ﴿ ذ ﴾ ناسب حينئذ ان يقال ﴿ بخ بخ ﴾ الاول منون والثاني
يسكن وبتسكينهما وبتنوينهما وبتشديدهما وتفردسا كنة ومكسورة
ومنونة مضمومة كلمة تقال عند الرضا والاعجاب بالشئ أو الفخر أو المدح
كما في القاموس وتكرر للتأكيد أي عظم الامر وفخم ﴿ لمن وقره ﴾ بفتح
الواو والقاف مشددة أي عظمه ﴿ ووالاه ﴾ الموالاة ضد المعاداة أي
اتخذه وليا وآمن به ونصره وعن أم أيمن كنت احضن النبي صلى الله عليه
وسلم فغفلت عنه يوما فلم ادر الا بعبد المطلب قائما على رأسي يقول يا بركة
قلت لبيك قال أتدرين أين ابني قلت لا أدري قال وجدته مع غلمان قريبا
من السدرة لا تغفلي عن ابني فان أهل الكتاب يزعمون انه نبي هذه الامة
وأنا لا آمن عليه منهم وكان لا يأكل طعاما الا يقول علي بابني اي احضروه
قالت وكان عبد المطلب اذا أتي بطعام اجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى جنبه وربما اقعده على فخذه فيؤثره بأطيب طعامه وكان يقول وارجو
ان يبلغ من الشرف مالا يبلغه عربي قبله ولا بعده وانه شهدته نفسه بملك
عظيم وسيكون له شأن ﴿ ولم تشك ﴾ بسكون الشين المعجمة من الشكاية
أي لم تذكر لاحد من المخلوقين ﴿ في ﴾ حال ﴿ صباه ﴾ صغر سنه الذي هو
مظنة عدم احتمال المشاق فنفيه في حال كبره أولى ﴿ جوعا ولا عطشا
قط ﴾ لكمال مشاهدته لجلال ربه تعالى اذ هو صلى الله عليه وسلم أولى
الخلق بالتنزه عما فيه ادنى تبجح وذم فكيف لا ينزه عما فيه غايتهما وقوله لم
تشك الى آخره لا يقتضي انه كان لا يجوع لان المنفي انما هو الشكوى منه
لا هو وقد ورد ما يدل على انه كان يجوع كما في رواية الترمذي انه صلى الله عليه
وسلم قال عرض علي ربي ان يجعل لي بطحاء مكة ذهبا فقلت لا يارب ولكن
اشبع يوما وأجوع يوما فاذا جعت تضرعت اليك وذكرتك واذا شبعت
شكرتك وحمدتك انتهى ولفظ قط بفتح القاف وضم الطاء المشددة وهذا
اشهر لغاته وقد تخفف الطاء المضمومة وقد تضم القاف اتباعا لضمة الطاء
المشددة أو المخففة وجاء قط ساكنة الطاء مثل قط الذي هو اسم فعل فهذه

خمس لغات وهي من الظروف المبنية المستغرقة لتأكيد نفي الماضي لاتفارق
الظرفية أصلا تقول ما فعلته قط وفي سائر لغاتها تضم أصلا في ابتداء الغاية
وانتهائها وهي مشتقة من قططت الشيء اذا قطعته فمعنى ما فعلته قط ما فعلته
فيما انقطع من عمري لان الماضي ينقطع عن الحال والاستقبال ﴿ ونسبه
ما مل ثلث ﴾ ﴿ الآبية ﴾ بفتح الهمزة وكسر الموحدة وشد التحتية أي
المنسوبة للاباء وهو الامتناع عما يستحيا منه أي الممتنعة من كل ما يشين
لانه صلى الله عليه وسلم كان على أكمل الاوصاف ﴿ وكثيرا ما عدا ﴾
بالدال توجه وذهب أول النهار أي أتيا ما كثيرا وقع منه صلى الله عليه وسلم
وما مزيدة مبالغة لتكثير ﴿ فاغتدى ﴾ بالدال المعجمة بالشرب من ﴿ ماء
بئر ﴿ زمزم ﴾ بنية الشبع والاستغناء به عن أكل الطعام لانه لما شرب له
كما ورد في الحديث ﴿ فكفاه ﴾ اغناه عن الطعام والشراب ووقع في بعض
النسخ فاشبعه وأرواه بدل قوله فكفاه وهو بمعناه * وماء زمزم أفضل مياه
الدنيا الموجودة كما ان الكوثر أفضل مياه الآخرة بل أفضل من ماء الكوثر
كما قال به البلقيني أخذا من ايثار الملائكة على ماء الكوثر ليلة الاسراء عند
غسل قلبه الشريف صرح به العلامة ابن حجر في المنح كما تقدم وأفضل منهما
الماء النابع من بين أصابعه الشريفة وقد صح عنه صلى الله عليه وسلم في ماء
زمزم أنه يروي الظمآن ويشبع الجيعان وتقدم أنه يقوي القلب ويسكن
الروع وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير
ماء على وجه الارض ماء زمزم فيه طعام طعم وشفاء سقم وفي الحديث
اشربوا من شراب الابرار يعني زمزم ولذلك استحب التضلع منها وأن يذكر
عند شربه ما يحب بأن يقول اللهم انه بلغني ان رسولك صلى الله عليه وسلم قال
ماء زمزم لما شرب له اللهم واني اشربه لتغفر لي ولتفعل بي كذا وكذا اللهم
اني اشربه مستشفيا به فاشفني ونحو هذا قال في الاذكار وهذا مما عمل به
العلماء والاخيار فشربوه لمطالب لهم جليلة فنالوها انتهى * وقد اقتصر أبو
ذر الغفاري رضي الله عنه على الشرب منه نحو أربعين يوما حتى سمن وطاب
وانتعش جسمه وظهرت عكن بطنه وأصل ما ذكره المصنف رحمه الله تعالى
ما روي ان أم أيمن قالت ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم شكا جوعا

قط ولا عطشا وكان يغدو اي يذهب اذا أصبح فيشرب من ماء زمزم شربة
ذريعا عرضنا عليه الغداء فيقول أنا شبعان وزمزم هي البئر المعروفة بمكة
بفتح أوله واسكان ثانيه وفتح الزاي الثانية وبضم أوله وفتح ثانيه بلا تشديد
وكسر الزاي الثانية قيل سميت بذلك لكثرة مائها يقال ماء زمازم وزمزم أي
كثير وقيل هو اسم علم لها وقيل لزمزمة الماء فيها أي حركته والزمزمة صوت
بعيد يسمع له دوي وقيل صوت خفي ومنه حديث عمر كتب الى عماله في أمر
المجوس ونهاهم عن الزمزمة هي كلام يقولونه عند اكلهم بصوت خفي من
غير استعمال لسان ولا شفة بل صوت يديرونه في خياشيمهم وحلوقهم
يشبه تراطن العلوج على الكلام وهم سموط فيفهم بعضهم عن بعض
وقيل لاجتماعها وقيل لاشتقاقها وقيل لانها زمت بالتراب لئلا تأخذ يمينا
وشمالا * وفي الحديث ان ابراهيم عليه السلام لما احتمل اسماعيل وأمه هاجر
فأنزلهما بالحجر ووضع عندهما سقاء فيه ماء وجرابا فيه تمر فجعلت أم اسماعيل
عليه السلام ترضعه وتشرب من ذلك الماء حتى اذا نفد عطشت فانقطع لبنها
وعطش اسماعيل عليه السلام وجعلت تنظر اليه يتلوى وجعل يضرب
بعقبه كانه ينشغ للموت بفتح الياء المثناة تحت والنون الساكنة والشين
المعجمة المفتوحة والغين المعجمة أي ينازع فانطلقت كراهة ان تنظر اليه
وقالت يموت وأنا غائبة عنه أهون علي وعسى الله ان يجعل في مشاي خيرا
فوجدت الصفا اقرب جبل في الارض اليها فقامت عليها والوادي يومئذ
عميق وجعلت تستغيث ربها وتدعوه ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترى
أحدا فهبطت من الصفا حتى جاوزت الوادي الى المروة فقامت عليها
فنظرت فلم تر أحدا ففعلت ذلك سبع مرات وهي في كل مرة تتفقد اسماعيل
وتنظر ما حدث له بعدها فلما اشرفت على المروة سمعت صوتا فقالت صه
تريد نفسها ثم تسمعت فسمعت أيضا فقالت قد اسمعت أن كان عندك غواث
بفتح الغين المعجمة والواو المخففة آخره ثاء مثلثة أي مغيث فاذا هي بجبريل
عليه السلام فناداها من أنت قالت هاجر أم ولد ابراهيم قال فالى من وكلكما
قالت الى الله تعالى قال وكلكما الى كاف فخرج الصوت بين يديها وهي تؤمه
حتى انتهى بها عند رأس اسماعيل ثم تبدى لها جبريل فانطلق بها حتى وقف

على موضع زمزم فبحث بعقبه أو قال بجناحه وفي لفظ وغمز بعقبه في الارض
فنبعت زمزم حتى ظهر الماء فوق الارض فدهشت أم اسماعيل فجعلت
تحظر الماء بالتراب وفي رواية تحوضه بالضاد المعجمة وتشديد الواو أي تجعله
كالحوض خشية ان يفوتها قبل ان يأتي بشنها وجعلت تغرف الماء في سقائها
وهي تفور بعد ما تغرف وقال النبي صلى الله عليه وسلم يرحم الله أم اسماعيل
لو تركت زمزم أو قال لو لم تغرف من الماء كانت زمزم عينا معينا بفتح الميم
أي ظاهرا جاريا على وجه الارض * فشربت وأرضعت ولدها فقال لها الملك
لا تخافي الضيعة أي الهلاك فان ههنا بيت الله يبنيه هذا الغلام وأبوه
الحديث قال ابن الجوزي رحمه الله تعالى كان ظهور زمزم نعمة من الله
محضة بغير عمل عامل فلما خالطها تحويض هاجر داخلها كسب البشر فقصرت
على ذلك والله أعلم * فائدة * ذكر بعضهم لزمزم جملة أسماء منها البركة
والنافعة والميمونة والمكتفية والعافية والشباعة والعذبة والمروية والمعونة
وشراب الابرار والبشرى والصافية وهمزة جبريل وسقيا اسماعيل
والسيدة وغير ذلك وقد اتفقت الائمة الاربعة على جواز نقله بل استحبه
الشافعي ومالك رضي الله عنهما وفضيلته باقية فيه وما يقال من ان فضيلته
مادام بمحله فاذا نقل تغير لا أصل له فقد حمله رسول الله صلى الله عليه وسلم
والحسن والحسين وكتب النبي صلى الله عليه وسلم الى سهيل بن عمرو ان
جاءك كتابي ليلا فلا تصبحن أو نهارا فلا تمسين حتى تبعث الي بماء زمزم
وفيه انه بعث له مزادتين وكان حينئذ بالمدينة قبل أن تفتح مكة ﴿ولما
انحت﴾ بالبناء للمجهول أي بركت ﴿بفناء﴾ بكسر الفاء رحبة الدار
﴿جده عبد المطلب مطايا﴾ جمع مطية وهي الدابة تمطو أي تجد في سيرها
﴿المنية﴾ بفتح الميم وشد التحتية الموت شبه المنية بجهة يحتاج في التوجه
اليها الى المطايا فهي تخييل وانحت ترشيح كنى بذلك عن حضور أجله
بظهور علامات الموت ﴿كفله﴾ بفتحات مخففا أي حضنه ﴿عمه أبو
طالب﴾ واسمه عبد مناف عند الجميع وشذ من قال عمران بل هو قول
باطل نقله ابن تيمية في كتاب الرد على الروافض فقال زعم الروافض في قوله
تعالى ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران أن آل عمران هم

آل عبد المطلب وان اسمه عمران انتهى واشتهر بكنيته باكبر أولاده الاربعة الذين بين كل واحد منهم وأخيه الذي يليه في الولادة عشر سنين والثلاثة الباقون عقيل وجعفر وعلي رضي الله عنهم وأما طالب فقد قيل قبل اختطفته الجن فذهب ولم يعلم اسلامه وفي المواهب وكان عبد المطلب أوصاه بذلك أي بكفالته فعلى هذا يجوز ان يضبط قول المصنف كفله بتشديد الفاء مضعفا من كفل اللازم كما ضبطه بعضهم وعليه فيقرأ ما بعده بالنصب أي جعل أبا طالب كفيلا عليه صلى الله عليه وسلم ووصاه بذلك لصغر سنه واحتياجه الى من يقوم بتربيته والاعتناء بشأنه وانما خص عبد المطلب أبا طالب من بين سائر أعمامه صلى الله عليه وسلم لانه ﴿شقيق أبيه عبد الله﴾ أي أخوه من أبيه وأمه والقصر اضافي فلا يرد ان الزبير شقيقهما أيضا وقيل وشاركه في كفالته وخص أبو طالب بالذكر لامتداد حياته فان الزبير لم يدرك الاسلام وقيل أقرع عبد المطلب بينهما فخرجت القرعة لابي طالب مات عبد المطلب ودفن بالحجون عند جده قصي عن مائة سنة وعشر أو وعشرين لكن قال الواقدي لم يثبت ذلك القول أفاده في شرح المواهب أو وأربعين أو وأربع وأربعين سنة أو عن اثنين وثمانين سنة أو عن خمس وتسعين سنة أقوال في ذلك وكان عمره صلى الله عليه وسلم اذ ذاك سبع سنين وطعن في الثامنة وقيل ثمان وشهر وعشرة أيام وقيل تسع وقيل عشر وقيل ست وقيل ثلاث وفيه نظر لان أقل ما قيل انه كان في موت أمه ابن اربع سنين واتفقوا على ان جده كفله بعدها فكيف يتأتى أن يكون ابن ثلاث ﴿فقام﴾ أبو طالب ﴿بكفالته﴾ صلى الله عليه وسلم ﴿بعزم قوي﴾ والعزم التصميم على فعل الشيء ﴿وهمة﴾ هي بكسر الهاء حالة للنفس تبعث على امضاء الشيء وانفاذه ومنه الهم بضم الميم وهو الذي يحرك الهمة والهمام هو الذي اذا هم بشيء امضاه ﴿حمية﴾ بفتح الحاء المهملة وكسر الميم أي حامية بالغة عظيمة ﴿وقدمه﴾ آثره ﴿على النفس﴾ أي على نفسه ﴿و﴾ على ﴿البنين﴾ المنسوبين اليه ﴿ورباه﴾ تربية بالغة ودافع عنه وكان يحبه حبا شديدا وبوده ودا أكيدا ويعظم شأنه وقدره ويعده ذخره وفخره ويستدفع به بلياته واذياته ويتوسل به في قضاء مهمات حاجاته

ويؤثره على أولاده ذكر الواقدي ان عيال أبي طالب كانوا اذا أكلوا
جميعا أو فرادى لم يشبعوا واذا أكل المصطفى معهم شبعوا فكان أبو طالب
اذا اراد أن يغديهم أو يعشيهم يقول كما أنتم حتى يأتي ابني فيأتي فيأكل معهم
فيفضل من طعامهم واذا كان لبنا شرب أولهم ثم يشربون فيروون كلهم من
قعب واحد وان كان احدهم ليشرب قعبا وحده فيقول أبو طالب انك
لمبارك وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان بنو أبي طالب يصبحون
غمصا رمصا ويصبح محمد صلى الله عليه وسلم صقيلا دهينا كحيلا وكان
أبو طالب يحبه حبا شديدا لا يحب أولاده كذلك ولا ينام الا الى جنبه
ويخرج به متى خرج وذكر ابن قتيبة في غريب الحديث انه كان يوضع
له الطعام والصبية أبي طالب فيتطاولون اليه ويتقاصر هو وتمتد أيديهم
وتنقبض يده تكرما منه واستحياء ونزاهة نفس وقناعة قلب ويصبحون
غمصا رمصا مصفرة ألوانهم ويصبح هو صلى الله عليه وسلم صقيلا دهينا كأنه
في انعم عيش وأعز كفاية لطفا من الله به واخرج ابن عساكر عن
جلهمة بن عرفطة قال قدمت مكة وقريش في قحط فقائل منهم يقول اعتمدوا
للات والعزى وقائل منهم اعتمدوا لمناة الثالثة الاخرى فقال شيخ وسيم
حسن الوجه جيد الرأي أنى تؤفكون وفيكم بقية ابراهيم وسلالة
اسماعيل قالوا كأنك عنيت أبا طالب قال ايها فقاموا بأجمعهم فقمت
فدققنا عليه الباب فخرج الينا فقالوا يا أبا طالب أقحط الوادي وأجدب
العيال فهلم فاستسق فخرج أبو طالب ومعه غلام كأنه شمس دجن تجلت
عنه سحابة قتماء أي مظلمة وحوله اغيلمة فأخذه أبو طالب فالصق ظهره
بالكعبة ولاذ الغلام بأصبعه وما في السماء قزعة فأقبل السحاب من
ههنا وههنا واغدق واغدودق وانفجر له الوادي . وأخصب النادي
والبادي وفي هذا يقول أبو طالب

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه * ثمال اليتامى عصمة للارامل .

والثمال بكسر المثلثة وتخفيف الميم الملجأ والغياث وقيل المطعم في الشدة
ويصح ارادتهما هنا وقوله عصمة للارامل يمنعهم من الضياع والحاجة
والارامل المساكين من رجال أو نساء وهو بالنساء أخص وأكثر

استعمالا والواحد ارمل والواحدة أرملة وهذا البيت من أبيات في قصيدة
لابي طالب أكثر من ثمانين بيتا استوفاها ابن اسحاق لكنه ذكر ان
انشاءه لها كان بعد المبعث وقد يجمع بأنه ذكر هذا البيت اثر هذه الواقعة
ثم كلها بعد المبعث ونسبته لجده عبد المطلب غلط فقد أخرج البيهقي
عن أنس رضي الله عنه قال جاء أعرابي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وشكا اليه الجدب فقام صلى الله عليه وسلم يجر رداءه حتى صعد المنبر
فرفع يديه الى السماء ودعا فما رد يديه حتى التفت السماء بابراقها وجاؤا
يضجون الغرق فضحك صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه ثم قال لله در
أبي طالب لو كان حيا لقرت عيناه من ينشدنا قوله فقال علي كرم الله
وجهه يارسول الله كأنك تريد قوله وأبيض يستسقى وذكر ابياتا فقال صلى الله
عليه وسلم أجل فهذا نص صريح من الصادق بأن منشئ البيت أبو طالب
نبه عليه في شرح الهمزية فنسبته لعبد المطلب غلط صريح *تنبيه*
جميع ماذكر في أبي طالب من انه يحب النبي صلى الله عليه وسلم ويمدحه
وانه رباه صغيرا وآواه كبيرا وانه كان يحوطه وينصره ويعززه ويوقره
ويعينه على تبليغ دينه ويصدقه فيما يقول ويذب عنه ويأمر أولاده
كجعفر وعلي باتباعه ونصره ونطق بحقية دينه كما تواترت به الاخبار
دليل على انه كان يعرف بنبوة النبي صلى الله عليه وسلم وقد دلت أحاديث
شفاعته صلى الله عليه وسلم على انه يشفع فيمن في قلبه ادنى ادنى من مثقال
حبة من خردل من ايمان وان الشفاعة لاتنال مشركا وقد نالت أباطالب
بنص الحديث الصحيح ونعلم قطعا انه كان يصدق بنبوة النبي وصدقه وحقية
دينه وكفى بالظاهر دليلا فلابد من القول بنجاته وهو الظن بسعة رحمة الله
وكرمه وان كان مجرد المعرفة بالنبوة لا يستلزم الاسلام وبالله التوفيق
﴿ولما بلغ﴾ رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ثنتي عشرة سنة﴾ قاله
الاكثر وقيل تسع سنين قاله الطبري وغيره ورجحه الشهاب في النسيم وقيل
احدى عشرة سنة وقيل ثلاث عشرة سنة حكاه أبو عمر قال ابن الجوزي
قال أهل السير والتواريخ لما أتت عليه صلى الله عليه وسلم اثنتا عشرة سنة
وشهران وعشرة أيام وفي سيرة مغلطاي وشهر ويمكن حمل القول الاول

عليه أن المراد ما قاربها ﴿ورحله﴾ أي بالنبي صلى الله عليه وسلم عمه
أبو طالب وسبب ذلك أن أبا طالب لما تهيأ للرحيل الى الشام استمسك بزمام
ناقته وقال يا عم الى من تكلني ولا أب لي ولا أم فرق له أبو طالب وقال والله
لأخرجن به معي ولا يفارقني ولا أفارقه أبدا فخرج به معه ولم يزل سائرا مع
أبي طالب ﴿الى البلاد الشامية﴾ حتى بلغ بصرى ﴿وعرفه الراهب﴾
أي الزاهد في الأكل والشرب لشدة رهبته أي خوفه ﴿بحيرا﴾ بفتح
الموحدة وكسر الحاء المهملة مقصورا وقيل ممدودا وقيل بضم الباء وفتح
الحاء وكان اليه انتهى علم النصرانية واسمه جرجيس وفي بعض النسخ
سرجس وفي بعضها جرجس حين رآه ﴿بما حازه﴾ جمعه ﴿من وصف
النبوة﴾ التي في الكتب المنزلة على أنبيائهم ﴿وحواه﴾ بمعنى حازه
معطوفه على ما قبله عطف تفسير وكانت قريش كما في رواية ابن اسحق
كثيرا ما يمرون على بحيرا فلا يكلمهم ولا يلتفت الى أحد منهم حتى اذا كان
ذلك العام قال يا معشر قريش اني صنعت لكم طعاما فاحضروا كلكم
صغيركم وكبيركم وحركم وعبدكم فقال رجل منهم والله يا بحيرا ان لك
اليوم لشأنا ما كنت تصنع هذا بنا وقد كنا نمر بك كثيرا فما شأنك اليوم
قال له بحيرا صدقت ولكنكم ضيف وقد أحببت ان أكرمكم وأصنع
لكم طعاما فتأكلوا منه كلكم فذهبوا واجتمعوا اليه وتركوه صلى الله عليه
وسلم عند رحالهم لحداثة سنه فلما نظر بحيرا في القوم لم يره صلى الله عليه
وسلم معهم فقال لهم هل بقي أحد قالوا لا الا ولد صغير قال لا تفعلوا ادعوه
فليحضر هذا الغلام معكم فقام الحارث بن عبد المطلب فأتى به وفي رواية
فسألوه عن سبب ذلك فقال اني رأيت غمامة تظله ولما نزل تحت الشجرة
مالت بأغصانها اليه لأنه لا يكون الا النبي وانا نجد نعته في كتابنا فلما رآه بحيرا
جعل يلحظه لحظا شديدا وينظر الى أشياء من جسده قد كان يجدها عنده من
صفته حتى اذا فرغ القوم من طعامهم قام اليه بحيرا فقال أسألك باللات
والعزى الا ما أخبرتني عما أسألك عنه قال في ادبار العيون وانما قال له بحيرا
ذلك لانه سمع قومه يحلفون بهما وليس بشيء بل لانه كان متعودا عندهم بأنه
لا يحلف بهما ويؤيده ما يأتي من قول اليهودي لميسرة في سوق بصرى والذي

يعني

نفسي بيده انه هو الذي نجده أحبارنا منعوتا أي بهذه الصفة في كتبهم
وفي الشفاء فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسألني باللات والعزى
شيئا فوالله ما أبغضت شيئا قط بغضهما فقال بحيرا فبالله الا ما أخبرتني عما
أسألك عنه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سلني عما بدا لك فجعل يسأله
عن أشياء من حاله في نومه وهيئته وأموره ويخبره رسول الله صلى الله عليه
وسلم فوافق ذلك ما عند بحيرا من صفته أي صفة النبي المبعوث آخر الزمان
التي عنده ثم كشف عن ظهره فرأى خاتم النبوة على الصفة التي عنده فقبل
موضع الخاتم فقالت قريش ان لمحمد عند الراهب لقدرا فلما فرغ
أخذ بيده صلى الله عليه وسلم ﴿وقال﴾ مخاطبا لابي طالب ومن معه
﴿اني أراه﴾ أتيقنه ﴿سيد العالمين﴾ أي أشرف المخلوقين تقدم الكلام
عليه عند قوله انك عالمت بسيد العالمين فراجعه ان شئت ﴿ورسول الله
ونبيه﴾ والرسول من البشر ذكر حرا أكمل معاصريه غير الانبياء عقلا
وفطنة وقوة رأي وخلقا بالفتح وعقدة موسى ازيلت بدعوته عند الارسال
كما في الاية معصوم ولو من صغيرة سهوا ولو قبل النبوة على الاصح سليم من
دناءة أب وخنا ام وان عليا ومن منفر كعمى وبرص وجذام ولا يرد بلاء
أيوب وعمى نحو يعقوب بناء على انه حقيق لطروه بعد الانباء والكلام
فيما قارنه والفرق ان هذا منفر بخلافه فيمن استقرت نبوته ومن قلة
مروءة كالأكل بطريق ومن دناءة صنعة كحجامة أوحي اليه بشرع وامر
بتبليغه وان لم يكن له كتاب ولا نسخ كيوشع فانه بعث مؤكدا لشريعة
موسى عليه السلام فان لم يؤمر فنبي فهو أخص من مطلق النبي لزيادته عليه
بالامر بالتبليغ قال في التحفة وهو أفضل من النبي اجماعا لتميزه بالرسالة
التي هي على الاصح خلافا لابن عبد السلام أفضل من النبوة فيه وزعم
تعلقها بالحق يرده ان الرسالة فيها ذلك مع التعلق بالخلق فهو زيادة كمال
فيها انتهى و بين النبوة والرسالة من النسب العموم والخصوص الوجهي
يجتمعان فيمن كان رسولا نبيا وتنفرد النبوة فيمن كان نبيا فقط كالخضر
على أحد الاقوال فيه وتنفرد الرسالة فيمن كان رسولا لا نبيا كجبريل وهذا
ان لم ينظر الى النبوة والرسالة المتعلقتين بالآدميين والا فبينهما من النسب

عموم وخصوص مطلق اذ كل رسول نبي ولا عكس وما ذكرناه في تعريف
الرسول يجري أيضا في تعريف النبي غير انه لم يؤمر بالتبليغ ومخصوص
بالبشر بقية الحيوانات وكذا من قال في كل امة نذير حتى انه في كل جماعة
من الحيوانات رسول وأما قوله تعالى وان من أمة الا خلا فيها نذير فوارد في
امم البشر الماضية ويخرج بالذكر الانثى والقول بنبوة مريم وآسية وحواء
وأم موسى وهاجر وسارة ضعيف وقد نقل بعضهم الاجماع على
عدم نبوة النساء وانه الصحيح ويخرج بالحر الرقيق ولا يرد لقمان لانه لم يكن
نبيا بل كان من تلامذة الانبياء ثم النبي والرسول اذا أطلقا في القرآن والسنة
فانما المراد منهما نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وهو الرسول المطلق لكافة
الخلق من الاولين والآخرين فرسالته عامة ودعوته تامة ورحمته شاملة
وامداداته في الخلق حاصلة وكل من تقدم من الانبياء والرسل قبله على
حسب النيابة منه نبي ورسول على الاطلاق وهو الحاضر في الخلق فافهمه
وجه اختصاصه صلى الله عليه وسلم بهذا ولم يقع في كلام بحيرا التصريح
بلفظ النبي وانما الذي وقع في كلامه كما في رواية هذا سيد العالمين ورسول
الله الى الناس أجمعين وفي رواية الترمذي هذا سيد المرسلين هذا سيد
العالمين هذا يبعثه الله رحمة للعالمين وانما آثر عنه لفظ الرسول لان الرسالة
المتعلقة بالآدميين تستلزم النبوة وحكى المؤلف عنه ما اتفق عنه كلامه رعاية
الصحيح ثم انهم سألوه عن سبب ذلك فقال (قد) رأيت حين اشرفتم على
العقبة (سجدت له الشجر والحجر) ولما نزل تحت الشجرة مال اليه فيؤها
وانما رواية الترمذي الآتية لم يبق شجر ولا حجر الا خر ساجدا وفي رواية
لم يبق شجرة ولا حجر وعلى كل فالرواية بالمعنى جائزة (ولا يسجدان) اذا
مثل ما اورد بعدهما (الا لنبي) من الانبياء تعظيما له (أواه) بفتح
الهمزة وواو مشددة فألف بعدها هاء كثير التأوه أي التوبة والاستغفار
كذا في كلام بعضهم وفي كلام غيره التوجع والتأسف من الذنوب على
الناس وفي القاموس الاواه الموقن والرحيم الرقيق او المؤمن وقيل هو
الكثير البكاء وقيل الكثير الدعاء والكل لائق بمقامه صلى الله عليه وسلم
وبالجملة فقد كان صلى الله عليه وسلم أشد الناس خشية وخوفا من الذنوب

ثم كان صلى الله عليه وسلم يقول أنا أتقاكم لله وأعرفكم منه وكان صلى
الله عليه وسلم يقول أواه من عذاب الله قبل أن لا ينفع أواه وعن أبي موسى
الاشعري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال أول من صنعت
له النورة ودخل الحمام سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام فلما دخله
وجد حره وغمه قال أواه من عذاب الله أواه أواه قبل ان لايكون أواه
﴿ فائدة ﴾ لم يثبت انه صلى الله عليه وسلم دخل الحمام بل ولا رآه كما قاله
ابن القيم قال وما وقع لبعضهم مما يوهم خلاف ذلك وهم انتهى وأما الحمام
الموجود الآن بمكة المشرفة المشهور بحمام النبي صلى الله عليه وسلم فقد
قال في سفر السعادة انه بني في موضع اغتسل فيه صلى الله عليه وسلم مرة
قالت والحمام المذكور بيدنا الآن لكونه موقوفا على والد المؤلف وذريته
رحمه الله تعالى ﴿ قال المناوي في الشرح الكبير على الجامع الصغير
ما ملخصه وقد اختلف السلف والخلف في حكم دخول الحمام على أقوال
كثيرة والاصح انه مباح للرجال بشرط الستر والغض عمن يحرم نظره اليه
وجوبا وعن غيره ندبا مكروه في حق النساء الا لحاجة وهو مذهب الشافعي
رضي الله عنه انتهى فدخوله مع الستر جائز لكن الاولى تركه الا لعذر
للحديث الصحيح اتقوا بيتا يقال له الحمام فمن دخله فليستتر هذا وكان بحيرا
قد عرف ذلك من الاحجار والاشجار بالتجربة مع علمه ذلك من الكتب كما
قال ﴿وانا نجد نعته﴾ وصفه بما ذكر من سجود الاشجار والاحجار
وانهما لا يسجدان لغير نبي من المخلوقات مبينا ﴿في الكتب القديمة
السماوية﴾ وفي رواية وانا لنجده في كتابنا بالافراد والنسبة اليهم مع
زيادة لام التأكيد في خبر ان ﴿و﴾ نجد فيها من صفته أيضا انه يكون
﴿بين كتفيه خاتم النبوة﴾ من تفسيره ﴿وقد عممه النور وعلاه﴾ البهاء
﴿وأمر﴾ بحيرا الراهب ﴿عمه﴾ أبا طالب ﴿برده﴾ صلى الله
عليه وسلم ﴿الى مكة﴾ بعد ان قال له ما هذا الغلام منك قال ابني قال
ما هو ابنك وما ينبغي لهذا الغلام أن يكون أبوه حيا قال فانه ابن اخي قال
فما فعل أبوه قال مات وامه حبلى به قال قد صدقت ثم قال ما فعلت أمه قال
توفيت قريبا قال صدقت فارجع بابن اخيك الى بلاده وانما أمره بذلك

﴿تخوفا﴾ أي لأجل الخوف ﴿عليه من﴾ أعدائه ﴿أهل دين﴾
الملة ﴿اليهودية﴾ في الرواية واحذر عليه اليهود فوالله لئن رأوه وعرفوا
منه ما عرفت ليبغينه شرا فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم نجده في
كتبنا ورويناه عن آبائنا واعلم أني قد أديت إليك النصيحة فأسرع به إلى
بلاده وأخرج ابن سعد وابن عساكر عن أبي مجلز أن أبا طالب سافر إلى
الشام فأخذ معه النبي صلى الله عليه وسلم فنزل منزلا فأتاه فيه راهب فقال
إن فيكم رجلا صالحا وقال أين ولي هذا الغلام قال أبو طالب ها
أنا ذا قال احتفظ بهذا الغلام ولا تذهب به إلى الشأم إن اليهود حسد وإني
أخشاهم عليه ولفظ رواية الترمذي والبيهقي في الدلائل والخرائطي وابن
أبي شيبة عن أبي موسى قال خرج أبو طالب إلى الشأم وخرج معه النبي
صلى الله عليه وسلم في أشياخ من قريش فلما أشرفوا على الراهب يعني
بحيرا هبطوا فحلوا رحالهم فخرج إليهم وكان قبل ذلك يمرون به فلا يخرج
إليهم ولا يلتفت إليهم فجعل وهم يحلون رحالهم يتخللهم حتى جاء فأخذ بيد
النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال هذا سيد العالمين هذا رسول رب العالمين هذا
يبعثه الله رحمة للعالمين فقال الأشياخ من قريش ما أعلمك فقال إنكم حين
أشرفتم على العقبة لم يبق حجر ولا شجر إلا خر ساجدا ولا يسجدان إلا لنبي
وإني لأعرفه بخاتم النبوة أسفل من غضروف كتفه مثل التفاحة ثم رجع
وصنع لهم طعاما فلما أتاهم به كان النبي صلى الله عليه وسلم في رعية الإبل
وتقدم في رواية ابن إسحق أنه أحضرهم لطعام وأن المصطفى تخلف لحداثته
ويجمع على بعد بأنه صنع لهم الطعام مرتين فقال أرسلوا إليه فأقبل صلى
الله عليه وسلم وعليه غمامة تظله فلما دنا من القوم وجدهم قد سبقوا إلى
فيء الشجرة فلما جلس مال فيء الشجرة عليه فقال الراهب انظروا إلى فيء
الشجرة مال فبينما هو قائم عليهم وهو يعاهدهم أن لا يذهبوا به إلى الروم
أي داخل الشأم فإنهم إن عرفوه قتلوه فالتفت فإذا بسبعة من الروم قد أقبلوا
فاستقبلهم فقال ما جاء بكم قالوا جئنا إلى هذا النبي الذي هو خارج في هذا
الشهر أي سافر فيه فلم يبق طريق إلا وبعث إليه بأناس وإنا قد أخبرنا خبره
بطريقك هذا قال أفرأيتم أمرا أراد الله أن يقضيه هل يستطيع أحد

من الناس رده قالوا الا فبايعوه اى بايعوا بحيرا على مسالمة النبى صلى الله عليه وسلم وعدم اخذه وقال بحيرا انشدكم الله ايكم وليه قالوا أبو طالب ﴿ف﴾ لم يزل يناشده حتى ﴿رجع﴾ أبو طالب ﴿به﴾ صلى الله عليه وسلم سريعا واقدمه مكة حين فرغ من تجارته بالشام ولفظ رواية الحديث بعد قوله فلم يزل يناشده حتى رده ابو طالب وبعث معه ابو بكر بلالا وزوده الراهب من الكعك والزيت وضعف الحافظ الذهبى الحديث لقوله وبعث معه أبو بكر بلالا فان أبا بكر اذ ذاك لم يكن متأهلا ولا اشترى بلالا قال ابن سيد الناس لانه حينئذ لم يبلغ عشر سنين فان المصطفى أزيد منه بعامين وكان له يومئذ تسعة أعوام على ماقاله الطبرى وغيره واثنا عشر عاما على ماقاله آخرون ولا أشترى بلالا قال اليعمرى لانه لم ينتقل لابى بكر الا بعد ذلك بازيد من ثلاثين عاما فانه كان لبنى خلف الجمحيين وعندما عذب فى الله اشتراه أبو بكر رحمة له واستنقاذا له من أيديهم وخبره بذلك مشهور انتهى وسيأتى فى كلام المصنف قال الحافظ ابن حجر فى الاصابة الحديث رجاله ثقات من رواة الصحيح وليس فيه منكر سوى هذه اللفظة فتحمل على انها مدرجة فيه مقتطعة من حديث آخر وهما من أحد رواته انتهى وماروى ان النبى صلى الله عليه وسلم سأل أبا بكر فقال له من الاكبر منا أنا أو أنت فقال له أبو بكر أنت أكبر وأكرم وأنا أسن قيل فيه انه وهم وان ذلك انما يعرف لعمه العباس وكون بلال أصغر من أبى بكر ينازعه قول أبى حيان رحمه الله تعالى بلال كان تربا لابى بكر أى قرينه فى السن وبه يرد قول الذهبى بلال لم يكن خلق ﴿ولم يجاوزهن﴾ أرض ﴿الشام المقدس﴾ المطهر لانه قرار الانبياء ومسكن المؤمنين ومامن نبى الا وهو فيه أو هاجر اليه أوهو منه وأول من هاجر اليه من الانبياء ابراهيم عليه السلام وبه ينزل عيسى عليه السلام وستأتى قصة نزوله وهو أرض المحشر والمنشر وقال صلى الله عليه وسلم عليكم بالشام فانها خيرة الله من أرضه يجتبى اليها خيرته من عباده وجاء طوبى للشام لان ملائكة الرحمن باسطة اجنحتها عليها اخرجه الترمذى باسناد صحيح وجاء طوبى للشأم ان الرحمن لباسط رحمته عليه اخرجه الطبرانى وفى آخر الزمان يستقر العلم والامان بالشأم وفى الدر المنظم فى تاريخ

الامم قال كعب الاحبار وجدت فى كتاب الله تعالى يعنى التوراة ان
الارض على صفة النسر فالرأس الشام والجناحان المشرق والمغرب والذنب
اليمن ولا تزال الناس بخير مالم يقرع الرأس فاذا قرع الرأس هلك الناس كلهم
وسمى شاما باسم شام بن نوح بالشين اولانه من الشامة القبلة أولان أرضه
شامات بيض وحمر وسود وقد لايهمز ﴿بصرى﴾ بضم الموحدة وسكون
الصاد المهملة فألف مقصور مدينة بالشام تسمى حوران بفتح الحاء والراء
المهملتين بينهما واو ساكنة فتحت صلحا لخمس بقين من ربيع الاول
سنة ثلاث عشرة فى خلافة أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه وبها مبرك
الناقة التى يقال ان ناقته صلى الله عليه وسلم بركت فيه واثر ذلك فيه وبها
قبر سعد بن عبادة رضى الله عنه وهى أول بقعة من أرض الشام خلص
اليها نور النبوة وعلى انه كان ذلك مرتين كما فى انسان العيون ناسب قدومه
صلى الله عليه وسلم اليها مرتين مرة مع عمه أبى طالب كما هنا ومرة مع ميسرة
غلام خديجة رضى الله عنها كما يأتى وسبق فى الكلام على قول المصنف رحمه
الله تعالى وخرج معه نور أضاءت له قصور الشام الخ فى حكمة تخصيصها من
أرض الشام بما ذكر لذلك اولانها أول مدينة فتحت من أرض الشام فى
الاسلام وقيل انها مدينة أخرى بين المدينة ودمشق وجاء فى بعض الروايات
بسند ضعيف انه لما بلغ عشرين سنة عاد الى الشام فى تجارة ومعه أبو بكر
فسأل بحيرا عنه فاقسم انه نبى آخر الزمان وكان ذلك سبب ايمان أبى بكر
لما بعث قال بعضهم وعلى هذا فيكون قد سافر الى الشام ثلاث مرات
انتهى لكن قال فى انسان العيون لم يثبت انه صلى الله عليه وسلم سافر الى
الشام أكثر من مرتين ويؤيده ما تقدم من قول الراوى عاد الى الشام
فى تجارة لان النبى صلى الله عليه وسلم لم يخرج تاجرا الى الشام الا فى تلك
السفرة وسيأتى ان هذا القول قاله الراهب نسطورا لا بحيرا قاله لميسرة
لا لابى بكر * تنبيه * قال فى نسيم الرياض بحيرا أول من آمن به صلى الله عليه
وسلم وعده من الصحابة ان قلنا ان من اجتمع به صلى الله عليه وسلم مؤمنا مطلقا
يعد من الصحابة قال الذهبى رأيت بحيرا رسول الله صلى الله عليه وسلم
وآمن به وذكره ابن منده وأبو نعيم فى الصحابة وقال ابن حجر رحمه الله تعالى

في المنح ذكره جمع في الصحابة بناء على ان الشرط رؤيته صلى الله عليه وسلم والايمان به ولو قبل البعث انتهى قلت فعلى هذا ليس هذا بحيرا الراهب الصحابي الذي هو أحد الثمانية الذين قدموا مع جعفر بن أبي طالب فعنه رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا شرب الرجل كأسا من خمر الحديث ومن قال ان هذا الحديث منكر ظن ان بحيرا هذا هو المذكور هنا الذي لقي النبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة والله أعلم

﴿عطر اللهم قبره الكريم بعرف شذي من صلاة وتسليم اللهم صل وسلم وبارك عليه

ولما بلغ صلى الله عليه وسلم خمسا وعشرين سنة﴾ على الراجح من أقوال ستة وعليه جمهور العلماء وثلاث أقوال ضعيفة لم تقم لها ساق على ساق ﴿سافر﴾ مرة ثانية لاربع عشرة ليلة بقيت من ذي الحجة ﴿الى بصرى﴾ المتقدم ذكرها ﴿في﴾ شأن ﴿تجارة لخديجة﴾ بنت خويلد بن أسد ﴿الفتية﴾ الشابة الكريمة قال الواقدي وغيره وكانت خديجة تاجرة ذات شرف ومال كثير وتجارة تبعث بها الى الشام فيكون عيرها كعامة عير قريش وكانت تستأجر الرجال وتدفع اليهم المال مضاربة وكانت قريش قوما تجارا ومن لم يكن عندهم تاجرا فليس عندهم بشئ ﴿ومعه﴾ صلى الله عليه وسلم ﴿غلامها﴾ مملوكها ﴿ميسرة﴾ بفتح الميم وسكون المثناة التحتية وفتح السين المهملة وضمها وبعد الراء هاء التأنيث اللفظي لم نعلم له صحبة كما في النور قال والظاهر انه مات قبل البعثة ولو ادركها لاسلم وفي الاصابة ما نصه لم أقف على رواية صحيحة صريحة في أنه بقي بعد البعثة ﴿يخدمه﴾ صلى الله عليه وسلم بضم الدال المهملة وكسرها ﴿ويقوم بما عناه﴾ بفتح العين المهملة أي قصده وأراد مباشرته والاشتغال به مما فيه تعبه اراحة له صلى الله عليه وسلم حسبما أمرته به خديجة رضي الله عنها لا تعص له أمرا ولا تخالف له رأيا وقد ألقى الله محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم في قلب ميسرة فكان كأنه عبده * وسبب ذلك ان عمه أبا طالب قال له يا ابن أخي أنا رجل لا مال لي وقد اشتد الزمان علينا والحت بنا سنون

منكرة وليس لنا مادة ولا تجارة وهذه عير قومك قد آن خروجها الى
الشام وخديجة تبعث رجالا من قومك فى عيرها يتجرون لها فى مالها
و يصيبون منافع فلو جئتها لفضلتك على غيرك لما يبلغها من طهارتك
وان كنت أكره ان تأتى الشام وأخاف عليك من اليهود ولكن لا نجد من
ذلك بدا فقال صلى الله عليه وسلم لعلها ترسل الى فى ذلك فقال أبو طالب
انى أخاف ان تولى غيرك فتطلب أمرا مدبرا فلما بلغها ذلك قالت ما علمت
انه يريد هذا وأرسلت اليه وقالت انى دعانى الى البعثة اليك ما بلغنى من
صدق حديثك وعظم امانتك وكرم اخلاقك وانا أعطيك ضعف ما أعطى
رجلا من قومك ففعل صلى الله عليه وسلم ولقى عمه فذكر له ذلك فقال ان
هذا الرزق ساقه الله اليك ﴿و﴾ لما قدم صلى الله عليه وسلم الى أرض بصرى
﴿نزل تحت﴾ أغصان ﴿شجرة﴾ عظيمة يابسة نخرة ودها السكن الى غير
جهة الظل لما يأتى ﴿لدى صومعة﴾ ما يتعبد فيه الرهبان من الاماكن
المرتفعة ﴿نسطورا﴾ بفتح النون وسكون السين المهملة بعدها طاء مهملة
وواو ساكنة آخره راء كذا فى سيرة مغلطاى وقال فى النور وألف مقصورة
كذا ضبطه ولم أر أحدا تعرض لعده فى الصحابة و ينبغى ان يكون الكلام
فيه كالكلام فى بحيرا قال فى انسان العيون ولعل نسطورا هذا هو الذى نسب
اليه النسطورية من النصارى فان النصارى افترقت ثلاث فرق نسطورية
قالوا عيسى ابن الله و يعقوبية قالوا عيسى هو الله هبط الى الارض ثم صعد الى
السماء وملكانية قالوا عيسى عبد الله ونبيه زاد بعضهم فرقة رابعة وهم
اسرائيلية قالوا هو اله وأمه اله والله اله هذا وفى القاموس النسطورية
بالضم وتفتح أمة من النصارى تخالف بقيتهم واصحاب نسطور الحكيم
الذى ظهر فى أيام المأمون وتصرف فى الانجيل برأيه وقال ان الله واحد
ذو اقانيم ثلاثة وهو بالرومية نسطورس انتهى كما افترقت اليهود ثلاث فرق
ماما افترقت الى قرايية وربانية وسامرة ﴿راهب﴾ الملة
﴿النصرانية﴾ ففى بعض الروايات نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم
تحت شجرة يابسة نخرة ودها فلما اطمأن تحتها اخضرت ونورت واعشوشب
ما حولها وأينع ثمرها وتدلت اغصانها ترفرف عليه وتحول الظل الى

جوته صلى الله عليه وسلم ﴿فعرفه﴾ بذلك حتى وصفه بالنبوة قبل ظهورها
وانجلاء كمال نورها ﴿اذ﴾ حين اخضرت ونورت واعشوشب ما حواليها
و ﴿مال﴾ تحول ﴿اليه﴾ خصوصية له صلى الله عليه وسلم ﴿ظلها
الوارف﴾ بكسر الراء المهملة بعدها فاء الواسع الممتد الطويل وفي بعض
النسخ الوارق بالقاف اسم فاعل ورق يرق قال في القاموس وشجرة كثيرة
الورق والوارقة الخضراء الورق الحسنة وعليه فالشجرة كانت خضراء
ولا منافاة لانها كانت يابسة فاخضرت واورقت بنزوله صلى الله
عليه وسلم تحتها كما علمت مما مر ولعل المصنف استعمله لعلاقة اللزوم
﴿وآواه﴾ أي ستره من حر الشمس فصار مأوى ومنزلا له صلى الله عليه
وسلم ﴿وقال﴾ نسطور لميسرة وكان يعرفه من هذا الذي نزل تحت الشجرة
فقال ميسرة رجل من قريش من أهل الحرم فقال له واخبره مبينا انه
﴿ما نزل تحت هذه الشجرة قط﴾ منذ خلقت والى ذلك الآن أحد
﴿الا﴾ من هو ﴿نبي﴾ مر تفسيره كالرسول اى صانها الله تعالى
عن ان ينزل تحتها غير نبي كما قاله في انسان العيون متصف بالنبوة ولا يخفى
انه يلزم من تلك الشجرة وبقاءها زمنا طويلا قبل عيسى وبعده الى زمن
نبينا على خلاف العادة وصرف غير الانبياء عن النزول تحتها وكذا صرف
الانبياء الذين وجدوا بعد عيسى الذي دل عليه هذه الرواية والرواية
الآتية ممكن خصوصية له صلى الله عليه وسلم وان كانت الشجرة لا تبقى
في العادة هذا الزمن الطويل وان كان يبعد في العادة أيضا ان تكون
شجرة تخلو عن ان ينزل تحتها احد غير الانبياء لان هذا الامر ممكن خرقا
للعادة والانبياء لهم خرق العوائد سيما نبينا صلى الله عليه وسلم وبهذا
يرد قول السهيلي يريد ما نزل تحتها أي هذه الساعة الا نبي ولم يرد ما نزل تحتها
قط الا نبي لبعد العهد بالانبياء قبل ذلك وان كان في لفظه قط فقد تكلم
بها على جهة التوكيد للنفي والشجرة لا تعمر في العادة هذا العمر
الطويل حتى يدرى انه لم ينزل تحتها الا عيسى اوغيره من الانبياء ويبعد
في العادة أيضا ان تخلو شجرة من نزول أحد تحتها حتى يجئ نبي الا ان
تصح الرواية بمن قال في هذا الحديث لم ينزل تحتها أحد بعد عيسى عليه

السلام فتكون تلك الشجرة على هذا مخصوصة بالانبياء عليهم الصلاة
والسلام وقد تعقبه العز بن جماعة بأنه مجرد استبعاد لا دلالة فيه على
امتناع ولا استحالة وبأنه استبعاد يعارضه ظاهر الخبر وكون متعلقات
الانبياء مظنة خرق العادة فلا يكون ذلك حينئذ من طول البقاء وصرف
غير الانبياء عن النزول تحتها بعيدا وذلك واضح انتهى ويؤيده ما يأتي ذكره
قريبا عن أبي سعيد الشرف وقد يقال يجوز ان تكون تلك الشجرة كانت
شجرة زيتون فقد ذكر ان شجرة الزيتون تعمر ثلاثة آلاف سنة على ان
في بعض الروايات ان الشجرة كانت يابسة كما تقدم وقولنا خصوصية او
خرقا للعادة يبعد ما قيل قوله ما نزل تحت هذه الشجرة الخ يفيد ان كل من
نزل تحتها فهو نبي مع ان النبوة لا تتوقف على ذلك انتهى. فكأنه فهم ان
النزول سبب للنبوة وهذا لا يتوهمه عاقل ﴿ذو﴾ صاحب ﴿صفات
نبيه﴾ منتقاة ﴿ورسول قد خصه الله﴾ دون غيره من سائر المخلوقين
﴿بالفضائل﴾ المراد بها هنا الكمالات الشاملة للمزايا القاصرة والمتعدية
وان كان تعبيرها غالبا في المزايا القاصرة والفرق بين القاصرة والمتعدية
مما لا يخفى عليك ﴿وحباه﴾ بها اعطاه اياها تفضلا منه تعالى ﴿ثم
قال لميسرة﴾ سائلا له عن علامة ذاتية فيه صلى الله عليه وسلم ﴿أفي
عينيه﴾ بالتثنية وفي رواية بالافراد على ارادة الجنس ﴿حمرة﴾ وانما
ساله عن ذلك ﴿استظهارا للعلامة الخفيه﴾ طلبا لاظهار هذه العلامة
الخفية اذ هي أظهر من الاولى في الاستدلال بها على نبوته صلى الله عليه
وسلم اذ هي ذاتية وتلك عرضية وفي بعض النسخ الحقية نسبة للحق ضد
الباطل وهو أظهر من الاول وأليق بالمقام ﴿فأجابه﴾ بقوله ﴿نعم﴾
لا تفارقه أي لا تنفك عنه فقال الراهب هو هو وهو آخر الانبياء ويا ليتني
ادركه حين يؤمر بالخروج أي يبعث فوعى ذلك ميسرة والحمرة كانت في
بياض عينيه وهي الشكل ومن ثم قيل في صفته صلى الله عليه وسلم اشكل
العينين وهذه الشكلة من علامات نبوته في الكتب القديمة ﴿فحق﴾
بفتح الحاء المهملة أي ثبت وتحقق ﴿لديه﴾ عنده ﴿ما ظنه فيه﴾ صلى الله
عليه وسلم ﴿وتوخاه﴾ تحراه وقصد اظهاره وفي الشرف لابي سعيد

النيسابوري فلما رأى الراهب الغمامة تظله فزع وقال ما انتم عليه اى اىْ
شئ انتم عليه قال ميسرة غلام خديجة فدنا الى النبي صلى الله عليه وسلم سرا
من ميسرة وقبل رأسه وقدمه وقال آمنت بك وانا اشهد انك الذى ذكره
الله تعالى فى التوراة ثم قال يا محمد قد عرفت فيك العلامات كلها أى
العلامات الدالة على نبوتك المذكورة فى الكتب القديمة خلا خصلة
واحدة فأوضح لى عن كتفك فأوضح له فاذا هو بخاتم النبوة يتلألأ فأقبل
عليه يقبله و يقول اشهد ان لا اله الا الله وأشهد أنك رسول الله النبى الامى
الذى بشر بك عيسى ابن مريم فانه قال لا ينزل بعدى تحت هذه الشجرة الا
النبى الامى الهاشمى العربى صاحب الحوض المورود والشفاعة العظمى
وصاحب لواء الحمد انتهى وهذا يرد على من توقف فى صحبته بناء على مانقل
عن ابن حجر فيما تقدم من عدم اشتراط الرؤية بعد البعثة ﴿ثم قال لميسرة
لا تفارقه و﴾ المعنى ﴿كن معه﴾ أى الزم صحبته ﴿بصدق عزم﴾
منك والعزم التصميم واضافة الصدق اليه من اضافة الصفة للموصوف
وكذا قوله ﴿وحسن طويه﴾ بفتح الطاء المهملة وكسر الواو وشد المثناة
تحت فعيلة بمعنى مفعولة أى مطوية والمراد ما انطوى عليه الانسان
فى باطنه من حسن النية ﴿فانه ممن أكرمه الله بالنبوة واجتباه﴾
واختاره واصطفاه وكان ميسرة يرى اذا اشتد الحر ملكين يظللان عليه
صلى الله عليه وسلم ﴿ثم﴾ بعد ما تقدم و بعد ان حضر سوق بصرى و باع
سلعته واشترى وقال له خصمه احلف باللات والعزى فقال لم أحلف بهما
قط فقال الرجل القول قولك ثم قال لميسرة وقد خلا به هذا نبى والذى
نفسى بيده انه لهو الذى تجده احبارنا منعوتا فى كتبهم ﴿عاد﴾ صلى الله عليه
وسلم هو وميسرة فى أهل العير من بصرى ﴿الى مكة فـ﴾ لما دنوا منها
﴿رأته﴾ صلى الله عليه وسلم ﴿خديجة﴾ بنت خويلد رضى الله عنها حال
كونه ﴿مقبلا﴾ بضم الميم وسكون القاف وكسر الموحدة أى قادما وآتيا
راكبا على بعير فى ساعة الظهيرة ﴿وهى﴾ مشرفة ﴿بين﴾ جماعة
﴿نسوة﴾ كانت معها ﴿فى علية﴾ بضم العين وكسرها مع تشديد
اللام المكسورة او بضم العين وفتح اللام مع شد التحتية و يأتى بكسر

العين وسكون اللام لغة أي غرفة والجمع العلالي بالتشديد والتخفيف
﴿وملكان﴾ تثنية ملك من الألوكة بمعنى الرسالة وهم عند جمهور
المتكلمين أجسام لطيفة نورانية قادرة على التشكل باشكال مختلفة وعند
الحكماء جواهر مجردة علوية مخالفة للنفوس الانسانية بالذات ورؤية
المصطفى صلى الله عليه وسلم تدل للاول ﴿على رأسه الشريف من ضح﴾
بكسر الضاد المعجمة وتشديد الحاء المهملة الشمس وضوءها فاضافته الى
﴿الشمس﴾ للبيان والمراد ﴿ضد الظلام﴾ من ضوء الشمس وحرها وفيه
جواز رؤية الملائكة وبه وبرؤية الجن صرح في الحديث الصحيح واما قوله تعالى
انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم فمحمول على ما اذا كانوا على صورتهم
الاصلية اما اذا خرجوا عنها بالتبدل في أي صورة فلا مانع من رؤيتهم حينئذ
كما يؤخذ ذلك من البيضاوي وحواشيه اراده في سورة الاعراف
وقال بعضهم نفي الرؤية في الآية محمول على الغالب ولو كانت رؤيتهم محالة
أي على صورتهم الاصلية لما قال صلى الله عليه وسلم في الشيطان لقد هممت
ان اربطه حتى تصبحوا وتنظروا اليه كلكم ولما قال عليه الصلاة والسلام
لابن مسعود هؤلاء جن نصيبين حين قال له رأيت رجالا كذا وكذا وقال
القاضي عياض قيل رؤية الجن على صورتهم الاصلية ممتنعة الا للانبياء
عليهم الصلاة والسلام ومن خرقت له العادة وانما يراهم بنو آدم على غير
صورتهم الاصلية ورده النووي بانه دعوى مجردة لا مستند لها ومن ثم مر
ان الجن اجسام نارية تقدر على التشكل في الصور المختلفة اى بان يعلمهم
الله تعالى قولا او فعلا اذا اتى به تنقله من صورة الى اخرى لان تصويره
انفسهم محال وكذا يقال في الملائكة قال العلامة ابن حجر في شرح المنهاج
ونوزع في قدرتهم على التشكل باستلزام دفع الثقة بشئ فان من رأى ولو ولده
يحتمل انه جني تشكل به ويرد بان الله تعالى تكفل لهذه الامة بعصمتها عن
وقوع ما يؤدي لمثل ذلك المرتب عليه الريبة في الدين ورفع الثقة بالعلم وغيره
فاستحال شرعا الاستلزام المذكور انتهى فأرته النساء اللاتي كن معها في
الغرفة فعجبن من ذلك كما ورد وتقدم ان ميسرة رأى ذلك ايضا وروى ان
خديجة رأت تظليل الملائكة وميسرة رأى تظليل الغمام وقد روى انه مر

حين سيره من مكة صارت الغمامة تظله فان كانت الغمامة غير الملكين فالغمامة كانت تظله فى الذهاب والملكان يظلانه فى العود ويحتمل ان الغمامة كانت تسوقها الملائكة فجعلت مظلة كحامل المظلة يسمى مظللا قال فى انسان العيون وفى كلام صاحب الهمزية مايدل على ان المراد بالملكين الغمامة مجازا انتهى قال بعض المحققين قلت فيه نظر لا يخفى اذ كون الغمامة تظله فى الذهاب والملكان فى العود تخصيص بلا مخصص وارادة الغمامة بالملكين عدول عن الحقيقة بلا احتياج اليه اذ لا مانع من تظليلهما معا له صلى الله عليه وسلم ليحصل بمجموع ذلك شدة الحفظ من حر الشمس اذ الغمامة لبعدها عن الارض لا تمنع الاسطاعة الشمس ولا تدفع الحر من اصله كما هو واضح فى بعض ازمنة الصيف عند عدم ظهور الشمس لوجود غمام ونحوه فتأمل وحينئذ فيكون مرآى ميسرة ومرآى خديجة واحدا وهو تظليل الملائكة على ماتقدم ﴿واخبرها ميسرة بأنه راى ذلك﴾ وهو تظليل الملائكة له صلى الله عليه وسلم ﴿فى﴾ هذا ﴿السفر كله﴾ ذهابا وايابا والى ذلك اشار الامام السبكى رحمه الله تعالى فى تائيته بقوله

وميسرة قد عاين الملكان اذ * أظلاك لما سرت ثانى سفرة

وهذا هو المعنى بقول الخصائص الصغرى وخص باظلال الملائكة له فى سفره ويحتمل ان المراد فى كل سفر سافره لكن قال فى انسان العيون لم أقف على تظليل الملائكة له فى غير هذه السفرة وأما تظليل الغمامة له صلى الله عليه وسلم فقد وقع مرارا متعددة منها فى السفرة الاولى مع عمه أبى طالب وقيل ذلك لما كان صلى الله عليه وسلم عند السيدة حليمة وقد أشار غير واحد كما قال ابن حجر رحمه الله تعالى أنه انما كان قبل النبوة ارهاصا وتأسيسا للنبوة واعلاما له صلى الله عليه وسلم بما سيؤل اليه أمره وان امته أكثر الامم وانهم قرون متفاوتون وان كل قرن مستمد من القرن الذى قبله وان الكل مستمدون من ظله صلى الله عليه وسلم انتهى قال فى شرح المواهب قال ابن جماعة من ذهب الى ان حديث اظلال الغمامة لم يصح باطل بل لم يكن كما قال البيضاوى دائما انتهى فما يدل على انقطاع ذلك ما فى

حديث أبي هريرة أن الشمس أصابته صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة فظلله أبو بكر بردائه وكذلك ظلل عليه وهو يرمي الجمرة ومرة أخرى بالجعرانة ومعه ثوب قد أظل عليه وانهم كانوا في أسفارهم اذا نزلوا على شجرة ظليلة تركوها له صلى الله عليه وسلم وغير ذلك قال في النعمة الكبرى وفائدة تظليل الغمامة بتقدير صحة ما قيل انه صلى الله عليه وسلم لا يحس بالحر والبرد الظهار عظيم قدره وتمييزه باهر حفظ الله له وعنايته به ﴿و﴾ إن أخبرها ميسرة بما وقع للذي نازع مع النبي صلى الله عليه وسلم في البيع وأخبرها ﴿بما قاله الراهب﴾ نسطور مما تقدم بسطه ﴿و﴾ أخبرها بما ﴿أودعه لديه﴾ عنده ﴿من الوصية﴾ به صلى الله عليه وسلم في قوله لا تفارقه فهو نبي وهو آخر الانبياء ﴿وضاعف الله في تلك التجارة ربحها ونماء﴾ بتشديد الميم ببركته صلى الله عليه وسلم فروي انهم استفادوا أضعاف ما كانوا يربحون ولما شوهف الربح أضعفت خديجة ما سمت له صلى الله عليه وسلم وما سمته له ضعف ما كانت تعطيه لرجل من قومه كما تقدم وفي بعض الروايات فلما كانوا بمر الظهران وهو واد بين مكة والمدينة المعروف الآن بوادي فاطمة قال ميسرة للنبي صلى الله عليه وسلم هل لك أن تسبقني الى خديجة فتخبرها بالذي جرى لعلها تزيدك بكرة الى بكرتيك وتخبرها بما صنع الله تعالى لها على وجهك فركب النبي صلى الله عليه وسلم وتقدم حتى دخل مكة في ساعة الظهيرة وخديجة في علية مع نساء فرأت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دخل وهو راكب على بعيره وملكان يظلان عليه فأرته نساءها فعجبن لذلك ودخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فخبرها بما ربحوا وضعف ما كانت تربح فسرت بذلك وقالت أين ميسرة قال خلفته في البادية قالت عجل اليه ليعجل الى الاقبال قال في انسان العيون وانما أرادت أن تعلم أهو الذي رأت أم غيره فركب صلى الله عليه وسلم وصعدت خديجة تنظر فرأته على الحالة الاولى فاستيقنت انه هو فلما دخل عليها ميسرة أخبرته بما رأت فقال لها ميسرة قد رأيت هذا منذ خرجنا من الشام انتهى وقول ميسرة له صلى الله عليه وسلم لعلها تزيدك بكرة الى بكرتيك يدل على انها سمت له بكرتين وكانت تسمي لغيره

بكرة وفى كلام بعضهم وفى الروض الباسم استأجرته صلى الله عليه وسلم على أربع بكرات وقد جاء فى بعض الروايات ان أبا طالب جاء لخديجة وقال لها هل لك ان تستأجرى محمدا فقد بلغنا انك استأجرت فلانا ببكرتين وليس نرضى لمحمد دون أربع بكرات فقالت خديجة لو سألت لبعيد بغيض فكيف وقد سألت لحبيب قريب ﴿فبان﴾ ارتفع وظهر ﴿لخديجة بما﴾ أى بسبب ما ﴿رأت﴾ أى شاهدت من مخايل الملائكة ﴿و﴾ بما ﴿سمعت﴾ من اخبار ميسرة خادمها المار سابقا والعائد محذوف منه ومما قبله وهذا من الكثير كما قال فى الخلاصة

والحذف عندهم كثير منجلى
فى عائد متصل ان انتصب * بفعل او وصف كمن نرجو يهب

﴿انه﴾ صلى الله عليه وسلم ﴿رسول الله الى﴾ كافة ﴿البرية﴾ الخلق ﴿وخطبته الى نفسها﴾ أى عرضت نفسها عليه بان طلبت منه ان يتزوجها تشرفا به ورغبة صادقة فى الاتصاف بمزيد حبه وكمال قربه بلا واسطة فعند ابن اسحق فعرضت نفسها عليه فقالت يا ابن عم انى قد رغبت فيك لقرابتك وسلطتك فى قومك وأمانتك وحسن خلقك وصدق حديثك أو بواسطة كما رواه ابن سعد من طريق الواقدى عن نفيسة بنت منية قالت كانت خديجة امرأة حازمة جلدة شريفة مع ما أراد الله بها من الكرامة والخير وهى يومئذ أوسط قريش نسبا واعظمهم شرفا واكثرهم مالا وكل قومها كان حريصا على نكاحها لو قدر على ذلك قد طلبوها وبذلوا لها الاموال فارسلتنى دسيسا الى محمد صلى الله عليه وسلم بعد ان رجع فى عيرها من الشام فقلت يا محمد ما يمنعك ان تتزوج فقال ما بيدى ما أتزوج به قلت فان كفيت ذلك ودعيت الى المال والجمال والشرف والكفاءة ألا تجيب قال فمن هى قلت خديجة قال وكيف لى بذلك فذهبت فاخبرتها فارسلت اليه ان ائت لى ساعة كذا والجمع ممكن بانها بعثت نفيسة أولا لتعلم هل يرضى فلما علمت ذلك كلمته بنفسها قال الشامى وسبب عرضها ما حدثها به غلامها ميسرة مع ما رأته من الآيات وما ذكره ابن اسحق فى المبتدا قال كان لنساء قريش عيد يجتمعن فيه فى جتمعن بومافيه

كفاه من يهودي فقال يا معشر نساء قريش انه يوشك ان يكون نبي فايتكن
استطاعت أن تكون فراشا له فلتفعل فحصبته وقبحنه واغلظن له واغضت
خديجة على قوله ولم تعرض فيما عرض فيه النساء ووقر في نفسها عليه
لتفوز بالسبق اليه دون سائر نساء قومها او ﴿لتشم﴾ بفتح الشين المعجمة
أو ضمها من باب رد أى تستروح ﴿من الايمان به﴾ صلى الله عليه
وسلم ﴿طيب رياه﴾ بفتح الراء وتشديد المثناة التحتية الرائحة الذكية
الطيبة وفى كلامه تشبيه الايمان بمسك ونحوه على سبيل الكناية والريا
تخييل والشم ترشيح وخديجة رضى الله تعالى عنها من أكمل العقلاء وأعقل
الكملاء فلذا تفرست فيه صلى الله عليه وسلم مالم يهتد اليه غيرها من نساء
قومها وخصته بشديد محبتها واكيد مودتها وقد نقل بعضهم عن بعض
العارفين ان الانسان لا يمتزج بشئ كامتزاجه بزوجته وان المرأة اقرب
شئ الى الرجل من حيث انها خلقت منه فهى جزؤه فاذا ضم زوجته
انما ضم نفسه وهذا غاية القرب قال مغلطاى وكانت أولا تحت عتيق بن
عائذ المخزومى فولدت له عبد الله وقيل عبد مناف وهندا ثم خلف عليها أبا
هالة النباش بن زرارة فولدت له هندا والحارث وزينب فكانت
تكنى أم هند وتدعى الطاهرة وقال غيره ان عتيقا تزوجها بعد أبى هالة
ونسبه ابن عبد البر للاكثر وصححه وبه جزم فى المواهب وعلى الاول اقتصر
فى العيون والفتح وحكاهما فى الاصابة ﴿فأخبر﴾ النبى صلى الله عليه
وسلم ﴿أصحابه بما دعته اليه هذه البرة﴾ بفتح الموحدة وشد الراء
الجامعة لصفات الكمال من البر وهو اسم جامع لانواع الخير ﴿التقيه﴾
بالمثناة الفوقية من التقوى وهى البراءة من كل شئ سوى الله تعالى وهذا
غايتها وبدؤها اتقاء الشرك وأوسطها اتقاء المحارم وضبطها بعضهم
بالنون أى التاركة للمنهيات والفاعلة للمأمورات ﴿فرغبوا فيها﴾ والرغبة
فى الشئ حبه والميل اليه ﴿وأفضل﴾ زيادة فضائل وفواضل والفضل لغة
الزيادة وعرفا الاتصاف بالفضائل والفواضل وقد روى البزار والطبرانى من
حديث عمار بن ياسر رضى الله عنه رفعه لقد فضلت خديجة على نساء أمتى
ماعدا فاطمة رضى الله عنها كما فضلت مريم على نساء العالمين قال فى الفتح

وهو حسن الاسناد وذكر فى الفتح انه صلى الله عليه وسلم كان يصف خديجة لعائشة رضى الله عنهما فيقول كانت وكانت أى كانت فاضلة وكانت عاقلة ونحو ذلك وظهر ان وصف خديجة رضى الله تعالى عنها بالفضل ومايليه من الصفات الحميدة الآتى ذكرها بعد وصفها آنفا بالكمال الشامل لجميع ماياتى من جميل الخصال من باب الاطناب والنكتة بتكرار أوصاف الممدوح مع دخولها جميعها فى وصف سابق يعمها ﴿و﴾ محافظة على ﴿دين﴾ اذهو أكبر الخصال الرغبة فى تزويج المرأة لقوله صلى الله عليه وسلم تنكح المرأة لاربع لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك اى ان لم تفعل والمعنى ان المرغب فى نكاح المرأة احدى هذه الخصال الاربع لكن اللائق بذوى المروآت وارباب الديانات أن يكون الدين هو مطمح نظرهم فيما يأتون ويذرون سيما فيما يدوم أمره و يعظم خطره والذى يراد منه دوام الالفة بين المتناكحين ﴿و﴾ مزيد ﴿جمال﴾ وهو الحسن الكثير وهو يقع على الصور والمعانى ﴿و﴾ كثرة ﴿مال﴾ أى كثرة ماتملكه من نقد أو عرض وهو عند العرب يختص بالابل وفى العرف العام بالنقدين وقال بعضهم هو ماتحويه اليد من نقد وغيره مأخوذ من الميل لميل النفوس اليه ﴿و﴾ ظهور ﴿حسب﴾ بفتح المهملتين آخره موحدة أى شرف ثابت فى الآباء مأخوذ من الحساب لانهم كانوا اذا تفاخروا عدوا مناقب ومآثر آبائهم وحسبوها قال بعضهم يمكن أن يراد هنا فعالها الحسنة الجميلة ولقد كانت رضى الله عنها فى المعنيين بالمحل الارفع ﴿كل من القوم﴾ أى كل أحد من رجال قومها وعشيرتها ﴿يهواه﴾ أى يهوى ذلك المذكور ويحبه و يميل اليه بالطبع وخرج معهم منهم حمزة رضى الله عنه حتى دخل على أبيها خويلد فخطبها اليه فاجاب كذا عند ابن اسحق وعند المبردان أباطالب هو الذى نهض معه وهو الذى خطب خطبة النكاح قال فى النور ولعلهما خرجا معه جميعا ﴿و﴾ الذى ﴿خطب﴾ منهم عمه صلى الله عليه وسلم ﴿أبو طالب﴾ لانه كان أسن من حمزة فلا منافاة قال بعضهم وحضر أبو بكر وذكره فى المنح وقال الزرقانى فى شرح المواهب وفى نسخ ابو بكر لا أصل له انتهى والحافظ حجة على من لم يحفظ وزاد ابن

صداق من طريق آخر وحضر أبو طالب ورؤساء مضر فخطب أبو طالب
﴿وأثنى عليه صلى الله عليه وسلم بعد أن حمد الله﴾ تعالى ﴿فحامد
سيره﴾ السيرة المنيفة والمراد الشريفة الجليلة فقال أبو طالب في خطبته
كما في المنح الحمد لله الذي جعلنا من ذرية إبراهيم وزرع إسماعيل وضئضئ
أي أصل معد وعنصر مضر وجعلنا حضنة بيته أي الكافلين له وسواس
حرمه أي المتولين لأمره وجعل لنا بيتا محجوجا وحرما آمنا وجعلنا الحكام
على الناس ثم إن ابن أخي هذا محمد بن عبد الله لا يوزن برجل إلا رجح به وإن
كان في المال قل فإن المال ظل زائل وأمر حائل ومحمد ممن قد عرفتم
قرابته وقد خطب خديجة بنت خويلد وبذل لها من الصداق ما عاجله
وآجله من مالي كذا إشارة إلى ما يأتي ﴿وقال﴾ أبو طالب في أثناء هذه
الخطبة ﴿وهو﴾ أي محمد بن أخي أيضا ﴿والله بعد﴾ بالضم لما مر
أي بعد هذا سيكون ﴿له نبأ﴾ خبر ﴿عظيم﴾ وخطر جليل فيه إشارة
إلى ما شاهده من بركته عليه في أكله مع عياله وما أخبره بحيرا وغيره ذلك مما
سبق ﴿يحمد﴾ بالبناء للمفعول ﴿فيه﴾ ذلك النبأ وهو النبوة والدعوة
إلى الله ﴿سراه﴾ بضم السين أي سيره والمراد سعيه في ذلك النبأ الذي
هو النبوة والدعوة إلى الله وفي نص النجم مسراه بفتح الميم وهو بمعناه
يقال سرى يسري سرى وأسرى يسري إسراء لغتان ومنه الحديث يا جابر
ما السرى السرى السير بالليل وإطلاقه هنا على السير المطلق من باب المجاز
المرسل أو في كلامه استعارة تصريحية أصلية ﴿وزوجها منه عليه الصلاة
والسلام﴾ أي تولى عقد نكاحها به صلى الله عليه وسلم ﴿أبوها﴾
خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي فهي من أقرب نسائه صلى الله عليه
وسلم إليه في النسب ولم يتزوج من ذرية قصي غيرها إلا أم حبيبة كذا
قاله الحافظ ابن حجر وفي سيرة الزهري وهي أول سيرة ألفت في الإسلام أنه
صلى الله عليه وسلم قال لشريكه الذي كان يتجر معه في مال خديجة هلم
فلنتحدث عند خديجة وكانت تكرمهما وترفههما فلما قاما من عندها
جاءت امرأة فقالت له جئت خاطبا يا محمد فقال كلا فقالت ولم فوالله ما في
قريش امرأة وإن كانت خديجة إلا تراك كفؤا لها فرجع صلى الله عليه

وسلم خاطبا لخديجة مستحييا منها وكان ابوها خويلد سكرانا من الخمر فلما كلم فى ذلك انكحها فلما افاقت عليه خديجة حلة وضمخته بخلوق فلما صحا من سكره قال ما هذه الحلة والطيب فقيل له لانك انكحت محمدا خديجة وقد ابتنى بها فانكر ذلك ثم رضى وامضاه اى فقالت له خديجة الا تستحى تريد ان تسفه نفسك عند قريش وتخبرهم انك كنت سكرانا فلم تزل به حتى رضى لان شرب الخمر كان عندهم مما يتنزه عنه ويدل له ان جماعة حرموها على أنفسهم فى الجاهلية منهم من تقدم ذكره وكان ذلك بعد قدومه صلى الله عليه وسلم من الشأم بشهرين وخمسة وعشرين يوما عقب سفره وعمره يومئذ خمس وعشرون سنة على ما هو الصحيح الذى عليه الجمهور او ست وعشرون سنة وقيل احدى وعشرون وقيل ثلاثون وقيل سبع وثلاثون وقيل تسع وعشرون قد راهق الثلاثين وقيل غير ذلك واما عمرها فكان اربعين سنة وهو الصحيح كما فى الغرر وقيل خمسا واربعين وقيل ثلاثين وقيل ثمانيا وعشرين والقول بانه ما زوجها ابوها هو الذى جزم به ابن اسحق وفى الفتح زوجه اياها ابوها خويلد ذكره البيهقى من حديث الزهرى باسناده عن عمار بن ياسر ﴿وقيل﴾ تولاه ﴿عمها﴾ عمرو بن اسد ذكره الكلبى والشامى ونسبه لاكثر علماء السير قال السهيلى وهو الصحيح لما روى الطبرانى ان عمرو بن اسد هو الذى انكح خديجة رسول الله صلى الله عليه وسلم وان خويلدا كان قد مات قبل حرب الفجار ورجحه الواقدى وغلط من قال بخلافه وحكى عليه الموصلى الاتفاق ﴿وقيل﴾ تولاه ﴿اخوها﴾ عمرو بن خويلد ذكره ابن اسحق قال فى النور ولعل الثلاثة أى اباها وأخاها وعمها حضروا ذلك فنسب ذلك الى كل واحد منهم وفى المنتقى فلما أتم ابو طالب الخطبة تكلم ورقة بن نوفل فقال الحمد لله الذى جعلنا كما ذكرت وفضلنا على ما عددت فنحن سادة العرب وقادتها وانتم أهل ذلك كله لا تنكر العشيرة فضلكم ولا يرد أحد من الناس فخركم وشرفكم وقد رغبنا فى الاتصال بحبلكم وشرفكم فاشهدوا على يا معشر قريش انى قد انكحت محمد بن عبد الله خديجة بنت خويلد وشهد على ذلك صناديد قريش انتهى ﴿اسابق سعادتها﴾ اى لسعادتها السابقة فهى من

اضافة الصفة للموصوف ﴿الاربعة﴾ أى المدونة للارل لتقدير انه اوها
فيه واصدقها صلى الله عليه وسلم اثنتى عشرة اوقية ذهبا ونشا ونش
النون والشين والمعجمة نصف أوقية من مال ابى طالب على ما مر نسب اليه
لوقوع النكاح له قالوا وكل اوقية اربعون درهما أى دينارا فيكون
الصداق خمسمائة درهم شرعى قال المحب الطبرى فى السمط الثمين فى
ازواج الامين اصدقها المصطفى عشرين بكرة ولا تضاد بين هذا وبين ما يقال
ابو طالب اصدقها لجواز انه صلى الله عليه وسلم زاد فى صداقها فكان
الكل صداقا انتهى ولما مر قريبا ولا منافاة ايضا بين قوله اثنتى عشرة
اوقية وبين قوله عشرين بكرة لجواز ان تكون البكرات عوضا عن الصداق
المذكور أشار اليه فى انسان العيون وفى بعض السير انه صلى الله عليه وسلم
لما تزوجها ذهب ليخرج فقالت له الى اين يا محمد اذهب واتحر جزورا
او جزورين واطعم الناس ففعل وهو اول وليمة اولمها رسول الله صلى الله
عليه وسلم وفى المنتقى امرت خديجة جواريها ان يرقصن ويضربن
الدفوف وقالت مر عمك ابا طالب ينحر بكرة من بكراتك واطعم الناس وهلم تقيل
مع اهلك فاطعم الناس ودخل صلى الله عليه وسلم فقال معها فاقر الله عينه
واقامت معه صلى الله عليه وسلم خمسا وعشرين سنة او اربعا وعشرين
سنة تقريبا ﴿واولدها﴾ كل اولاده ﴿ جمع ولد يشمل الذكر والانثى
واختلف فى عددهم والاصح ما قاله اكثر اهل النسب من انهم كانوا ستة
وانذكرهم على ترتيبهم فى الولادة فاولهم قاسم فزينب فرقية ففاطمة فام
كلثوم فعبد الله الملقب بالطيب والمطيب والطاهر والمطهر فابراهيم رضى
الله عنهم والذكور منهم ماتوا صغارا ثم استثنى المصنف رحمه الله تعالى
من جملة اولاده صلى الله عليه وسلم ابراهيم فقال ﴿الا﴾ ولده ﴿الذى
سمى﴾ باسم ﴿الخليل﴾ ابراهيم فقد ﴿ولد﴾ من امه السيدة مارية
القبطية التى اهداها المقوقس صاحب الاسكندرية كما يأتى وكانت
ولادته فى ذى الحجة سنة ثمان من الهجرة بالمدينة فى العالية ثم
توفى وله ستة عشر شهرا على الراجح من الاقوال التسعة المحكية فيه وحمل
على سرير ودفن بالبقيع قاله المصنف رحمه الله تعالى فى بعض المواهب

اللطيف * واما ازواجه صلى الله عليه وسلم فقد اختلف فى عددهن وترتيب تزوجه صلى الله عليه وسلم بهن وعدة من مات منهن قبله ومن مات صلى الله عليه وسلم عنهن ومن دخل بها ومن لم يدخل بها ومن خطبها ولم ينكحها ومن عرضت نفسها عليه واوصلها بعضهم الى ثلاثين والمتفق عليه ان المدخول بهن احدى عشرة امرأة ستة من قريش خديجة بنت خويلد وسودة بنت زمعة تزوجها سنة عشر من النبوة وقيل سنة ثمان وعائشة بنت ابى بكر الصديق ولم يتزوج بكرا غيرها وحفصة بنت عمر بن الخطاب وام سلمة واسمها هند وقيل رملة بنت ابى امية واسمه حذيفة او زهير او سهل بن المغيرة وام حبيبة واسمها رملة بفتح الراء وقيل هند بنت ابى سفيان صخر بن حرب بن امية بن عبد شمس بن عبد مناف وزينب بنت جحش بعد زيد مولاه زوجه الله بها فدخل عليها بغير عقد كما دلت عليه الآية وكانت تفتخر بذلك على امهات المؤمنين وهى اول من مات منهن بعده وزينب ام المساكين بنت خزيمة الهلالية وميمونة بنت الحارث الهلالية وجويرية بنت الحارث الخزاعية وواحدة من بنى اسرائيل صفية بنت حيى بضم الحاء المهملة وتكسر وتحتيتين الاولى مخففة والثانية مشددة ابن اخطب بفتح الهمزة وسكون المعجمة وفتح المهملة وموحدة من نسل هارون بن عمران اخى موسى وهى من سبى خيبر اعتقها صلى الله عليه وسلم وتزوج بها ومات عنده صلى الله عليه وسلم اثنتان خديجة بنت خويلد بمكة قبل الهجرة بثلاث سنين على الصحيح لعشر خلون من شهر رمضان وقيل باربع وقيل بخمس وقيل بست سنين ودفنت بالحجون وهى ابنة خمس وستين سنة او اربع وستين وستة اشهر وزينب بنت خزيمة بالمدينة سنة اربع ولها نحو ثلاثين سنة ودفنت بالبقيع ومات صلى الله عليه وسلم عن تسع نظم اسماءهن الحافظ المقدسى الناسكى رحمه الله تعالى فقال

توفى رسول الله عن تسع نسوة * اليهن تعزى المكرمات وتنسب
فعائشة ميمونة وصفية * وحفصة تتلوهن هند وزينب
جويرية مع رملة ثم سودة * ثلاث وست ذكرهن مهذب

وارادبهند ام سلمة وبرملة ام حبيبة على الاصح ولا خلاف فى ان اول امرأة

تزوج بها خديجة وانه صلى الله عليه وسلم لم يتزوج عليها حتى ماتت * واما
سراريه صلى الله عليه وسلم فاربع على ما جزم به ابو عبيدة مارية بنت شمعون
بفتح الشين المعجمة وسكون الميم وبالعين المهملة القبطية الصعيدية من
حفن بفتح المهملة وسكون الفاء ونون من اعمال انصنا بفتح فسكون فصاد
مهملة مكسورة فنون مقصورا مدينة ازلية بصعيد مصر اهداها له المقوقس
كما تقدم بضم الميم وفتح القاف وسكون الواو وكسر القاف الثانية آخره
مهملة لقب معناه المطول البناء واسمه جريج بضم الجيم الاولى ابن مينا
ابن قرقوب القبطي النصراني صاحب مصر والاسكندرية بكسر الهمزة
وبفتح ماتت على نصرانيته وغلط من ذكره من الصحابة وكان اهداها في سنة
سبع من الهجرة واهدى معها اختها سيرين بكسر السين المهملة وسكون
المثناة التحتية وكسر الراء وبالنون آخرها وخصيا يقال له مأبور والف
مثقال ذهبا وعشرين ثوبا لينا من قباطي مصر وبغلة شهباء وهي دلدل
وحمارا اشهب وهو عفير وقيل يعفور وعسلا من عسل بنها فاعجب النبي
صلى الله عليه وسلم ودعا في عسل بنها بالبركة قال ابن الاثير وبنها بكسر
الباء وسكون النون قرية من قرى مصر بارك النبي صلى الله عليه وسلم في
عسلها والناس اليوم يفتحون الباء ووهب صلى الله عليه وسلم سيرين
لحسان بن ثابت وهي ام عبد الرحمن بن حسان وريحانة بنت شمعون
بمعجمة ابن زيد بن عمرو من بني قريظة او من بني النضير وتزوجت رجلا
من قريظة وسبيت اذ سبوا وقيل اسمها ربيحة بالتصغير واصطفاها صلى الله
عليه وسلم لنفسه وكان يطؤها بملك اليمين وقيل اعتقها وتزوجها وضرب
عليها الحجاب * فائدة * امواله صلى الله عليه وسلم كانت من ثلاثة اوجه من
الصفي كولي وهو ما يصطفيه صلى الله عليه وسلم من الغنيمة لنفسه ومن
الهدية تهدى اليه وهو في بيته لا في الغزو من بلاد الحرب ، ومن خمس
الخمس انتهت ونفيسة جارية ام المؤمنين زينب بنت جحش وهبتها له صلى
الله عليه وسلم لما رضي عليها بعد ان هجرها مدة قال في الاصابة ورأيت في
شرح المواهب بعد ان هجرها ذا الحجة والمحرم وصفر ودخل عليها في شهر
ربيع الاول الذي قبض فيه انتهى وسبب هجره صلى الله عليه وسلم كان في

سفر

سفر فاعتل بعير صفية وفي ابل زينب بنت جحش فضل فقال لها ان بعير صفية اعتل فلو اعطيتها بعيرا فقالت انا اعطي تلك اليهودية فتركها صلى الله عليه وسلم المدة المذكورة واما الرابعة فقال البرهان في النور لا اعرف اسمها اصابها في بعض السبي وسماها الحلبي في سيرته ربيحة القرظية قال الحافظ في الاصابة ربيحة بالتصغير والمهملة مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرها ابن سعد انتهى واخرج ابن ابي خيثمة من طريق سعيد عن قتادة قال في ذكر سراري رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت ربيحة القرظية تكون في نخل العالية وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقيل عندها احيانا وزعم بعضهم ان وجعه صلى الله عليه وسلم الذي مات فيه ابتدأه عندها وقال قتادة وبعضهم يقول ريحانة وذكر ابو عبيدة نحوه والحاصل انهم اختلفوا في اسم ريحانة بنت شمعون فمنهم من يقول اسمها ريحانة ومنهم من يقول ربيحة ومقتضى كلام الحلبي في انسان العيون ان ربيحة غير ريحانة وانها هي الرابعة والله اعلم

﴿عطر اللهم قبره الكريم بعرف شذي من صلاة وتسليم اللهم صل وسلم وبارك عليه

واما بلغ صلى الله عليه وسلم﴾ من عمره الشريف ﴿خمسا وثلاثين سنة﴾ فيما جزم به ابن اسحق وغير واحد من العلماء وقيل خمسا وعشرين سنة وبه جزم موسى بن عقبة ويعقوب بن سفيان قال الحافظ والاول أشهر وقال الحلبي هو الصحيح بل قال غيره هو الاصح وغلط الشامي القائل بالثاني ورده الزرقاني في شرح المواهب وقال انه قوي وقيل خمس عشرة سنة قال الزرقاني ولعله غلط قائله واما القول بأنه كان شابا فقد قال الزرقاني انه يأتي على جميع الاقوال وهو لا يظهر الا على القول بان زمن الكهولية ما بعد الاربعين كما نقله الفاسي في مطالع المسرات واما على ما صرح به صاحب القاموس وغيره ان زمن الكهولية بعد الثلاثين أو بعد الاربعة والثلاثين فلا يظهر على القول بأن عمره صلى الله عليه وسلم خمس وثلاثون لانه حينئذ يكون كهلا لا شابا ﴿بنت قريش الكعبة لانصداعها﴾ أي تشقق جدرانها بعد توهينها ﴿ا﴾ سبب ما دخلها من ﴿السيول﴾ جمع سيل

﴿الابطحية﴾ المنسوبة الى ابطح داخل مكة وهو في الاصل المسيل
الواسع المشتمل على دقاق الحصا كما تقدم في العيون والدمع من موسى
ابن عقبة قال ان سبب حمل قريش على بنائها ان السيل أتى من فوق الردم
الذي صنعوه بأعلى مكة فما معه السيل فأخربه فخافوا أن يدخلها الماء
وقيل سببها ان امرأة أجمرت الكعبة فطارت شرارة في ثيابها
فاحرقتها وقيل ان نارا سرت الى الكعبة وعرانها من ذهب وقيل
غزالا واحدا من معادن وجوهر وكان في بئر جوف الكعبة عند بابها
على يمين الداخل اعدت للحلي والمتاع والطيب أخذها ابراهيم عليه السلام
لذلك كما أتى وكان يقال انها خزانة فارادوا أن يشيدوا بنيانها ويرفعوه
حتى لا يدخلها الا من شاؤوا ولا مانع ان يكون السبب هذه الثلاث فالحريق
أوهاها ثم انصدعت بالسيول وخيف انهدامها ثم سرق ما كان بعد ذلك
وقد تقدم ان السرقة انما كانت في زمن عبدالله بن الزبير ولا مانع من التعدد كما
قد قيل بتكرار السرقة في أيام جرهم وفي زمن قريش فقد نقل في انسان
العيون ان شخصا في أيام جرهم اراد أن يسرق من ذلك الحلي شيئا فوقع على
رأسه والمراد البئر عليه فلك وفي كلام بعضهم فسقط عليه حجر حبسه حتى
اخرج منها وقد يقال على تعدد ذلك تكون هذا الرجل تكررت منه السرقة
وكان هلاكه في المرة الثانية فبعد ذلك بعث الله حية بيضاء سوداء الرأس
والذنب رأسها كرأس الجدي فاسكنها الله تلك البئر لحفظ تلك الامتعة وكانت
تخرج منها الى ظاهر البيت فتشرق بالمطاف أي تبرز للشمس على جدار
الكعبة فيبرد لونها ويرد عما التمت عليه فتصير رأسها عند ذنبها فلا يدنو منها
أحد الا كشت أي صوتت وفتحت فاها فحرست بئرها وخزانتها خمسمائة
عام لا يقربها أحد أي لا يقرب بئرها وخزانتها الا اهلكته ولعل المراد لو
قرب منها أحد لاهلكته اذ لو اهلكت أحدا قرب من تلك البئر لنقل ولم تزل
كذلك حتى كان زمن قريش ووجد هذا السيل والحريق والسرقة فارادوا
هدمها واعادة بنائها وان يشيدوا بنيانها أي يرفعوه ويرفعوا بابها حتى
لا يدخلها الا من شاؤوا واجتمعت القبائل من قريش تجمع الحجارة كل قبيلة
تجمع على حدة واعدوا لذلك نفقة طيبة ليس فيها مهر بغي ولا بيع ربا ولا

مظلمة احد من الناس وفى رواية اخرى غير ذلك وسيأتى قريبا فأمرت قريش باقوم وقيل باقول باللام الصحابى كما فى الاصابة وكان روميا وكان فى سفينة القاها الريح بجدة وكان قبل ذلك يقال له أى لجدة الشعيبية بضم الشين المعجمة ساحل مكة فلا يخالف قول غير واحد فلما كانت السفينة بالشعيبية ساحل مكة وقيل كانت السفينة لباقوم وقيل لقيصر ملك الروم يحمل له فيها الرخام والخشب والحديد سرحها مع باقوم الى الكنيسة التى احرقها الفرس بالحبشة فلما بلغت مرساها من جدة بعث الله ريحا فحطمها اى كسرها فخرج الوليد بن المغيرة فى نفر من قريش الى السفينة فابتاعوا خشبها وكلموا باقوم المذكور فى بنائها وكان نجارا بناء فقدم معهم فاعدوا الخشب لسقفها وقيل كان قبطيا من نصارى مصر وهو مولى سعيد بن العاص بن امية فيحتمل انهما اشتركا جميعا فى بنائها أو احدهما بنى والآخر سقف وانهما واحد وهو رومى فى الاصل ونسب الى القبط خلفا وهو الذى صنع المنبر المدنى النبوى وفى الشامى ان الناس هابوا هدمها فقال الوليد بن المغيرة انا ابدؤكم به فأخذ المعول وقام عليها وهو يقول اللهم لم ترع بمثناة فوقية مضمومة فراء مفتوحة أى لم تفزع الكعبة فاضمرها لتقدم ذكرها وفى رواية لم نزغ بفتح النون وكسر الزاى وغين معجمة اى لم نمل عن دينك ولا خرجنا عنه يقال زاغ عن كذا خرج عنه اللهم لا نريد الا الخير ثم هدم من ناحية الركنين الاسود واليمانى وتربص الناس تلك الليلة وقالوا ننظر فان اصيب لم نهدم شيئا ورددناها كما كانت وان لم يصبه شئ هدمنا فقد رضى الله ما صنعنا فاصبح الوليد من ليلته غاديا الى عمله فهدم وهدم الناس معه حتى اذا انتهى الهدم بهم الى الاساس اساس ابراهيم عليه السلام فافضوا الى حجارة خضر كالاسنمة جمع سنام وهو اعلا الظهر للبعير اخذ بعضها بعضا فادخل رجل ممن كان يهدم عتلة بين حجرين منها ليقلع بها بعضها فلما تحرك الحجر تنقضت اى تحركت مكة باسرها وابصر القوم برقة خرجت من تحت الحجر كادت تخطف بصر القوم فانتهوا عن ذلك الاساس وبنوا عليه وهذا هو البناء الثامن لها ولم يبنوها على قواعد ابراهيم اى اساسه بل نقصوا من طولها او عرضها اذرعا ستة او سبعة ادخلوها

في الحِجر لضيق النفقة أي الحلال لما تقدم وفي لفظ أخرجوا من عرضها
أذرعا من الحِجر وبنوا عليه جدارا قصيرا علامة على أنه كان من الكعبة
ووجدت قريش في الركن كتابا بالسريانية فلم يدروا ما هو حتى قرأه لهم
رجل من يهود فاذا هو أنا الله ذو بكة خلقتها يوم خلقت السموات والارض
وصورت الشمس والقمر وحففتها بسبعة أملاك حنفاء لا تزول أخشباها
أي جبلاها وهما أبو قبيس وقعيقعان يبارك لأهلها في الماء واللبن ووجد
في المقام أي في محله كتابا آخر مكتوبا فيه مكة بلد الله الحرام يأتيها رزقها
من ثلاث سبل ووجدوا كتابا آخر مكتوبا فيه من يزرع خيرا يحصد غبطة
ومن يزرع شرا يحصد ندامة تعملون السيئات وتجزون الحسنات أجل كما
يجنى من الشوك العنب أي الثمر وفي الاصابة عن الاسود بن عبد يغوث
عن أبيه أنهم وجدوا كتابا بأسفل المقام فدعت قريش رجلا من حمير فقال
ان فيه لحرفا لو أحدثكموه لقتلتموني قال فظننا أن فيه ذكر محمد صلى الله
عليه وسلم فكتمناه وفي رواية لما شرعوا في نقض البناء خرجت لهم
الحية التي كانت في بطنها سوداء البطن فمنعتهم من ذلك فاعتزلوا عند مقام
ابراهيم فتشاوروا فقال لهم الوليد أو أبو وهب عمرو بن عائذ بن عمران
المخزومي خال عبد الله والد النبي صلى الله عليه وسلم ألستم تريدون بها
الاصلاح قالوا بلى قال فان الله لا يهلك المصلحين ولكن لا تدخلوا في بيت ربكم
الا طيب أموالكم وتجنبوا الخبيث فان الله طيب لا يقبل الا طيبا ولا تجعلوا
فيها مالا أخذ غصبا ولا قطعت فيه رحم ولا انتهكت فيه حرمة ففعلوا ودعوا
وقالوا اللهم ان كان لك في هدمها رضى فأتمه واشغل عنا هذا الثعبان فأقبل
طائر من جو السماء كهيئة العقاب ظهره أسود وبطنها أبيض ورجلاه
صفراوان والحية على جدار البيت فأخذها ثم طار بها وفي بعض الروايات
فبعث الله طيرا أعظم من النسر فغرز مخالبه فيها فألقاها نحو أجياد أي
في الحون فابتلعتها الارض فقالت قريش انا لنرجو أن الله قد رضي عملكم
ونفقتكم وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنها الدابة التي تخرج آخر
الزمان تكلم الناس وقد جاء أن الدابة تخرج من شعب أجياد وقيل الخارجة
فصيل ناقة صالح وهما غريبان وقد حضر صلى الله عليه وسلم هذا البناء

قريش وكان ينقل معهم الحجارة من الوادى روى الشيخان عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال لما بنت قريش الكعبة ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم والعباس رضى الله عنه ينقلان الحجارة فقال العباس للنبى صلى الله عليه وسلم اجعل ازارك على رقبتك تقيك الحجارة اى كبقية القوم فانهم كانوا يضعون أزرهم على عواتقهم ويحملون الحجارة ففعل صلى الله عليه وسلم فخر الى الارض فطمحت عيناه الى السماء ونودى عورتك وكان ذلك أول مانودى فشد عليه وفى رواية سقط فغشى عليه فضمه العباس الى نفسه وسأله عن شأنه فأخبره انه نودى من السماء أن شد عليك ازارك * قال فى انسان العيون لايقال كما تقدم من كرامتى على ربى ان احدا لم ير عورتى وتقدم ان ذلك من خصائصه صلى الله عليه وسلم اذلو رآها احد لطمست عيناه كما قال صلى الله عليه وسلم لانه لايلزم من كشف عورته رؤيتها كما لايلزم من حضانته صلى الله عليه وسلم وتربيته ومجامعته مع زوجاته ذلك نعن عائشة رضى الله تعالى عنها مارأيت منه صلى الله عليه وسلم والظاهر ان بقية زوجاته كذلك قال الزرقانى فى قول السراج ابن الملقن فى شرح البخارى لعل نزعه لانكشاف جسده وليس فى الحديث يعنى حديث جابر انه انكشف شئ من عورته تقصير لانه وان لم يكن فيه فقد ورد فى غيره وخير مافسرته بالوارد وليس المراد العورة المغلظة انتهى وكانوا قد اقتسموا جوانب البيت وذلك بعد ان أشار اليهم بذلك كما فى انسان العيون أبو وهب عمرو بن عائذ فكان شق الباب لبنى زهرة و بنى عبد مناف ومابين الركن الاسود والركن اليمانى لبنى مخزوم ومن انضم اليهم من قريش وكان ظهر الكعبة لبنى جمح و بنى سهم وكان شق الحجر لبنى عبد الدار و بنى أسد بن عبد العزى و بنى عدى بن كعب والذى فى كلام المقريزى كان لبنى عبد مناف مابين الحجر الاسود الى ركن الحجر أى وهو شق الباب وصار لبنى الأسد وعبد الدار وزهرة الحجر كله أى الجانب الذى فيه الحجر وصار لمخزوم دبر البيت وصار لسائر قريش مابين الركن اليمانى الى الركن الاسود هذا كلامه فتأمل وفى كلام بعضهم وسمى الركن اليمانى باليمانى لان رجلا من اليمن بناه اهـ ﴿و﴾ لما بلغ البناء موضع الحجر من الركن ﴿تنازعوا﴾ أى اختصموا

أوائك القبائل واختلفوا اختلافا شديدا وتنافسوا وقالت كل قبيلة نحن احق برفعه الى محله ﴿في﴾ رفع ووضع ﴿الحجر﴾ الشريف المنزل من الجنة مع آدم عليه السلام ونزل معه أيضا عصا موسى وهي من آس الجنة وبخور العود وورق التين وخاتم سليمان وقد نظم الخمسة بعضهم في قوله

وآدم معه انزل العود والعصا * لموسى من الآس النبات المكرم

واوراق تين واليمين بمكة * وختم سليمان النبي المعظم

وزاد بعضهم الحجر الذي كان يربطه نبينا صلى الله عليه وسلم على بطنه ومقام ابراهيم وهو الحجر الذي كان يقف عليه عند بناء البيت فيرتفع به حتى يضع الحجر والطين ويهبط به حتى يتناول ذلك من اسماعيل قال الشرقاوي وفيه أثر قدميه انتهى وقد نظمت ما ألحقاه بالبيتين الاولين فقلت

مقام خليل الله والحجر الذي * على بطنه شد النبي به اختم

وسيأتي من العيني ان الذي كان يربطه على بطنه قطعة من الحجر الاسود ويسمى باليمين ويوصف بـ ﴿الاسود﴾ أي ظاهرا باعتبار ما طرأ عليه من السواد بظاهره والا فقد كان ابيض ناصع البياض حين انزل من الجنة اذ هو ياقوتة بيضاء من يواقيت الجنة وانما سودته خطايا المشركين كما ورد في حديث اخرجه ابن خزيمة وغيره ففي الجامع الصغير عن ابن عباس رضي الله عنهما الحجر الاسود ياقوتة بيضاء من يواقيت الجنة وانما سودته خطايا المشركين يبعث يوم القيامة مثل جبل احد يشهد لمن استلمه وقبله من اهل الدنيا وفيه أيضا الحجر يمين الله في الارض يصافح بها عباده اي هو بمنزلة يمينه ومصافحته فمن قبله وصافحه فكأنما صافح الله وقبل يمينه وفيه أيضا الحجر الاسود من حجارة الجنة وما في الارض من الجنة غيره أي من الحجر الباهر وكان أبيض كالماء ولولا ما مسه من رجس الجاهلية ما مسه ذو عاهة الا برئ وفيه أيضا الحجر الاسود من الجنة وكان أشد بياضا من الثلج حتى سودته خطايا المشركين أهل الشرك ويعلم منه ان الخطايا تؤثر في الجماد ففي القلب من باب أولى فلتجتنب مخافة ان تسود القلب وفي الكشاف انه اسود لما مسته الحيض في الجاهلية وفي رواية عن وهب بن منبه رضي الله عنه ان آدم لما أمره الله تعالى بالخروج من الجنة اخذ جوهرة من الجنة أي التي هي

الحجر الاسود مسح به ادموعه فلما انزل الى الارض لم يزل يبكي ويستغفر الله ويمسح دموعه بتلك الجوهرة حتى اسودت من دموعه ثم لما بنى البيت أمره جبريل ان يجعل تلك الجوهرة في الركن ففعل وجاء ان خطايا بني آدم سودته وأما شدة سواده فبسبب اصابة الحريق له أولا في زمن قريش وثانيا في زمن عبد الله بن الزبير كما يأتي ولا مانع من ان يكون السبب في سواده ذلك كله ويروى انه احتوى على الرق الذي كتب فيه الميثاق الذي اخذه الله على بني آدم حين اخرجهم من ظهر ابيهم آدم فقد روى ان عمر رضي الله عنه لما دخل الطاف قام عند الحجر وقال والله اني لاعلم انك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا اني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلك ما قبلتك فقال له علي رضي الله عنه بلى يا امير المؤمنين هو يضر وينفع قال ولم قلت ذلك قال بكتاب الله قال الله تعالى واذ اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم واشهدهم على أنفسهم الآية وكتب ذلك في رق وكان هذا الحجر له عينان ولسان فقال له افتح فاك فالقمه ذلك الرق وجعله في هذا الموضع فقال تشهد لمن وافاك بالموافاة يوم القيامة فقال عمر رضي الله عنه اعوذ بالله ان اعيش في قوم لست فيهم يا أبا الحسن والحامل لهم على هذا التنازع والاختلاف نخوة الجاهلية والحرص على ما به لهم الفخر التام الى قرب يوم القيامة ﴿فكل﴾ منهم ﴿أراد رفعه﴾ ليحوز شرفه لنفسه ويتميز بهذه المنقبة العظيمة على غيره ﴿ورجاه﴾ تمنى حصول ذلك له دون غيره من سائر القبائل ﴿وعظم﴾ بسبب ذلك ﴿القيل والقال﴾ كل منهما مصدر قال يقال قال قولا وقالا وقيلا المراد كثر الكلام في ذلك ومكث النزاع بينهم أربع أو خمس ليال ﴿حتى﴾ ادى الى أنهم ﴿تحالفوا﴾ أي تقاسموا ﴿على القتال﴾ على ان من غلب منهم أخذه ورفعه فقربت بنو عبد الدار جفنة مملوءة دما وأدخلوا في ذلك أيديهم وتحالفوا على الموت وكان في الجاهلية اذا حالف الرجل الرجل يقول دمي دمك وهدمي هدمك وثاري ثارك وتطلب بي واطلب بك وتعقل عني وأعقل عنك فيكون للحليف السدس من ميراث الحليف أي من حالفه فنسخ ذلك ﴿وقويت﴾ لذلك ﴿العصبية﴾ بضم العين وسكون الصاد المهملتين

أصله العصبة وهي الجماعة أدخلت عليه ياء النسبة والتاء فأفادا المصدرية
فصار بمعنى التعصب كما يقال في أعجبني أن هذا زيد أعجبني زيديته هذا كما
نص عليه في فن النحو أي اشتد الغضب والشر بينهم حرصا منهم على ما مر
﴿ثم﴾ انتهوا بعد شدة تنازعهم كما مر اجتمعوا في المسجد الحرام
﴿وتداعوا﴾ أي دعا بعضهم بعضا ﴿إلى الإنصاف﴾ أي العدل والرجوع
إلى الحق عندهم وتركوا ما هووا به ﴿وفوضوا الأمر﴾ المتنازع فيه
﴿إلى﴾ حكم ﴿ذي﴾ صاحب ﴿رأي﴾ تفكر ونظر في الأمور
﴿صائب﴾ مصيب في رأيه ﴿وأناة﴾ بوزن حصاة أي حلم وتؤدة يجتمع
به شتاتهم ويضمحل به نبابهم وتلتئم به كلمتهم ويزول به الحقد فيما بينهم
فحكموا أبا أمية بن المغيرة والد أم سلمة أم المؤمنين واسمه حذيفة وأبا
حذيفة بن المغيرة كما قاله ابن الأثير وغيره وصريح هذا أن الحكم اثنان
وفي كلام الحلبي ما يفيد أن الحكم واحد حيث قال في سيرته وفي كلام
البلاذري أن الذي أشار إلى قريش بأن يضع الركن أول من يدخل من باب
بني شيبة هشيم بن المغيرة ويكنى أبا حذيفة وقد يقال لا مخالفة لأنه يجوز
أن يكون اسمه حذيفة ويكنى أبا حذيفة كما يكنى بأبي أمية وهشيم لقبه
انتهى وعلى الأول فقول المصنف رحمه الله تعالى ﴿فحكم﴾ أي اتفق
كلا الرجلين وإنما لم يأت بضمير التثنية لأنه لما اتفق رأيهما في ذلك نسب
إلى واحد منهما فلذا أتى بالفعل مجردا منه وأما على الثاني فظاهر ﴿بتحكيم
أول﴾ شخص ﴿داخل﴾ أي قال إلى فصل هذا التنازع والاختلاف أول
من يدخل ﴿من باب﴾ المسجد الحرام المعروف الآن بباب السلام كما
ذكره غير واحد وكان قبل ذلك في الجاهلية يسمى بباب بني عبد شمس
ثم بباب بني شيبة ثم بباب ﴿السدنة﴾ بتشديد السين المهملة جمع سادن أي
خدمة الكعبة وحجبتها وفيه أنه كان إذ ذاك حول الكعبة بيوت من جهاتها
الأربع ولم يكن حولها جدار حتى يكون فيه باب وإنما كانوا قد تركوا لها
قدر المطاف واستمر الأمر على ذلك إلى زمنه صلى الله عليه وسلم وزمن أبي
بكر رضي الله عنه فلما ولي عمر رضي الله عنه رأى أن يوسع حول الكعبة
فاشترى دورا وهدمها ووسع حول الكعبة فبنى المسجد المحيط بها وبنى

حولها جدارا قصيرا وجعل فيه أبوابا كذا قرره في انسان العيون والذي قرره العلامة الشرقاوي في حاشيته على التحرير نقلا عن الرملي ان النبي صلى الله عليه وسلم هو أول من وسع المسجد واتخذ له جدارا دون القامة ثم عمر رضي الله عنه بعد ان اشتراها وزادها فيه واتخذ له جدارا دون القامة ثم وسعه عثمان واتخذ له الاروقة ثم عبد الله بن الزبير ثم ان عبد الملك بن مروان رفع الجدار وسقفه بالساج ثم ان الوليد بن عبد الملك نقض ذلك ونقل اليه الاساطين والرخام وسقفه بالساج المزخرف وأزر المسجد بالرخام ثم زاد فيه المنصور ورخم الحجر ثم زاد فيه المهدي أي أولا وثانيا حتى صارت الكعبة في وسط المسجد وفي أيام المعتضد أدخلت دار الندوة في المسجد لكن نقل في انسان العيون ان قصيا أمر قريشا ان يبنوا بيوتهم داخل الحرم حول الكعبة وقال لهم ان فعلتم ذلك هابتكم العرب ولم تستحل قتالكم فبنوا واحدقوا من جهاتها الاربع بيوتا وجعلوا ابوابها جهة الكعبة لكل بطن منهم باب ينسب اليه كباب بني شيبة وباب بني سهم وباب بني مخزوم وباب بني جمح الا ان يقال ان المراد بذلك أبواب بيوتهم وليس مرادا لانه يقتضي انهم حكموا بتحكم أول داخل من باب بيت بني شيبة وسياق الكلام يبعده تأمل فلعل المراد بالباب كوة الطريق من جهة بيوتهم كما يؤخذ من مفاد قول القاموس وباب حذركوة ﴿الشيبة﴾ المنسوبين الى شيبة علم منقول من الشيب المعروف وهو شيبة بن عثمان بن أبي طلحة عبد الله بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قصي الحجبي بفتح الحاء المهملة والجيم وموحدة وياء نسبة لحجبة جمع حاجب ككتبة جمع كاتب وفي النسبة الى الجمع يرد الى مفرده والقياس حاجبي لكنه لما غلب على حجبة الكعبة جاز النسبة اليه كانصاري أولانه على زنة المفرد ومثله ينسب اليه على قول والحاجب من يتولى الحجابة وهو البواب ومن بيده المفتاح من الحجب وهو المنع وما في بعض نسخ الشفاء الجمحي بجيم غلط من الناسخ وشيبة هذا هو الذي جعل النبي صلى الله عليه وسلم يوم الفتح حجابة الكعبة له ولولد عمه عثمان وقيل انه صلى الله عليه وسلم انما دفعه لعثمان بن طلحة وبقي معه الى ان حضرته الوفاة فدفعه

لابن عمه شيبة لكونه لم يعقب فافى حاشية شيخ زاده من انه دفعه لأخيه شيبة لعل المراد بالاخ ابن العم كما يسمى العم أبا يسمى ابنه أخا وقيل نزلت هذه الآية ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها فى شأن عثمان بن طلحة رضى الله عنه ودفع المفتاح له أى لما أخذه على كرم الله وجهه يوم الفتح وقال يارسول الله اجمع لنا الحجابة مع السقاية فقال صلى الله عليه وسلم لعلى كرهت وآذيت وأمره صلى الله عليه وسلم ان يرده الى عثمان ويعتذر اليه فقد أنزل الله فى شأنك وقرأ الآية ففعل على كرم الله وجهه ذلك وهذا يدل على ان عليا أخذ المفتاح على انه لا يرده لعثمان فلما نزلت الآية أمره صلى الله عليه وسلم برده له وفى رواية انه صلى الله عليه وسلم دفعه لعثمان ولشيبة ابن عمه وقال خذوها يابنى طلحة خالدة تالدة لا ينزعها منكم الا ظالم وفى لفظ ان الله رضى لكم بها فى الجاهلية والاسلام أى لم أدفعها اليكم ولكن الله دفعها اليكم لا ينزعها منكم الا ظالم ولا مانع ان يكون ذلك بعد ان أمر عليا ودفعه له وقال صلى الله عليه وسلم ياعثمان ان الله استأمنكم على بيته فكلوا مما يصل اليكم من هذا البيت بالمعروف وعثمان هذا كما فى كلام ابن الجوزى كان قد هاجر الى المدينة وأسلم سنة ثمان ولم يزل مقيما بالمدينة حتى خرج مع النبى صلى الله عليه وسلم فى فتح مكة ثم رجع الى المدينة ولم يزل مقيما بها حتى توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجع الى مكة ولم يزل مقيما بها حتى مات فى خلافة معاوية فلم يزل يلى فتح البيت الى أن أشرف على الموت فدفع المفتاح الى شيبة بن عثمان بن أبى طلحة وهو ابن عمه فبقيت الحجابة فى ولد شيبة ويرد هذا رد ما قيل من ان النبى صلى الله عليه وسلم بعث عليا يوم الفتح الى عثمان بن طلحة لاخذ المفتاح فأبى ان يدفعه له وقال لو علمت انه رسول الله لم أمنعه ولوى على كرم الله وجهه يده وأخذ المفتاح منه قهرا وفتح الباب وانه لما نزل قوله تعالى ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى أهلها أمره صلى الله عليه وسلم ان يدفع له المفتاح متلطفا به فجاءه على كرم الله وجهه بالمفتاح متلطفا به فقال له أكرهت وآذيت ثم جئت ترفق فقال على كرم الله وجهه لان الله أمرنا برده عليك فأسلم لما تقدم من انه أسلم قبل يوم الفتح وبه

صرح في انسان العيون حيث قال ولما فرغ صلى الله عليه وسلم من طوافه
أي يوم الفتح دعا عثمان بن طلحة فانه كان قدم على رسول الله صلى الله عليه
وسلم المدينة مع خالد بن الوليد وعمرو بن العاص قبل الفتح واسلموا واستمر في
المدينة الى أن جاء معه صلى الله عليه وسلم الى فتح مكة انتهى وكون شيبة بن
عم عثمان هو الموافق لقول الحافظ ابن حجر الشيبيون نسبة الى شيبة بن
عثمان بن أبي طلحة وهو ابن عم عثمان بن طلحة بن أبي طلحة فأبو طلحة له
ولدان عثمان وطلحة أبي عثمان بشيبة وأبي طلحة بعثمان ويوافقه ما تقدم
عن ابن الجوزى وعثمان وطلحة ابنا أبي طلحة قتلا كافرين يوم أحد قتل على
طلحة وقتل حمزة عثمان وكان قبل قريش يلى سدنة الكعبة رجل يكنى أبا
غبشان بضم الغين المعجمة الخزاعى فاجتمع مع قصى في شرب بالطائف
فاسكره قصى ثم اشترى المفاتيح منه بزق خمر واشهد عليه ودفعها لابنه
عبد الدار وطيره الى مكة فأفاق أبو غبشان أندم من الكسعى فضربت به
الامثال في الحمق والندم وخسارة الصفقة ﴿فكان النبي صلى الله
عليه وسلم أول﴾ انسان ﴿داخل﴾ من ذلك الباب ﴿فقالوا﴾ باجمعهم
﴿هذا الامين﴾ اسم من أسمائه صلى الله عليه وسلم وكان صلى الله عليه
وسلم يسمى قبل النبوة بذلك لما اشتهر من أمانته ولما غلب من وصفه على
الالسنة ليكون حجة عليهم بعد نبوته وفي الحديث انى لامين في الارض وامين
في السماء قال في مطالع المسرات وقد سماه الله تعالى أمينا فقال مطاع
ثم أمين اذا قلنا ان المراد به محمد صلى الله عليه وسلم لا جبريل انتهى قيل
والامين من يأتى اليه بمقاليد المعانى ثقة بقيامه علما وحفظها وقيل
معناه الامين في نفسه من عقاب ربه اشارة الى ما بشره به ربه عز وجل في
سورة الفتح حيث قال ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر الآية فسمى
بما يناسب قدره فهو صلى الله عليه وسلم أمين في السماء وأمين في الارض
وأمين في نفسه وأمين لما أوحى اليه وما كلف علمه وتبليغه وفيما جاء به عن
ربه عز وجل من أمره ونهيه ووعده ووعيده ﴿وكانا بقبله ورضاه﴾
حكما في هذه القضية وفي الشفاء وكان يتحاكم الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم في الجاهلية قبل الاسلام أى يتحاكمون اليه صلى الله عليه وسلم

حينئذ دليل على كمال عدله وانصافه ﴿و﴾ لما انتهى اليهم ﴿أخبروه﴾ بقصتهم واعلموه ﴿بأنهم رضوه﴾ من غير تخلف أحد منهم ﴿أن يكون﴾ أول داخل من الباب المذكور ﴿صاحب الحكم في﴾ دفع ﴿هذا الملم﴾ بضم الميم الاولى وكسر اللام اسم فاعل من ألمّ بكسر اللام ما يخاف من فزع وشدة أى النازل الشديد العظيم وفى بعض النسخ المهم بالهاء بوزنه اسم فاعل أهم أى الحامل لاصحاب الهمم على صرف ما فيه لعظمته حتى كادوا بسببه يقتتلون ﴿و﴾ أن يكون ﴿رأيه﴾ هو الذى يتولى فصل القضاء فيه برأيه السديد ﴿فـ﴾ حكم بأن ﴿وضع﴾ صلى الله عليه وسلم ﴿الحجر﴾ الاسود بيده الشريفة ﴿فى ثوب﴾ واسع كبردة وتنكيره يوافق ما فى الصحيح من أنه صلى الله عليه وسلم أمر بوضعه فى ثوب لكن ورد فى رواية وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم رداءه وبسطه على الارض ومشى على ذلك الاهدل رحمه الله فى مولده حيث قال فبسط صلى الله عليه وسلم رداءه الشريف أى فوضعه فيه أى فى وسطه لا جل أن يحيطوا به ويرفع كل رجل من الحاشية التى تليه فيصيروا كلهم رافعين له ويجبر خاطر الجميع ويزول ما كان بينهم فلله دره من حكم عدل صلى الله عليه وسلم ﴿ثم أمر﴾ صلى الله عليه وسلم ﴿ان ترفعه القبائل﴾ أى رؤساؤهم وكانوا انفردوا وأمرهم فى ذلك الى أربع قبائل منهم كما يرشد اليه ما فى بهجة المحافل وفى اعلام النهر انه صلى الله عليه وسلم قال ليأخذ كل كبير قبيلة بطرف الثوب وفى لفظ آخر لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ثم ارفعوه وفى انسان العيون فكان فى الربع الاول عتبة بن ربيعة وفى الربع الثانى زمعة وفى الربع الثالث أبو حذيفة بن المغيرة وفى الربع الرابع قيس بن عدى ﴿جميعا الى مرتقاه﴾ بضم الميم أى محل رقيه ﴿فـ﴾ فعلوا ما أمر صلى الله عليه وسلم و ﴿ردوه الى مقره﴾ محل استقراره وهو المحل الذى كان فيه من وقت ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام ﴿من﴾ للبيان ﴿ركن ذاتك البنيه﴾ بفتح الباء الموحدة وكسر النون وشد المثناة التحتية الكعبة كما تقدم ثم لما انتهى رفعهم الى المحل المراد أخذه ﴿و﴾ وضعه صلى الله عليه وسلم بيده الشريفة ﴿الطاهرة الزكية أى اليمين كما هو اللائق بجنابه صلى

الله

الله عليه وسلم او بيديه معا ويكون ذكر اليد بلفظ الافراد لارادة الجنس
﴿في موضعه﴾ حيث هو ﴿الآن وبناؤه﴾ عمره صلى الله عليه وسلم وهذا
من تمام عقله صلى الله عليه وسلم حسما لباب الفتنة قال السهيلي ذكر ان
ابليس كان حاضرا معهم في صورة شيخ نجدي فلما أخذ النبي صلى الله
عليه وسلم الحجر من الثوب ووضعه في محله صاح يا على صوته يا معشر قريش
اقد رضيتم أن يضع هذا الركن وهو شرفكم غلام يتيم دون ذوي انسابكم
يريد بذلك اثارة شر بينهم فلم يحصل فلما تم بناء الكعبة اعادوا الصور التي
كانت في حيطانها لانه كان في حيطانها كما في انسان العيون في فتح مكة
صور الانبياء بأنواع الاصباغ ومن جملتهم صورة ابراهيم وفي يده الازلام
واسماعيل وفي يده الازلام وصورة الملائكة وصورة مريم وكساها
زعماؤهم ارديتهم وكانت من الوصائل وهي برود حمر فيها خطوط خضر
تعمل باليمن ولم يكسها أحد بعد ذلك حتى كساها رسول الله صلى الله
عليه وسلم الحبرات في حجة الوداع ثم كساها ابن الزبير الديباج وقد
كساها الخلفاء الراشدون فمن بعدهم واستمر ذلك الى الآن وقال الحلبي
أول من كساها على الاطلاق تبع الحميري كما تقدم على الراجح وذلك
قبل الاسلام بتسعمائة سنة انتهى ﴿خاتمة﴾ نسأل الله حسنها أول من بنى
الكعبة الملائكة بنوها من ياقوتة حمراء ثم بناها بعدهم آدم ثم شيث
ولده لصلبه ثم ابراهيم واسماعيل عليهما السلام وقد روى ابن أبي حاتم من
حديث ابن عمر أن البيت رفع في الطوفان فكان الانبياء بعد ذلك يحجون
ولا يعلمون مكانه حتى بوأه الله لابراهيم فبناه على أساس آدم وجعل
طوله في السماء سبعة أذرع بذراعهم وذرعه في الارض ثلاثين ذراعا
بذراعهم وادخل الحجر في البيت ولم يجعل له سقفا وجعل له بابا وحفر بئرا عند
بابه يلقى فيه ما يهدى للبيت وعن ابن عباس وابن جبير انه لما فرغ من بناء
البيت وقيل له أذن في الناس بالحج قال يا رب وما يبلغ صوتي قال اذن وعلي
الابلاغ فصعد ابراهيم جبل أبي قبيس وهو أول جبل وضع على الارض كما في
انسان العيون وصاح يا أيها الناس ان الله قد امركم بحج هذا البيت
ليثيبكم به الجنة ويجيركم من عذاب النار فحجوا فاجاب من كان في اصلاب

الرجال وارحام النساء وفي رواية عن ابي الطفيل عن ابن عباس رضي الله عنهما فاجابه كل شيء لبيك اللهم لبيك فمن اجاب يومئذ حج على قدر الاجابة ان اجاب مرة فمرة وان اجاب مرتين فمرتين وجرت التلبية على ذلك أي وكان ذلك اصل التلبية كما في رواية ابي الطفيل ثم العمالقة ثم جرهم ثم قصي بن كلاب ثم قريش وجعلوا ارتفاعها ثمانية عشر ذراعا وفي رواية عشرين ولعل راويها جبر الكسر ففي الروض انها كانت تسعة اذرع من عهد اسماعيل يعني طولا ولم يكن لها سقف فلما بنتها قريش زادوا فيها تسعة اذرع أي فصارت ثمانية عشر ذراعا ورفعوا بابها عن الارض فكان لا يصعد اليها الا في درج او سلم وقال الازرقي كان طولها سبعة وعشرين ذراعا فاقتصرت قريش منها على ثمانية عشر ونقصوا من عرضها اذرعا أي ستة او سبعة كما مر ادخلوها في الحجر لضيق النفقة ثم عبد الله بن الزبير وذلك لما وهي من جهة يزيد تضعضعت من الرمي بالمنجنيق فهدمها في خلافته وبناها على قواعد ابراهيم واعادوا طولها على ما هو عليه الآن وادخل من الحجر الاذرع المذكورة وجعل لها بابا آخر ثم الحجاج وذلك لما قتل ابن الزبير شاور الحجاج عبد الملك في نقض ما عمله ابن الزبير فكتب اليه اما ما زاد في طولها فاقره واما ما زاد في الحجر فرده الى بنائه وسد بابه الذي فتحه ففعل الحجاج ذلك كما في مسلم عن عطاء وذكر الفاكهي ان عبد الملك ندم على اذنه للحجاج في هدمها ولعن الحجاج وفي مسلم نحوه من وجه آخر وكان بناء الحجاج لها في السنة التي قتل فيها ابن الزبير وهي سنة ثلاث وسبعين قال الزرقاني واستمر بناء الحجاج الى الآن وقد اراد الرشيد أو ابوه او جده أن يعيده على ما فعله ابن الزبير فناشده مالك وقال اخشى ان تصير لعبة للملوك فتركه ولم يتفق لاحد من الخلفاء ولا غيرهم تغيير شيء مما صنعه الحجاج الى الآن الا في الميزاب والباب وعتبته وكذا وقع الترميم في الجدار والسقف وسلم السطح غير مرة وجدد فيها الرخام قال ابن جريج أول من فرشها بالرخام الوليد بن عبد الملك فالمتحصل من الآثار كما افاده الفتح والارشاد والسبل وشفاء الغرام انها بنيت عشر مرات وقد نظم بعضهم ذلك فقال

بنى بيت رب العرش عشر فخذهم * ملائكة الله الكرام وآدم

فشيث فابراهيم ثم عمالق * فقصى قريش قبل هذين جرهم
وعبد الاله بن الزبير بنى كذا * بناه لحجاج وهذا متمم

وقول الناظم عشر الخ أى من المخلوقين فلا ينافى ماورد فى بعض الروايات ان الله وضعه أولا من غير بناء احد فلعل المراد بأولية البناء للملائكة تحديدا لا احداثا وذيل بعضهم اسم الحادى عشر فى نظم له فقال

بنى الكعبة الغراء عشر ذكرتهم * ورتبتهم حسب الذى أخبر الثقه
ملائكة الرحمن آدم وابنه * كذاك خليل الله ثم العمالقه
وجرهم يتلوه قصى قريشهم * كذا ابن الزبير ثم حجاج لاحقه
وخاتمهم من آل عثمان بدرهم * مراد المعالى أسعد الله شارقه

وذكره ابن علان فى رسالة له لكن يرده ما تقدم عن الزرقانى وعلى ثبوت البناء له فلعله محمول على ما تقدم من الترميم ونحوه وبه يشعر قول الناظم حيث قال عشر ولم يقل احد عشر لانه لم يصح عنده ذلك فيكون ذكره له اما اشارة الى وقوعه فى كلام البعض او استطرادا لوقوع بعض البناء له فيه ثم رأيت فى انسان العيون ما حاصله ان البناء وقع فى زمنه على يد عامله بمصر الوزير محمد باشا سنة تسع وثلاثين وألف بسبب سيل عظيم دخلها يوم الخميس بعد صلاة العصر وهدم معظم الكعبة سقط به الجدار الشامى بوجهيه وانحدر معه فى الجدار الشرقى الى حد الباب ومن الجدار الغربى من الوجهين نحو السدس وعند مجىء الخبر الى الوزير المذكور جمع جمعا من العلماء كنت من جملتهم للمشاورة فوقعت الاشارة بالمبادرة للعمارة انتهى فلعلهم عمروا ما انهدم منه فيكون ترميما فلا يخالف ما قاله العلماء من ان هذا البناء لا يغير وذكر بعضهم ان عبد المطلب بناها بعد قصى وقبل بناء قريش قال الفاسى ولم ار ذلك لغيره واخشى ان يكون وهما قال واستقر بناء الحجاج الى يومنا هذا وسيبقى الى ان تخربه الحبشة وتقلعه حجرا حجرا كما فى الحديث والله أعلم

﴿عطر اللهم قبره الكريم بعرف شذى من صلاة وتسليم اللهم صل وسلم وبارك عليه﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

وهنا تم الكلام على الولادة الشريفة وبعض ما يتعلق بها من نحو حمله ورضاعه ونشأته وبعض ما اتفق له في صغره وكبره قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم وشرع يتكلم على البعثة وبعض ما وقع له بعدها من نحو الاسراء والهجرة وبعض ما اشتمل عليه من سيرته الزكية وشمائله الشريفة واخلاقه المنيفة وغير ذلك فقال ﴿ولما كمل﴾ مثلث الميم والفتح أفصح فالضم بمعنى تم أي لما تم ﴿له صلى الله عليه وسلم أربعون سنة﴾ كما في الصحيحين عن ابن عباس وأنس رضي الله عنهم قال ابن اسحاق وهذا هو المشهور بين الجمهور من أهل السير والعلم بالاثر قال السهيلي وهو الصحيح عندهم لكن قال شيخنا في حواشيه على جوهرة التوحيد وهذا لا يتم الا اذا كانت البعثة في شهر الولادة مع ان المشهور انه ولد في ربيع الاول وبعث في رمضان فله حين البعث اربعون سنة ونصف ان كان البعث في رمضان الواقع بعد السنة المتممة للاربعين أو تسعة وثلاثون ونصف ان كان البعث في رمضان الواقع في اثناء السنة المتممة للاربعين ثم قال أربعون سنة أي الكسر على الاول وجبره على الثاني انتهى وقيل أربعون سنة ويوم وقيل وعشرة أيام وقيل وعشرون وقيل وأربعون وقيل وشهران وقيل وسنتان وهو شاذ وأكثر منه شذوذا ما قيل وثلاث سنين وما قيل وخمس سنين وحيث كانت الاقوال المذكورة ارجحها ما صدر به المؤلف أشار الى ذلك بقوله ﴿على أوفق الاقوال﴾ أي وأصحها المروية ﴿لذوي العالمية﴾ بكسر اللام أي أصحاب العلم فيه ما تقدم من الكلام على قول المصنف وقويت العصبية ﴿بعثه﴾ أرسله ﴿الله﴾ تعالى أي أوحى اليه فنزل ذلك منزلة الارسال فعبر عنه بالبعث مجازا والا فحقيقته ارسال شخص من مكان لآخر يتعدى اليه الفعل بنفسه ان وصل بنفسه كما هنا والا فبالباء كبعثت بالكتاب عندا كثر اللغويين وبه قطع المصباح وانما أرسله حينئذ لانه سن الكمال وغاية بعث الرسل قال الحلبي أي لا يرسلون دونها ومن ثم قال في الكشاف ويروى انه لم يبعث نبي الا على رأس أربعين سنة انتهى وقال شيخنا انما كان الارسال على رأس الاربعين لانه العادة المستمرة في معظم

الانبياء او جميعهم كما جزم به أى بالثانى كثيرون منهم شيخ الاسلام فى حواشى
البيضاوى وانما استدلوا بالعادة المستمرة ولم يستدلوا بحديث ما من نبى
الا على رأس الاربعين سنة لعد ابن الجوزى له فى الموضوعات وقال بعضهم
ان بلوغ الاربعين ليس شرطا للنبوة فان عيسى عليه الصلاة والسلام كان
نبيا ورفع الى السماء وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة أى فنبئ وهو ابن ثلاثين
سنة بل قيل وهو طفل ونبئ يحيى صبيا بناء على ان الحكم الذى أوتيه صبيا
النبوة لكن ذكروا فى حواشى التفسير نقلا عن المواهب ان هذا خلاف
التحقيق وقالوا الصحيح ان عيسى ما رفع الا بعد مضى ثمانين سنة من النبوة
وبعد نزوله من السماء يعيش أربعين سنة قال شيخنا ولا يرد قوله تعالى
فى حق يحيى وآتيناه الحكم صبيا لان المراد بالحكم العلم والمعرفة لا النبوة
ولا يرد أيضا قوله تعالى حكاية عن عيسى آتانى الكتاب وجعلنى نبيا لانه
من التعبير بالماضى عن المستقبل على حد قوله تعالى أتى أمر الله أو المعنى
وجعلنى نبيا فى علمه هذا ووقع فى كلام سيدى على الخواص ان النبى نبئ
من صغره ولعله أراد الكمال والتهيؤ كما ذكره العلامة الامير انتهى وتقدم
ما يؤيد كلام الخواص فى الكلام على خبر كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد
وانه ليس المراد بذلك التقدير فى علم الله لان الله تعالى عالم بنبوة غيره من
الانبياء ووصف النبى بذلك فى ذلك الوقت يفهم منه أمر ثابت له خاص به ولو
كان المراد بذلك مجرد العلم بما سيصير فى المستقبل لم يكن له خصوصية بأنه
نبى وآدم بين الروح والجسد فلا بد من خصوصية للنبى صلى الله عليه وسلم
ولاجلها اخبر بهذا الخبر ليعرفوا قدره عند الله كما مر تحقيق ذلك مبسوطا
وكأن الله قد أخذ له الميثاق على كل نبى بعثه قبله بالايمان والتصديق له
والامر على من خالفه وان يؤدوا ذلك الى من آمن بهم وصدقهم أى فهم
وأممهم من جملة أمته صلى الله عليه وسلم كما سيأتى عن السبكى وذلك يوم
الاثنين كما سيأتى قريبا ﴿للعالمين﴾ جمع لعالم بفتح اللام فهما رقيل
اسم جمع له والتحقيق الاول كما تقدم قال البيضاوى وهو اسم وضع لذوى
العلم من الملائكة والثقلين وتناوله لغيرهم على سبيل الاتباع انتهى والمراد
ما سوى الله تعالى وصفاته من الموجودات أما ارساله الى الثقلين فبالاجماع

وكذا الى الملائكة كما رجحه جمع محققون كما تقدم مستدلين بعموم قوله تعالى ليكون للعالمين نذيرا أو بحديث مسلم المتقدم أرسلت الى الخلق كافة ولقد ذهب بعض المتأخرين الى ارساله صلى الله عليه وسلم الى سائر الجمادات لكن لم يكن ارساله الى الملائكة الا ليلة الاسراء كما ذكره السيوطى فى كتابه تزيين الارائك فى ارسال النبى صلى الله عليه وسلم الى الملائكة وتقدم أن ارساله الى الثقلين ارسال تكليف ولغيرهم كالمعصوم وغير المكلف ارسال اذعان لشرفه ودخول تحت دعوته أى فهم وان لم يكونوا بشرا بعثه مكلفون بتعظيمه والايمان به واشادة ذكره وأما ارساله الى الجمادات فارسال تأمين لها من الخسف بها ونحوه بل ولا مانع من أن يركب الله فيها ادراكا ونطقا التؤمن به وتخضع له بدليل قوله تعالى وان من شئ الا يسبح بحمده أى حقيقة لا بلسان الحال فقط خلافا لمن زعمه قال الجلال السيوطى رحمه الله تعالى وهذا القول اى ارساله للملائكة رجحته فى كتابى الخصائص ورجحه قبلى الشيخ تقى السبكى وزاد انه مرسل لجميع الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين والامم السابقة من لدن آدم الى قيام الساعة ورجحه أيضا البارزى وزاد انه مرسل الى جميع الحيوانات والجمادات وأزيد على ذلك انه مرسل الى نفسه فعلم انه صلى الله عليه وسلم مرسل لجميع الانبياء وأممهم على تقدير وجوده فى زمنهم لان الله أخذ عليهم الميثاق على الايمان به ونصرته كما تقدم مع بقاء نبوتهم ورسالتهم الى أممهم وأما غيره من الانبياء فانما كان يبعث الى قومه فقط وان كانت رسالة بعضهم عامة فى الصورة لعدم وجود غيره ولو اتفق وجود غيره لم يكن مبعوثا اليه فنبوته ورسالته صلى الله عليه وسلم أعم وأشمل وفى انسان العيون وكون جميع الانبياء وأممهم من أمته صلى الله عليه وسلم المراد أمة الدعوة لا أمة الاجابة لانها مخصوصة بمن آمن به صلى الله عليه وسلم بعد البعثة انتهى وبعثته صلى الله عليه وسلم رحمة على الكفار بتأخير العذاب ولم يعاجلوا بالعقوبة كسائر الامم المعذبة وحتى للملائكة وأفضل من سائر المرسلين وجميع الملائكة المقربين قال فى انسان العيون سألت عما حكاه الجلال السيوطى رحمه الله تعالى انه ورد الى مصر نصرانى من الفرنج وقال

لى شبهة ان ازلتموها أسلمت فعقد له مجلس بدار الحديث بالكاملية ورأس العلماء اذذاك الشيخ عز الدين بن عبد السلام فقال النصرانى والناس يسمعون أى شئ أفضل عندكم المتفق عليه أم المختلف فيه فقال الشيخ عز الدين المتفق عليه فقال له النصرانى قد اتفقنا نحن وأنتم على نبوة عيسى عليه الصلاة والسلام واختلفنا فى نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فيلزم أن يكون عيسى أفضل من محمد عليهما الصلاة والسلام فأطرق الشيخ عز الدين ساكتا من أول النهار الى الظهر حتى ارتج المجلس واضطرب أهله ثم رفع الشيخ عز الدين رأسه وقال عيسى عليه الصلاة والسلام قال لبنى اسرائيل ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد فيلزمك ان تتبعه فيما قال وتؤمن بأحمد الذى بشر به فأقام الحجة على النصرانى وأسلم بانه كيف * أقام الحجة على كون محمد أفضل من عيسى اذغاية ماذكر ان محمدا رسول الله فأجيب بانه حيث ثبت ان محمدا رسول الله وجب الايمان به وبما جاء ومما جاء به انه أفضل من جميع الانبياء انتهى حال كونه ﴿بشيرا﴾ فعيل بمعنى فاعل أى مبشرا لمن أطاعه بالثواب وقيل بالمغفرة وقيل بالجنة وقيل بالشفاعة وقيل انه شفيع للمتقين برضا رب العالمين والخائفين بالامن يوم الدين وللمشتاقين بالنظر الى وجه الملك الحق المبين والبشارة المطلقة لا تكون الا بالخير وانما تكون للشر اذا كانت مقيدة به فهى لطاق الاخبار فمعنى بشرهم بعذاب أليم أخبرهم والبشارة المطلقة هى الاخبار بما يسر سميت بذلك لتأثر البشرة وهى ظاهر الجلد عند الاخبار بالامر السار ﴿ونذيرا﴾ أى منذرا مخوفا لاهل المعصية بالنار أو بالعذاب وقيل محذرا من الضلالات والانذار الاخبار عما يخاف ليحذر ويكف عما يوصل اليه ويعمل بما يحجز عنه ﴿نعمهم﴾ سبحانه وتعالى ﴿برحماه﴾ بضم الراء اسم مصدر رحم بمعنى الرحمة أى شمل العالمين برحمته أو عم النبى صلى الله عليه وسلم العالمين برحمته قال تعالى وما أرسلناك الا رحمة للعالمين وقال بالمؤمنين رؤف رحيم وقال صلى الله عليه وسلم أنا رحمة مهداة وقال انما بعثت رحمة ولم أبعث عذابا فهو صلى الله عليه وسلم عين الرحمة فان كل خير ونور وبركة شاعت وظهرت فى الوجود وتظهر من أول الايجاد الى آخره انما ذلك

بسببه صلى الله عليه وسلم وكونه رحمة للعالمين لان ما بعث به سبب لاسعادهم
وموجب لاصلاح معاشهم ومعادهم وظاهره شمول ذلك للمنافقين بل للكفار
وهو كذلك كما تقدم ففي الكشاف ان ما أتى به سبب لاسعاد الفريقين
الكفار والمؤمنين فمن خالف فعناده من نفسه كعين انفجرت فانتفع قوم
وكسل قوم فهي رحمة لهما واستشكل ذلك بانه كما قصد ببعثته صلى الله
عليه وسلم ان يؤمن قوم فيثابوا كذلك قصد ببعثته ان لا يؤمن قوم فيعذبوا
فلم خص الرحمة ونفى الغضب وأجيب بان المقصود بالذات الرحمة والغضب
بالتبعية بل في حكم العدم فاختصر فيها مبالغة وعبارة الفخر الرازي ان قيل
كيف قال تعالى وما أرسلناك الا رحمة للعالمين مع ان النبي صلى الله عليه
وسلم لم يكن رحمة للكافرين الذين ماتوا على كفرهم بل نقمة اذ لولا ارساله
اليهم لما عذبوا بكفرهم لقوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا قلنا
كان رحمة للكافرين أيضا من حيث ان عذاب الاستئصال أخر عنهم
بسببه أو كان رحمة عامة من حيث انه جاء بما ينقذهم من العذاب ان اتبعوه
ومن لم يتبعه فهو الذي قصر في حق نفسه من الرحمة ومثله عليه الصلاة
والسلام كمثل عين عذبة فجرها الله تعالى فسقى ناس زروعهم ومواشيهم منها
فافلحوا وافرط ناس في السقي منها فلم ينتفعوا فالعين في نفسها نعمة من الله
للفريقين ورحمة وان قصر البعض أو ان المراد بالرحمة الرحيم وهو صلى الله
عليه وسلم كان رحمة للفريقين بمعنى رحيما عليهم الا ترى انهم لما شجوه يوم
احد وكسروا رباعيته حتى خر مغشيا عليه فلما أفاق قال اللهم اهد قومي فانهم
لا يعلمون ولما خرج الى الطائف حين نال من قريش ما ناله ودعا أهله
واغروا به سفهاءهم ولقي منهم أشد مما لقيه يوم أحد ومع ذلك فلما جاءه جبريل
ومعه ملك الجبال ليأمره في قومه بما شاء قال صلى الله عليه وسلم بل ارجو
ان يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله تعالى وحده لا يشرك به شيئا وعند
ذلك قال له الملك انت كما سماك ربك رؤف رحيم وسيأتي الكلام في ذلك
ان شاء الله تعالى في محله ﴿وبدئ﴾ بضم الموحدة وكسر المهملة
مهموزا لما اراد الله تعالى ارساله باوائل خصال النبوة وتباشير الكرامة
قبل مجيء الملك ﴿الى تمام ستة أشهر﴾ كما حكاه البيهقي والغاية

داخلة أو أوله أو في سابع عشر ربيع الاول او سبع وعشرين أو أربع وعشرين
منه لم يوافق ما يأتى من الاقوال فى بدأ الوحى يقظة فى رمضان وقول بعضهم
أوله أربع وآخره أشعر بأن فيه نظر لعدم موافقته للاقوال الآتية كلها
من كونه فى رمضان أو فى سابع ربيع الاول أو سابع وعشرين من رجب
وعبارة بعضهم ابتداؤها فى ربيع وآخرها فى رمضان وهو واضح
﴿بالرؤيا﴾ مصدر كالرجعى وتختص بالنوم كاختصاص الرؤية بالعين
وقيل انها تطلق على الرؤية بالبصر أيضا قال تعالى وما جعلنا الرؤيا التى
أريناك الا فتنة للناس وهى رؤية بصر والمقصود هنا الاول وقد يراد بالرؤية
العلم والتذكير كما فى سورة الفيل فى قوله تعالى ألم تر كيف فعل ربك الآية
فانهم لم يروا الم ترهم انما قيل مبعثه صلى الله عليه وسلم بل قبل ولادته اشارة الى
ان المراد من الرؤية العلم والتذكير وان الخبر بذلك متواتر فكان العلم بذلك
ضروريا مساويا للعلم الحاصل بالرؤية البصرية افاده فى المنح ﴿الصادقة﴾
وفى مسلم الصالحة قال صاحب المواهب وهما بمعنى بالنسبة الى الآخرة
فى حق الانبياء وأما بالنسبة الى أمور الدنيا فالصالحة فى الاصل اخص
فرؤيا الانبياء كلها صادقة وقد تكون صالحة وهى الاكثر وغير صالحة
بالنسبة للدنيا كرؤيا يوم احد انتهى والمراد بالصادقة التى لا كذب فيها
اذ لم يكن ضغثا ولا من تلبيس شيطان ﴿الجلية﴾ الظاهرة بحيث لم تكن
تحتاج الى تعبير وتأويل وهى من أقسام الوحى فيطلع الله النائم على ما جهله
من معرفة الله سبحانه وتعالى والكائن فى يقظته ولذا كان صلى الله عليه
وسلم اذا اصبح سأل أصحابه هل رأى أحد منكم رؤيا هذه الليلة وذلك لانها
آثار نبوته فى الجملة كما ورد فكان صلى الله عليه وسلم يحب ان يشهدها فى أمته
وهى باقية لامته صلى الله عليه وسلم قال صلى الله عليه وسلم الرؤيا الصادقة
وفى البخارى الحسنة أى الصادقة من الرجل الصالح جزء من ستة وأربعين
جزأ من النبوة قال بعضهم لان النبوة بالوحى والرؤيا ثلاث وعشرون سنة
والرؤيا منها نصف سنة وما ذكر من السنين لو قسم انصافا لكان ستة
وأربعين نصفا ونسبة الرؤيا لذلك جزء من ستة وأربعين جزأ وحينئذ يكون
المعنى ورؤيتى جزء من ستة وأربعين جزأ من نبوتى ولا يخفى ان هذا

لا يناسب الرؤيا الصالحة من الرجل الصالح اذ هو يقتضي ان مطلق الرؤيا الصالحة جزء من مطلق النبوة الشامل لنبوته ونبوة غيره فتأمل قال الحلبي في انسان العيون ولم أقف في كلام أحد على مشاركة أحد من الانبياء له صلى الله عليه وسلم في هاتين المدتين انتهى أى مدتي الوحي والرؤيا وعليه تحمل الخصوصية التي ادعاها بعضهم والا فقد جاء أول ما يؤتى به الانبياء في المنام حتى تهدأ قلوبهم ثم ينزل الوحي أى في اليقظة ومما يدل على ان المراد مطلق الرؤيا ومطلق النبوة لا خصوص رؤياه ونبوته صلى الله عليه وسلم ما جاء و ذلك من الالفاظ التي بلغت خمسة عشر لفظا ففي رواية انها جزء من سبعين جزأ وفي رواية من أربعة وأربعين وفي رواية من خمسين وفي رواية من تسعة وأربعين وفي أخرى من أربعة وعشرين فذلك باعتبار الاشخاص لتفاوت مراتبهم في الرؤيا وذكر الحافظ ابن حجر ان أصح الروايات مطلقا رواية ستة وأربعين ويليها رواية جزء من سبعين فعلم ان الرؤيا المذكورة جزء من مطلق النبوة أى كجزء منها من جهة الاطلاع على بعض الغيب فلا ينافي انقطاع النبوة بموته صلى الله عليه وسلم ومن ثم جاء ذهبت النبوة أى لا توجد بعدي وبقيت المبشرات أى المرائي وفي لفظ لم يبق الا الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له لا يقال الرؤيا الصادقة تكون من الكافر أوله وهو خارج بالرجل الصالح وبالمسلم لانا نقول لو فرض وقوع ذلك كان استدراجا وفيه امام ادقة وظاهر سياق الحديث الحصر وقد تكون الرؤيا مبشرة بخير بعاجل أو آجل تكون منذرة بشر كذلك وقال سعيد بن جبير ان الله يقبض أرواح الاموات اذا ماتوا وارواح الاحياء اذا ناموا فتتعارف ما شاء الله أى فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الاخرى اى يعيدها قال علي كرم الله وجهه فما رأته نفس النائم وهي في السماء قبل ارسالها فهي الرؤيا الصادقة وما رأته بعد ارسالها فهي الرؤيا الكاذبة لانها من القاء الشيطان والشرور وعدم تعدد الروح في كل بيت وصرح العز بن عبد السلام بأن في كل جسد روحين أحدهما روح اليقظة التي أجرى الله العادة بانها اذا كانت في الجسد كان الانسان مستيقظا فاذا خرجت منه نام ورأت تلك الروح المنامات

والاخرى روح الحياة التى أجرى الله العادة بانها اذا كانت فى الجسد كان حيا فاذا فارقته مات وهاتان الروحان فى باطن الانسان لا يعرف مقرهما الامن أطلعه الله تعالى على ذلك وجاء الرؤيا الحسنة من الله والسيئة من الشيطان أى بالنسبة الينا فلا ينافى ماوقع له صلى الله عليه وسلم عند خروجه لغزوة أحد اذليس للشيطان عليه سبيل وانما لم يعدل عنه وان وافقه على العدول أكابر المهاجرين والانصار لانه مأمور بالجهاد خصوصا وقد فجأهم العدو ورأى تصميم بعض الاصحاب على الخروج ووافقهم على ذلك بعض الاكابر من المهاجرين كحمزة والانصار كابن عبادة فترجح عنده رأيهم وان كرهه ابتداء ليقضى الله أمرا كان مفعولا وتقدم عن صاحب المواهب ان رؤيا الانبياء قد تكون غير صالحة بالنسبة للدنيا كهذه قال صلى الله عليه وسلم فاذا رأيت الرؤيا تكرهها فاستعذ بالله من الشيطان واتفل عن يسارك ثلاث مرات فانها لا تضرك وفى رواية اذا رأى أحدكم مايكره فليعذ بالله من شرها ومن شر الشيطان كان يقول أعوذ بالله من شر ما رأيت ومن شر الشيطان وليتفل ثلاثا ولا يحدث بها أحدا فانها لا تضره وحكمة التفل احتقار الشيطان واستقذاره زاد فى رواية وأن يتحول عن جنبه الذى كان عليه زاد فى أخرى وليقم فليصل أى فيكون فعل ذلك سببا للسلامة من المكروه الذى رآه ﴿فكان﴾ صلى الله عليه وسلم ﴿لا يرى﴾ فى المنام ﴿رؤيا﴾ قال العلقمى كثر كلام الناس فى حقيقة الرؤيا والصحيح قول أهل السنة ان الله تعالى يخلق فى قلب النائم اعتقادات كما يخلقها فى قلب اليقظان وفسرها بعضهم بأمثلة يدركها الرائى بجزء من القلب لم تستول عليه آفة النوم واذا ذهب النوم عن أكثر القلب كانت الرؤيا أصفى وهذا فى غير الانبياء أوهو بالنظر الى مطلق قلب بقطع النظر عن كونه قلب نبى اما الانبياء عليهم الصلاة والسلام فالنوم لا يستولى على قلوبهم ولا على جزء منها ومن ثم جاء فى الحديث نحن معاشر الانبياء تنام أعيننا ولا تنام قلوبنا فلذا كان صلى الله عليه وسلم لا يرى شيأ فى المنام ﴿الا جاءت﴾ مجيئا أو حال كونها فى اليقظة واضحة ﴿مثل﴾ بالنصب على الحال من فاعل جاءت

أى شبه ﴿فلق﴾ بفتح أوله فقاف آخره أى ضوء كما فى شرح البخارى
للبرماوى ﴿الصبح﴾ وهو المنتشر فى الافق معترضا أول النهار ﴿ضياء﴾
وأضاءه بمعنى نور أى كضيائه وانارته وكما لا يشك فى ضياء الصبح ونوره
لا يشك فى صدق رؤيا النبى صلى الله عليه وسلم ووضوحها قال البيضاوى
شبه ما جاءه فى اليقظة ووجده فى الخارج طبقا لما رآه فى المنام بالصبح
فى انارته ووضوحه والفلق الصبح لكنه لما استعمل فى هذا المعنى وغيره
اضيف اليه للتخصيص والبيان اضافة العام للخاص ولا يخفى ما فى التشبيه
من المناسبة الظاهرة من حيث ان شمس النبوة قد كانت فى مبادى
أنوارها الرؤيا الى ان ظهرت أشعتها وتم نورها والى تلك المناسبة أشار
المصنف رحمه الله بقوله ﴿سناه﴾ مقصورا أى نوره لان رؤياه صلى الله
عليه وسلم وحى وصدق وحق لا اضغاث احلام ولا تخييل من الشيطان اذ
لا سبيل له عليه لان قلبه نورانى فما رآه فى المنام له حكم اليقظة فجميع
ما يطلع فى عالم مثاله لا يكون الا حقا وكذا سائر الانبياء والمرسلين صلوات
الله وسلامه عليهم أجمعين ثم استشعر المصنف رحمه الله تعالى هنا سؤالا
وهو بان قيل لم لم يكن مجىء الملك ابتداء فقال ﴿وانما ابتدى﴾ صلى
الله عليه وسلم بضم المثناة وكسر المهملة ﴿بالرؤيا﴾ المنامية ﴿تمرينا﴾
تعويدا ﴿للقوة البشرية﴾ وتوطئة وتمهيدا لمقابلة الملك ومواجهته فى
اليقظة فان رؤيته لا يطيقها الا الاقوياء من البشر كالانبياء عليهم الصلاة
والسلام لكمال قواهم الظاهرة والباطنة ولذا ابتدى أيضا فى اليقظة
برؤية الضوء وسماع الصوت وسلام الحجر ﴿لئلا يفجأه﴾ يأتيه بغتة
بسرعة ﴿الملك﴾ بفتح اللام جبريل اتفاقا قال الزرقانى واللام لتعريف
الماهية لا للعهد اذ ليس المراد ما عهده عليه الصلاة والسلام لما كلمه فى
صباه أو اللفظ لعائشة وقصدت ما عهده من خاطبه به اذ لم يتقدم له
معرفة به ولان عائشة حكت ما سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى
مع بعض تصرف ﴿بصريح النبوة﴾ فتأتيه ﴿اذ﴾ انه لو أتاه بها
ابتداء بصريحها ﴿لا تقواه﴾ تطيقه ﴿قواه﴾ بضم القاف
وكسرها جمع قوة ضد الضعف ﴿وحبب﴾ مبنى بالمبنى لما لم يسم فاعله

لعدم تحقق الباعث على ذلك وان كان كل من عند الله أو تنبيها على انه لم يكن من باعث البشر ﴿اليه﴾ صلى الله عليه وسلم ﴿الخلاء﴾ ممدودا الخلوة وهو المكان الذي ليس به أحد لما يحصل فيها من فراغ القلب لما يتوجه له قال بعضهم وهذا هو أصل الخلوة الواقعة من أهل السلوك ومن ثم قيل الخلوة صفوة الصفوة ﴿فكان﴾ صلى الله عليه وسلم ﴿يتعبد﴾ بكثرة العبادة لربه بشريعته أو شريعة ابراهيم أو موسى أو عيسى أو نوح أو آدم أو من قبله دون تعيين أو بجميع الشرائع ونسب للمالكية أو الوقف أقوال وقال في الفتح ولم يأت التصريح بصفة تعبده لكن في رواية عبيد بن عمير بن اسحق فيطعم من يرد عليه من المساكين وجاء عن بعض المشايخ انه كان يتعبد بالتفكر ويحتمل اطلاق التعبد على الخلوة فان العزلة عن الناس عبادة خصوصا عن الكفار * قال العلامة ابن حجر في أشرف الوسائل واعلم انه قد اختلفوا هل كان صلى الله عليه وسلم قبل النبوة متعبدا بشرع من قبله قال الجمهور لا والاشبه ولو أمكن كتمه عادة ولانه يبعد أن يكون متبوعا من عرف تابعا وقال امام الحرمين بالوقف والقول بانه كان في شريعة ابراهيم وليس له شرع ينفرد به بل المقصد من بعثه احياء شرع ابراهيم لقوله تعالى أن اتبع ملة ابراهيم حماقة وجهالة اذ المراد به الاتباع في أصل التوحيد كما في قوله تعالى فبهداهم اقتده اذ شرائعهم مختلفة لا يمكن الجمع بينها ولم يبق الا ما أجمعوا عليه من التوحيد ومعنى متابعتهم في التوحيد المتابعة في كيفية الدعوى اليه بطريق الرفق وايراد الادلة مرة بعد أخرى على ما هو المألوف والمعروف في القرآن والمبالغة في التوكل والاخلاص ونفي السمعة والرياء والالتجاء الى المولى قال بعضهم والظاهر انه صلى الله عليه وسلم كان متعبدا بالعبادات الباطنة من الاذكار القلبية والافكار في الصفات الالهية والاخلاق السنية والشمائل البهية من الرحمة على الضعفاء والشفقة على الفقراء والتحمل من الاعداء والصبر على البلاء والشكر على النعماء والرضا بالقضاء والتسليم والتفويض والتوكل على رب الارض والسماء والتحقق بحال الفناء ومقام البقاء على ما يكون منتهى حال كمل الاولياء

والاصفياء ولما قيل بداية الانبياء نهاية الاولياء واما قاله بعضهم من
أن بداية الولي نهاية النبي فانما هو باعتبار التكليف الشرعية من الاوامر
الفرضية والزواجر المرعية فما لم يتصف السالك بما انتهى اليه أمر نبيه
صلى الله عليه وسلم لم يدخل في باب الولاية ولا يكون له حظ من حسن
الرعاية وحفظ الحماية انتهى وجاء عن عمرو بن شرحبيل أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال لخديجة رضي الله عنها اذا خلوت وحدي سمعت نداء يا محمد
يا محمد وفي رواية أرى نورا أي يقظة لا مناما وأسمع صوتا ولقد خشيت أن
يكون والله لهذا أمر وفي رواية والله ما أبغضت بغض هذه الاصنام شيأ
قط ولا الكهان واني لاخشى أن أكون كاهنا أي فيكون الذي
يناديني تابعا من الجن لان الاصنام كانت الجن تدخلها وتخاطب سدنتها
والكاهن يأتيه الجن بخبر السماء وفي رواية وأخشى أن يكون بي جنون
أي لمم من الجن فقالت خديجة كلا يا ابن عم ما كان الله ليفعل ذلك بك
انك لتؤدي الامانة وتصل الرحم وتصدق الحديث وفي رواية ان خلقك
كريم فلا يكون للشيطان عليك سبيل استدلت رضي الله تعالى عنها بما
فيه من الصفات العلية والاخلاق السنية على أنه لا يفعل به الا خيرا لان
من كان كذلك لا يجزى الا خيرا وسيأتي ان ذلك كان قبل مجيء جبريل
له بالنبوة والا لما كان يقول لخديجة ما تقدم وعلى هذا فهل كان هذا الصوت
صوت جبريل أو اسرافيل كل محتمل وعلى تعيين أحدهما يحتاج لدليل
ولم أره ويدل لما تقدم ما قيل انه صلى الله عليه وسلم مكث خمس عشرة سنة
يسمع الصوت احيانا ولا يرى شخصا وسبع سنين يرى نورا ولا يرى شيأ غير
ذلك وسيأتي عن الشعبي رحمه الله تعالى ان اسرافيل اقترن بنبوته ثلاث
سنين فكان يعلمه الكلمة والشيء الحديث وكان يتعبد صلى الله عليه وسلم
(في) غار أي نقب بجبل ﴿حراء﴾ بكسر الحاء المهملة وتخفيف
الراء وبالمد وحكى الاصيلي فتحه والقصر وعزاها في القاموس للقاضي
عياض وهو مصروف ان أريد المكان وممنوع ان أريد البقعة فهي أربعة
التذكير والتأنيث والمد والقصر جبل بينه وبين مكة نحو ثلاثة أميال على
يسار الذاهب الى منى وهو الجبل الذي نادى رسول الله صلى الله عليه وسلم

بقوله الى يارسول الله لما قال له ثبير وهو على ظهره اهبط عنى يارسول الله فانى أخاف أن تقتل على ظهرى فاعذب وزعم الخطابى خطأ المحدثين فى قصره وفتح هائه والاربعة فى قبا وجمعها بعضهم فى قوله

حرا وقبا ذكر وانثهما معا * ومد واقصر واصرفن وامنع الصرفا

﴿الليالى﴾ منصوب على الظرفية متعلق بقوله يتعبد وهى جمع ليل على غير قياس والليل واحد بمعنى جمع واحده ليلة كتمر وتمرة وهو من غروب الشمس الى طلوع الفجر وقيل الى طلوع الشمس ﴿العددية﴾ المعدودة مع أيامها وانما غلب الليالى لانها أسبق وابهام العدد لاختلافه بالنسبة الى المدة فتارة كان ثلاث ليال وتارة سبع ليال وتارة شهر رمضان وفى كلام بعضهم ماقد يدل على انه لم يختل أقل من الشهر وحينئذ يكون قوله الليالى العددية أى ذوات العدد محمولا على القدر الذى كان صلى الله عليه وسلم يتزود له فاذا فرغ زاده رجع الى مكة وتزود الى غيرها الى أن يتم الشهر وقال غيره ولم يصح انه صلى الله عليه وسلم اختلى أكثر من شهر وكان تزوده صلى الله عليه وسلم من الكعك والزيت وفيه ان الزيت والكعك يبقى المدة الطويلة فيمكث جميع الشهر الذى يختلى فيه فلعله كان يفرغ قبل فراغ المدة باطعامه المساكين الواردين عليه وانما اختار صلى الله عليه وسلم الزيت للادم لان دسومته لا ينفر منها الطبع ومن ثم جاء ائتدموا بالزيت وادهنوا به فانه يخرج من شجرة مباركة وعن عبيد بن عمير رضى الله عنه كان صلى الله عليه وسلم يجاور فى حراء كل سنة شهرا وكان ذلك مما يتحنث فيه قريش فى الجاهلية أى المتألهون منهم وكان أول من تحنث فيه من قريش جده عبد المطلب كما تقدم فقد قال ابن الاثير أول من تحنث بحراء عبد المطلب كان اذا دخل شهر رمضان صعد حراء وأطعم المساكين ثم تبعه على ذلك من كان يتأله أى يتعبد كورقة بن نوفل وأبى أمية ابن المغيرة وقد أشار الى تعبده صلى الله عليه وسلم صاحب الهمزية بقوله

ألف النسك والعبادة والخلوة طفلا وهكذا النجباء
واذا حلت الهداية قلبا * نشطت فى العبادة الاعضاء

أى ألف العبادة والخلوة فى حال كونه طفلا ومثل هذا الشأن اعلى شأن الكرام وانما كان هذا شأن الكرام لانه اذا حلت الهداية قلبا نشطت الاعضاء فى العبادة لان القلب رئيس البدن المعول عليه فى صلاحه وفساده ولعل الخلوة فى كلام الناظم المراد بها مطلق اعتزاله عن الناس وأراد بطفلا من رضاعه صلى الله عليه وسلم عند حليمة فقد تقدم عنها رضى الله عنها انها قالت لما ترعرع رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخرج الى الصبيان وهم يلعبون فيتجنبهم لا خصوص اعتزاله الناس فى غار حراء فلا ينافى قوله طفلا نظرا لما تقدم من أن خلوته صلى الله عليه وسلم بغار حراء كانت فى زمن تزوجه بخديجة رضى الله عنها ولم يكن جواره بحراء لطلب النبوة لانها أجل من ان تنال بالطلب والاكتساب وانما هى موهبة من الله وخصوصية يخص بها من يشاء من عباده والله أعلم حيث يجعل رسالته قال الابوصيرى

تبارك الله ما وحى بمكتسب * ولا نبى على غيب بمتهم

وقال اللقانى

ولم تكن نبوة مكتسبه * ولو رقى فى الخير أعلى عقبه

وقد علمت مما تقدم انه كان يتعبد بحراء فى شهر رمضان كما رواه ابن اسحق فلم يزل صلى الله عليه وسلم مستمرا على ذلك ﴿الى أن أتاه﴾ بغتة ﴿فيه﴾ أى الغار المذكور غاية لقوله يتعبد ﴿صريح الحق﴾ أى الحق الصريح الواضح البين الخالص وهو الوحى بواسطة جبريل ﴿ووافاه﴾ أى أتاه بالقرآن العظيم عيانا ﴿وذلك﴾ أى اتيان الحق ﴿فى يوم الاثنين﴾ ويشهد له ما رواه مسلم عن أبى قتادة انه صلى الله عليه وسلم سئل عن يوم الاثنين فقال فيه ولدت وفيه أنزل على القرآن أول ليلة ذلك اليوم لكن وقت السحر كما فى بعض الروايات وقد جاء ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لبلال لا يفوتك صوم يوم الاثنين لانى ولدت فيه فلا مخالفة بين كونه فى اليوم لان وقت السحر قد يلحق بالليل وفى كلام بعضهم أتاه جبريل ليلة السبت وليلة الاحد ثم ظهر له بالرسالة يوم الاثنين ﴿لسبع عشرة﴾ ليلة ﴿خلت﴾ أى مضت ﴿من شهر﴾ رمضان شهر ﴿الليلة

القدرية﴾ التسمية القدر لوقوعه في ذلك الشهر غالبا كما رواه ابن سعد واقتصر عليه القسطلاني في ارشاده وانقدرية بسكون الدال نسبة للقدر الذي هو مصدر قدر يقدر واما القدر بفتحها فهو اسم مصدر قال الواحدي القدر في اللغة بمعنى التقدير وهو جعل الشئ على مساواة غيره من غير زيادة ولا نقصان والمراد به ما يمضيه الله من الامور لان هذه الليلة تقدر فيها الامور أي يقدر فيها ما يكون في تلك السنة من مطر ورزق واحياء واماتة وغير ذلك الى مثلها من السنة الآتية وهي التي يفرق فيها كل أمر حكيم على الصحيح لا ليلة النصف من شعبان ﴿وثم﴾ بفتح الثاء المثلثة أى هنالك ﴿أقوال﴾ غير ذلك فقيل انه وافاه جبريل ﴿لسبع﴾ وعشرين من رمضان وقيل بل ﴿لاربع وعشرين مضت﴾ أي من رمضان واستدل القائل بهذا بما رواه أحمد وابن جرير والطبراني والبيهقي عن واثلة مرفوعا أنزلت صحف ابراهيم في أول ليلة من رمضان وأنزلت التوراة است مضين من رمضان وأنزل الانجيل لثلاث عشرة خلت من رمضان وأنزل القرآن لاربع وعشرين من رمضان ثم القول بأن البعث في رمضان هو قول الاكثر والمشهور عند الجمهور قاله الحافظان ابن كثير وابن حجر وصححه الحافظ العلائي وممن قال به الامام الصرصري رحمه الله تعالى حيث قال

وأتت عليه أربعون فاشرقت * شمس النبوة منه في رمضان

واحتجوا بأن أول ما أكرمه الله بنبوته أنزل عليه القرآن وأجيب بأن المراد بنزول القرآن في رمضان نزوله جملة واحدة في ليلة القدر الى بيت العزة في سماء الدنيا ولا مانع من أن يكون أنزل القرآن في ليلة الرابع والعشرين في سماء الدنيا ثم أنزل في صبيحة يومها الى الارض أول اقرأ باسم ربك ﴿أو﴾ كما قيل ﴿لثمان﴾ خلت ﴿من﴾ شهر ربيع الاول عزى هذا القول في المواهب لابن عبد البر والمسعودي قال يوم الاثنين لثمان من ربيع الاول سنة احدى وأربعين من عام الفيل زاد الشارح وبه صدر ابن القيم وعزاه للاكثرين ثم حكى انه في رمضان عكس النقل الاول واطلاق المؤلف الشهر يحتمله على بعد كما سيأتي وقال بعضهم القول

بأنه فى ربيع الاول يوافق القول بانه بعث على رأس الاربعين لان مولده صلى الله عليه وسلم كان فى ربيع الاول على الصحيح انتهى وعليه فالقول بأنه فى رمضان يوافق القول بأنه أنزل عليه الوحى وهو ابن أربعين ونصفا اوالا نصفا وكلام المكاى يؤذن بأنه ولد فى رمضان وبه جزم الزبير بن بكار وهو شاذ كما تقدم ونقله عن ابن عمر غير صحيح وجمع بين القولين بما فى حديث عائشة رضى الله عنها أول مابدئ به من الوحى الرؤيا الصالحة وحكى البيهقى ان مدتها ستة أشهر فيكون الرؤيا فى ربيع الاول ثم أتاه جبريل فى رمضان وحمل عليه بعضهم الرؤيا جزء من ستة وأربعين جزأ كما تقدم بما فيه وقولنا مدة الوحى ثلاث وعشرون سنة لا ينافيه ان الفترة لم ينزل فيها قرآن بعد نزول اقرأ ثلاث سنين لانه نزل قبلها أول اقرأ لصدق انه نزل فى ثلاث وعشرين سنة لانه لم يقل كان ينزل عليه كل يوم ولا كل شهر وقيل نزل فى عشرين بناء على انه عاش ستين سنة أو على الغاء الفترة وقيل الثلاث ربيع الاول ﴿شهر مولده﴾ صلى الله عليه وسلم ﴿الذى﴾ ولد فيه ﴿وبدا﴾ ظهر ﴿فيه بدر محياه﴾ نور وجهه الشريف المشبه بالقمر ليلة البدر أبهم المصنف رحمه الله شهر المولد وسياق كلامه ان المراد ربيع الاول وهو الظاهر لما مر عن المواهب ويمكن على بعد حمله على رمضان لما تقدم فى قول من انه ولد لثمان خلت من شهر رمضان وقيل كان ذلك ليلة أو يوم السابع والعشرين من رجب فقد أورد الحافظ الدمياطى فى سيرته عن أبى هريرة رضى الله عنه قال من صام يوم سبع وعشرين من رجب كتب الله له صيام ستين شهرا وهو اليوم الذى نزل فيه جبريل على النبى صلى الله عليه وسلم بالرسالة وأول يوم هبط فيه جبريل قال فى انسان العيون أى أول يوم هبط فيه جبريل على النبى صلى الله عليه وسلم ولم يهبط عليه قبل ذلك انتهى وهذا ان أراد الاولية المطلقة فظاهر لكن يحتاج الى توقيف وان أراد هبوطه عليه بعد الاربعين كما هو المتبادر من موضوع الكلام ففيه نظر ﴿فقال له اقرأ﴾ يحتمل أن يكون هذا الامر لمجرد التنبيه والتيقظ لما سيلقى اليه أى تهيأ للقراءة وتفرغ لها وان يكون على بابه من الطلب فيستدل به على تكليف مالا يطاق فى الحال وان قدر عليه

بعد ذلك كقول المعلم لمن يعلمه ترتيب واقرأ ويحتمل ان تكون صيغة الامر محذوفة أى قل اقرأ والسر فى حذفها لئلا يتوهم ان لفظ قل من القرآن قاله الحافظ وهل سلم قبل قوله اقرأ أم لا وهو الظاهر لان المقصود حينئذ تفخيم الامر وتهويله وطلب الابتداء بالسلام متعلق بالبشر لا الملائكة وتسليمهم على ابراهيم لانهم كانوا فى صورة البشر فلا يرد هنا ولا سلامهم على أهل الجنة لان أمور الآخرة مغايرة لامور الدنيا غالبا نعم فى رواية الطيالسى ان جبريل سلم اولا وهذا هو اللائق بالمقام تلطفا به صلى الله عليه وسلم لاتم و بلا و تحذيفا اذا التهويل والتخويف انما ينشأ منه التنفير عن الامر المطلوب له والرفق واللطف داع للاقبال على ما هو مطلوب منه ﴿فقال﴾ كذا فى رواية أبى ذر فى البخارى وفى بدء الوحى بدون فاء ﴿ما أنا بقارئ﴾ كذا فى البخارى وعند غيره ما أحسن ان اقرأ وفى رواية كيف أقرأ وفى آخرى ماذا أقرأ فما استفهامية وضعف كونها للاستفهام بدخول الباء الزائدة فى خبرها اذ ما قبلها مثبت ولا تزاد الباء الا فى النفى واجيب بأن الاخفش جوز زيادتها فى الخبر المثبت وجزم به ابن مالك فى بحسبك زيد فجعل الخبر حسبك والباء زائدة أو ان اثباتها فيه لشاكلة ما قبلها بناء على انه قال ما أنا بقارئ ثلاث مرات على انها فى الاولى للنفى المشوب بالامتناع فكأنه قال القراءة منفية عنى وانا ممتنع منها أيضا وفى الثانية للنفى المحض وفى الثالثة للاستفهام * قال فى المواهب فان قلت لم كرر قوله ما أنا بقارئ ثلاثا أجاب أبو شامة كما فى فتح البارى بأنه يحمل قوله اولا على الامتناع وثانيا على الاخبار بالنفى المحض وثالثا على الاستفهام انتهى وقد أشار بعضهم لذلك بقوله

وقول طه ما أنا بقارى * ثلاثة صلى عليه البارى
للنع فى الاولى ونفى ثانيه * وما للاستفهام ذين تاليه

وقيل انها للنفى فى الجميع فاخذه ﴿فغطه﴾ ضمه وعصره وسيأتى عن الحافظ ابن حجر ان هذا من خصائصه صلى الله عليه وسلم وفى رواية فغته بمثناة فوقية وفى رواية اخذ بحلقى ﴿غطة قويه﴾ أى شديدة أى حتى بلغ منه الجهد النبوة فى رواية بدء الوحى ﴿ثم﴾ ارسله و ﴿قال له اقرأ﴾

أى مرة ثانية ﴿فقال ما أنا بقارئ فغطنى﴾ مرة ﴿ثانية حتى بلغ﴾ وصل الملك او الغط ﴿منه﴾ صلى الله عليه وسلم ﴿الجهد﴾ أى القوة قال الحافظ روى بالفتح والنصب أى بلغ الغط منه غاية الوسع وروى بالضم والرفع أى بلغ منه الجهد مبلغه وما اشار اليه الحافظ من كون الفاعل ضميرا عائدا على الغط على رواية نصب الجهد احد احتمالين ثانيهما ان الفاعل ضمير عائد على الملك كما صرح به الشنوانى فى حواشيه على المختصر والاحتمال الثانى اولى لما يلزم على الاحتمال الاول من تشتيت الضمائر ﴿ثم قال له﴾ مرة ثالثة ﴿اقرأ فقال ما أنا بقارئ﴾ أى حكمى كسائر الناس من ان حصول القراءة انما هو بالتعلم وعدمه بعدمه فلذا كرر غطه ليخرجه عن حكم سائر الناس و يستفرغ منه البشرية و يفرغ فيه من صفات الملائكة قال الطيبى قال الحافظ لعل الحكمة فى تكرير اقرأ الاشارة الى انحصار الايمان الذى ينشأ عن الوحى فى القول والعمل والنية وان الوحى يشتمل على التوحيد والاحكام والقصص ﴿فغطه﴾ مرة ﴿ثالثة﴾ والحكمة فى الغط ثلاثا شغله عن الالتفات لشئ آخر واظهار الشدة والجد فى الامر قال السهيلى ان فى ذلك الغط ثلاثا اشارة الى انه صلى الله عليه وسلم يحصل له شدائد ثلاثة ثم يحصل له الفرج بعد ذلك فكانت الاولى ادخال قريش له الشعب والتضييق عليه والثانية اتفاقهم على الاجتماع على قتله والثالثة خروجه صلى الله عليه وسلم من أحب البلاد اليه ﴿ليتوجه﴾ النبى صلى الله عليه وسلم ويقبل ﴿الى ما سيلقى اليه﴾ من ثقل الوحى الذى فيه التكاليف الثقيلة على المكلفين ﴿بجمعيته﴾ باحضار القلب وسائر الحواس الظاهرة والباطنة ﴿و يقابله﴾ أى يواجهه ﴿بجد واجتهاد و يتلقاه﴾ كما قال تعالى للسيد يحيى صلوات الله وسلامه عليه وعلى نبينا يا يحيى خذ الكتاب بقوة ثم أرسله الملك فى المرة الثالثة فقال اقرأ باسم ربك الذى خلق حتى بلغ ما لم يعلم فرجع بها ترجف بوادره وهى اللحمة بين العنق والمنكبين وفى رواية فؤاده أى قلبه أو باطنه او غشاؤه ولا مانع من اجتماع الامرين لان تحرك البادرة ينشأ من فزع القلب حتى دخل على خديجة فقال زملونى زملونى أى غطونى بالثياب فزملوه حتى

ذهب عنه الروع ثم أخبرها الخبر وقال لقد خشيت على نفسي وفي رواية على عقلي قالت له خديجة كلا ابشر فوالله لا يخزيك الله أبدا انك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق وقد اختلفوا في معنى قوله صلى الله عليه وسلم لقد خشيت على نفسي على اثني عشر قولا منها انه ليس المراد بالخشية الشك فيما أتاه الله من النبوة بل المراد والله أعلم ان قوته لا تقاوم ولا تحتمل اعباء الوحي بناء على انه قال ذلك بعد لقاء الملك وارساله اليه بالنبوة فان للنبوة أثقالا لا يستطيع حملها الا أولوا العزم من الرسل واليه ذهب القاضي عياض ومنها واليه ذهب الحافظ ابن حجر ان المراد بالخشية الموت أو المرض أو دوام المرض قال وهذا أولى الاقوال بالصواب وأسلمها من الارتياب قال في انسان العيون هذا كلامه أي الحافظ فليتأمل مع رواية خشيت على عقلي انتهى ثم في بعض الروايات انها انطلقت به الى ورقة بن نوفل وكان شيخا كبيرا قد عمي وهو ممن تنصر وعرف الانجيل كما في المنح وفي بعضها انطلقت به الى عداس وكان راهبا شيخا كبيرا وقع حاجباه على عينيه من الكبر لا العداس الذي كان غلاما لعتبة بن ربيعة ووقوع ذلك في كلام بعضهم انما حصل من اشتراكهما في الاسم والبلد والدين فانهما كانا نصرانيين من نينوا ونقل في انسان العيون عن أبي دحية ما يقتضي انهما كانا غلامين لعتبة المذكور وتعقبه بقوله ولا يخفى ان هذا اشتباه وقع من بعض الرواة بلا شك انتهى ويجمع بأنها ذهبت به اولا الى عداس ثم انطلقت به الى ورقة بن نوفل فقالت له اسمع من ابن أخيك فأخبره صلى الله عليه وسلم مارأى فقال هذا الناموس الذي أنزل الله على موسى باليتني فيها أي ملتك جذعا أي شابا بالغا في نصرك اذ يخرجك قومك قال أومخرجي هم قال نعم لم يأت رجل قط بما جئت به الا عودي الحديث وعد الحافظ ابن حجر هذا الغط من خصائصه صلى الله عليه وسلم اذ لم ينقل عن أحد من الانبياء انه جرى له عند ابتداء الوحي مثله وقد روى أن جبريل عليه السلام بدا له في أحسن صورة وأطيب رائحة فقال يا محمد ان الله يقرئك السلام و يقول لك أنت رسول الله الى الجن والانس وسياق

ما تقدم انه جاءه في اليقظة عيانا وقيل وهو نائم ويأتي الجمع بينهما فقد روى
انه قال صلى الله عليه وسلم فجاءني وأنا نائم بنمط وهو ضرب من البسط وفي
رواية بنمط من ديباج فيه كتاب أي كتابة فقال اقرأ فقلت ما أنا بقارئ
أي أنا أمي لا أحسن القراءة فغطني به أي غمني بذلك النمط بأن جعله على
فمه وأنفه قال حتى ظننت انه الموت ثم أرسلني فقال اقرأ من غير هذا
المكتوب فقلت ماذا أقرأ ما أقول ذلك الا افتداء منه أي تخلصا منه أن
يعود الى مثل ما صنع أي انما استفهمت عما أقرأ ولم أنف خوفا أن يعود لي
بمثل ما صنع عند النفي وفي رواية فقلت والله ما قرأت شيئا قط وما أدري
شيئا أقرأه أي الى ما قرأت شيئا فهو من عطف السبب على المسبب قال اقرأ
باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق الى ما لم يعلم فقرأته ثم انصرف
عني وهببت أي استيقظت من نومي فكأنما كتب في قلبي كتابا أي استقر
ذلك في قلبي وحفظته ولا يخفى ان ما تقدم عن بعضهم وهو انه جاءه ليلة السبت
وليلة الاحد ثم ظهر له يوم الاثنين محتمل لان يكون أتاه بذلك النمط ليلة
السبت وليلة الاحد وهو نائم يوم الاثنين وهو نائم لا يقظة أوله ثم هببت من
نومي ولا ينافي ذلك قوله ثم ظهر له بالرسالة أي أعلمه بما يكون سببا للرسالة
الذي هو اقرأ الحاصل في اليقظة وحينئذ يكون تكرر مجيئه والسبب في
استقرار ذلك في قلبه صلى الله عليه وسلم وفي سيرة الشامي ما يقتضي ان مجيء
جبريل له بالنمط كان قبل دخوله حراء وفي سفر السعادة ما يقتضي انه جاءه
بالنمط يقظة في حراء ونصه فبينما هو في بعض الايام قائم على جبل حراء اذ ظهر
له شخص وقال ابشر يا محمد انا جبريل وانت رسول الله الى هذه الامة ثم أخرج
له قطعة نمط من حرير مرصعة بالجواهر ووضعها في يده وقال اقرأ قال والله
ما أنا بقارئ ولا أرى في هذه الرسالة كتابة أي لا أعلم ولا أعرف المكتوب
ثم قال فضمني اليه وغطني حتى بلغ مني الجهد ففعل بي ذلك ثلاثا وهو يأمرني
بالقراءة ثم قال اقرأ باسم ربك هذا كلامه فليتأمل وفي رواية قال صلى الله
عليه وسلم خرجت أي من الغار لا ذلك قبل مجيء جبريل عليه السلام
اليه صلى الله عليه وسلم باقرأ خلافا لما يقتضيه السياق حتى اذا كنت في وسط
من الجبل أي في جانب منه سمعت صوتا من السماء يقول يا محمد انت رسول

الله وانا جبريل فوقفت انظر اليه فاذا جبريل على صورة رجل صاف قدميه
وفي رواية واضع احدى رجليه على الاخرى في أفق السماء أي نواحيها
يقول يا محمد انت رسول الله وأنا جبريل فوقفت أنظر اليه فما أتقدم وما
أتأخر وجعلت أصرف وجهي عنه في أفق السماء فلا أنظر في ناحية منها
الا رأيته كذلك فمازلت واقفا ما أتقدم امامي ولا أرجع ورائي حتى بعثت
خديجة رسلها في طلبي فبلغوا مكة ورجعوا اليها وانا واقف في مكاني ذلك
ثم انصرف عني وانصرفت راجعا الى أهلي حتى أتيت خديجة أي في الغار
فجلست الى فخذها مضيفا اليها أي مستندا اليها فقالت يا أبا القاسم
أين كنت فوالله بعثت رسلي في طلبك فبلغوا مكة ورجعوا وهذا يدل على
ان خديجة رضي الله عنها كانت معه صلى الله عليه وسلم بغار حراء
وقد يخالف ذلك ما تقدم وما روي ان خديجة صنعت طعاما ثم ارسلته الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم تجده بحراء فأرسلت في طلبه الى بيت
أعمامه واخواله فلم تجده فشق ذلك عليها فبينا هي كذلك اذ أتاها
بخبر ذهابه بغار أي وسمع ويجمع بأنها كانت تذهب اليه صلى الله عليه وسلم
احيانا واحيانا يأتيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحيانا كانت تبعث
اليه بالطعام واحيانا كان صلى الله عليه وسلم يأتي اليها فيتزود من عندها
قال صلى الله عليه وسلم ثم حدثتها بالذي رأيت أي من سماع الصوت
ورؤيته جبريل وقوله له يا محمد انت رسول الله فقالت ابشر يا ابن عم واثبت
فوالذي نفسي بيده اني لارجو أن تكون نبي هذه الامة ثم قامت فجمعت
عليها ثيابها أي التي تتجمل بها عند الخروج ثم انطلقت الى ورقة بن
نوفل فأخبرته بما أخبرها به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ورقة
قدوس قدوس بالضم والفتح والذي نفسي بيده لئن كنت صدقت يا خديجة
لقد جاءه الناموس الاكبر الذي يأتي موسى الذي هو جبريل وانه لنبي هذه
الامة فقولي له يثبت فرجعت واخبرته بقول ورقة وتقدم انها انطلقت برسول
الله صلى الله عليه وسلم اليه واخبره الخبر وقال له ما تقدم ويجمع بان هذا كان
قبل مجيء جبريل له بالوحي كما تقدم وان ذلك عند مجيئه بالوحي ثم اذا قلنا
بأن مجيء جبريل له بالنمط كان قبل مجيئه له بالوحي وتقدم انه قال صلى الله

عليه وسلم فقرأتها فكأنما كتب في قلبي كتابا فهو مناف لقوله ما أنا بقارئ
لما جاءه يقظة بالوحي وما بالعهد من قدم الا أن يقال يجوز أن يكون
جبريل يريد منه قراءة غير الذي قرأه وكتبه في قلبه ولا ينافي ذلك قول الحافظ
ابن حجر ان القصة لم تتعدد ويحرر جوابا متحدا لان مراده قصة مجيء جبريل
يقظة باقرأ باسم ربك ولا مانع من أن يأتيه أولا في المنام ثم في اليقظة لان
المقام مقام التمرين كما تقدم ويكون ذلك من جملة مرائيه الصادقة التي
كانت تأتي واضحة جلية * تنبيه * علم مما مر ان اقرأ باسم ربك نزل بغير بسملة
وقد صرح بذلك الامام البخاري رحمه الله تعالى وما ورد عن ابن عباس ان
أول ما نزل جبريل على محمد صلى الله عليه وسلم قال يا محمد استعذ بالله السميع
العليم من الشيطان الرجيم ثم قال قل بسم الله الرحمن الرحيم ثم قل اقرأ
باسم ربك قال الحافظ ابن كثير هذا الاثر غريب في اسناده ضعف وانقطاع
انتهى فلا يستدل به على ذلك حكاه ابن النقيب في مقدمة تفسيره وبه يرد على
الجلال السيوطي رحمه الله تعالى حيث قال وعندي ان هذا لا يعد قولا
برأسه فانه من ضرورة نزول السورة أي سورة اقرأ نزول البسملة معها انتهى
أول آية نزلت على الاطلاق هذا كلامه والله أعلم ﴿ثم فتر الوحي﴾ أي
احتبس جبريل عنه بعد ان بلغه النبوة ﴿ثلاث سنين﴾ فيما جزم به
ابن اسحق كما في فتح الباري ﴿أو ثلاثين شهرا﴾ ذكره بالمعنى والا فرواية
السهيلي سنتين ونصف وقيل سنتين وقيل أربعين يوما وقيل خمسة عشر يوما
وقيل ثلاثة أيام ودليل الاول ما قد صح عن الشعبي رحمه الله تعالى انه قال
انزلت عليه صلى الله عليه وسلم النبوة وهو ابن أربعين سنة فقرن بنبوته
اسرافيل ثلاث سنين فكان يعلمه الكلمة والشيء ولم ينزل عليه القرآن على
لسانه فلما مضت ثلاث سنين قرن بنبوته جبريل فنزل عليه القرآن على لسانه
أي فكان اسرافيل في هذه المدة سفيرا بين الله وبينه صلى الله عليه وسلم وبه
اعترض على الجلال السيوطي في قوله وكون جبريل هو السفير بين الله
تعالى وبين انبيائه هو الذي يقطع به ولا يتردد فيه لان ذلك وظيفته وزاد
ولا يعرف ذلك لغير جبريل من الملائكة وأجاب الجلال عن ذلك بان السفير
هو المرسل لذلك وذلك لا يعرف لغير جبريل ولا ينافي ذلك مجيء غيره من

الملائكة الى النبي صلى الله عليه وسلم في بعض الاحيان ولك ان تقول كما
في انسان العيون ان كان المراد المجيء اليه بوحي من الله كما هو المتبادر فليس
في رواية الشعبي رحمه الله ان اسرافيل كان يأتيه بوحي في هذه المدة وجواب
الحافظ يقتضي ان اسرافيل وغيره من الملائكة كان يأتيه بوحي من الله قبل
مجيء جبريل له بوحي غير النبوة ولا يخرجه ذلك عن الاختصاص باسم
السفير على ان بعضهم نقل عن الشعبي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وكل
به اسرافيل فكان يتراآى له ثلاث سنين ويأتيه بالكلمة من الوحي ولم ينزل
القرآن أي شيء منه على لسانه ثم وكل به جبريل فجاءه بالوحي والقرآن
ورواية الشعبي موافقة لما في سيرة الحافظ الدمياطي حيث قال وقال بعض
العلماء وقرن به اسرافيل ثم قرن به جبريل عليهما السلام وهو ظاهر
في أن اقتران اسرافيل به صلى الله عليه وسلم كان بعد النبوة وبه صرح بعض
الحفاظ حيث قال والظاهر والله اعلم انه أي مدة الفترة كانت بين اقرأ
ويا أيها المدثر وهي المدة التي اقترن معه اسرافيل كما قال الشعبي اهـ وأثر
الشعبي وان كان مرسلا معضلا قد صح اسناده اليه وهو الموافق لما هو المشهور
المحفوظ الثابت في الاحاديث الصحيحة وانكار الواقدي له قد نظر فيه
الحافظ ابن حجر بان المثبت مقدم على النافي الا ان صحب النافي دليل نفيه
فيقدم ولا يصح استدلالهم لما رووه حديث الشعبي بما اخرجه
مسلم عن ابن عباس قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس وعنده
جبريل اذ سمع نقيضا أي هدة من السماء فرفع جبريل بصره الى السماء
فقال يا محمد هذا ملك قد نزل من السماء لم ينزل الى الارض قط اذ ليس فيه
التصريح بأن الملك كان اسرافيل ومن قال به فمجرد دعوى لا دليل عليها
ولا يحسن ان يكون مستندهم في ذلك رواية الطبراني لقد هبط على ملك
من السماء لم يهبط على نبي قبلي ولا يهبط على أحد بعدي وهو اسرافيل
فقال أنا رسول ربك الحديث اذ ليس فيها دليل على انه لم يكن نزل قبل
ذلك والعجب من الزرقاني في شرح المواهب حيث لم يتنبه لذلك وجرى على
انكارهم رواية الشعبي واستدلالهم بروايتي مسلم والطبراني مع ان
فيهما ما علمت وقد عد الجلال السيوطي من خصائصه صلى الله عليه وسلم

هبوط اسرافيل عليه صلى الله عليه وسلم وفى كلامه ان مجىء اسرافيل كان بعد ابتداء الوحى بسنتين قال كما يعرف ذلك من سائر طرق الاحاديث ثم رأيت فى فتح البارى ما يجمع به بين الروايات ونصه وليس المراد بفترة الوحى المقدرة بثلاث سنين ما بين نزول اقرأ ويا ايها المدثر عدم مجىء جبريل اليه صلى الله عليه وسلم بل تأخر نزول القرآن عليه فقط ثم فى تلك المدة مكث أياما ولا يأتيه أصلا ثم جاء يا أيها المدثر فكان فى تلك الايام يختلف اليه هو او اسرافيل عليهما السلام وهذا كما لا يخفى يؤخذ منه عدم المنافاة بين كون مدة فترة الوحى ثلاث سنين كما يقول به ابن اسحاق أو سنتين ونصف كما يقول به السهيلى أو سنتين كما يقول به السيوطى وبين كونها أياما أقلها ثلاثة واكثرها أربعون كما تقدم لان تلك الايام هى التى كانت لا يرى فيها جبريل أصلا على ما تقدم بل ولا يرى فيها اسرافيل أيضا وفى غير تلك الايام كان يأتيه بغير القرآن وحكمة فترة الوحى عنه صلى الله عليه وسلم ليذهب عنه ما كان يجده من الروع و ﴿ليشتاق الى﴾ العود و ﴿اشتاق﴾ ثم ﴿هاتيك النفحات﴾ الروائح ﴿الشذية﴾ نسبة الى الشذا وهو حدة ذكاء الرائحة الواصلة بسبب جبريل من الحضرة القدسية وتقدم انه كان يبدو له فى أحسن صورة وأطيب رائحة ومن ثم حزن لذلك حزنا شديدا حتى غدا منه مرارا كى يتردى من رؤس شواهق الجبال فكلما اوفى بذروة جبل لكى يلقى نفسه منها تبدى له جبريل عليه السلام فقال يا محمد انك رسول الله حقا فيسكن لذلك جأشه أى اضطراب قلبه وتقر عينه ويرجع فاذا طالت عليه فترة الوحى غدا لمثل ذلك فاذا اوفى ذروة الجبل تبدى له مثل ذلك ﴿ثم﴾ بعد نزول اقرأ ومضى فترة الوحى كما فى حديث عائشة رضى الله تعالى عنها أول ما نزل اقرأ وكما صرح به فى بعض الروايات من حديث جابر الآتى ﴿انزلت عليه﴾ صلى الله عليه وسلم ايناسا له واعلاما بعظيم قدره وتلطفا ﴿يا أيها المدثر﴾ أى المتدثر وهو لابس الدثار ومن عادة العرب اذا قصدت الملاطفة ان تسمى المخاطب باسم مشتق من الحالة التى هو عليها كأنه يقول انا أرسلناك نذيرا والنذير يكون عريانا لا متدثرا شبابه فبذلك علم رضاه الذى هو غاية مطلوبه وبه كان يهون عليه تحمل الشدائد أشار اليه السهيلى وعليه

الجمهور وعن عكرمة أى المتدثر بالنبوة واعبائها ومن هذه الملاطفة قوله عليه الصلاة والسلام لعلى بن أبى طالب كرم الله وجهه وقد نام وترب جنبه قم يا أبا تراب وقوله صلى الله عليه وسلم لحذيفة فى غزوة أحد وقد نام قم يا نومان واختلفوا فى معنى الانزال فقيل اظهار القراءة وقيل الهم الله تعالى كلامه جبريل وهو فى السماء وهو عال من المكان وعلمه قراءته ثم جبريل اداه فى الارض وقال القطب الرازى المراد بانزال الكتب على الرسل ان يتلقفها الملك من الله تلقفا روحانيا أو يحفظها من اللوح المحفوظ وينزل بها فيلقيها اليهم وقال غيره فى المنزل على النبى صلى الله عليه وسلم ثلاثة أقوال أحدها اللفظ والمعنى وان جبريل حفظ القرآن من اللوح المحفوظ كل حرف منها بقدر جبل قاف وتحت كل حرف منها معان لا يحيط بها الا الله ويؤيده مارواه الطبرانى عن النواس بن سمعان مرفوعا اذا تكلم الله بالوحى اخذت السماء رجفة شديدة من خوف الله فاذا سمع أهل السماء صعقوا وخروا سجدا فيكون اولهم يرفع رأسه جبريل فيكلمه الله من وحيه بما أراد فينتهى به على الملائكة كلما مر بسماء سأله أهلها ماذا قال ربنا قال الحق فينتهى به حيث أمر وقد قيل غير ذلك ﴿وجاءه جبريل﴾ عليه السلام وهو أفضل الملائكة ثم اسرافيل وقيل عكسه ثم ميكائيل ثم ملك الموت وقال الفخر الرازى أفضل الملائكة مطلقا حملة العرش والحافون به ثم جبريل ثم اسرافيل ثم ميكائيل ثم ملك الموت ثم ملائكة الجنة والنار ثم الموكلون بأولاد آدم ثم الموكلون بأطراف العالم وقال الغزالى اقرب العباد الى الله تعالى وأعلاهم درجة اسرافيل ثم بقية الملائكة ثم الانبياء ثم العلماء العاملون ثم السلاطين العادلون ثم الصالحون وأنت خبير بأنه لا يلزم من القرب التفضيل فالوجه تقديم جبريل على اسرافيل قال الجلال السيوطى وهو أى جبريل يحضر موت من يموت على وضوء وما اشتهر من أنه لا ينزل الارض بعد موت النبى صلى الله عليه وسلم لا اصل له الا ان يقال لا ينزل بوحى ﴿بها وناداه﴾ فعن يحيى بن بكير قال سألت جابر بن عبد الله يعنى عن ابتداء الوحى اى بالرسالة فقال لا أحدثك الا ما حدثنا به رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جاورت بحراء فلما قضيت جوارى هبطت

فنوديت فنظرت من خلفي فلم أر شيئا فرفعت رأسي فرأيت شيئا بين السماء والارض وفي رواية فاذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي زاد في رواية مترّبعا عليه وفي افظ على عرش بين السماء والارض ففزعت منه فأتيت خديجة فقلت دثروني وفي رواية زملوني زملوني وصبوا علي ماء باردا فنزلت هذه الآية يا أيها المدثر قم فأنذر وربك فكبر ولم يقل بعد فأنذر وبشر مع انه كما بعث بالنذارة بعث بالبشارة لان البشارة انما تكون لمن آمن ولم يكن احد آمن قيل وهذا يدل على ان هذه الآية أول ما نزل أي قبل اقرأ وان النبوة والرسالة مقترنان قال الامام النووي رحمه الله تعالى والقول بأن أول ما نزل يا أيها المدثر ضعيف باطل وانما نزلت بعد فترة الوحي ومما يدل على ذلك قوله فاذا الملك الذي جاءني بحراء ومما يدل على ذلك أيضا ما في البخاري ان في رواية جابر رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم حدث عن فترة الوحي لا عن ابتداء الوحي فيكون ذلك غلطا من بعض الرواة وأيضا فصدر الرواية يدل على ان ذلك كان في فترة الوحي وعلى ثبوت الاولية في حديث جابر تحمل على اولية مخصوصة بما بعد فترة الوحي او بالامر بالانذار أو بقيد السبب وهو ما وقع من التدثر وأما اقرأ فنزلت ابتداء بغير سبب هذا ويجوز ان يكون صلى الله عليه وسلم كان جاور بحراء في مدة فترة الوحي ويؤيد ذلك ما في البيهقي عن مرسل عبيد بن عمير كما تقدم انه صلى الله عليه وسلم كان يجاور في حراء كل سنة شهرا وهو رمضان وكان ذلك في مدة فترة الوحي ثم يجمع بين الروايات في أول ما نزل من القرآن على الاطلاق اقرأ باسم ربك الى ما لم يعلم قال الامام النووي رحمه الله تعالى وهو الصواب الذي عليه جمهور الجماهير من السلف والخلف انتهى وأول ما نزل بعد فترة الوحي يا أيها المدثر الى فاهجر فليس القول بأن أول ما نزل اقرأ والقول بأن أول ما نزل المدثر متنافيين وأما القول بأن أول ما نزل الفاتحة على تقدير صحته فهو محمول على أول ما نزل من السور التامة وما تقدم في أول ما انزل من الآيات فقد قال الامام النووي القول بأن فاتحة الكتاب أول ما نزل بطلانه أظهر من أن يذكر انتهى وقد علمت ان نبوته صلى الله عليه وسلم كانت متقدمة على رسالته وعليه يحمل قول صاحب جامع الاصول

الصحيح عند أهل العلم بالاثر انه بعث على رأس ثلاث وأربعين سنة وقال المحقق ابن حجر فكان في اقرأ نبوته وفي المدثر ارساله بالنذارة والبشارة والتشريع لان هذا قطعا متأخر عن الاول وقد أشار الى ذلك المصنف رحمه الله تعالى بقوله ﴿فكان﴾ ناقصة ﴿انبوته﴾ صلى الله عليه وسلم خبرها مقدم ﴿في تقدم﴾ نزول صدر سورة ﴿اقرأ باسم ربك﴾ الذى خلق الى مالم يعلم ﴿شاهد﴾ اسمها مؤخر وقوله في تقدم اقرأ الخ علة لقوله شاهد ﴿على ان اوما السابقيه﴾ كما علم من الاحاديث الصحيحة على غيرها من القرآن مطلقا وماروى عن جابر أول مانزل أى مطلقا المدثر فقد علمت بطلانه وماورد عن ابن عباس رضى الله عنهما ان أول مانزل عليه جبريل قال يا محمد استعذ بالله السميع العليم ثم قل بسم الله الرحمن الرحيم ثم قل اقرأ باسم ربك فقد تقدم مافيه ﴿و﴾ على ان اوما ﴿التقدم﴾ بالرفع معطوف على قوله السابقية ﴿على رسالته﴾ اى ارساله صلى الله عليه وسلم مطلقا ﴿بالنذارة﴾ أى الانذار ﴿و﴾ ب ﴿البشارة﴾ أى التبشير وقد مر تفسيرهما ﴿لمن دعاه﴾ النبى صلى الله عليه وسلم وأجاب ولا يرد على المصنف رحمه الله ان في سورة المدثر الانذار فقط دون التبشير لانه لاحظ ما آل اليه الامر ببشارة من أطاع فكان صلى الله عليه وسلم بشيرا كما قال تعالى انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا كذا قال بعضهم ومقتضاه ان السورة ليست مشتملة على البشارة اصلا وفيه نظر لان البشارة هى الخبر السار وقد وجد فيها كقوله تعالى الا أصحاب اليمين في جنات يتساءلون عن المجرمين وهو صريح ما مر عن ابن حجر من ان السورة مشتملة على الانذار والبشارة والتشريع *خاتمة* في أحوال اتيان جبريل عليه السلام الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكيفية رؤية النبى صلى الله عليه وسلم فكان صلى الله عليه وسلم يراه أحيانا على صورة الآدمى فكان يراه كما يرى الرجل صاحبه من وراء الغربال وأحيانا على صورة دحية الكلبى وكان أجمل أهل زمانه وأحسنهم صورة فكان الغرض من ذلك اعلاما من الله تعالى انه مابينى و بينك الا صورة الحسن والجمال وهى التى لك عندى فيكون ذلك بشرى له صلى الله عليه وسلم كذا قاله الشيخ

الاكبر أو على صورة غيره ومنه ما وقع في حديث عمر اذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر الحديث وأحيانا يأتيه في مثل صلصلة الجرس وهي أشد الاحوال عليه صلى الله عليه وسلم لما قيل انه كان يأتيه في هذه الحالة بالوعيد والنذارة وأحيانا يتمثل في صورة فتى وربما يأتيه الوحي على صورته التي خلقه الله عليها بستمائة جناح وجاء في الحديث عن عائشة رضي الله عنها انه لم يره على صورته التي خلقه الله عليها الا مرتين الاولى حين سأله ان يريه نفسه على صورته الاصلية وذلك بحراء قبل البعثة بعد فترة الوحي وهذه المرة هي المعنية بقوله تعالى ولقد رآه بالافق المبين وبقوله فاستوى وهو بالافق الاعلى طلع جبريل من المشرق فسد الافق الى المغرب فخر النبي صلى الله عليه وسلم مغشيا عليه فنزل اليه في صورة الآدميين وضمه الى نفسه وجعل يمسح الغبار عن وجهه الحديث والاخرى ليلة الاسراء المعنية بقوله تعالى ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى وفي الخصائص الصغرى ان هذا من خصوصيته صلى الله عليه وسلم اذ لم يره أحد من الانبياء على صورته التي خلق عليها وكان يجد ثقلا عند نزول الوحي ويتحدر جبينه عرقا في البرد كأنه الجمان وربما غط غطيط البكر محمرة عيناه وعن زيد بن ثابت كان اذا نزل الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثقل لذلك ومرة وقع فخذه على فخذي فوالله ما رأيت أثقل من فخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم وربما أوحي اليه وهو على راحلته فترعد حتى نظن ان ذراعها ينفصم وربما بركت وجاء انه صلى الله عليه وسلم لما نزلت سورة المائدة عليه كان على ناقته فلم تستطع أن تحمله فنزل عنها وفي رواية فاندق كتف راحلته العضباء من ثقل السورة وجاء ما من مرة يوحى الي الا ظننت أن نفسي تقبض منه وعن أسماء بنت عميس رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نزل عليه الوحي يغشى عليه أي كأنه يؤخذ عن الدنيا كما في بعض الروايات مع بقاء عقله وتغيره على خلاف العادة بل وربما صدع رأسه فيغلفه بالحناء وعن زيد بن ثابت كان اذا نزل عليه السورة الشديدة أخذه من الشدة والكرب على قدر شدة السورة واذا نزل عليه السورة اللينة أصابه من ذلك على قدر لينها وعن

عمر بن الخطاب رضي الله عنه اذا نزل عليه الوحي يسمع عند وجهه كدوي النحل وقد أوحى الله اليه بلا واسطة ملك منا ما كما في حديث معاذ أتاني ربي وفي لفظ رأيت ربي في أحسن صورة أي خلقة فقال فيم يختصم الملأ الاعلى يا محمد قلت أنت أعلم أي رب فوضع كفه بين كتفي فوجدت بردها بين ثديي فعلمت ما في السماء والارض وزاد بعضهم مرتبة تكليم الله كفاحا بغير حجاب وقد ديها في القرآن وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا وحمل ما تقدم بعضهم على ليلة المعراج فقد أوحى اليه بلا واسطة ملك فيحتمل أن يكون بغير حجاب وقد قال بعضهم ومن حالات الوحي كلام الله منه اليه بلا واسطة ملك كما كلم الله موسى أي من وراء حجاب وحينئذ يكون كلامه صلى الله عليه وسلم في ليلة المعراج بواسطة الملك وكلامه بغير واسطة الملك من وراء حجاب ومشافهة من غير حجاب ورعا ألقاه الملك في روعه من غير أن يراه كما قال صلى الله عليه وسلم ان روح القدس نفث في روعي زاد بعضهم مرتبة أخرى وهي العلم الذي يلقيه الله في قلبه وعلى لسانه عند الاجتهاد في الاحكام وهو يفارق النفث في الروع من حيث حصوله بالاجتهاد والنفث بدونه وكان صلى الله عليه وسلم لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح وهذا عام بما قبل النبوة وما بعدها والمختص بما بعد النبوة انما هو الوحي المتعلق بالاحكام التي يعمل بها وجبريل عليه السلام ملك عظيم ورسول كريم مقرب عند الله أمين على وحيه وهو سفيره الى أنبيائه كلهم وسماه روح القدس والروح الامين واختصه بوحيه من بين الملائكة قال بعضهم ورأيت في بعض التواريخ أن جبريل عليه السلام نزل على النبي صلى الله عليه وسلم ستا وعشرين ألف مرة ولم يبلغ أحد من الانبياء هذا العدد انتهى وفي تفسير ابن عادل أربعا وعشرين ألف مرة وعلى آدم اثنتي عشرة مرة وعلى ادريس أربعا وعلى نوح خمسين وعلى ابراهيم اثنتين وأربعين مرة وعلى موسى أربعمائة وعلى عيسى عشرا كذا قاله والعهدة عليه هذا وقد ذكر بعض المفسرين انه صلى الله عليه وسلم كان له عدو من شياطين الجن يقال له الابيض كان يأتيه في صورة جبريل واعترض بأنه يلزم عليه عدم الوثوق بالوحي وأجيب

عنه بأن الله تعالى خلق فيه علما ضروريا بمدقمة ورقة بن نوفل السابقة يعلم به أن الوحي إليه من الله تعالى وغيره أيضا بين جبريل عليه السلام وبين هذا الشيطان ولعل هذا الشيطان غير قرينه الذي أسلم وفي كلام ابن العماد أن شيطان الأنبياء يسمى الأبيض والأنبياء معصومون منه والله أعلم بالصواب

﴿عطر اللهم قبره الكريم بعرف شذي من صلاة وتسليم اللهم صل وسلم وبارك عليه﴾

ولما نزل قوله تعالى يا أيها المدثر قم فأنذر بادر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى امتثال أمر ربه عز وجل له بذلك فجد واجتهد في الدعاء سرا الى عبادة الله تعالى والايمان به وبرسوله وترك ما عليه الجاهلية من عبادة الاوثان والاصنام ثلاث سنين حتى دخل رجال ونساء في دين الاسلام الى ان كمل دخول السابقين الاولين رضي الله عنهم أجمعين وقد اختلفوا في أول سابق الى متابعته صلى الله عليه وسلم والدخول معه في دين الاسلام فقيل ابو بكر رضي الله عنه وقيل علي بن ابي طالب وقيل زيد بن حارثة وقيل ام المؤمنين خديجة رضي الله عنها وبه اي بانه صلى الله عليه وسلم الاربعة كن موجودات عند البعثة ويبعد تأخير ايمانهن الا أن يقال خديجة تقدم اليها البشرى بجلاء ومن ثم قال بعضهم فيما سيأتي في اسلام علي رضي الله عنه والصواب الاضراب عن توقيت اسلامه فانه لم يكن مشركا حين أسلم الاسلام ﴿و﴾ الاروع كما قال ابن الصلاح وتبعه الامام النووي وهو مما تجتمع به بين الاقوال المختلفة في أول من أسلم ان يقال ﴿اول من آمن﴾ اصله أأمن على وزن افعل لا فاعل والايمان مصدره فعالا وهمزته للتعدية اي صدق ﴿به﴾ اي بالنبي صلى الله عليه وسلم وبما جاء به من عند ربه عز وجل بعد البعثة ﴿من الرجال﴾ اي الذكور البالغين الاحرار ﴿ابو بكر﴾ رضي الله عنه قال الزمخشري كني بذلك لابتكاره الخصال الحميدة واسمه عبد الله سماه به النبي صلى الله عليه وسلم وقيل سماه به أهله وبه اشتهر في الاسلام وكان اسمه قبل ذلك عبد الكعبة ولقبه عتيق وبه اشتهر في الجاهلية ولقبه به النبي صلى

الله عليه وسلم لما نظر اليه فقال هذا عتيق من النار وقال صلى الله عليه
وسلم من اراد ان ينظر الى عتيق من النار فلينظر الى ابي بكر ولقبته بذلك
خديجة قبل النبوة وقيل انه اسم سمته به امه لانه كان لا يعيش لها ولد فلما
ولدته استقبلت به الكعبة ثم قالت اللهم هذا عتيقك من الموت فهبه لي
فعاش وامه سلمى وتكنى ام الخير بنت صخر بن عامر بن كعب بن سعد وهي
بنت عم ابيه وابوه ابو قحافة واسمه عثمان بن عامر بن عمرو بن سعد بن تيم
ابن مرة وفيه يجتمع مع النبي صلى الله عليه وسلم ﴿صاحب﴾ رسول الله
صلى الله عليه وسلم في ﴿الغار﴾ اي النقب الذي في جبل ثور عند
هجرته الى المدينة كما سيأتي في المصنف وال فيه للعهد وهو المذكور في
قوله تعالى اذهما في الغار ﴿و﴾ صاحب ﴿الصديقية﴾ اي
التصديق اي الملقب بالصديق كما أتى لتصديقه النبي صلى الله عليه وسلم
وقيل لان الله صدقه روى الطبراني برجال ثقات ان عليا رضي الله تعالى عنه
كان يحلف بالله ان الله انزل اسم ابي بكر من السماء الصديق وحكمه
الرفع اذ لا مدخل فيه للرأي وسبب اسلامه انه كان صديقا لرسول الله صلى
الله عليه وسلم يكثر غشيانه في منزله ومحادثته وكان سمع قول ورقة له لما ذهب
معه اليه وكان يتوقع لذلك فبيناهو مع حكيم بن حزام في بعض الايام
اذ جاءت مولاة لحكيم وقالت له ان عمتك خديجة تزعم في هذا اليوم ان
زوجها نبي مرسل مثل موسى فانسل ابو بكر رضي الله عنه حتى اتى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فسأله عن خبره فقص عليه قصته المتضمنة لمجيء
جبريل له بالرسالة فقال صدقت بابي انت وامي واهل الصدق انت
انا اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله فيقال سماه يومئذ الصديق ولا
ينافي تسميته له بذلك صيغة الامر الماضي وقد كذبته قريش لجواز انه
لم يشتهر بذلك حينئذ وقد جاء في تفسير قوله تعالى والذي جاء بالصدق وصدق
به ان الذي جاء بالصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي صدق به ابو
بكر رضي الله عنه قال ولما سمعت خديجة رضي الله عنها مقالة ابي بكر رضي
الله عنه خرجت وعليها خمار احمر فقالت الحمد لله الذي هداك يا ابن
ابي قحافة وسبب مبادرته الى التصديق ما علمه رضي الله عنه من دلائل

نبوته صلى الله عليه وسلم وبراهين صدق دعوته ولرؤيا رآها قبل ذلك وهو
تاجر بالشام ان القمر نزل الى مكة فدخل في كل بيت منه شعبة ثم كان جميعه
في حجره فقصها على بعض أهل الكتاب ولعله بحيرا الراهب فعبرها له
بأنه يتبع النبي المنتظر الذي قد أظل زمانه وانه يكون أسعد الناس به فأسرها
أبو بكر حتى بعث النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد ما الدليل على ما تدعي
قال الرؤيا التي رأيت بالشام فعانقه وقبل ما بين عينيه وقال اشهد انك
رسول الله قال ابن اسحاق وبلغني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
ما دعوت احدا الى الاسلام الا كانت عنده كبوة وتردد ونظر الا أبا بكر
ما عكم عنه حين ذكرته ولا تردد ولا ينافي ما تقدم من طلبه الدليل لامكان
ان يقال انه صدقه بمجرد الاخبار وطلب الدليل اتماما ولتقوية ما عنده
قال السهيلي وكان من أسباب ذلك توفيق الله اياه فيما ذكر وانه رأى رؤيا
قبل وساق ما ذكرناه وكان صدرا معظما في قريش على سعة من المال
وكرم الاخلاق من رؤساء قريش ومحط مشورتهم من أعف الناس
رئيسا مكرما سخيا يبذل المال محببا في قومه حسن المجالسة وكان أعلم الناس
بتعبير الرؤيا ومن ثم قال ابن سيرين أبو بكر أعبر هذه الامة بعد النبي صلى الله
عليه وسلم وكان بمنزلة الوزير من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يشاوره
في أموره كلها ما لم يفارقه حضرا ولا سفرا وقد أجمع أهل السير انه لم يتخلف
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في مشهد من المشاهد وأجمعوا أيضا
على انه أفضل الناس بعد الانبياء والمرسلين وكان صلى الله عليه وسلم يكرمه
ويجله ويعرف الاصحاب مكانه ويثني عليه في وجهه وكان أشد الصحابة
رأيا وأكملهم عقلا وكان طويلا نحيفا أبيض وقيل آدم خفيف العارضين
[illegible] والكتم غائر العينين ناتئ الجبهة عاري الاشاجع بالشين
المعجمة والجيم أي قليل لحم مفاصل الاصابع على بطنه شامة وعلى فخذه
الايسر علامة يسترخي ازاره عن حقويه أحيانا وولد رضي الله عنه بعد الفيل
بسنتين وثلاثة أشهر كما في الاصابة وهو أول من سمي الخليفة في الاسلام
تولى الخلافة في يوم الاثنين الذي توفي فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وبقي
فيها سنتين وثلاثة أشهر وأياما الى أن مات عند الاكثر عشي يوم الاثنين

لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة من الهجرة عن ثلاث
وستين سنة قيل مات بمرض السل وقيل لانه اغتسل في يوم بارد فحم خمس
عشرة يوما وفي رواية فاغتسل هلة اتصلت بها وفاته وقيل بل سمته يهودية في
خزيرة أو غيرها والمشهور انه مات بالسمة الحية في الغار فانه كان يعاوده
كل سنة حتى مات به وغسلته زوجته اسماء بنت عميس وصلى عليه عمر بن
الخطاب على سرير رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو سرير عائشة وكان من
الساج منسوجا بالليف وبيع في ميراث عائشة بأربعة آلاف درهم
فاشتراه مولى لمعاوية وجعله للمسلمين ودفن في حجرة عائشة رضي الله عنها
ورأسه عند كتفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى له عن النبي صلى
الله عليه وسلم مائة حديث واثنان وأربعون حديثا رضي الله عنه ﴿و﴾
أول من آمن به صلى الله عليه وسلم ﴿من الصبيان﴾ اجماعا جمع صبي وهو
من لم يحتلم ولم يستكمل خمس عشرة سنة ﴿على﴾ ابن أبي طالب اذ هو حين
أسلم ابن عشر سنين على الصحيح وقيل ثمان سنين قال في انسان العيون وبه
يرد القول بأن عمره كان اذذاك عشر سنين أي والقول بانه ثنتى عشرة سنة
أو ثلاث عشرة سنة أو أربع عشرة سنة بناء على ان سن امكان الاحتلام
تسع سنين كما يقول به أئمتنا وفيه نظر لما مر ان المراد بالصبي من لم يحتلم ولم
يكمل خمس عشرة سنة على المرجح من مذهبنا ومن وافقنا ولان معنى
قولهم يدخل وقت الاحتلام بتسع سنين انه اذا رأى الماء الدافق بعدها
حكم بتمكليفه وليس بلازم ان يراه بعدها حالا لامكان تأخر ذلك فاذا بلغ
الخمس عشرة سنة ولم ير الماء الدافق صار مكلفا بالبلوغ بالسن لا بالاحتلام
وبهذا يعلم ما في قول بعضهم ان عمره كان اذذاك خمس عشرة سنة ان لم
يكن مراده تقريبا او ست عشرة سنة وسبب اسلامه رضي الله عنه كما في
السيرة الشامية انه دخل على النبي صلى الله عليه وسلم ومعه خديجة رضي
الله عنها وهما يصليان سرا فقال ماهذا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
دين الله الذى اصطفاه لنفسه وبعث به رسول الله فادعوك الى الله وحده
لا شريك له والى عبادته والى الكفر باللات والعزى فقال على هذا أمر لم
أسمع به قبل اليوم فلست بقاض أمرا حتى أحدث ابا طالب وكره رسول

الله صلى الله عليه وسلم أن يفشي سره عليه قبل أن يستعلن أمره فقال له يا علي
اذا لم تسلم فاكتم هذا فمكث ليلة ثم ان الله تبارك وتعالى هداه للاسلام
واصبح غاديا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم وكان ذلك في يوم الثلاثاء
كما في سيرة مغلطاي اي لان صلاته مع خديجة كانت آخر يوم الاثنين كما في انسان
العيون وهذا انما يأتي على القول بأن النبوة والرسالة متقارنان قال بعضهم
والصواب الاضراب عن توقيت اسلامه فانه لم يكن مشركا يستأنف
الاسلام ويجاب بأن الصبيان كانوا اذ ذاك مكلفين لان القلم انما رفع
عن الصبي عام خيبر كذا قال في انسان العيون وقال بعضهم وانما اعتد
باسلامه لان الاحكام اذ ذاك كانت منوطة بالتمييز قال ولم يعبد وثنا ولذا
خص بكرم الله وجهه هذا وقد ذكر شيخنا البيجوري في حواشيه على
جوهرة التوحيد عند قول الناظم فكل من كلف شرعا الخ ان التكليف
بالايمان منوط بالعقل فقط عند الحنفية لا به مع البلوغ فان اعتقد الايمان
أو الكفر فأمره ظاهر وان لم يعتقد واحدا منهما كان من أهل النار
لوجوب الايمان عليه بمجرد العقل انتهى وكان كثير الملازمة لرسول الله صلى
الله عليه وسلم قبل النبوة وذلك ان قريشا اصابهم قحط شديد وكان أبو طالب
كثير العيال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمه العباس رضي الله عنه
ولنخفف من عياله حتى يكشف الله عن الناس ما هم فيه قال نعم فانطلقا حتى
أتيا أبا طالب فقالا له فقال لهما أبو طالب اذا تركتما عقيلا وقيل وطالبا فاصنعا
ما شئتما فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا فضمه اليه وأخذ العباس
جعفرا فضمه اليه وتركا عقيلا وطالبا وفي خصائص العشرة للزمخشري
ان النبي صلى الله عليه وسلم تولى تسميته بعلي وتفل في فيه أياما من ريقه
المبارك ومص لسانه انتهى ولم يزل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بعثه
الله نبيا وحتى زوجه ابنته فاطمة رضي الله عنها ولما هاجر رسول الله صلى
الله عليه وسلم أمره بالتخلف في مكة ليؤدي عنه الامانات ثم لحق به وكناه أبا
تراب وهي أحب الكنى اليه وامه فاطمة بنت أسد بن هاشم جد النبي صلى
الله عليه وسلم فهي بنت عم أبيه وهي أول هاشمية ولدت هاشميا أسلمت
وهاجرت وماتت في زمن النبي صلى الله عليه وسلم قال المصنف في بر الصاحل

وكان

وكان آدم شديد الادمة ربعة الى القصر ادعج العينين حسن الوجه كأنه القمر ليلة البدر ضخم البطن عريض المنكبين شثن الكفين بالمعجمة والمثلثة أى غليظهما اغيد بالمعجمة والمثناة تحت فدال مهملة اى ناعما كأن عنقه ابريق فضة اصلع ليس فى رأسه شعر الا من خلفه كث اللحية عظيمها حداً قد ملأت ما بين منكبيه بيضاء كأنها قطن وربما صفرها ضخم رأسه شديد الساعد له كنكبه مشاش كمشاش السبع الضارى لا يبين عضده من ساعده قد ادمجت ادماجا اى دخل ساعده فى عضده واجتمعا اذا مشى تكفأ وان أمسك بذراع رجل لا يستطيع ان يتنفس فصول السن انتهى ولد قبل البعثة بعشر سنين على الصحيح كما تقدم وبويع له بالخلافة يوم قتل عثمان سنة خمس وثلاثين باتفاق المهاجرين والانصار وكل من حضر وكتب ببيعته الى الآفاق فاذعنوا كلهم الا معاوية فكان بينهم ما كان قال غير واحد من أئمة الحديث لم يرد فى حق احد بالاحاديث الجياد أكثر مما جاء فى حق على رضى الله عنه ومن أراد التضلع من ذلك فعليه بكتاب الصواعق للعلامة ابن حجر فان فيه ما يشرح له الصدر وتقر به العين استشهد فى ليلة الجمعة السابع عشر من رمضان وهو خارج لصلاة الصبح ضربه اشقى الناس بشهادة الصادق المصدوق اللعين عبد الرحمن بن ملجم وتوفى ليلة الاحد التاسع عشر منه سنة اربعين من الهجرة عن ثلاث وستين سنة على الاصح ومدة خلافته خمس سنين الا ثلاثة اشهر ونصف شهر ودفن بالكوفة سحرا وقيل فى ليلة وفاته ومدفنه غير ذلك قال المصنف روى له عن النبى صلى الله عليه وسلم خمسمائة وستة وثمانون حديثا رضى الله عنه ﴿و﴾ اول من آمن به صلى الله عليه وسلم ﴿من النساء﴾ اسم جنس ليس له واحد من لفظه بل واحده امرأة زوجته الصديقة الكبرى السعيدة فى الدنيا والاخرى ﴿خديجة﴾ رضى الله عنها بنت خويلد وتقدم الكلام على نسبها ونسبتها وأنها اقرب نسائه صلى الله عليه وسلم فى النسب عند الكتابة على تزوجه بها صلى الله عليه وسلم ﴿التى ثبت﴾ بفتح المثلثة والموحدة مشددة أى قوى وايد ﴿الله﴾ تعالى ﴿بها قلبه ووفاه﴾ بالتخفيف أى صانه وحفظه وذلك لما قال لها صلى الله عليه وسلم كما تقدم

لقد خشيت على نفسي فقالت كلا ابشر فوالله لا يخزيك الله أبدا انك
لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكل الحديث وقد حدسبقها الى
الاسلام على نساء عالمها من خصائصها العظيمة ومناقبها الفخيمة ولذا
قال في فتح الباري ومما اختصت به سبقها نساء هذه الامة الى الايمان
فسنت ذلك لكل من آمن بعدها فيكون لها مثل اجرهن لما ثبت ان من
سن سنة حسنة فله أجرها واجر من عمل بها الحديث قال وقد شاركها في
ذلك أبو بكر الصديق بالنسبة الى الرجال ولا يعرف قدر ما لكل منهما من
الثواب بسبب ذلك الا الله عز وجل انتهى ولم يكن على وجه الارض بيت
اسلام الا بيتها قال في الفتح وهي فضيلة ما شاركها فيها أيضا غيرها لانها
أول من أجاب الى الاسلام ودعا الله وأعان على ثبوته بالنفس والمال
والتوجه التام قال في انسان العيون وأول من أسلم من النساء بعد خديجة
رضي الله عنها أم الفضل زوج العباس رضي الله عنها وأسماء بنت أبي
بكر وأم جميلة فاطمة بنت الخطاب اخت عمر بن الخطاب رضي الله عنهما
قال وينبغي ان تكون أم ايمن سابقة في الاسلام على ام الفضل انتهى ﴿و﴾
اول من آمن به صلى الله عليه وسلم ﴿من الموالي﴾ أي العتقاء من الرق
بعد اتصافهم به وهم الذين عليهم الولاء لساداتهم ثم عصباتهم ﴿زيد بن
حارثة﴾ بن شراحيل وقيل شرحبيل وهو قول ابن اسحاق قال ابن الاثير
ولم يتابع عليه وانما هو شراحيل بن كعب بن عبد العزى بن امرئ القيس
من عامر بن النعمان بن عامر بن عبد ود قيل وهو وعثمان سبي امرئ في
الجاهلية وقد تقدم سبب ذلك فاشتراه حكيم بن حزام لعمته خديجة
بأربعمائة درهم فاستوهبه النبي صلى الله عليه وسلم منها فوهبته له وجاء
ابوه وعمه كعب واخوه جبلة بفتح الجيم والموحدة الى مكة وطلبا ان يفدياه
فخيره عليه الصلاة والسلام بعد ان اعتقه بين ان يدفعه اليهما او يثبت
عنده فاختار ان يبقى عنده فلاماه فلم يرجع وقال لا اختار عليه احدا فقام
صلى الله عليه وسلم الى الحجر الذي هو محل جلوس قريش وقال اشهدوا ان
زيدا ابني يرثني وأرثه فطابت نفسهما وانصرفا فدعي زيد بن محمد حتى جاء
الله بالاسلام فصدقه واسلم وفي الاصابة عن الزهري لا أعلم احدا أسلم قبل

زيد بن حارثة ونقل نحوه عن الواقدي وقد خصه الله تعالى من بين سائر الصحابة رضي الله عنهم بذكر اسمه في القرآن العظيم قال ابن الجوزي الا ما يروى في بعض التفاسير ان السجل الذي في قوله تعالى يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب اسم رجل كان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم انتهى وشهد بدرا وقتل بها حنظلة بن أبي سفيان واحدا والخندق وخيبر واستخلفه النبي صلى الله عليه وسلم على المدينة حين خرج الى المريسيع وخرج اميرا على سبع سرايا وآخار رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين حمزة بن عبد المطلب استشهد رضي الله عنه في غزوة موتة حين امره النبي صلى الله عليه وسلم على جيش ثلاث الغزوة في جمادى الاولى سنة ثمان عن خمس وخمسين سنة رضي الله عنه ﴿و﴾ اول من آمن به صلى الله عليه وسلم ﴿من الارقاء﴾ اي المماليك ﴿بلال﴾ بكسر الموحدة بن رباح الحبشي مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان رضي الله عنه من السابقين الاربعة وكان صادق الاسلام طاهر القلب واسم أمه حمامة كانت مولاة لبعض بني جمح ثم اشتراها الصديق رضي الله عنه ﴿الذي عذبه في الله﴾ أي بسبب ايمانه بالله وثباته عليه عدو الله ﴿أمية﴾ بضم الهمزة وفتح الميم وشد المثناة تحت العاتي الشديد المقتول كافرا يوم بدر لما رآه بلال فصاح بأعلى صوته يا انصار الله رأس الكفر امية بن خلف لا نجوت ان نجا فنهشوه بأسيافهم حتى قتلوه وذلك ان المشركين عدوا على من تبع رسول الله صلى الله عليه وسلم فوثبت قبيلة على من فيها من المسلمين يحبسونهم و يعذبونهم بالضرب والجوع وكان بلال مولى لامية بن خلف الجمحي وكان يخرجه اذا حميت الظهيرة فيطرحه على ظهره في بطحاء مكة ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ثم يقول له لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد وتعبد اللات والعزى فيقول في ذلك البلاء احد احد وعن مجاهد في قصة بلال وجعلوا في عنقه حبلا ودفعوه الى الصبيان يلعبون به حتى أثر الحبل في عنقه ﴿وأولاه﴾ انعم عليه كغيره من العبيد ﴿مولاه ابو بكر﴾ الصديق رضي الله عنه ﴿من﴾ فك رقبته من ربقة الرق والتعذيب بسبب ﴿العتق ما أولاه﴾ أي انعاما عظيما واسداء نعما فان الصديق رضي

الله عنه كان اذا مر بأحد من العبيد يعذب في الله اشتراه منهم واعتقه
والمراد بالعبيد ما يشمل الاناث لكونهن منهم وقد بلغت عدتهم تسعة فمر
ذات يوم وهم يعذبون به ذلك فقال لامية الا تتقي الله في هذا المسكين حتى
متى قال امية أنت افسدته فانقذه فقال ابو بكر رضي الله عنه افعل
عندي غلام اسود اجلد منه واقوى على دينك اعطيكه به قال قد قبلت
قال هو لك فاعطاه أبو بكر غلامه ذلك وقيل اشتراه بسبع وقيل بخمس
اواق ذهبا وقيل ببردة وعشرة أواق فضة وفي رواية برطل من ذهب
وأخذ بلالا فاعتقه فخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولازمه سفرا
وحضرا قال عمر رضي الله عنه أبو بكر سيدنا اعتق سيدنا شهد بدرا والمشاهد
كلها وقد شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة حيث قال يا بلال
سمعت دق نعليك في الجنة واخبر صلى الله عليه وسلم انه يحشر على ناقة من
نوق الجنة وانه يؤذن في موقف القيامة وسمع رضي الله عنه امرأته في مرض
موته تقول واحزناه فقال بل واطرباه غدا نلقى الاحبة محمدا وصحبه توفي
رضي الله عنه بدمشق ودفن بباب الصغير سنة عشرين وقيل سنة سبع
عشرة وقد زرته هناك نفعنا الله ببركاته وقيل مات بحلب عن بضع وستين سنة
وبهذا الذي ذكره المصنف تجتمع الاقوال المتباينة في أول من أسلم وتقدم
الجمع وسبق ابن الصلاح لهذا الجمع يعني الى قوله ومن النساء خديجة الحبر
ابن عباس وتبعه العسكري وابن الصلاح وزاد العبيد والموالي كذا في شرح
المواهب للزرقاني وتبعه المصنف رحمه الله * تنبيه * قيل أول من أسلم ورقة
ابن نوفل ومنعه بعضهم قائلا انه انما ادرك نبوته عليه الصلاة والسلام
لا رسالته لكن جاء في السير كما رواه أبو نعيم انه قال أبشر فانا اشهد انك
الذي بشر به ابن مريم وانك على مثل ناموس موسى وانك نبي مرسل
والمستوثر بالجهاد وان ادرك ذلك لاجاهدن معك فهذا صريح منه
بتصديقه برسالة محمد صلى الله عليه وسلم قال البلقيني بل يكون بذلك أول من
أسلم من الرجال وبه قال العراقي في نكته على ابن الصلاح وذكره ابن منده
في الصحابة والله أعلم ﴿ثم﴾ لما أسلم أبو بكر رضي الله عنه جعل يدعو
الناس الى الاسلام وكان رجلا مألوفا للخلق ومعروفا قبل منه جاء به الى

النبي صلى الله عليه وسلم فاسلم وممن ﴿أسلم﴾ بدعائه أمير المؤمنين
ذو النورين ثالث الخلفاء الراشدين أحد الستة أصحاب الشورى وأحد
العشرة المبشرين بالجنة وأقربهم بعد علي نسبا الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم وأحد السابقين الى الاسلام بل قيل وهو رابع أربعة في الاسلام أبو
عمرو ﴿عثمان﴾ بن عفان ابن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن
عبد مناف القرشي الاموي رضي الله عنه وسبب مبادرته الى الاسلام قال
كنت بفناء الكعبة فأخبرت بان محمدا زوج ابنته رقية وكانت ذات جمال
بارع من عتبة بن أبي لهب فدخلتني الغيرة والحسرة لم لا أكن سبقت الى
ذلك قال فانصرفت الى منزلي فوجدت خالتي سعدى بنت كريز الصحابية
وكانت قد تكهنت فأخبرتها فأخبرتني ان الله أرسل محمدا وذكرت ما له
صلى اتباعه مطولا قال وكان لي مجلس عند الصديق فأتيته فسألني عن
تفكري فاخبرته بما سمعت من خالتي فقال لي أبو بكر رضي الله عنه ويحك
يا عثمان انك رجل حازم وما يخفى عليك الحق من الباطل ما هذه الاوثان
التي يعبدها قومنا أليست من حجارة صم لا تسمع ولا تبصر ولا تضر ولا تنفع
والله لقد صدقتك خالتك هذا رسول الله محمد بن عبد الله بعثه الله برسالته
الى خلقه فهل لك ان تأتيه فتسمع منه قال قلت بلى فاتيت رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال يا عثمان أجب الله الى جنته فاني رسول الله اليك والى خلقه
فما تمالكت حتى أسلمت ثم زوجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنته رقية
بعد ان مات عتبة وهاجر بها الى الحبشة وهو أول من هاجر اليها ثم هاجر
الثانية الى المدينة وورد أنه حمل في جيش العسرة على ألف بعير وسبعين فرسا
وصح انه جاء بالف دينار فوضعها في حجر النبي صلى الله عليه وسلم فجعل يقلبها
ويقول ما ضر عثمان ما فعل بعد اليوم وصح انه اشترى الجنة مرتين مرة حين
اشترى بئر رومة ومرة حين جهز جيش العسرة وصح انه أشد هذه الامة
حياء وانه يشبه ابراهيم الخليل وصح انه صلى الله عليه وسلم قال لو كان لي
أربعون بنتا زوجتك واحدة بعد واحدة حتى لا تبقى منهن واحدة وما
زوجتك الا بالوحي وزوجه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ان توفيت عنه
رقية ابنته ام كلثوم رضي الله عنها قال بعضهم ولا يعرف احد تزوج بنتي نبي

ضره وانما سمي ذا النورين وقيل لانه كان يختم القرآن في الوتر فالقرآن نور وقيام الليل نور اولانه اذا دخل الجنة برقت له برقتين اولانه كان ذا جمال بارع كما كانت زوجته رقية رضي الله عنها كذلك ومن ثم كانت النساء يقلن

أحسن شيء يراه انسان * رقية وبعلها عثمان

وقد قال صلى الله عليه وسلم قال لي جبريل ان اردت ان تنظر من أهل الارض شبه يوسف الصديق فانظر الى عثمان بن عفان قال المحب في الرياض وكان رضي الله عنه أبيض مشربا بصفرة وقال النووي اسمر انتهى بوجهه نكتات جدري حسن الوجه والثغر جدا ربعة رقيق البشرة اصلع كث اللحية طويلها ضخم الكراديس أي رؤس العظام بعيد ما بين المنكبين طويل الذراعين اشعرهما يشد اسنانه بالذهب انتهى ومامرت جمعة لا اعتق بها قالوا فجملة ما أعتق ألفان وأربعمائة رقبة ولد رضي الله عنه بعد الفيل بست سنين على الصحيح ومدة خلافته احدى عشرة سنة واحد عشر شهرا واثنان وعشرون يوما قال في المنح واجتمع على قتله اوباش اربعة آلاف يجتمعون من مصر وغيرها فحاصروه الى ان قتلوه في أوسط أيام التشريق والمصحف بين يديه سنة خمس وثلاثين وانفتح بقتله باب الفتنة بين المسلمين ثم يبقى الى يوم القيامة قال علماء الاسلام أهل المعاذير من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين لا يصح ان يقال ان اجلاء الصحابة كعلي كرم الله وجهه رضوا بقتل عثمان وداهنوا فيه وخذلوه بل تجمع جموع من قبائل شتى وبلدان شاسعة حتى كان لهم مدد وعجز الآخرون عن دفعهم ويدل لذلك مالي الاشاعة فلذا جاءت الانصار الى الباب وهو محصور وقالوا يا امير المؤمنين ان شئت كنا انصار الله مرتين فقال لا حاجة لي في ذلك كفوا فان رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد الي عهدا وانا صابر عليه وجاء علي كرم الله وجهه في جماعة من بني هاشم يريد نصره فقال كل من لي عهد في ذمته يكف عن القتال فاخذ علي عمامته ورمى بها في صحن داره وقال ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب وان الله لا يهدي كيد الخائنين ثم ارسل علي الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر في فتية من بني هاشم بثلاث قرب من الماء فما وصلوا اليهم فحملوا عليهم حتى جرح الحسن او الحسين بن علي وسال الدم على وجهه واوصلوه

الدار فلما رأوا ذلك خافوا بني هاشم وتركوا الباب وتقبوا البيت من ظهره
وكان عنده عبد الله بن الزبير وغيره فأرادوا أن يمنعوا عنه فقال من أغمد سيفه
فهو حر ومنعهم من ذلك فدخل عليه جماعة فقتلوه عن ثمانين سنة وقيل
أكثر وقيل أقل انتهى ببعض اختصار وقد كان استوهب أم المؤمنين
عائشة رضي الله عنها موضع قبر ليدفن فيه فوهبته له فمنع من الدفن فيه ثم
أرادوا دفنه في البقيع أيضا فمنع منه فانطلقوا به إلى شرقي البقيع فدفنوه
بمحل كان الناس يتوقوا أن يدفنوا فيه موتاهم وكان رضي الله عنه في حياته
يمر به ويقول سيدفن هنا رجل صالح فيتأسى به الناس في دفن موتاهم به
وكان ذلك المحل بستانا فاشتراه وزاده في البقيع فكان أول من دفن به وعليه
اليوم قبة عظيمة تزار رضي الله عنه وفي الاشاعة عن عدي بن حاتم رضي
الله عنه قال سمعت صوتا يوم قتل عثمان ابشر يا ابن عفان بروح وريحان ابشر
يا ابن عفان برب غير غضبان ابشر يا ابن عفان برضوان وغفران فالتفت فلم أر
أحدا رواه أبو نعيم وروى الطبراني وأبو نعيم عن سهل بن حبيش قال دفنا عثمان
ليلا فغشينا سواد من خلفنا فهبناهم حتى كدنا أن نتفرق فنادى مناد لا روع
عليكم اثبتوا فانا جئنا لنشهده معكم فكان يقول هم والله الملائكة وقد ورد
في الحديث كما في المخ انه يوم يموت تصلي عليه ملائكة السماء وان ذلك له
خاصة وروى أبو نعيم عن عروة قال مكث عثمان في حش كوكب ثلاثا
لا يدفنونه حتى هتف هاتف ادفنوه ولا تصلوا عليه فان الله قد صلى عليه رضي
الله عنه ﴿ومن﴾ من أسلم على يد الصديق رضي الله عنه أبو اسحق ﴿سعد﴾
ابن أبي وقاص مالك بن أهيب بن عبد مناف القرشي الزهري أحد العشرة
المبشرين بالجنة وأحد الستة أصحاب الشورى وأحد الثمانية السابقين إلى
الاسلام بل ثالث الاسلام شهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم ورمى يوم أحد ألف سهم وأحد حراس النبي صلى الله عليه وسلم ولاه
عمر رضي الله عنه العراق ففتح مدائن كسرى وغيرها حكى أن أبا بكر رضي
الله عنه لما دعاه إلى الاسلام لم يبعد وأتى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله
عن أمره فأخبره فأسلم وعمره حينئذ تسع عشرة سنة ومما حكي في صلابته
في دين الاسلام بعد أن دخل فيه وتلبس به أن أمه كرهت اسلامه وكان بارا

بها فقالت أليست تزعم ان الله امرك بصلة الرحم وبر الوالدين قال فقلت نعم
فقالت والله لا أكلت طعاما ولا شربت ماء حتى تكفر بمحمد وتمس أسافا
ونائلة فمكثت يوما وليلة لا تأكل ولا تشرب فكانوا يشجرون فاها ويلقون
فيه الطعام والشراب فأنزل الله تعالى ووصينا الانسان بوالديه حسنا
وان جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما الآية قال سعد فلما
رأيت ذلك قلت تعلمي والله يا امه لو كان لك مائة نفس فخرجت نفسا نفسا
ما تركت ديني هذا النبي فكلي ان شئت اولا تأكلي واخباره في الشجاعة
والشدة في الدين واتباع السنة والزهد والورع واجابة الدعوة والتواضع
والصدق والصدقة كثيرة واسعة توفي رضي الله عنه بقصره بالعقيق على
نحو عشرة أميال من المدينة فحمل اليها على أعناق الرجال وادخل المسجد
وصلى عليه مروان وأمهات المؤمنين في حجرهن ودفن بالبقيع سنة خمس
وخمسين او اول أو اكثر بقليل عن بضع وستين أو وسبعين أو وثمانين
أو وتسعين سنة وهو آخر المهاجرين موتا وكفن في جبة صوف لقي المشركين
فيها يوم بدر بوصية منه قال وانما كنت اخبؤها لذلك رضي الله عنه ﴿ ومنهم ﴾
أبو الأعور وقيل أبو ثور ﴿ سعيد ﴾ بن زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد
العزى بن عبد الله بن رياح بن قرط بن رزاح بن عدى بن كعب القرشي
العدوى احد العشرة المشهود لهم بالجنة واحد السابقين الى الاسلام
والهجرة شهد المشاهد كلها الا بدرا وعده البخاري ممن شهد بدرا ويجمع
بانه لم يشهدها حسا وشهدها حكما أجرا وسهما وبه ذا يجمع ما يأتي في ترجمة
طلحة وهو ابن عم عمر بن الخطاب وزوج اخته فاطمة بنت الخطاب وكانت
اخته عاتكة بنت زيد تحت عمر بن الخطاب تزوجها بعد ان قتل عنها عبد الله
ابن أبي بكر الصديق أسلم قديما ورسول الله صلى الله عليه وسلم بدار الارقم
وفي أسد الغابة والاصابة انه اسلم قبل عمر وقال في الاصابة وكان اسلام
عمر عنده في بيته وقال في أسد الغابة اسلم قبل عمر هو وامرأته فاطمة بنت
الخطاب وهي كانت سبب اسلام عمر على ما نذكره في ترجمته انتهى وكان
رضي الله عنه مجاب الدعوة موصوفا بالزهد توفي رضي الله عنه بالعقيق
في ارضه وحمل على اعناق الرجال الى المدينة ودفن بالبقيع سنة خمسين

أو احدى وخمسين عن بضع وسبعين سنة وغسله وصلى عليه ابن عمر ونزل في قبره هو وسعد بن أبي وقاص رضي الله عنهم أجمعين ﴿ومن﴾ ممن أسلم بدعاء الصديق رضي الله عنه أبو محمد ﴿طلحة﴾ بن عبيد الله مصغرا ابن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة القرشي احد العشرة المشهود لهم بالجنة واحد الثمانية السابقين الى الاسلام واحد الستة اصحاب الشورى واحد الرفقاء النجباء وقد شاركه رجل آخر في اسمه واسم ابيه ونسبته وهو طلحة بن عبيد الله التيمي وهو الذي نزل فيه قوله تعالى ماكان لكم ان تؤذوا رسول الله الآية لانه قال لئن مات محمد لاتزوجن عائشة من بعده فنزلت الآية قال الحافظ السيوطي لقد كنت في وقفة شديدة من صحة هذا الخبر لان طلحة احد العشرة اجل من ان يصدر منه ذلك حتى رايت انه رجل آخر شاركه في اسمه واسم ابيه ونسبته انتهى وسماه النبي صلى الله عليه وسلم الفصيح النصيح وطلحة الخير وطلحة الفياض وطلحة الجود فكان غاية في هذه بحيث باع ارضا بسبعمائة الف دينار فباتت عنده ولم ينم مخافة من حسابها فاصبح ففرقها وفي رواية ففرقها في ليلته وجاءه رحم له يسأله فاعطاه ثلاثمائة الف وكان له بالعراق كل يوم اربعمائة ألف وكان يكفي ضعفاء قومه وقوم ابي بكر من تيم ويقضي ديونهم ويرسل الى عائشة رضي الله عنها في كل سنة عشرة آلاف درهم وتصدق في يوم بمائة الف ثم لم يجد ثوبا يذهب فيه الى المسجد يصلي فيه وهو وان لم يشهد بدرا كما عليه الاكثرون فقد جعله صلى الله عليه وسلم كمن شهدها اجرا وسهما فشهودها حكما الاحسا كما مر في ترجمة سعيد ومثلهما عثمان بن عفان رضي الله عنه فانه بدري اجرا لاحضورا كما صرح به شيخنا وكانت لطلحة رضي الله عنه اليد البيضاء يوم احد وقى النبي صلى الله عليه وسلم يومئذ لما ضرب بالسيف فشج وجهه ويده فشلت واستمرت شلاء واراد صلى الله عليه وسلم ان يصعد على صخرة في يوم احد فما استطاع لانه كان قد ظاهر بين درعين فبرك له طلحة فصعد على ظهره واستوى عليها فقال صلى الله عليه وسلم اوجب طلحة اي وجبت له الجنة وثبت مع النبي صلى الله عليه وسلم وبايعه على الموت ووقاه بنفسه وعد ما فيه من الجراح يوم احد فاذا به بضع

وسبعون من بين طعنة وضربة ورمية وانقطعت اصبعه يوم قدوم ... يوم الجمل سهم فركبته فمات به في جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين عن اربع وستين سنة على الاشهر ودفن بالبصرة رضي الله عنه ﴿و﴾ عن اسلم بدعاء الصديق رضي الله عنه ابو محمد عبد الرحمن ﴿بن عوف﴾ بن عبد الحارث بن زهرة بن كلاب القرشي الزهري امين هذه الامة وكان اسمه في الجاهلية عبد عمرو وقيل عبد الكعبة وقيل عبد الحارث فسماه النبي صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن احد العشرة الكرام البررة المبايعين ... الشجرة ممن هاجر الهجرتين واحد الثمانية السابقين الى الاسلام والستة اصحاب الشورى واحد المفتين في عهد النبوة شهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم المشاهد كلها وكان ممن ثبت يوم احد واصابه عشرون جراحة فهتم وعرج وصح ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى خلفه ركعة من صلاة الصبح في غزوة تبوك وهذه منقبة لم توجد لصحابي غيره كذا قال في الم وأجاب عن اقتدائه صلى الله عليه وسلم بأبي بكر الصديق رضي الله عنه بانه اخرج نفسه من الامامة بتأخره وانه قال لما قال له النبي صلى الله عليه وسلم ما منعك ان تثبت وقد اشرت اليك ما كان ينبغي لابن أبي قحافة ان يتقدم بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن ثبت عبد الرحمن في تلك الصلاة وعدم علمه باقتدائه صلى الله عليه وسلم به ويؤيده ما في رواية الشيخين كان ابو بكر يصلي قائما ورسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي قاعدا يقتدي أبو بكر بصلاة رسول الله والناس يقتدون بصلاة أبي بكر أي فكان أبو بكر رابطة ومبلغا عنه صلى الله عليه وسلم بعد ان اخرج نفسه من الامامة فصار مأموما وهذا يدل لمذهب الشافعي من جواز اخراج الامام نفسه من الامامة واقتدائه بغيره فيصير مأموما بعد ان كان اماما لكن جاء في بعض الروايات كما في الشمائل للترمذي فلما رآه أبو بكر ذهب لينكص فأومأ اليه ان يثبت مكانه حتى قضى أبو بكر صلاته وفي بعض الروايات التصريح بانه صلى الله عليه وسلم دفع في ظهر أبي بكر وقال صل بالناس اي ودفعه من التأخر وعلى هذا فلا يفرع التفريع المذكور في رواية الشيخين ويمكن الجمع بين الروايات كما قال شيخنا في حواشيه على الشمائل بتعدد الواقعة في مرضه

منه صلى الله عليه وسلم من التأخر واقتدى به وفي أخرى تأخر أبو بكر
واقتدى بالنبي صلى الله عليه وسلم واقتدى الناس بالنبي بعد اقتدائهم بأبي
بكر وصار أبو بكر مبلغا يسمع الناس التكبير وقد صرح الترمذي بتعدد صلاته
صلى الله عليه وسلم خلف أبي بكر حيث قال ثبت انه صلى الله عليه وسلم صلى
خلف أبي بكر مقتديا به في مرض موته ثلاث مرات قال ولا ينكر هذا الا
جاهل لا علم له بالرواية انتهى وصرح في انسان العيون بانه صلى الله عليه وسلم
صلى مؤتما بأبي بكر ركعة ثانية من صلاة الصبح ثم قضى الركعة الثانية قال
اى اتى بها منفردا وانه قال صلى الله عليه وسلم لم يقبض نبي حتى يؤمه رجل
صالح من قومه قال أي وقد قال ذلك لما صلى خلف عبد الرحمن بن عوف انتهى
واذا تقرر ذلك فلا يتم ما ادعاه العلامة ابن حجر في منحه من خصوصية ذلك
لعبد الرحمن وحينئذ فيحمل ما في الخصائص الصغرى فيما حكاه عن
القاضي عياض من انه لا يجوز لاحد ان يؤمه صلى الله عليه وسلم لانه لا يصح
التقدم بين يديه في الصلاة ولا في غيرها لا لعذر ولا لغيره وقد نهى الله المؤمنين
عن ذلك ولا يكون احد شافعا له وقال أئمتكم شفعاؤكم ولذلك قال أبو بكر
ما كان لابن أبي قحافة ان يتقدم بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم على
ما اذا لم يأمره به النبي صلى الله عليه وسلم فاذا امر وجب اتباع امره وامره
لا يخلو من حكمة هو أعلم بها ومن ثم استقر أبو بكر في المرة الثانية حيث
كان بالامر الصريح منه كما في بعض الروايات حيث قال له صل بالناس
وفي الأولى كان بالاشارة ومع ذلك فقد عاتبه صلى الله عليه وسلم وقال له
ما منعك اذ أومأت اليك ان تثبت وقد أشار الى حكمة ذلك بقوله لم
يقبض نبي الى آخر ما تقدم وأما ثبات عبد الرحمن في صلاته تلك فقد مر
الجواب عنه واعتق رضي الله عنه في يوم واحد احدا وثلاثين عبدا حتى جاء
ان جملة ما اعتق ثلاثون الفا كان رضي الله عنه كثير المال محظوظا في التجارة
قال الزهري تصدق على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بشطر ماله أربعة
آلاف دينار ثم أربعين ألف دينار ثم بمثلها ثم خمسمائة فرس ثم خمسمائة
راحلة وفي رواية ألف وخمسمائة راحلة واوصى بخمسين ألف دينار في سبيل
الله ولكل واحد ممن شهد بدرا بأربعمائة دينار وكانوا مائة من جملتهم عثمان

ما حمل مائة وهو أمير المؤمنين وبألف فرس في سبيل الله وكان أهل المدينة عيالا
عليه ثلث يقرضهم وثلث يقضي دينهم وثلث يصلهم وقدمت له عير من
الشام يحمل سبعمائة راحلة فسمعت عائشة رضي الله عنها أصواتها فروت حديث
يدخل ابن عوف الجنة حبوا فبلغه فقال أشهدك أنها بأحمالها وأقتابها
وأحلاسها في سبيل الله عز وجل واشتهر في الجود والسخاء وسعة
الصدر والبر والصلة والتواضع والخوف لله تعالى والأمانة والعفة كثرة
مشهورة توفي رضي الله عنه سنة اثنين وثلاثين في خلافة عثمان عن اثنين
وسبعين سنة وصلى عليه عثمان بوصية منه وروي أن عائشة رضي الله
تعالى عنها أرسلت إليه في مرضه أن يدفن مع النبي صلى الله عليه وسلم
وصاحبيه رضي الله عنهما فقال استحي أن أضيق عليك إني كنت
عاهدت ابن مظعون أينما مات أولا دفن الآخر إلى جنبه رضي الله عنهم أجمعين
(ومنهم) ممن أسلم بدعاء الصديق رضي الله عنه أبو عبد الله الزبير (ابن
العمة) الهاشمية القرشية عمة النبي صلى الله عليه وسلم السيدة
(صفية) بنت عبد المطلب وابن العوام ابن خويلد بن أسد بن عبد العزى
ابن قصي القرشي الأسدي قيل وعمره ثمان سنين أحد الثمانية السابقين
والستة أصحاب الشورى والعشرة المبشرين بالجنة أول من سل سيفا
في سبيل الله شهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وفتح
اليرموك وكانت له فيه اليد البيضاء والهمة العلياء اخترق صفوف الروم
مرتين من أولهم إلى آخرهم وفتح مصر مع عمرو بن العاص ولما اشتد
الخوف يوم الأحزاب ندب صلى الله عليه وسلم من يأتيه بخبر بني
قريظة ثلاثا كل مرة يقول أنا فقال صلى الله عليه وسلم إن لكل نبي حواريا
وحواري الزبير وكان له رضي الله عنه ألف عبد يؤدون إليه الخراج كل يوم
فيتصدق به في مجلسه ولا يقوم بدرهم والصحيح أن الذي تركه من المال بعد
وفاء الدين والوصية وورثته تسعة وخمسون ألف ألف وثمانمائة ألف
وكان له صدقات كثيرة ومكارم جليلة وأوصى إليه سبعون من الصحابة
بأولادهم وأموالهم فحفظها وكان ينفق على أولادهم من ماله وأخبار
شجاعته وكرمه ومناقبه وصدقته وصلته وعبادته وأمانته كثيرة شهيرة

توفي شهيدا قتيلا نائما بوادي السباع في جمادى الاولى سنة ست وثلاثين يوم الجمل وعمره سبع وستون سنة على الاشهر قتله عمرو بن جرموز التميمي وقال له علي رضي الله عنه بشر قاتل ابن صفية بالنار والحاصل ان أبابكر رضي الله عنه اسلم على يديه هؤلاء المتقدم ذكرهم عثمان ومن بعده سوى سعيد ابن زيد فانه لم يتعرض له في انسان العيون ولا في المواهب كالحافظ مغلطاي بل ولا تعرضوا الاسلامه حينئذ ﴿و﴾ قد أسلم ﴿غيرهم﴾ أي غير هؤلاء المذكورين قال الحافظ مغلطاي بعد ذكره من تقدم ثم اسلم ابو عبيدة عامر بن الجراح وأبو سلمة عبد الله بن عبد الاسد والارقم بن أبي الارقم المخزومي وعثمان بن مظعون واخواه قدامة وعبد الله وعبيدة بن الحارث ابن عبد المطلب وخباب بن الارت وعمير بن أبي وقاص وعبد الله بن مسعود وسليط بن عمرو وعياش بن ابي ربيعة وامرأته وخنيس بن حذافة وعامر ابن ربيعة وعبد الله بن جحش واخوه أبو أحمد وجعفر بن أبي طالب وامرأته اسماء وغيرهم ولعل قائلهم ﴿عل﴾ أي من جملة من ﴿انهله﴾ معناه في الاصل سقاه اولا والمراد هنا الترغيب والتحسين أي رغبه وحسن له ففيه استعارة تصريحية تبعية حيث شبه الترغيب في الدين بالسقي المعبر عنه بالانهال واستعار الانهال للترغيب واشتق منه انهل بمعنى رغب ﴿الصديق﴾ أبو بكر رضي الله عنه ﴿رحيق﴾ أي خالص الشراب او اطيبه او صافيه فاضافته الى ﴿التصديق﴾ من اضافة المشبه به للمشبه ﴿وسقاه﴾ فبادر بالدخول في الدين الحنيف المحمدي والانتظام في السلك المتين الاحمدي وفي كلامه استعارة بالكناية حيث شبه التصديق بشراب خالص فيه غاية اللذة والطرب بجامع حصول الانتعاش والطرب بكل ورمز له بشئ من لوازمه وهو الشرب وخيل له بالرحيق ورشحه بالانهال ﴿وما زالت عبادته صلى الله عليه وسلم و﴾ عبادة ﴿اصحابه﴾ رضي الله عنهم ﴿مخفية﴾ عن كفار قريش بعد الانذار بقوله تعالى يا ايها المدثر قم فأنذر ﴿حتى انزل عليه﴾ صلى الله عليه وسلم قوله جل ذكره ﴿فاصدع بما تؤمر﴾ اى اجهر من صدع بالحجة اذا تكلم بها جهارا او فرق بين الحق والباطل واصله الابانة والتمييز وما مصدرية اى بامرنا لك او موصولة والعائد محذوف اى

ما أمر به من الشرائع ولا يرد أن شرط حذف العائد المجرور أن يجر بمثل
ما جر الموصول لفظا ومعنى وأن يتحد متعلق الحرفين لفظا ومعنى أيضا لأنا
نقول إن الذي جر العائد حذف أولا فاتصل الضمير العائد بالعامل وصار منصوبا
لا مجرورا ثم حذف بعد ذلك فلم يحذف إلا وهو منصوب فيكون من قبيل
قوله في الخلاصة

والحذف عندهم كثير منجلي ... في عائد متصل إن انتصب

بفعل أو وصف الخ لأنه لما أمر صلى الله عليه وسلم بالإنذار إنما أظهر لمن
ظن منه الإجابة ولم يبالغ في الإظهار والتعميم فأمر به من تقدم ذكرهم
وفيهم كثير من الناس ثم أمر بالمبالغة في إظهار الدعوة والإنذار بهذه
الآية بعد النبوة بثلاث سنين أي في سنة أربع واستمر على ذلك عشر سنين
كما يأتي ﴿فجهر﴾ أعلن ﴿بدعاء الخلق إلى﴾ عبادة ﴿الله﴾
وحده والإيمان به وبرسوله وترك ما هم عليه ﴿ولم يعدمه قومه﴾ ولا
ردوا عليه ﴿حتى عاب آلهتهم﴾ أي رماها بالعيب سنة أربع ﴿وأمر﴾
هم ﴿برفض﴾ أي بترك ﴿ما سوى الوحدانية﴾ بأن يقروا بأن الله
واحد في ذاته فلا تعدد له بوجه وصفاته فلا نظير له بوجه وأفعاله فلا معين له
ولا شريك له بوجه وذلك لما دخل المسجد فوجدهم يسجدون للأصنام
فنهاهم فقال أبطلتم دين أبيكم إبراهيم فقالوا إنا نسجد لها لتقربنا إلى الله
فلم يرض بذلك منهم وعاب معبودهم ﴿فتجرؤا﴾ أي أقدموا من غير مبالاة
على مبارزته وأجمعوا ﴿بالعداوة﴾ عليه ﴿و﴾ بالغوا في ﴿أذاه﴾
إلا من عصمه الله تعالى بالإسلام أو صدق المحبة كأبي طالب ومع ذلك فهو
مديم للدعاء متحمل لشناعتهم وقبح كفرهم وازدرائهم له ولما جاء به فكان
صلى الله عليه وسلم يطوف على الناس في منازلهم يقول اعبدوا الله
ولا تشركوا به شيئا ويدعوهم إلى سبيل ربه مرة بالترغيب ومرة بالترهيب
ومرة بالقول اللين وأخرى بالتبكيت وأخرى بالقول الخشن وينادي
عليهم في أنديتهم بتسفيه أحلامهم وسب آلهتهم ورميها بكل عيب وسوء
فبالغوا في أذيته والتجرّي عليه حتى إن أبا لهب كان يحذر الناس يقول
يا أيها الناس إن هذا يأمركم أن تتركوا دين آبائكم فكان بعضهم يثني

عليه

عليه بالتراب وصب الدم على بابه ورموه بالحجر والشجر والكناسة واجتمع
رؤساء قريش مرة في الحجر فذكروا فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم وسب آلهتهم فطلع
عليهم صلى الله عليه وسلم فاستلم الركن وطاف ولما مر بهم انتقصوه فساءه
ذلك ثم مر بهم فساؤه ثم مر بهم فساؤه فوقف ثم قال أتسمعون يا معشر قريش
والذي نفسي بيده لقد جئتكم بالذبح فأخذتهم كلمته وارتعدت منها
فرائصهم فالانوا له القول وقالوا انصرف يا أبا القاسم فوالله ما كنت
جهولا فاجتمعوا له من الغد في الحجر وفعلوا مثل ما ذكر ثم وثبوا اليه وثبة
رجل واحد يقولون له أي يوبخونه بسب آلهتهم فأخذ بعضهم بمجمع ردائه
فقام اليه أبو بكر رضي الله عنه وحال بينهم وبينه ووطئ عقبة بن أبي معيط
على عنقه الكريم وهو صلى الله عليه وسلم ساجد عند باب الكعبة حتى
كادت عيناه الكريمتان تبرزان وخنقوه خنقا شديدا وجذبوا برأسه
الشريف ولحيته حتى سقط اكثر شعره فقام ابو بكر ومنعهم منهم قائلا
أتقتلون رجلا يقول ربي الله وفي العيون قال الجمهور وكان خمسة من
اشراف قريش يبالغون في ايذاء النبي صلى الله عليه وسلم وهم الوليد بن
المغيرة المخزومي وكان رأسهم والعاصي ابن وائل السهمي والحارث بن
قيس السهمي بن عم العاصي والاسود بن عبد يغوث الزهري ابن خاله صلى
الله عليه وسلم والاسود بن المطلب بن اسد فقال جبريل لرسول الله صلى
الله عليه وسلم امرت ان اكفيكهم فأومأ الى ساق الوليد فمر بنبال يريش
النبال ويصلحها فتعلق ثوبه بسهم فلم ينعطف تعظيما لاخذه فأصاب
عرقا في ساقه فقطعه فمرض فمات كافرا وأومأ الى اخمص العاصي فدخلت
فيه شوكة من رطب الضريع فانتفخت رجله حتى صارت كالرحى فمات
مقامه وأشار الى انف الحارث فامتخط قيحا فمات واشار الى الاسود بن
عبد يغوث وهو قاعد في اصل شجرة فجعل ينطح برأسه الشجرة ويضرب
وجهه بالشوك حتى مات والى الاسود بن المطلب فعمي بصره ووجعت عينه
فضرب برأسه الجدار حتى هلك وهو يقول قتلني رب محمد والى هذا أشار
الامام السبكي بقوله

وجبريل لما استهزأت فرقة الردا * اشار الى كل بأقبح ميتة

وقال ابن عباس كانوا ثمانية وجزم به ابن عبد البر والعراقي فزاد والى أبى
لهب ابو لهب مات بالعدسة وهي ميتة شنيعة كما سيأتي بعد ايام وعقبة بن ابى
معيط قتل صبرا بعد انصرافه صلى الله عليه وسلم من بدر والحكم بن العاصى
ابن أمية اسلم يوم الفتح وتوفى آخر خلافة عثمان وفي رواية البخاري كان
عليه السلام يصلى عند الكعبة وجمع من قريش في مجالسهم اذ قال قائل
منهم الا تنظروا الى هذا المرائي ايكم يقوم الى جزور آل فلان فيعمد الى
فرثها ودمها وسلاها فيجيء به ثم يمهله حتى اذا سجد وضعه بين كتفيه
فانبعث اشقى القوم عقبة بن ابى معيط كما في الفصيح وحكى ابن التين عن
الداودي انه ابو جهل قال مع يحتمل ان احدهما جاء به والآخر وضعه فلما
سجد صلى الله عليه وسلم وضعه بين كتفيه وثبت النبي صلى الله عليه وسلم
ساجدا وضحكوا حتى مال بعضهم على بعض من الضحك فانطلق منطلق الى
فاطمة وهي جويرية فأقبلت تسعى وثبت النبي صلى الله عليه وسلم ساجدا
حتى القته عنه واستمراره صلى الله عليه وسلم عند فقهائنا لعدم علمه
صلى الله عليه وسلم بنجاسة ما ألقى عليه وقال الخطابي لم يكن اذ ذاك حكم
بنجاسة ما القى عليه كالخمر ورده ابن بطال بأنه لا شك انها كانت بعد
نزول قوله تعالى وثيابك فطهر لانها اول ما نزل قبل كل صلاة اللهم الا ان
يقال المراد بالطهارة القلب ونزاهة النفس عن الدنايا والآثام كذا قال
بعضهم فليتأمل وفي المواهب وشرحه واجاب النووي قائلا انه الجواب
المرضي بانه عليه السلام لم يعلم ما وضع على ظهره فاستمر في سجوده استصحابا
لاصل الطهارة وتعقب بانه مشكل على قولنا بوجوب الاعادة في مثل هذه
الصورة على الصحيح واجيب عنه بأن الاعادة انما تجب في الفريضة فلعل
صلاته كانت نافلة فان ثبت انها فريضة فالوقت متسع فلعله اعاد صلاته
وتعقب بأنه لو اعاد لنقل ولم ينقل وبان الله لا يقره على صلاة فاسدة ويمكن
الانفصال عنه هنا بأنه اقره لمصلحة اغاظة الكفار بالطهارة بانه وعدم
التفاته الى فعلهم كما اقر عليه السلام من ركعتين لتشريع عدم بطلانها
بالسلام سهوا انتهى ولما القته اقبلت عليهم تسبهم فلما قضى رسول الله
صلى الله عليه وسلم الصلاة قال اللهم عليك بقريش ثلاثا ثم قال اللهم عليك

بعمرو بن هشام والوليد بن عتبة وأمية بن خلف وعقبة ابن أبي معيط وعمارة
ابن الوليد قال عبد الله بن مسعود فوالله لقد رأيتهم صرعى يوم بدر ثم سحبوا
الى القليب قليب بدر واعترض بأن عمارة بن الوليد مات بالحبشة كافرا
وبان عقبة بن ابي معيط لم يقتل ببدر وانما اخذ اسيرا منها وقتل بعرق
الظبية وبان امية بن خلف لم يطرح بالقليب واجيب بأن معنى قول ابن
مسعود رأيتهم اى رأيت اكثرهم قال في المنح روى الامام أحمد في مسنده
اول من اظهر الاسلام سبعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رضى
الله عنه وعمار بن ياسر وامه سمية وصهيب وبلال والمقداد فأما رسول الله
صلى الله عليه وسلم فمنعه الله أى من القتل بعمه ابى طالب وأما أبو بكر فمنعه
الله بقومه واما سائرهم فأخذهم المشركون فألبسوهم ادراع الحديد
وصهروهم في الشمس وان بلالا هانت عليه نفسه في الله عز وجل وهان
على قومه فأخذوه واعطوه الولدان فجعلوا يطوفون به في شعاب مكة وهو
يقول احد احد اى ليمزج مرارة العذاب بحلاوة الايمان ومر اللعين ابو
جهل بسمية بضم السين سابع سبعة في الاسلام ام عمار بن ياسر وهى تعذب
في الله فطعنها بحربة في فرجها فقتلها ﴿و﴾ لما ﴿اشتد على المسلمين
البلاء﴾ عما لقوا من المشركين ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يصيب
اصحابه من البلاء مع ما هو فيه من العافية بمكانه من الله عز وجل ومن
عمه ابى طالب قال لاصحابه لو خرجتم الى ارض الحبشة فان فيها ملكا لا يظلم
عنده احد حتى يجعل الله لكم فرجا مما انتم فيه ﴿فهاجروا﴾ اى فخرج
عند ذلك المسلمون وفارقوا اوطانهم فارين بدينهم مخافة الفتنة فمنهم من هاجر
بنفسه ومنهم من هاجر باهله وكانوا احد عشر رجلا وقيل اثنا عشر رجلا
واربعة نسوة وقيل وخمسا وقيل وامرأتين منهم وهو اولهم بل افضلهم عثمان
ابن عفان وزوجته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعبد الرحمن بن
عوف والزبير بن العوام وابو حذيفة بن عتبة ومصعب وابو سلمة بن عبد الاسد
وعثمان بن مظعون وعامر ابن ربيعة وسهيل بن بيضا وابو سبرة بن ابى رهم
اخو ابى سلمة لامه امهما برة بنت عبد المطلب عمة رسول الله صلى الله عليه
وسلم وزوجته ام كلثوم وحاطب بن عمرو العامريان وابن مسعود وغيرهم

وقيل انما كان عبد الله بن مسعود في الهجرة الثانية وبه جزم ابن اسحق
وسيأتي خلافه اقول والذي في الاصابة ان أبا سبرة بن أبي رهم هاجر الى
الحبشة في الثانية ومعه ام كلثوم وامرأته ومن النساء من تقدم وسهلة بنت
سهيل وام سلمة وليلى العدوية وام أيمن الحبشية وخرجوا مشاة الى البحر
فاستأجروا سفينة بنصف دينار فكانت هذه أول هجرة في الاسلام وذلك
﴿في﴾ رجب ﴿سنة خمس﴾ من النبوة متوجهين ﴿الى الناحية﴾
أي الجهة ﴿النجاشية﴾ نسبة الى النجاشي ملك الحبشة والمراد هنا
الرجل الصالح اصحمة الملقب بالنجاشي اسلم في زمن النبي صلى الله عليه
وسلم ولم يجتمع به فهو معدود من التابعين رضي الله عنهم أسلم على يده عمرو
ابن العاص الصحابي الآتي ذكره قريبا قال الزرقاني وهي لطيفة صحابي
أسلم على يد تابعي ولا يعلم مثله انتهى والنجاشي لقب لكل من ملك
الحبشة كما ان كل من ملك الروم يسمى قيصرا ومن ملك الفرس يسمى
كسرى ومن ملك اليمن يسمى تبعا ومن ملك الترك خاقان ومن ملك
القبط فرعون ومن ملك مصر عزيز وتبع الحميري لحمير ودهمي
لعمرو وملك الى دوغانه كارح وبطليموس لليونان وقطيون بكسر الفاء
وسكون الطاء المهملة فمثناة تحتية مضمومة فواو فنون ومالخ أو ماشالخ لليهود
وللصابئة نمرود وجالوت من ملك البربر واخشيد من ملك الفرغانة والنعمان
من ملك العرب من قبل العجم كذا في المغني وفي سيرة مغلطاي والعزيز لمن
ملك مصر والشام واذا أضيف اليها الاسكندرية فهو العزيز
او المقوقس فلما علمت قريش باستقرار المهاجرين في الحبشة وامنهم ارسلوا
عمرو بن العاص وعبد الله بن ربيعة بهدايا وتحف من بلادهم الى النجاشي
ليرد المهاجرين اليهم فأبى ذلك وردهما خائبين ولم يقبل هديتهما فأقام
المسلمون بها شعبان ورمضان وفيه كانت قصة الغرانيق لما قرأ رسول
الله صلى الله عليه وسلم وسجد المشركون وفشا امر تلك السجدة في الناس
حتى بلغ أرض الحبشة ان أهل مكة أي عظماؤهم قد سجدوا وأسلموا حتى
الوليد بن المغيرة وسعيد بن العاصي خط واحد ذلك فرجعوا أي خرج
جماعة منهم منهم عثمان ابن مظعون والزبير بن العوام وعثمان بن عفان

وذلك في شوال من ثالث السنة حتى اذا كانوا دون مكة الى آخر ما يأتي قريبا ان شاء الله تعالى وأما رسول الله صلى الله عليه وسلم فان عمه أبا طالب قام دونه وذب عنه بلسانه ويده كما قال رحمه الله تعالى ﴿وحدب﴾ عطف على وحدة كضحك أى عطف ﴿عليه عمه أبو طالب﴾ ومنعه وأصل الحدب انحناء الظهر ثم استعير لمن عطف على غيره ورق له وقام دونه ﴿فوقاه كل من القوم﴾ أى قريش ﴿وتحاماه﴾ احتمى من التعرض للنبي صلى الله عليه وسلم بأذى اشار بذلك الى انه لما اجتمعت قريش على قتله صلى الله عليه وسلم و بلغ ذلك أبا طالب جمع بني هاشم والمطلب فأدخلوه صلى الله عليه وسلم شعبهم ومنعوه ولم يزل أبو طالب يذب عن النبي صلى الله عليه وسلم ويرد عنه كل من يؤذيه وكان يقول

والله لن يصلوا اليك بجمعهم ٭ حتى أوسد في التراب دفينا

والنبي صلى الله عليه وسلم متماد على ما هو به غير ملتفت لاذاهم بل صابر الصبر الجميل وأمره لا يزداد الا ظهورا وعلوا فأسلم حمزة رضي الله عنه سنة ست من النبوة وفيه نظر لما مر في ترجمة حمزة انه أسلم في السنة الثانية من البعثة وقد يقال لا منافاة على القول بالفرق بين البعثة والنبوة وعليه فيكون اسلامه في السادسة من النبوة تقريبا فعزبه فكفت عنه قريش قليلا وسألوه أن يملكوه عليهم و يعزلوا له من الاموال ما شاء و يترك ما هو فيه فأبى وقال أصبر لامر الله حتى يحكم الله بيني و بينكم وأسلم عمر بعد حمزة رضي الله عنهما بثلاثة أيام فعز صلى الله عليه وسلم كثيرا فكفت عنه قريش ثم اجتمعوا وائتمروا وأن يكتبوا كتابا يتعاقدون فيه على بني هاشم و بني المطلب أن لا ينكحوا اليهم ولا ينكحوهم ولا يبيعوا منهم شيئا ولا يبتاعوا منهم ولا يقبلوا منهم صلحا أبدا حتى يسلموا اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم للقتل وكتبوا ذلك في صحيفة الى آخر القصة في شأن هذه الصحيفة وما وقع من اعدام الارضة اياها بعد ان علقوها في جوف الكعبة وشك بعضهم هل كانت كتابة الصحيفة وتعليقها في سنة سبع أو ثمان وأقاموا على ذلك سنتين أو ثلاثا حتى جهدوا وكان لا يصل اليهم شئ الا سرا وقدم نفر من مهاجرة الحبشة لما بلغهم ان أهل مكة قد أسلموا ووصلوا مع

رسول الله صلى الله عليه وسلم كما مر حتى اذا كانوا قريبا من مكة بلغوا
عن قريش انهم لما ذكر محمد آلهتهم بخير تابعه الملأ ثم عادوا لشتم آلهتهم
وعادوا له بالشر فأتمروا بالرجوع الى الحبشة ثم قالوا قد بلغنا مكة فندخل
فننظر ما فيه قريش وتحدث عهدا بأهالينا ثم نرجع فدخلوها بجوار الا
ابن مسعود رضي الله عنه فانه مكث يسيرا ثم رجع الى الحبشة وهذا امر يج
في ان ابن مسعود كان في الهجرة الاولى وبه جزم الحافظ الدمياطي
ولقي مهاجرة الحبشة من المشركين الاذى الشديد ثم هاجر المسلمون الى
أرض الحبشة المرة الثانية وعدتهم ثلاثة وثمانون رجلا وثمان عشرة
امرأة وكان من الرجال جعفر بن أبي طالب ومعه زوجته أسماء
بنت عميس والمقداد بن الاسود وعبد الله بن مسعود على ما تقدم من أن
ابن اسحق ولعله هاجر الى الحبشة مرتين فلا ينافيه ما مر آنفا عن الحافظ
الدمياطي وعبيد الله بالتصغير بن جحش وامرأته أم حبيبة رضي الله عنها
فتنصر هنالك ومات على النصرانية وبقيت أم حبيبة على اسلامها
وتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهاجر أبو موسى الا[illegible]
الله عنه لما سمع بخروج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة وهو
باليمن فخرج ومعه خمسون رجلا في سفينة مهاجرين اليه صلى [illegible]
وسلم فألقتهم السفينة الى النجاشي بالحبشة فوجدوا جعفرا وأصحابه ر[illegible]
الله عنهم فأمرهم جعفر بالاقامة واستقروا كذلك حتى [illegible]
الله عليه وسلم هم وجعفر عند فتح خيبر ﴿وفرض عليه﴾ صلى [illegible]
وسلم وعلى أمته ﴿قيام بعض من الساعات الليليه﴾ بقوله تعالى
يا أيها المزمل قم الليل الا قليلا وكانوا مخيرين في النصف وما فوقه وما دونه
وكان صلى الله عليه وسلم يشق عليه مراعاة هذه المقادير فقام سنة
في رواية لم ينم في شيء منها بالليل الا قليلا وفي رواية ستين حتى تورمت قدماه فأنزل الله
التخفيف له وللمؤمنين في آخر السورة وقد أشار الى ذلك المصنف بقوله
﴿ثم نسخ﴾ أي الوجوب في حق الامة فقط لما سيأتي ﴿بقوله تعالى
فاقرؤا ما تيسر منه وأقيموا الصلاة﴾ اذ المراد صلوا ما تيسر فعبر عن
الصلاة بالقراءة مجازا لان القراءة من أركانها وهو من باب التعبير بالجزء

من الكل ووجه النسخ انه قال ما تيسر منه أي من القراءة ولم يقيده بزمن فيصدق بما يطلق عليه اسم القيام ﴿وفرض عليه﴾ صلى الله عليه وسلم وعلى أمته ﴿ركعتان بالغداة﴾ أول النهار قبل طلوع الشمس ﴿وركعتان بالعشيه﴾ آخر النهار قبل غروب الشمس قال في الفتح كان صلى الله عليه وسلم قبل الاسراء يصلى قطعا وكذلك أصحابه ولكن اختلف هل افترض قبل الخمس شئ من الصلوات أم لا فقيل ان الفرض كان صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها أى على ما سبق من المتن قال والحجة فيه قوله تعالى فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها انتهى ولعله كان يقرأ فيهما سورة اقرأ بناء على ان سورة الفاتحة ليست أول ما نزل ﴿ثم نسخ﴾ وجوب ما ذكر من الوقتين في حق أمته وبقى الندب ﴿بايجاب الصلوات الخمس في ليلة مسراه﴾ قال الحافظ ابن حجر ذهب جماعة الى انه لم يكن قبل الاسراء صلاة مفروضة الا ما وقع الامر به من صلاة الليل من غير تحديد وذهب الحربى الى ان الصلاة كانت مفروضة ركعتين بالغداة وركعتين بالعشى وذكر الشافعى رضى الله عنه عن بعض أهل العلم ان صلاة الليل كانت مفروضة ثم نسخت بقوله تعالى فاقرؤا ما تيسر منه فصار الفرض قيام بعض الليل ثم نسخ ذلك بالصلوات الخمس انتهى ثم رأيت الامام الزرقانى في شرح المواهب قال بعد قول المتن ثم فرض الله من قيام الليل ما ذكره في أول سورة المزمل ثم نسخه بما في آخرها ثم نسخه بايجاب الصلوات الخمس ليلة الاسراء بمكة ما نصه فقد حكى الشيخ أبو حامد من الشافعى ان قيام الليل كان واجبا أول الاسلام عليه وعلى أمته ثم نسخ عنه بما في آخر سورة المزمل وعن أمته بالصلوات الخمس قال النووى وهو الاصح او الصحيح وفى مسلم عن عائشة رضى الله عنها ما يدل عليه انتهى قال لكن الذى عليه الجمهور وأكثر أصحاب الشافعى انه لم ينسخ أى في حقه لقوله تعالى ومن الليل فتهجد به نافلة لك أى عبادة زائدة في فرائضك ثم نسخ الوجوب في حق الامة وبقى الندب لاحاديث كثيرة انتهى ﴿و﴾ لم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقاسى من أذى قريش نحو ما مر مدة تسع سنين الى أن ﴿مات﴾ عمه الحادب عليه والذاب عنه بقوله وفعله

شيئا اليه ﴿أبو طالب في﴾ شهر رمضان أو في ﴿نصف﴾ شهر
﴿شوال﴾ أو في أول ذي القعدة كما في كلام بعضهم وقيل في رجب
﴿من﴾ السنة ﴿العاشرة﴾ من البعثة قبل الهجرة بثلاث سنين
وعمره بضع وثمانون سنة وقيل تسعون قال الجمال الاخضر كما نقله عنه في
المنهج الاعدل ولا خلاف بين العلماء في ان أبا طالب مات على الكفر
ولم يأت في رواية يعتمد عليها ما أتى في أبوي النبي صلى الله عليه وسلم ان الله
أحياهما له فآمنا به نعم ذكر القرطبي بلفظ وقد سمعت ان الله أحيى أبا
طالب وآمن به انتهى وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول له ياعم
قل لا اله الا الله كلمة استحل لك بها الشفاعة يوم القيامة فلما رأى أبو
طالب حرص النبي صلى الله عليه وسلم قال يا ابن أخي لولا مخافة قريش
اني انما قلتها جزعا من الموت لقلتها لا أقولها الا لاسرك بها فلما تقرب من
أبي طالب الموت نظر العباس اليه يحرك شفتيه فأصغى اليه أذنه فقال
يا ابن أخي لقد قال أخي الكلمة التي أمرته بها فقال صلى الله عليه وسلم
لم أسمع ففي هذه الرواية ما يدل على انه قد أسر كلمة الشهادة الى أخيه
العباس وأسلم عند الموت وأيضا فان في صحيح البخاري من ان آخر ما كلمهم
به ان قال على ملة عبد المطلب يؤيد ذلك لان عبد المطلب وآباءه لم يكونوا
مشركين وتقدم ماله تعلق بهذا وحكى انه لما حضرته الوفاة جمع اليه وجوه
قريش فأوصاهم بالنبي صلى الله عليه وسلم خيرا وحثهم على متابعته
والاعراض عن مخالفته فيما أتى به وان يكونوا له ولاة ولحزبه حماة وانه
لا يسلك أحد سبيله الا رشد ولا يأخذ أحد بهديه الا سعد ﴿وعظمت﴾
بسبب ﴿موته رزيته﴾ براء وزاي المصيبة فان قريشا نالت منه
صلى الله عليه وسلم ما لم تكن تناله في حياة أبي طالب ﴿وتلته﴾ تبعته
ولحقته ﴿خديجة﴾ أم المؤمنين رضي الله عنها فماتت على كلا القولين
أعني القول بوفاتها في رمضان أو في شوال ﴿بعد ثلاث﴾ أي ثلاثة
من الايام فقط ﴿أو﴾ قبل خمسة وقيل شهر وخمسة أيام وقيل خمسين يوما
وقيل ماتت قبله عن خمس وستين سنة ودفنت بالحجون وذلك بعد خروج
بني هاشم والمطلب من الشعب وكان النبي صلى الله عليه وسلم يسمي ذلك

العام عام الحزن وقالت له خولة بنت حكيم يارسول الله كأني أراك قد دخلتك خلة لفقد خديجة قال أجل كانت أم العيال وربت البيت وقد كان لا يسمع صلى الله عليه وسلم شيئا يكرهه من قومه الا فرج الله عنه بها اذا رجع اليها وأخبرها به وفي تلك السنة التي هي العاشرة من البعثة بعد وفاتها الواقع في رمضان كما جزم به في انسان العيون وعليه اقتصر المصنف في فيض المواهب وهو قول الاكثرين أو في شوال كما اقتضاه كلامه هنا وبه قال بعضهم بأيام تزوج سودة بنت زمعة رضي الله عنها وكانت قبله عند سكران بن عمها وهاجر بها الى أرض الحبشة الهجرة الثانية ثم رجع بها الى مكة فمات عنها فلما انقضت عدتها تزوجها صلى الله عليه وسلم وأصدقها أربعمائة درهم ودخل عليها بمكة وعقد عقده على عائشة ودخل بها في المدينة وفي سيرة الدمياطي ماتت خديجة في رمضان وعقد على سودة في شوال وبهذا وبما تقدم يرد قول ابن اسحق ومن تبعه ان خديجة ماتت بعد الاسراء وكانت مدة اقامتها معه صلى الله عليه وسلم خمسا وعشرين سنة على ما تقدم على الصحيح ﴿و﴾ حينئذ ﴿شد البلاء﴾ أي الامتحان ﴿على المسلمين وثيق عراه﴾ أي عراه الوثيقة فهو من اضافة الصفة للموصوف والعرى بضم العين وبالراء المهملتين جمع عروة وهي ما يوضع فيها الازرار فشبه البلاء بانسان ذي ثوب له عرى وقد شدت عليه والعرى تخييل والشد ترشيح أشار بذلك الى ما رواه ابن اسحق انه لما مات أبو طالب نالت قريش من رسول الله صلى الله عليه وسلم من الاذى ما لم تطمع به في حياته حتى اعترض سفيه من سفهاء قريش فنثر على رأسه الكريم ترابا ودخل على احدى بناته فجعلت تغسله وتبكي ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لها لا تبكي يا بنية فان الله مانع أباك ويقول بين ذلك ما نالت قريش ما نالت حتى مات أبو طالب وفي انسان العيون ولما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشا تجهموا قال يا عم ما أسرع ما وجدت بعدك ولما بلغ أبا لهب ذلك قام بنصرته أياما وقال له يا محمد امض لما أردت وما كنت صانعا اذ كان أبو طالب حيا فاصنعه واللات والعزى لا يوصل اليك حتى أموت واتفق أن ابن الغيطلة وهو أحد المستهزئين

سب النبي صلى الله عليه وسلم فأقبل عليه أبو لهب ونال منه فولى وهو يصيح
يا معشر قريش صبا أبو عتبة يعني أبا لهب فأقبلت قريش على أبي لهب
وقالوا أفارقت دين عبد المطلب فقال ما فارقت ولكن أمنع ابن أخي أن
يضام حتى يمضي لما يريد قالوا أحسنت وأجملت ووصلت الرحم فمكث صلى
الله عليه وسلم على ذلك أياما لا يتعرض له أحد من قريش وهابوا أبا لهب
الى أن جاء اليه أبو جهل وعقبة بن أبي معيط فقالا له أخبرك ابن أخيك أين
مدخل أبيك أي المحل الذي يكون فيه يزعم أنه في النار فقال أبو لهب يا محمد
أيدخل عبد المطلب النار فاشتد عليه هو وسائر قريش انتهى وكان
أحدهم يطرح عليه رحم الشاة وهو يصلي ويطرحه في برمته اذا نصبت
له حتى اتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم حجرا يستتر به منهم اذا صلى
وكان اذا طرحوا عليه ذلك يخرج به على عود ويقول يا بني عبد مناف
أي جوار هذا ثم يلقيه والى ذلك يشير المؤلف رحمه الله تعالى بقوله
﴿وأوذيت قريشه صلى الله عليه وسلم﴾ وبالمسلمين ﴿كل أذية﴾
حتى الى القتل به واستئصاله والفراغ منه لو يقدرون على ذلك من ذلك
ما وقع لأبي جهل لما أخذ حجرا وهم أن يلقيه على رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهو ساجد فرجع منهزما منتقعا لونه أي متغيرا كلون الأموات وقد
يبست يداه على حجره حتى قذفه من يده بعد ما جاؤا فسكه من يده وقالوا
ما لك يا أبا الحكم قال قمت اليه لأفعل ما قلت لكم البارحة فلما دنوت منه
عرض فحل من الابل ما رأيت مثله قط هم أن يأكلني فلما ذكر ذلك لرسول
الله صلى الله عليه وسلم قال ذاك جبريل لو دنا لأخذه قال بعضهم وفيه نزل
قوله تعالى أرأيت الذي ينهى عبدا اذا صلى الى آخر السورة انتهى
فسبحان من كفاه وآواه ووقاه وأظهر دينه على الأديان كلها وأسماه ﴿و﴾
لما تزايد البلاء وتفاقم الأمر ﴿أم﴾ أي قصد صلى الله عليه وسلم ماشيا
﴿الطائف﴾ أي أهله سمي بذلك لأن رجلا من حضرموت نزله فقال ألا
أبني لكم حائطا يحيط ببلدكم فبناه فسمي الطائف أو لأن الطائف
المذكور في قوله تعالى فطاف عليها طائف هو جبريل عليه السلام على
قول اقتلع الجنة التي كانت بضروان على فراسخ أو فرسخين من صنعاء وكانه

لرجل صالح وكان ينادي الفقراء وقت الصرام ويترك لهم ما أخطأه المنجل أو ألقته الريح أو بعد من البساط الذي يبسط تحت النخلة فيجتمع لهم شئ كثير فلما مات قال بنوه ان فعلنا ما يفعل أبونا ضاق علينا فحلفوا ليصرمنها وقت الصباح خفية عن المساكين كما قال تعالى اذ أقسموا ليصرمنها مصبحين ولا يستثنون أي لا يقولون ان شاء الله أو لا يستثنون حصة المساكين فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون فأصبحت كالصريم وهو الليل المظلم على قول وأتى بها الى مكة فطاف بها ثم وضعها حيث مدينة الطائف أو غير ذلك أقوال وهو صلى الله عليه وسلم مكروب متشوش الخاطر مما لقي من قريش من قرابته وعشيرته خصوصا من أبي لهب وزوجته أم جميل حمالة الحطب من الهجو والسب والتكذيب وخروجه الى الطائف كان في شوال سنة عشر من النبوة وحده وقيل ومعه مولاه ابن حارثة ﴿يدعو﴾ ويطلب ﴿ثقيفا﴾ القبيلة المشهورة ويلتمس منهم الاسلام رجاء ان يسلموا او ينصروه على الاسلام والقيام معه على من خالفه من قومه قال في الاقناع لانهم كانوا أخواله قال في انسان العيون قال بعضهم ومن ثم اي من اجل انه صلى الله عليه وسلم خرج الى الطائف عند ضيق صدره وتعب خاطره وجعل الله الطائف مستأنسا لكل من ضاق صدره من اهل مكة كذا قال وفي كلام غيره ولا جرم جعل الله الطائف مستأنسا لاهل الاسلام ممن بمكة الى يوم القيام فهي راحة الامة ومتنفس كل ذي ضيق وغمة سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا فليتأمل انتهى ولما انتهى صلى الله عليه وسلم الى الطائف عمد الى سادات ثقيف واشرافهم وكانوا ثلاثة احدهم عبد ياليل واسمه كنانة واخوه مسعود وهو عبد كلال بضم الكاف وتخفيف اللام وحبيب اولاد عمرو بن عمير الثقفي فلما كلمهم فيما جاء به قال احدهم هو يمرط ثياب الكعبة اي يسرقها ان كان الله ارسلك وقال الآخر ما وجد الله احدا يرسله غيرك وقال الثالث والله لا كلمك ابدا لئن كنت رسولا كما تقول لانت اعظم خطرا ولئن كنت تكذب على الله ما ينبغي لي ان اكلمك فقام من عندهم وقد أيس من خير ثقيف وهو معنى قول المصنف رحمه الله تعالى ﴿فلم يحسنوا بالاجابة

﴿قراه﴾ بكسر القاف أي إكرامه وقال لهم اكتموا علي وكره أن يبلغ
قومه ذلك فيشتد أمرهم عليه وقالوا له اخرج من بلدنا والحق بمنجاتك من
الأرض ﴿وأغروا﴾ بفتح الهمزة أي سلطوا ﴿به﴾ أي عليه
﴿السفهاء﴾ منهم ﴿والعبيد فسبوه﴾ شتموه ﴿بأسوأ بذيه﴾
بكسر الذال المعجمة فاحشة قبيحة وصاحوا به حتى اجتمع عليه الناس
﴿و﴾ قعدوا له صفين على طريقه فلما مر ﴿رموه بالحجارة﴾ حتى
جعل لا يرفع رجليه ولا يضعهما الأرض إلا رضخوهما بالحجارة ﴿حتى﴾ أي
إلى أن ﴿خضبت﴾ بالبناء للمجهول مشدد الضاد المكسورة أي لونت
﴿بالدماء نعلاه﴾ والمراد أنهم أدموا ساقيه الكريمتين فسال الدم على
نعليه وكان كلما أزلقته الحجارة قعد إلى الأرض فيأخذون بعضديه فيقيمونه
فإذا مشى رجموه وهم يضحكون كل ذلك وزيد بن حارثة رضي الله عنه أي بناء
على أنه كان معه يقيه بنفسه حتى لقد شج شجاجا فلما خلص منهم
ورجلاه تسيلان دما عمد إلى حائط من حوائطهم أي بستان من بساتينهم
يستظل بكرمه وهو مكروب موجع وروى أنه صلى الله عليه وسلم دعا بدعاء
منه اللهم إني أشكو إليك ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس
يا أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين وأنت ربي إلهي إلى من تكلني إن
لم يكن بك غضب علي فلا أبالي ولما استقر صلى الله عليه وسلم تحت ظل
الكرم إذا في الحائط عتبة وشيبة ابنا ربيعة وقد دريا بما لقي من سفهاء
الطائف فلما رآهما كره ذلك لما يعلم من عداوتهما لله ورسوله فتحركت
له رحمهما فدعوا غلاما لهما نصرانيا يقال له عداس معدود من الصحابة
مات قبل الخروج إلى بدر وهو غير العداس الذي ذهبت به صلى الله عليه
وسلم خديجة إليه حين نزل عليه الوحي أولا فإنه [illegible] عليه كما تقدم فقالا
خذ قطفا من هذا العنب ثم اذهب به إلى ذلك الرجل ففعل عداس فلما
وضعه بين يديه قال صلى الله عليه وسلم بسم الله ثم أكل فقال الغلام إن هذا
الكلام لا يقوله أهل هذه البلاد فقال له صلى الله عليه وسلم من أي البلاد
أنت وما دينك قال نصراني من أهل نينوى فقال من قرية الرجل الصالح
يونس بن متى فقال وما يدريك بيونس قال ذاك أخي من أنبياء الله تعالى

فاقبل يقبل رأسه ورجليه فقال أحدهما لصاحبه اما غلامك فقد أفسده
عليك فلما جاءهما عداس قال له أحدهما ويلك مالك تقبل رأس هذا
الرجل ويديه وقدميه فقال ياسيدي ما في الارض خير من هذا لقد اعلمني
بأمر لا يعلمه الا نبي قال ويحك يا عداس لا يصرفنك عن دينك قال الخفاجي
وقد قال صلى الله عليه وسلم ان هذا أشد ما لقيه والقصة مفصلة في السير قال
ابن حجر وفي الصحيحين انه لقي منهم أشد مما لقيه يوم أحد ﴿ثم﴾ بعد ان قام
بالطائف عشرين يوما وقيل شهرا لا يدع أحدا من اشرافهم زيادة على عبد
ياليل واخويه الا جاء اليه وكلمه ولم يجبه أحد ﴿عاد﴾ رجع الى ﴿ال
مكة﴾ حال كونه ﴿حزينا﴾ على ما فاته من عدم اسلامهم وموافقتهم
على نصرته ﴿ف﴾ بينما هو صلى الله عليه وسلم في أثناء الطريق ﴿سأله ملك
الجبال في﴾ أن يأذن له باطباق الاخشبين وهما أبو قبيس وقيقعان
و ﴿اهلاك أهلها ذوي﴾ أصحاب ﴿العصبيه﴾ التعصب الجاهلية
﴿فقال﴾ صلى الله عليه وسلم لا اشاء ذلك بل واصبر على اذاهم ﴿اني أرجو
أن﴾ يؤول الحال بهم الى الخير والاسلام أو ﴿يخرج الله من أصلابهم﴾
جمع صلب وهي عظام الظهر أي ظهورهم ﴿من﴾ يعبد الله وحده
و ﴿يتولاه﴾ الله يكون وليا وناصرا له وأصل ذلك ما أخرجه البخاري
ومسلم من حديث عائشة رضي الله عنها انها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم
هل اتى عليك يوم كان أشد عليك من يوم أحد فقال لقد لقيت من قومك
وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة اذ عرضت نفسي على عبد ياليل بن عبد
كلال فلم يجبني الى ما أردت فانطلقت على وجهي وانا مهموم فلم أستفق
الا وانا بقرن الثعالب فرفعت راسي فاذا انا بسحابة قد اظلتني فنظرت
فاذا فيها جبريل فنادانى فقال ان الله قد سمع قول قومك وما ردوا عليك وقد
بعث اليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم فنادانى ملك الجبال فسلم على
فقال يا محمد ذلك لك فما شئت ان شئت أن اطبق عليهم الاخشبين فعلت
وهما جبلان يضافان تارة الى مكة وتارة الى منى فن الاولى القول بأنهما
أبو قبيس وقيقعان وقيل الجبل الذي يقابل ابا قبيس المشرف على قيقعان
ومن الثانية القول بأنهما الجبلان اللذان تحت العقبة بمنى فوق المسجد

وفيه ان ثقيفاً ليسوا بينهما بل الجبلان خارجان عنهم فكيف يطبقهما
عليهم ويجاب بأن المراد الجبلان اللذان هما عليهم بعد نقلهما من محلهما الى محل
ثقيف الذي هو الطائف لان القدرة صالحة وفي لفظ ان شئت خسفت
بهم الارض او دمدمت عليهم الجبال فقال صلى الله عليه وسلم بل ارجو ان
يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله لا يشرك به شيئاً انتهى قال في انسان
العيون وعند ذلك قال له ملك الجبال أنت كما سماك ربك رؤوف رحيم انتهى
والى حلمه واغضائه صلى الله عليه وسلم أشار صاحب الهمزية بقوله

جهلت قومه عليه فأغضى * وأخو الحلم دأبه الاغضاء
وسع العالمين علماً وحلماً * فهو بحر لم تعيه الاعباء

وعدل صلى الله عليه وسلم الى حراء وخشي ان يدخل مكة الا في جوار فبعث
الى الاخنس بن شريق ليجيره فقال انا حليف والحليف لا يجير فبعث الى
سهيل بن عمرو فقال ان بني عامر لا تجير على بني كعب فبعث الى المطعم
ابن عدي فاجابه الى ذلك وتسلح هو واهل بيته وقعد في المسجد وبعث الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ادخل فعاد الى بلده فدخل مكة في جوار
المطعم بن عدي ولا بدع في دخوله صلى الله عليه وسلم في امان كافر لان حكمة
الحكيم القادر قد تخفى ثم لم يزل اصحابه صلى الله عليه وسلم واعوانه يكثرون
ويتقوون على اعدائهم شيئاً فشيئاً الى ان أمكنه الله من نواصي اعدائه
فأذاق من بقي منهم على كفره الهوان وادخل من خضع منهم لعزته
مأمن البقاء والامان وقد أشار صاحب الهمزية رحمه الله الى ان
هذه الاذيات لا يظن انها منقصة له صلى الله عليه وسلم بل هي رفعة
ومكانة تقدر به لكثرة صبره صلى الله عليه وسلم وحلمه واحتماله
مع علمه صلى الله عليه وسلم باستجابة دعائه ونفوذ كلمته عند الله تعالى
وقد قال صلى الله عليه وسلم اشد الناس بلاء الانبياء عليهم الصلاة والسلام
وذلك سنة من سنن النبيين السابقين عليهم الصلاة والسلام بقوله

لا تخل جانب النبي مضاماً * حين مسته منهم الأسواء
كل امر ناب النبيين فالشدة فيه محمودة والرخاء
لو يمس النضار هون من النا * ر لما اختير للنضار الصلاء

أى لا تظن ان النبى صلى الله عليه وسلم حصل له الضيم وقت هذه الاذيات حالة كونها صادرة منهم لان كل ما يلاقيه الانبياء من مقاساة الاهوال والشدائد زيادة فى عظم شأنهم وعلو قدرهم وجميل صبرهم وكمال فضلهم لانه لو كان مس الذهب هوانا من ادخاله النار لما اختير له العرض على النار فالانبياء عليهم الصلاة والسلام كالذهب والشدائد التى تصيبهم كالنار التى يعرض عليها الذهب فان ذلك لا يزيد الذهب الا حسنا فكذلك الشدائد لا تزيد الانبياء عليهم الصلاة والسلام الا رفعة والله أعلم وما احسن ماقيل فى هذا المعنى

وإذا اراد الله نشر فضيلة * طويت أتاح لها لسان حسود
لولا اشتعال النار فيما جاورت * ما كان يعرف عرف طيب العود

﴿عطر اللهم قبره الكريم بعرف شذى من صلاة وتسليم اللهم صل وسلم وبارك عليه﴾

﴿ثم﴾ بعد ان بعثه الله رحمة للعالمين اتفاقا خصه بما لم يقع لغيره من الخلق أجمعين و ﴿اسرى﴾ بالبناء للمفعول للعلم بالفاعل وانه الله تعالى ليلا لأن الاسراء هو سير الليل واذا أطلق فهم انه واقع ليلا وأجابوا عن قوله تعالى أسرى بعبده ليلا ان الامر وان كان كذلك الا ان العرب تفعل مثل ذلك فى بعض الاوقات اذا ارادت تأكيد الامر والتوكيد نوع من أنواع كلامهم واسلوب منه كقولهم اخذ بيده وقال بلسانه قال بعضهم وفائدة التأكيد رفع توهم المجاز لانه يطلق على النهار ايضا وقيل غير ذلك وقد علمت ان الاسراء وقع بعد البعثة بالاتفاق واختلفوا فى عامه وشهره وليلته واليوم الذى يسفر عن ليلته اما عامه فعلى قول الزهرى ومن وافقه بعد المبعث بعام ونصف وقيل قبل الهجرة بسنة وهو الاصح وبه جزم ابن حزم وبالغ وادعى فيه الاجماع وقيل بسنتين وقيل بثلاث سنين قال القاضى فى الشفاء وقد قيل كان الاسراء لخمس قبل الهجرة وهو الاشبه انتهى ورد وقيل غير ذلك واما شهره وليلته فقيل ليلة سبع وعشرين من رجب وهو الراجح واختاره الحافظ عبد الغنى المقدسى واعتمده جمع من العلماء وعليه عمل الناس وقيل ليلة سبع عشرة وقيل سبع وعشرين خلت من

ربيع الاول وقيل ليلة سبع عشرة خلت من رمضان وقيل سبع وعشرين
من ربيع الآخر وقيل في شوال وقيل في ذي القعدة وأما اليوم الذي يسفر
عن ليلته فقيل الجمعة وقيل السبت وقال ابن دحية يكون الاثنين ان شاء
الله تعالى ليوافق المولد والبعثة والهجرة والوفاة وتقدم الكلام في افضلية
تلك الليلة بالنسبة له صلى الله عليه وسلم على ليلة القدر بل وعلى ليلة مولده
صلى الله عليه وسلم في مقدمة الكتاب وحكمة الاسراء به ليلا لانه وقت
الخلوة والاختصاص ووقت الاجتهاد للعبادة عرفا ولانه وقت الصلاة التي
كانت مفروضة عليه في قوله تعالى قم الليل وليكون ابلغ للمؤمن في الايمان
بالغيب وفتنة للكافر وقال بعض أهل الاشارات لما محا الله آية الليل وجعل
آية النهار مبصرة انكسر الليل فجبر بأن اسرى فيه محمد صلى الله عليه وسلم
وقدم الحق تبارك وتعالى الليل على النهار في غير ما آية قرآنية وقد اختلف
في التفضيل بين الليل والنهار وصنف فيه بعضهم كتابا فرجح الليل بوجوه
كثيرة منها ما تقدم ومنها غير ذلك واعظمها وقوع رؤية الله تعالى فيه للنبي
صلى الله عليه وسلم ونزول القرآن فيه كما يدل عليه قوله تعالى انا
انزلناه في ليلة القدر ومن الطف ما قيل في حكمة ذلك انه البدر الذي
يقتدى به وانشد في هذا المعنى

قيل لي سيدي فكم تؤثر الليل على بهجة النهار المنير
قلت لا استطيع تغيير رسمي هكذا الشان في طلوع البدور
انما سرت في الظلام لكيما يشرق البدر من اشعة نور

﴿بروحه﴾ الروح هو ما به حياة الجسم ويؤنث وتقدم الكلام عليه
﴿وجسده﴾ صلى الله عليه وسلم ﴿يقظة﴾ بفتح القاف وسكونها وهم
لا مناما مرة واحدة في ليلة واحدة عند جمهور المحدثين والفقهاء والمتكلمين
وتواردت عليه ظواهر الاخبار الصحيحة ولا ينبغي العدول عنه وقيل وقع ذلك
مرة مناما ومرة يقظة فلا ينافي حديث البخاري عن أنس بن مالك رضي الله
عنه ان الاسراء كان قبل ان يوحى اليه لان ذلك كان في نومه بروحه الشريف
ويكون توطئة له وتيسيرا عليه كما كان بدء نبوته صلى الله عليه وسلم الرؤيا
الصادقة وقيل الاسراء في ليلة والمعراج في ليلة وقيل الاسراء يقظة والمعراج

متاما وقيل الخلاف في انه يقظة أو مناما خاص بالمعراج وقيل أسري به
مرتين يقظة الاولى بلا معراج والثانية به وفي كلام الشيخ عبد الرحمن
الشعراني رحمه الله ان الاسراء به صلى الله عليه وسلم كانت أربعا وثلاثين
واحد منها بجسمه أي وروحه الشريف صلى الله عليه وسلم وقد صرح
القرآن العظيم بان الاسراء كان ﴿من المسجد﴾ كمفعل بالكسر اسم لمكان
السجود على غير قياس اذ قياسه بالفتح للزمان والمكان والحدث لان
مضارعه مضموم العين واما شرعا فكل موضع من الارض موقوف للصلوات
الخمس فيه فخرج المصلى المجتمع فيه للاعياد وغيرها فلا يعطى حكمه وكذا
الربط والمدارس فانها هيئت لغير ذلك ولما كان السجود اشرف افعال
الصلاة لقرب العبد من ربه اشتق اسم المكان منه فقيل مسجد ولم يقولوا
مركع ﴿الحرام﴾ تقدم سبب تسميته بذلك ﴿الى المسجد الاقصى﴾
أفعل من قصى والقاصي هو البعيد وسمي بالاقصى لبعد المسافة بينه وبين
المسجد الحرام فبينهما مسافة ثلاثين يوما عادة أو لانه لم يكن حينئذ وراءه
مسجد فثبت له هذا النعت وان كان قد حدث وراءه بعد مساجد هي أقصى
منه لان العلية اذا ثبتت لسبب لا يضر زوال السبب فكان اقصى أي أبعد
مسجد من أهل مكة أو من العرب أو من الكعبة أو من النبي صلى الله عليه
وسلم ويحتمل ان يراد بالاقصى البعيد دون مفاضلة فافعل التفضيل ليس
على بابه وأول مسجد وضع على الارض المسجد الحرام ثم المسجد الاقصى
وتقدم ان أول من بنى المسجد الحرام الملائكة وأما المسجد الاقصى فأول
من أسسه يعقوب بن اسحاق بعد بناء ابراهيم الكعبة بأربعين عاما
ومازال مكرما محترما وهو أحد المساجد الثلاثة التي لا تشد الرحال شرعا
الا اليها وقد عمره نبي الله سليمان صلى الله عليه وسلم بأمر الله عز وجل
وهو معدن الانبياء من لدن ابراهيم عليه الصلاة والسلام ولذا اجتمعوا له
هنالك كلهم وأمهم في محلتهم ودارهم ليدل ذلك على انه الرئيس المقدم
والامام الاعظم صلى الله عليه وسلم وكلمة الى في قوله الى المسجد الاقصى
لانتهاء الغاية ومدلولها انه انتهى وصل الى حد ذلك المسجد ولا دلالة
في اللفظ على انه دخله لكن القرينة تدل على دخوله وهي العلم بأنه

انما يسرى به الى بيت المقدس ليدخله و يبعد ان يسرى به الى بيت
المقدس ولا يدخله وقد صرحت السنة الصحيحة بأنه صلى الله عليه وسلم دخله
والحكمة فى الاسراء به الى بيت المقدس ثم منه عروجه الى السموات
ما ذكره الحافظ فى فتح البارى والنجم الغيطى فى الابتهاج عن العارف
ابن أبى جمرة ان الحكمة فيه اظهار الحق على من عانده لانه لو عرج به من
مكة الى السماء لم يجد لمعاندة الاعداء سبيلا الى البيان والايضاح فلما
ذكر انه اسرى به الى بيت المقدس سألوه عن أشياء من بيت المقدس كانوا
رأوها وعلموا انه لم يكن رآها قبل ذلك فلما أخبرهم بها حصل التحقيق
بصدقه فيما ذكر من الاسراء به الى بيت المقدس فى ليلة واذا صح خبره فى
ذلك لزم تصديقه فى بقية ما ذكره انتهى فكان ذلك زيادة فى ايمان المؤمن
وزيادة فى شقاء الجاحد المعاند وهو قابل لانه بحث وقيل الحكمة فيه الاشارة
الى استقامة احواله صلى الله عليه وسلم لان بيت المقدس محاذ لباب
سماء الدنيا التى دخلها منه فيكون الصعود منه مستقيما واحواله صلى
الله عليه وسلم كلها مستقيمة وقيل الحكمة فيه غير ذلك ﴿وربابه﴾ جمع
رحبة هى فناء الدار والمراد ما حوله ﴿القدسية﴾ المنسوبة للقدس بسكون
الدال وضمها و يقال القدوس وهو الطهارة أى المطهرة لان الله طهره
وما حوله باخلائه مما من الاصنام وبجعله مقر الانبياء عليهم الصلاة والسلام
ومتعبدهم ومهبط الوحى والملائكة *تنبيه* قال بعضهم الاسراء من
المسجد الحرام الى المسجد الاقصى ثابت بالكتاب والسنة واجماع المسلمين
فمن أنكره كفر والمعراج من المسجد الاقصى الى السموات السبع ثابت
بالاحاديث المشهورة ومنها الى الجنة ثم الى المستوى او العرش او طرف
العالم من فوق العرش على الخلاف فى ذلك ثابت بخبر الواحد فمن أنكره
لا يكفر لكن يفسق والتحقيق انه لم يصل الى العرش كما نصوا عليه فى
مواد القصة انتهى وسيأتى فى اواخر المبحث عن الشيخ القزوينى وغيره
ابطال قول من قال بوصوله العرش ووطئه له بنعله وان ذلك لم يثبت فى خبر
صحيح ولا حسن ولا ثابت اصلا وقد جاءت بتفصيل الاسراء والمعراج وشرح
عجائبهما احاديث كثيرة عن جماعة من الصحابة من الرجال والنساء نحو

للاول وفي رواية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءه جبريل وفى اخرى
وميكائيل وفى اخرى ذكر ثالث وهو فى بيت أم هانئ بعد ان انفرج سقف
بيته فاخرجه الى المسجد فاضطجع لاثر نعاس كان به ثم تولاه
منهم جبريل فشق من ثغرة نحره الى اسفل بطنه وفى رواية الى شعرته ولم
يسل منه دم ولم يجد لذلك الما كما تقدم التصريح به فى بعض الروايات لانه من
خرق العادات وظهور المعجزات ثم قال جبريل لميكائيل ائتنى بطست من
ماء زمزم كيما اطهر قلبه واشرح صدره فاستخرج قلبه فغسله ثلاث مرات
ونزع ما فيه من اذى والمراد ما يكون فى الجبليات البشرية استقصاء له
ومبالغة فى تطهير قلبه الشريف وذكر العلقة فى خبر المرة الاولى وهو فى بنى
سعد وقول الملك هذا حظ الشيطان منك وهم من بعض الرواة كما تقدم
تحقيق ذلك مبسوطا واختلف اليه ميكائيل بثلاث طسات من ماء زمزم ثم
اتى بطست من ذهب ممتلئ حكمة وايمانا والمراد كمالهما فلا ينافى ما تقدم
فى قصة الرضاع فافرغه فى صدره وملأه حلما وعلما ويقينا واسلاما وكل هذه
معان والله قادر على تجسيمها كما تقرر فيما تقدم ثم اطبقه ثم ختم بين كتفيه
بخاتم النبوة ثم أتى بالبراق مسرجا ملجما وهو دابة أى يشبهها اذ ليس هو
ذكر ولا انثى ولا هو من جنس ما يركبه الآدميون قال القليوبى ويذكر
ويؤنث فلذلك اختلفت الروايات فى اعادة الضمير اليه وهو من ذوات
الاربع كما يؤخذ من قوله مسرجا ملجما انتهى دون البغل وفوق الحمار
ابيض يضع حافره عند منتهى طرفه مضطرب الاذنين اذا أتى على جبل
ارتفعت رجلاه واذا هبط ارتفعت يداه وهذا أبلغ من الطيران فاستصعب
عليه فوضع جبريل يده على معرفته ثم قال له الا تستحى يا براق فوالله
ما ركبك قط أكرم على الله منه فارفض عرقا وقر حتى ركبه واختلفوا فى
حكمة نفرته منه فقيل ليعرفه جبريل راكبه او رتبته وقيل لبعده ان يركبه
الى الحشر ليختص بذلك دون بقية افراد جنسه التى أعدها الله له فى الجنة
ترعى فى مروجها وهى أربعون ألف براق وقيل عجبا وتيها بركوب هذا
الجناب العظيم له وقيل لبعد عهده بركوب الانبياء وقيل غير ذلك وكان الانبيا
يركبونه وفى كلام ابن دحية انه لم يركبه أحد غير نبينا صلى الله عليه وسلم

ووافقه على ذلك الامام النووى ومن ثم عده الجلال السيوطى فى
الخصائص الصغرى من خصائصه على أحد القولين والمعتمد الاول وقيل
ان الذى خص بركوبه عليه ما مسرجا وانما لم يكن على شكل الفرس اشارة
الى أن ركوبه فى سلم وامن لا حرب وخوف وركوبه صلى الله عليه وسلم البغلة
فى الحرب لانه عنده كالسلم لقوة شجاعته وشدة توكله والى ظهور هذه
المعجزة بوقوع هذا الاسراع البالغ من دابة على هذا الشكل اذهى
أبلغ من حمله الى ذلك المحل ومن حمل الريح او الملائكة أو الجن كما وقع
لسليمان عليه الصلاة والسلام بل فى كون اعظم الملائكة خداما له هنا
الغاية القصوى فى الشرف وعلو المرتبة ومع ان جبريل حمله على البراق
رديفا له وفى بعض الروايات وجبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره وعند
أبى سعيد كان الآخذ بركابه جبريل وبزمام البراق ميكائيل فساروا حتى
مروا بيثرب فأمره جبريل ان ينزل ويصلى وبمدين فأمره بذلك وبيت لحم
الذى ولد فيه عيسى عليه السلام فأمره بذلك واراه عجائب أخرى الى ان
وصل الى بيت المقدس ودخل من بابه اليمانى ثم نزل فربطه النبي صلى الله
عليه وسلم بالحلقة التى تربطه بها الانبياء عليهم السلام وفى رواية ان جبريل
عليه السلام ربطه و يجمع بان النبى صلى الله عليه وسلم ربطه بالحلقة خارج
باب المسجد تأدبا فأخذه جبريل فربطه فى زاوية المسجد فى الحجر الذى هو
الصخرة التى خرقها باصبعه وجعله داخلا عن باب المسجد فكأنه يقول له صلى
الله عليه وسلم انك لست ممن يكون مركوبه على الباب بل يكون داخلا
والمراد بالصخرة الحجر الذى بالباب لا الصخرة المعروفة كما هو المتبادر من
بعض الروايات ثم دخل النبي صلى الله عليه وسلم وبعث الله له جماعة من
الانبياء وفى رواية أتى بأرواح الانبياء قال فى المنح أى مع أجسادهم لرواية
ثم دخلت المسجد فعرفت النبيين ما بين قائم وراكع وساجد وهذا هو الراجح
لان الانبياء أحياء فى قبورهم على الراجح يصلون ويصومون ويحجون
زيادة فى أجورهم اذ لا تكليف بعد الموت ثم اذن مؤذن فأقيمت الصلاة
فقمنا صفوفا فقدمنى جبريل فصليت بهم وقد اختلف فى هذه الصلاة هل
كانت فرضا أو نفلا واذا قلنا انها كانت فرضا فهل الصبح أو العشاء وقد قيل

ولم يبين في الرواية ان صلاته بهم قبل العروج أو بعده لان أول صلاة صلاها
النبي صلى الله عليه وسلم من الخمس مطلقا الظهر بمكة بالاتفاق ويمكن
حملها على الصلاتين المفروضتين عليه بالغداة والعشي قبل ليلة الاسراء فلا
ينافي الاتفاق المذكور ومن ثم قال بعضهم من الصلاة المفروضة عليه قبل
ليلة الاسراء وفي فتاوى النووي ما يؤيده لكن قال في انسان العيون والذي
يظهر والله أعلم انها كانت من النفل المطلق ولا يضر وقوع الجماعة فيها
لان الغرض من تلك الصلاة الاعلام بعلو مقامه وانه المقدم لاسيما
في الامامة وان لم تكن شرعت اذ ذاك الجماعة وفي رواية لاحمد فاذا النبيون
أجمعون يصلون معه وقيل بالزيادة على رواية جماعة منهم فيؤخذ بتلك الزيادة
ثم أثنى كل نبي من المرسلين على ربه بثناء جميل فقال النبي صلى الله عليه وسلم
كلكم أثنى على ربه وانا مثن على ربي ثم شرع يقول بما أثنى به الحمد لله
الذي ارسلني رحمة للعالمين وكافة للناس بشيرا ونذيرا وانزل على الفرقان فيه
تبيان كل شئ وجعل أمتي خير أمة اخرجت للناس وجعل أمتي وسطا وجعل
أمتي هم الاولون والآخرون وشرح لي صدري ووضع عني وزري ورفع لي
ذكري وجعلني فاتحا خاتما فقال ابراهيم عليه الصلاة والسلام بهذا
فضلكم محمد صلى الله عليه وسلم وفي رواية البخاري أتى صلى الله عليه وسلم
ليلة الاسراء بقدحين من خمر ولبن فنظر اليهما فأخذ اللبن فقال جبريل
الحمد لله الذي هداك للفطرة لو اخذت الخمر غوت امتك ولم يتبعك منهم الا
القليل (و) لما فرغ صلى الله عليه وسلم من امامته نصب له المعراج الذي
تعرج عليه ارواح بني آدم فلم تر الخلائق أحسن منه أما ترى الميت حين
يشق بصره طامحا الى السماء بعد خروج روحه فان ذلك عجبه بالمعراج الذي
نصب لروحه لتعرج عليه وذلك شامل للمؤمن والكافر الا ان الكافر ترد
روحه بعد عروجها تحسرا وندامة وتبكيتا له وذلك المعراج مرقاة من فضة
ومرقاة من ذهب أي عشر مراق وهو المراد بقول بعضهم كانت المعاريج
ليلة الاسراء عشرة سبع الى السموات والثامن الى سدرة المنتهى والتاسع
الى المستوى والعاشر الى العرش والرفرف فاطلق على كل مرقاة معراجا
قال بعضهم وكانت الدرجة أي المرقاة تهبط كالابل ليصعد عليها النبي صلى

الله عليه وسلم ثم رفعه الى مكانها والظاهر ان درج المعراج كدرج الجنة بين كل درجة خمسمائة عام قال بعضهم وهو من جنة الفردوس منضد باللؤلؤ عن يمينه ملائكة وعن يساره ملائكة و﴿عرج﴾ بالبناء للفعول أي صعد ﴿به﴾ صلى الله عليه وسلم في تلك الليلة ومعه جبريل عليه السلام وترك البراق مربوطا بالصخرة الى عودهما الركبه صلى الله عليه وسلم مع رجوعه بعد نزوله الى مكة وما قيل انه صعد عليه وانه كان يصعد به الى كل سماء في خطوة لانه يضع حافره عند منتهى طرفه كما مر وهو ينظر كل سماء من الاخرى خيال باطل ووهم فاسد رابطه القلوب لوجود ذكرها في شرحه على قصة المعراج فراجعه ﴿الى السموات﴾ السبع كما في رواية ابن هشام والبيهقي وغيرهما وبين السماء والارض خمسمائة سنة كما بين كل سماء الى سماء خمسمائة سنة فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أتدرون كم بين السماء والارض قلنا الله ورسوله أعلم قال بينهما خمسمائة سنة وبين كل سماء الى سماء خمسمائة سنة وكثف كل سماء خمسمائة سنة وفوق السماء السابعة بحر بين اعلاه واسفله كما بين السماء والارض وفي رواية عن أبي هريرة وفي السماء السابعة بحر عمقه مثل ذلك كله أي مع اضافة بعد ما بين الارضين اليه كما في الرواية ثم فوق ذلك ثمانية اوعال بين ركبهن واظلافهن كما بين السماء والارض ثم فوق ذلك العرش بين اسفله واعلاه كما بين السماء والارض ثم الله تعالى فوق ذلك أي سلطانه وملكه وعظمته ويصير مجموع ما ذكر في هذه الرواية مسيرة عشرة آلاف سنة أي من سني الدنيا على معنى انه لو فرض مشي الانسان لقطع مقدار ذلك في عشرة آلاف سنة كما يؤخذ من تفسير البيضاوي وحواشيه لزاده وغيره عند قوله تعالى في سورة المعارج تعرج الملائكة والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ولم يتعرض في الرواية لمقدار ما بين ركب الاوعال وظهورهن فليحرر وروى الطبراني في الاوسط وابن راهويه وغيرهما عن الربيع ابن أنس قال السماء الدنيا موج مكفوف والثانية مرمرة بيضاء والثالثة حديد والرابعة نحاس والخامسة فضة والسادسة ذهب والسابعة ياقوتة حمراء زاد ابن أبي حاتم وما فوق ذلك صحارى من نور ولا يعلم ما فوق ذلك

الا الله سبحانه وتعالى وهذا كما تراه مخالف الامر من ان فوق ذلك بحر وفوق البحر ثمانية اوعال الخ ويحتمل ان يقال ان المراد ان تلك الصحارى فوق تلك الاوعال التى فوق البحر وفوق الجميع العرش كما قاله الحلبى فى حواشيه على الابتهاج للنجم الغيطى لكن قال القليوبى فى معراجه ان هذه الاوعال لم تصح روايتها عند اهل السنة ولم يقل بها علماء الهيئة ولم يوجد ما يدل عليها فى المعاريج الآتية انتهى قال بعضهم وكان العروج به صلى الله عليه وسلم من القبة التى يقال لها قبة المعراج عند يمين الصخرة وادعى عدم الاختلاف فى ذلك فلما ارتفعت المرقاة بهما صاعدة تبعتها الصخرة ايضا صاعدة فقال لها جبريل قرى فوقفت محلها وهو كذلك الى يوم القيامة وكانت النساء اذا دخلن تحتها يفزعن منها ونسقط الحوامل من شدة الفزع فبنى تحتها جدار قصير لدفع ذلك قاله القليوبى واستمرا فى صعود هما حتى انتهيا وانتهى النبى صلى الله عليه وسلم لانه المقصود وجبريل تابع الى باب سماء الدنيا فاستفتح جبريل فانفتح ﴿فرأى﴾ صلى الله عليه وسلم اى عاين وابصر ﴿آدم﴾ عليه الصلاة والسلام قيل اسم أعجمى ولذا منع من الصرف وقيل عربى مشتق من اديم الارض اى ظاهر وجهها سمى به لخلقه منه او من الادمة وهى منزلة بين البياض والسمرة وأصله أأدم ابدلت الهمزة الفا وعلى انه عربى يكون منع صرفه للعلمية ووزن الفعل ويقال له الخليفة ويكنى أبا محمد وابا البشر والانسان وفى صحيح مسلم ان الله خلق آدم يوم الجمعة واختصه بأمور خلقه بيده وأسجد له ملائكته واسكنه جنته واصطفاه واكرم ذريته وعلمه جميع الاسماء وجعله اول الانبياء وعلمه مالم يعلمه الملائكة المقربين وجعل من نسله الانبياء والمرسلين والاولياء والصديقين وفى حديث أبى موسى الاشعرى رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الارض فجاء بنو آدم على قدر الارض جاء منهم الاحمر والابيض والاسود وبين ذلك والسهل والحزن والخبيث والطيب وما احسن ماقيل فى هذا المعنى

الناس كالارض ومنها هم * من خشن اللمس ومن لين

فلم ندمی به أرجل * وأقد يوضع فی الأعين

وذلك بعد أن خرقا البحر الذی بین السماء والأرض المسمى بالمكفوف الذی جمیع بحار الدنیا بالنسبة الیه كقطرة من البحر المحیط وقیل انه من الرمل وهذا أبلغ وأعظم من انفلاق البحر لموسى علیه الصلاة والسلام وهكذا قال فی البحر الذی فی السماء السابعة على ما مر ﴿فی﴾ السماء ﴿الاولى﴾ أی سماء الدنیا المكرم بالقرب السموات ولكونه أول الانبیاء علیهم الصلاة والسلام ناسب أن یكون فی أول السموات وذلك بعد أن استفتح جبریل كما مر فقیل من بالباب فقال جبریل قیل ومن معك قال محمد قیل أوقد أرسل الیه قال نعم قیل مرحبا به وأهلا حیاه الله من أخ ومن خلیفة فنعم الاخ ونعم الخلیفة ونعم المجیء جاء وهكذا فی كل سماء الى السماء السابعة وفی استفتاح جبریل دلیل على انه صادف أبواب السموات مغلقة وانما لم تهیأ للنبی صلى الله علیه وسلم وان كان أبلغ فی الاكرام لئلا یظن انها لا تزال مفتوحة ولیعلم انه ذلك فعل من أجله تشریفا له صلى الله علیه وسلم وقول الخازن من معك یشعر بأنهم احسوا معه برفیق والا لكان السؤال أمعك احد وذلك الاحساس اما بمشاهدة لكون السماء شفافة واما لامر معنوی بزیادة النور وفی اخبار جبریل باسمه محمد دلیل على ان الاسم أرفع من الكنیة وقول الخازن أوقد أرسل الیه فیه دلیل على ان أهل العالم العلوی یعرفون رسالته ومكانته لانهم سألوا عن وقتها لا عنها ولهذا اجابوا بقولهم مرحبا به ونعم المجیء جاء وقول الخازن مرحبا به الخ دلیل على ان الملائكة اذا علموا من سیدهم عزا او كرامة لو اقدان یبشروه بذلك وان لم یأذن لهم فیه ولا یكون فی ذلك افشاء للسر بل هو من تعجیل البشری ﴿و﴾ الحال انه ﴿قد جلاه﴾ بفتح الجیم وتشدید اللام أی غطاه وستره ﴿الوقار﴾ بفتح الواو والقاف أی الحلم والرزانة ﴿وعلاه﴾ هو لازم لما قبله أی ستره وعمه قرئ بفتح اللام المخففة وهو الاظهر كما قال بعضهم ویحتمل تشدیدها أی جعله عالیا وهو كنایة عن تعظیمه فقال یا جبریل من هذا قال أبوك آدم فسلم علیه قال صلى الله علیه وسلم فسلمت علیه فقال مرحبا بالنبی الصالح والابن الصالح ودعا له

بخير ورأى من يمينه أرواح المؤمنين فاذا نظر اليهم ضحك وعن يساره أرواح الكفار فاذا نظر اليهم بكى أى انه يكشف له عنهم وهم في النار التي هي مستقر أرواحهم ورأى النيل والفرات أى انتهاءهما بالنسبة الى السموات والا فابتداؤهما من سدرة المنتهى كما يأتى وحكمة رؤيته لآدم في السماء الاولى التي هي سماء الدنيا ما مر ولاجل تأنيس النبوة بالابوة في أول انتقاله الى العالم العلوى وللاشارة الى ماسيقع له من نظير ماوقع لآدم فانه كان في أمن من جوار الله في الجنة فأخرجه عدوه ابليس منها وهذه القصة يشبهها الحالة الاولى من أحوال النبي صلى الله عليه وسلم وهى هجرته الى المدينة وخروجه من حرم الله تعالى وجوار بيته وكان اعداؤه سببا لخروجه لتماديهم على ايذائه وتواطئهم على ذلك وهمهم بقتله فكربه ذلك وغمه وشق عليه افراق مألفه ووطنه كما وقع لآدم عند خروجه من الكرب والغم والبكاء على فراقها ﴿و﴾ رأى ﴿في﴾ السماء ﴿الثانية﴾ كما في رواية وهو الاصح وفي أخرى انه رأى عيسى ويحيى في الثالثة وفي الثانية يوسف عليه السلام ابنى الخالة ﴿عيسى﴾ لفظ عبرانى معناه السيد وقيل من العيس بفتح العين والياء وهو بياض تعلوه حمرة لبياض لونه ويقال له المسيح عبد الله ورسوله وكلمته وروحه المذكور فضله في غير آية قرآنية وتقدم انه رفع الى السماء وهو ابن ثمانين أو ثلاث وثلاثين سنة ومدة بقائه في السماء كما قاله السيوطى لست مجسوبة من عمره فهى كحياة الارواح لايحتاج فيها الأكل وشرب وقيل قوته التسبيح كالملائكة وهو حى الى أن ينزل الى الارض في آخر الزمان وحكمة نزوله دون غيره من الانبياء الرد على اليهود في زعمهم انهم قتلوه فيبين الله كذبهم وانه الذى يقتلهم وقيل حكمته دنو اجله ليدفن في الارض اذ كل مخلوق من تراب لايموت في غيره انتهى من كلام ابن قاسم في الاقتباء ويكون نزوله عند المنارة البيضاء شرقى دمشق اى وهى موجودة اليوم واضعا كفيه على اجنحة ملكين لست ساعات مضين من النهار حتى يأتى مسجد دمشق يقعد على المنبر فيدخل المسلمون المسجد وكذا النصارى واليهود وكلهم يرجونه ويأتى مؤذن المسلمين ثم يؤذن ويخرج اليهود والنصارى

من المهدي ويصلي بالمسلمين صلاة العصر ويكون مقررا للشريعة النبوية لا رسولا الى هذه الامة ويكون قد علم بأمر الله في السماء قبل أن ينزل ولا يقلد مجتهدا بل يحكم بشريعة النبي صلى الله عليه وسلم كما أخبر فيكون حكما عدلا يكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية أي يرفع الجزية وهي الخراج فلا يقبل الا الاسلام ويفيض المال حتى لا يقبله احد ويتزوج امرأة ويولد له ويمكث أربعين سنة الى أن يتوفاه الله تعالى ويصلي عليه ويدفن بالمدينة المنورة مع النبي صلى الله عليه وسلم في قبره كما في حديث ابن عمر رضي الله عنهما لكن قال العلقمي في مطالع المسرات وضعف ابن حجر حديث دفن عيسى عليه السلام مع نبينا صلى الله عليه وسلم فالصحيح انه يدفن عنده في بيته لا معه في قبره وهو من أمة محمد صلى الله عليه وسلم وصحابي لانه اجتمع في حياته بالنبي صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء وحينئذ فهو أفضل الصحابة لنبوته وقد ألغز التاج السبكي في ذلك حيث يقول

من باتفاق جميع الخلق أفضل من * خير الصحاب أبي بكر ومن عمر
ومن علي ومن عثمان وهو فتى * من امة المصطفى المختار من مضر

ولا ينافي كونه حاكما بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم عدم قبول الجزية في زمنه لان هذا من شرعنا أيضا اذ الحكم بقبولها مغيا بنزول عيسى وبعد نزوله اما الاسلام واما السيف * مهمة * وقع للحافظ السيوطي في تكملة تفسير المحلي وشرح النقاية وغيرهما من كتبه الجزم بأن عيسى رفع وهو ابن ثلاث وثلاثين ويمكث بعد نزوله سبع سنين قال الزرقاني ومازلت أتعجب منه حتى رأيته في مرقاة الصعود رجع عن ذلك قال في شرح حديث فيمكث في الارض أربعين سنة وقد جمع ابن كثير بأن مكثه في الارض سبع سنين كما في مسلم اذا أضيف الى مدة عمره حين رفع وهي ثلاث وثلاثون سنة صار مكثه في الارض اربعين سنة لكن ورد في عدة احاديث من طرق مختلفة ما يفيد انه ينزل فيمكث أربعين سنة وهو المشهور وان لم يكن في بعضها التصريح بذلك (ابن مريم) بنت عمران بن ماثان بن سليمان بن داود بن ايشا ابن يهوذا بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم الخليل وعمران هذا

غير عمران أبى موسى لانه عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوى بن يعقوب بن
اسحاق بن ابراهيم و بينهما ألف وثمانمائة سنة وأما قوله تعالى يا أخت
هارون فقال المفسرون انه رجل صالح عابد كان فى زمنه السيدة مريم
فشبهها به فى كونها كانت من الصالحات وليس المراد منه هارون
أخا موسى لما علم ان بين العمرانين ألف وثمانمائة سنة ﴿البتول من﴾
التبتيل وهو الانقطاع الى الله وعن الدنيا أو المنقطعة عن الازواج
و يطلق أيضا على فاطمة بنت سيد المرسلين عليهم الصلاة والسلام
لانقطاعها عن نساء زمانها ونساء الامة فضلا ودينا وحسبا ﴿البرة﴾
بفتح الباء وتشديد الراء أى الصديقة المطيعة المتوسعة فى طاعة الله
تعالى غاية وسعها وجهدها ﴿التقية﴾ من التقوى أى البريئة عما
سوى الله تعالى ﴿و﴾ رأى صلى الله عليه وسلم أيضا فى السماء الثانية مع
عيسى ﴿ابن خالته﴾ ايشاع ﴿يحيى﴾ بن زكريا عليهما الصلاة والسلام
مشتق من الحياة أطلق عليه اطمئنانا لقلب أبويه انه يحيى كثيرا وانه
حيى به رحم أمه بعد عقمها اذ رحم العاقر بمنزلة الميت فى عدم الانتفاع
منه بالولد فسلم عليهما فردا عليه السلام ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبى
الصالح ودعيا له بخير وفى حديث ابن عباس رضى الله عنهما ما من أحد
يلقى الله عز وجل الا وقد هم بخطيئة او عملها الا يحيى بن زكريا فانه لم يهم
ولم يعمل قيل اوحى الله تعالى الى ابراهيم الخليل ان قل لسارة وكان اسمها
يسارة انى أريد أن أخرج منكما عبدا لا يهم بمعصية اسمه حى فهبى له من
اسمك حرفا فوهبت له أول حرف من اسمها وهو الياء فصار يحيى وصارت
سارة وولد يحيى قبل عيسى بستة أشهر ﴿الذى أوتى﴾ أعطى
﴿الحكم﴾ بضم الحاء يعنى الحكمة وفهم التوراة ﴿فى صباه﴾ قال
تعالى وآتيناه الحكم صبيا وقيل المراد بالحكم النبوة أى أحكم الله عقله
فى صباه واستنبأه وفيه ما تقدم وقتل ظلما وأخذ رأسه ووضع فى طست
وغضب الله على قاتليه وسلط عليهم بخت نصر وفى حديث ان يحيى بن
زكريا سيد الشهداء يوم القيامة وقائدهم الى الجنة وكان يحيى أول من
آمن بعيسى وكان سن زكريا حين بشر بيحيى اثنين وتسعين سنة وعن ابن

عيسى مائة وعشرين سنة وكانت امرأته بنت ثمان وتسعين سنة * تنبيه *
استشكل بعضهم جعل يحيى وعيسى ابني خالة بأن امرأة عمران وهي حنة
جدة عيسى انما هي أخت ايشاع ام يحيى فيكون عيسى حينئذ ابن بنت خالة
يحيى لا ابن خالته نفسها قال واجيب بأن الاخت كثيرا ما تطلق على بنت
الاخت فبهذا الاعتبار جعلهما ابني خالة قال وقيل كانت ايشاع أخت
حنة من الام وأخت مريم من الاب بناء على ان عمران نكح اولا أم حنة
فولدت له ايشاع ثم نكح حنة بناء على حل نكاح الربائب في شرعهم فولدت
له مريم فكانت ايشاع اخت مريم من الاب وخالتها من الام لانها
أخت حنة من أمها وفيه انه لو صح ثبت تحريم نكاح المحارم الا ان يقال
المراد نكاح محارم النسب دون المصاهرة وحكمة رؤيته ولقيه لعيسى
ويحيى في السماء الثانية لانهما الممتحنان باليهود واما عيسى فكذبته اليهود
وآذته وهموا بقتله فرفعه الله وأما يحيى فقتلوه ففيه الاشارة الى أن نظير
ما وقع له صلى الله عليه وسلم بعد انتقاله الى المدينة فصار الى حالة ثانية من
الامتحان وكانت محنته صلى الله عليه وسلم فيها باليهود وعادوه وآذوه
وهموا بالقاء الصخرة عليه ليقتلوه فنجاه الله تعالى كما نجى عيسى ثم
سموه في الشاة فلم تزل تلك الاكلة تعاوده حتى قطعت أبهره كما قال عند
الموت ومن ثم قال بعضهم مات صلى الله عليه وسلم شهيدا بالسم فيكون
صلى الله عليه وسلم سيد الشهداء ولا ينافيه ما تقدم ان يحيى سيد الشهداء
يوم القيامة لان ذلك يكون حينئذ بالنسبة لغير نبينا صلى الله عليه وسلم وأيضا
فعيسى صلى الله عليه وسلم كانت الحواريون أنصاره والنبي صلى الله عليه
وسلم كانت الانصار انصاره ﴿و﴾ رأى صلى الله عليه وسلم ﴿في﴾
السماء ﴿الثالثة﴾ على أصح الروايتين كما مر ﴿يوسف﴾ بتثليث
السين مع الواو والهمز ابن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم ولذلك سماه النبي صلى
الله عليه وسلم كريما كما في حديث ابن عمر الكريم بن الكريم بن
الكريم بن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم على نبينا وعليهم
افضل الصلاة وأتم التسليم وهو أكرم الناس كما قال صلى الله عليه وسلم وانما
كان أكرم الناس لانه عريق في الكرم لكونه نبيا ابن نبي هكذا الى

آخر

آخر الاربعة فلم يكن أحد يشاركه في ذلك الا اخوته ان قلنا بنبوتهم وسئل بعضهم عن يوسف فقال الاسف في اللغة الحزن والاسيف العبد واجتمعا في يوسف عليه السلام انتهى وقصته مشهورة ﴿الصديق﴾ أي بليغ الصدق في أقواله وأفعاله وأحواله وفي تصديق غيوب الله تعالى وآياته وكتبه ورسله ﴿بصورته﴾ خلقته ﴿الجمالية﴾ أي المنسوبة للجمال فسلم عليه فرد عليه السلام ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح ودعا له بخير وقد ثبت في حديث المعراج من رواية مسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أخبر برؤيته ليوسف في الثالثة قال فاذا هو قد أعطى شطر الحسن وفي رواية فاذا أنا برجل أحسن ما خلق الله قد فضل الناس بالحسن كالقمر ليلة البدر على سائر الكواكب فان قيل هذا يدل على ان يوسف كان أحسن من جميع الناس أجيب بان الترمذي روى من حديث أنس ما بعث الله نبيا الا حسن الوجه حسن الصوت وكان نبيكم أحسنهم صوتا وأحسنهم وجها فيحمل ما في حديث المعراج من قوله أعطى شطر الحسن وأحسن ما خلق الله الخ على غير نبينا صلى الله عليه وسلم وحمل بعضهم قوله أعطى شطر الحسن على ان المراد ان يوسف أعطى شطر الحسن الذي أوتيه نبينا صلى الله عليه وسلم وفيه نظر لان المتكلم لا يدخل في عموم كلامه على ما فيه ولان حقيقة الحسن الكامل كائنة فيه صلى الله عليه وسلم لان الذي تم معناه دون غيره فهي غير منقسمة بينه وبين غيره والا لما كان حسنه تاما لانه اذا انقسم لم يثله الا بعضه فلا يكون تاما ومن ثم قال بعضهم المراد بقوله أعطى شطر الحسن انه أعطى مثل شطر حسن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لا أنه أعطى شطر حسنه فالاحسن أن يقال ان الحديث مخصوص بغير النبي صلى الله عليه وسلم ولله در البوصيري حيث أشار الى ذلك بقوله في البردة

فهو الذي تم معناه وصورته * ثم اصطفاه حبيبا بارئ النسم

منزه عن شريك في محاسنه * فجوهر الحسن فيه غير منقسم

وقد قال بعض العلماء ان من تمام الايمان به صلى الله عليه وسلم الايمان بأن الله تعالى جعل خلق بدنه الشريف على وجه لم يظهر قبله ولا بعده خلق آدمي مثله فيكون ما نشاهده من خلق بدنه آيات على ما يتضح من عظيم

خلق نفسه الكريمة وما يتضح من عظيم أخلاق نفسه آيات على ما تحقق
له من سره قلبه الأقدس وإنما لم يفتتن بالنبي صلى الله عليه وسلم كما
افتتن بيوسف عليه السلام لأن جماله صلى الله عليه وسلم ستر تجليلا له فلم
يمكن أحدا أن يتأمل فيه وفي ذلك قالت عائشة رضي الله تعالى عنها

ولو عاينوا في مصر أوصاف خده * لما بذلوا في سوم يوسف من نقد
لوامي زليخا لو رأين جبينه * لآثرن بالقطع القلوب على الأيدي

وقد حكى القرطبي في كتاب الصلاة عن بعضهم أنه قال لم يظهر لنا تمام
حسنه صلى الله عليه وسلم لأنه لو ظهر لنا تمام حسنه لما أطاقت أعيننا
رؤيته ولقد أحسن البوصيري أيضا حيث قال

أعيي الورى فهم معناه فليس يرى * للقرب والبعد فيه غير منفحم
كالشمس تظهر للعينين من بعد * صغيرة وتكل الطرف من أمم

وهذا مثل قوله

إنما مثلوا صفاتك للناس كما مثل النجوم الماء

والتشبيهات الواردة في حقه صلى الله عليه وسلم كما في قوله كالشمس
تظهر الخ وقوله كما مثل النجوم الماء ونحو ذلك إنما هو جرى على عادة
الشعراء والعرب أو على سبيل التقريب والتمثيل وإلا فذاته صلى الله عليه
وسلم أعلى وأغلى من كل مخلوق وسيأتي مزيد لذلك قال الإمام النووي نقلا
عن الثعلبي أقام يعقوب وأولاده بعد فقدهم على يوسف بمصر أربعا
وعشرين سنة فلما حضر يعقوب الوفاة أوصاهم أن يدفنوه ببيت المقدس
وتوفي يعقوب عن مائة وسبع وأربعين سنة وعاش يوسف بعده ثلاثا
وعشرين سنة وتوفي عن مائة وعشرين سنة ودفن في نيل مصر فاستخرجه
موسى عليه السلام حين خرج مع بني إسرائيل وحمله إلى الشام وحكمة
رؤيته صلى الله عليه وسلم ليوسف في السماء الثالثة الإشارة إلى حالة
ثالثة تشبه حالة يوسف وما جرى له مع إخوته أخرجوه من بين أظهرهم ثم
ظفر بهم فصفح عنهم وكذلك نبينا صلى الله عليه وسلم جرى له مع قريش
حاربوه وأرادوا هلاكه وكانوا سببا في إخراجه من بين أظهرهم ثم

ظفر بهم في غزوة الفتح فصفح عنهم وقال أقول كما قال أخي يوسف لا تثريب عليكم اليوم قال ابن حجر لان امة محمد صلى الله عليه وسلم يدخلون الجنة على صورته وأيضا مناسبة لقيه له في السماء الثالثة ان الثالثة من سنى الهجرة وقعت فيها غزوة أحد ومما اتفق فيها من المناسبة شيوع قتل النبي صلى الله عليه وسلم فناسب ما حصل للمسلمين من الاسف على فقد نبيهم ما حصل ليعقوب من الاسف على يوسف لاعتقاده انه فقد الى أن وجد بعد تطاول الامد وأيضا من المناسبة وقوعه صلى الله عليه وسلم في تلك الغزوة في حفرة حفرها أبو عامر الفاسق مكيدة للمسلمين فاخذ على كرم الله وجهه بيده واحتضنه طلحة حتى قام صلى الله عليه وسلم وقد وقع ذلك ليوسف من القائه في غيابة الجب حتى استنقذه الله تعالى على يد من شاء ﴿و﴾ رأى صلى الله عليه وسلم ﴿في﴾ السماء ﴿الرابعة﴾ على كلا الروايتين وفي أخرى ان المرئي فيها هارون وادريس في الثانية ولكن الاصح ما ذكرنا جده اخنوخ الملقب ﴿ادريس﴾ بوزن افعيل من الدرس لكثرة درسه على ما قيل وهو أول من خط بالقلم ونظر في علم النجوم والحساب وأول من خاط الثياب وأول من لبس المخيط وكان من قبله يلبسون الجلود وأول من اتخذ السلاح وأول من قاتل الكفار وقال أبو معشر وهو أول من تكلم في العلويات من الحركات النجومية وأول من علم الكيميا وأول من بنى الهيا كل ومجد الله فيها وأول من نظر في علم الطب وتكلم فيه وأنذر في الطوفان وكان يسكن صعيد مصر فبنى هنالك الاهرام والبرابي وصور فيها جميع الصنعات وأشار الى صفات العلوم لمن بعده حرصا على تخليدها وخيفة أن يذهب رسمها من العالم وأنزل عليه ثلاثون صحيفة ثم رفعه الله مكانا عليا قاله في مصابيح التنوير قال المقريزي ويقال ان الطوفان لما نضب ماؤه لم يوجد تحت الماء قرية سوى نم اوند وجدت كما هي واهرام مصر وبرابيها وهي التي بناها هرميس الاول الذي تسميه العرب ادريس وكان قد ألهمه الله علم النجوم فدلته على انه سينزل في الارض آفة وانه سيبقى بقية من العالم يحتاجون فيها الى علم فبنى هو وأهل عصره الاهرام والبرابي وكتب علمه فيها انتهى وقول

المصنف رحمه الله ﴿الذي رفع الله مكانه وأعلاه﴾ يشير الى قوله تعالى
ورفعناه مكانا عليا والمراد بالمكان السماء الرابعة على الاصح وقيل السادسة
وقيل السابعة وقيل الثانية كما مر فسلم عليه فرد عليه السلام ثم قال له
مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح ثم دعا له بخير وكان رفعه اليها حيا
على تمام ثلاثمائة وخمس وستين أو ست وستين سنة من عمره واختلفوا في
انه في السماء ميت أو حي فقال قوم ميت وقال آخرون حي وكان السبب في
رفعه انه كان يرفع له عليه السلام كل يوم من العبادة مثل ما يرفع لاهل الارض
في زمانه فعجب منه الملائكة وتواضعته واشتاق اليه ملك الموت فاستأذن
ربه في زيارته فأذن له فأتاه في صورة بني آدم وكان ادريس يصوم الدهر فلما
كان وقت افطاره دعاه الى طعامه فأبى أن يأكل معه ففعل ذلك ثلاثة أيام
فأنكره وقال له الليلة الثالثة اني أريد أن أعلم من أنت قال انا ملك الموت
استأذنت ربي أن أصحبك قال فلي اليك حاجة قال وما هي قال تقبض روحي
قال له ملك الموت مالك في سؤالك قبض الروح قال لاذوق كرب الموت وغمه
فأكون أشد استعدادا له فأوحى الله اليه أن اقبض روحه فقبضها ثم
ردها اليه بعد ساعة ثم قال له ادريس عليه السلام لي اليك حاجة أخرى
قال وما هي قال ترفعني الى السماء لانظر اليها والى الجنة والنار فأذن الله
تعالى في رفعه فلما قرب من النار قال لي اليك حاجة قال وما هي قال تسأل
مالكا يفتح لي أبوابها فأردها ففعل ثم قال كما أريتني النار فأرني الجنة
فذهب به اليها فاستفتح ففتحت له أبوابها فأدخله الجنة ثم قال له ملك الموت
اخرج لتعود الى مقرك فتعلق بشجرة وقال لا أخرج منها فبعث الله
اليهما ملكا فقال له مالك لا تخرج قال ان الله تعالى قال كل نفس ذائقة
الموت وقد ذقته وقال وان منكم الا واردها وقد وردتها وقال وما هم منها
بمخرجين فلست أخرج فأوحى الله سبحانه وتعالى الى ملك الموت عليه
السلام دعه فانه باذني دخل وباذني يخرج فهو حي هنالك وذلك قوله تعالى
ورفعناه مكانا عليا ومن ثم قيل ان المراد بالمكان الجنة وقيل في قصته غير
ذلك ورفعه حيا الى السماء الرابعة خاص به دون الانبياء ولا يرد ان النبي
صلى الله عليه وسلم رفع اليها حيا لانه صلى الله عليه وسلم لم يجاوزها وقول

ادريس له مرحبا بالاخ الصالح استشكل بأنه أب من آباء النبي صلى الله
عليه وسلم وانه جد أعلا لنوح اجيب بأجوبة أحسنها قول النووي رحمه
الله تعالى ليس في ذلك ما يمنع كون ادريس أبا لنبينا صلى الله عليه وسلم فان
قوله الاخ الصالح قاله تأدبا وتلطفا وهو أخ وان كان ابنا والانبياء اخوة
والمؤمنون اخوة وحكمة رؤيته صلى الله عليه وسلم له في السماء الرابعة
للايذان بحالة رابعة وهي علو شأنه ومنزلته صلى الله عليه وسلم وفيه انه رأى
موسى وابراهيم في مكان أعلى من مكان ادريس وكذا زاد عليه صلى الله
عليه وسلم في الارتفاع الى أعلى الجنان وأرفع الدرجات ﴿و﴾ رأى صلى
الله عليه وسلم ﴿في﴾ السماء ﴿الخامسة﴾ على كلا الروايتين
لا الرابعة كما مر نبي الله واحد رسله الكرام ﴿هارون﴾ بن
عمران اخا موسى على نبينا وعليهما الصلاة والسلام فسلم عليه فرد عليه
السلام ثم قال له مثل ما تقدم ودعا له بخير وأشار المصنف بقوله ﴿المحبب
في الامة الاسرائيلية﴾ أي المنسوبة لاسرائيل لقب يعقوب عليه السلام
ومعناه صفوة الله وقيل عبد الله الى ما ذكره الامام النووي رحمه الله تعالى
في تهذيبه قال روينا في تاريخ دمشق عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال في حديث الاسراء ثم صعدت الى السماء
الخامسة واذا انا بهارون ونصف لحيته بيضاء ونصفها أسود تكاد
تضرب سرته من طولها قلت يا جبريل من هذا قال هذا المحبب في قومه
هذا هارون بن عمران ولعل هذا كما في الابتهاج هو حكمة رؤيته
صلى الله عليه وسلم لهارون للاشارة الى انه يكون محببا في قومه بعد
بغضهم له وانه ينال من اليهود الاذى ثم الانتصار عليهم والايقاع بهم
وللاشارة الى احرازه صلى الله عليه وسلم فصاحة هارون عليه السلام
والزيادة عليه فانه عليه السلام كان فصيح اللسان وقد وصفه موسى عليه
السلام بذلك فقال هو أفصح مني لسانا وقد حاز نبينا الرتبة العليا من
الفصاحة وكان هارون اسن من موسى عليهما السلام بسنة وكان أطول من
موسى واخرج ابن عساكر حديثا عن النبي صلى الله عليه وسلم ان موسى
دفن أخاه هارون في شعب أحد قال في انسان العيون وفيه قبض فواراه

موسى فيه وكانا قد ماتا جميعا أو معتمر به قال الزرقاني في شرح المواهب روى
هذا المعنى في حديث اسنده الزبير بن بكار في كتاب فضائل المدينة عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا في الروض قال في الفتح وسند الزبير
في ذلك ضعيف جدا ومنقطع وليس بمرفوع انتهى ونقل في النور عن ابن دحية
انه باطل بيقين انما مات بنص التوراة في موضع على ساعة من مدينة حبلة
من مدن الشام انتهى قال وبه تعلم انه لا يصح الجمع بانه يقال للمدينة شامية
انتهى وعبارة الحلبي في انسان العيون بعد نقله ما تقدم عن ابن دحية ونص
التوراة انه دفن بجبل من جبال بعض مدن الشام وعليه فيصح الجمع وقد
يقال للمدينة شامية وأيضا فالحديث ان كان ضعيفا يؤيد باستخراج ابن
عساكر له عن النبي صلى الله عليه وسلم لكن ابطال ابن دحية له يمرضه وقيل
قبره بجبل مشرف قبلي بيت المقدس يقال له طور هارون وفي الانوار الاكثر
ان موسى وهارون ماتا في التيه أي وبه صرح في انس الجليل وان موسى مات
بعد هارون بسنة انتهى وفي النور بنحو خمسة أشهر قال القسطلاني وغيره
مات هارون قبل موسى بنحو اربعين سنة ﴿و﴾ رأى صلى الله عليه وسلم
﴿في﴾ السماء ﴿السادسة﴾ على كلا الروايتين لا ابراهيم كما في الرواية
الاخرى لان الاصح ما هنا نبي الله ورسوله الكريم وصفيه المخصوص
بالتكليم ﴿موسى﴾ بن عمران بن يصهر بن فاهث بن لاوي بن يعقوب بن
اسحاق بن ابراهيم فسلم عليه فرد عليه السلام ثم قال له مثل ما تقدم ودعا له
بخير وعمران هذا غير عمران ابي مريم كما سيأتي بيان ذلك وحكمة رؤيته له
في السماء السادسة للايذان بحصول حالة له تشبه حالة موسى بما وقع له من
معالجة قومه وقد أشار الى ذلك بقوله صلى الله عليه وسلم لقد أوذي موسى
باكثر من هذا فصبر وللاشارة الى أن موسى اراد أن يقيم الشريعة في الارض
المقدسة وحمل قومه على ذلك فتقاعدوا عنه وقالوا ان ندخلها ابدا ما داموا
فيها فغضب الله عليهم وتاهوا في التيه وآل أمرهم الى قهر الجبابرة
واخراجهم من ارضهم وكذلك اراد نبينا صلى الله عليه وسلم في هذه السنة
ان يدخل بعض مكة يقيم بها شريعة الله وسنة ابراهيم فصدوه فلم يدخلها
في هذا العام ثم دخلها في العام القابل وآل أمره صلى الله عليه وسلم الى ان

فتح مكة وقهر المتجبرين والمستهزئين من قريش فكان لقاؤه لموسى تنبيها على التأسي به وحصول حالة تشبه حالة موسى وقوله رحمه الله ﴿الذى كلمه الله وناجاه﴾ يشير به الى قوله تعالى وكلم الله موسى تكليما وقوله تعالى وقربناه نجيا وانما اختص بالتكليم مع ان النبي صلى الله عليه وسلم كلمه أيضا لان موسى سمعه فى الارض وهى محل خطاب البشر فكان خطابه فى محل عهد فيه خطاب البشر فناسب تسميته كليما بخلاف نبينا صلى الله عليه وسلم فانه سمعه فى السماء وهى لم يعهد فيها خطاب البشر فلذلك لم يسم به ولما ولد موسى كان من أمره مع فرعون ما قص الله فى كتابه العزيز وقد وقع من موسى العناية بهذه الامة فى أمر الصلاة ما لم يقع لغيره كما سيأتى بيان ذلك ان شاء الله تعالى ﴿و﴾ رأى النبي صلى الله عليه وسلم ﴿فى﴾ السماء ﴿السابعة﴾ على الاصح كما فى الروايتين وفى الاخرى ان المرئى فيها موسى أفضل الانبياء بعده أباه النبي الرسول الكريم الجليل ﴿ابراهيم﴾ بن تاروح او تارح كآدم أو تبرح بن ساروخ بن ناحور بن فالغ بن عابر بن شالخ أو شليخ بن ارفخشد بن سام بن نوح كما أخرجه ابن المنذر بسند صحيح عن مجاهد وغيره عن ابن جريج وغيره وقد اجمع أهل الكتابين على ان آزر عم ابراهيم وحملوا قوله تعالى واذ قال ابراهيم لابيه آزر على المجاز والعرب تسمى العم ابا كما تقدم تحقيق ذلك وابراهيم لفظ سريانى معناه بالعربية أب رحيم عليه أفضل الصلاة والتسليم فسلم عليه فرد عليه السلام وقال مرحبا بالابن الصالح والنبى الصالح ودعا له بخير ﴿الذى جاء ربه بسلامة القلب﴾ أى القلب السليم ﴿وحسن طويه﴾ أى والطوية الحسنة قال تعالى وان من شيعته لابراهيم اذ جاء ربه بقلب سليم أى خالص من آفات القلوب أو من العلائق وقيل حزين ومعنى المجىء به اخلاصه له كأنه جاء به متحفا اياه ﴿وحفظه﴾ الله تعالى ﴿من نار نمرود﴾ بن كنعان ﴿وعافاه﴾ يشير بذلك الى قوله تعالى قلنا يانار كونى بردا وسلاما على ابراهيم فكانت كما مر بيان ذلك فى قصته مبسوطا وهى مفصلة فى سورة الانبياء وكتب التواريخ وهو أول الناس ضيف الضيف وأول الناس اختتن وقص شاربه ورأى الشيب فلما رآه قال يارب ما هذا قال تعالى وقار قال ابراهيم رب زدنى وقارا وقال النبي صلى الله عليه

وسلم ليلة الاسراء أقرئ أمتك مني السلام وأخبرهم ان الجنة طيبة التربة
عذبة الماء وانها قيعان وان غراسها سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله
والله أكبر وفي حديث انه قال مر أمتك ان يكثروا من غراس الجنة قال
وما غراس الجنة قال لا حول ولا قوة الا بالله والصحيح ان سيدنا ابراهيم الخليل
ولد بكوثى من أقليم بابل بالعراق وأنزل عليه عشر صحف وان الله أكرمه
بان جعل له لسان صدق في الآخرين أي ثناء حسنا فليس أحد من الامم
الا يحبه وأكرمه بالخلة وجعل أكثر الانبياء من ذريته وختمهم بنبينا محمد
صلى الله عليه وسلم وهاجر ابراهيم من العراق الى الشام قيل بلغ من العمر
مائة وخمسين سنة وقيل مائتي سنة ودفن في الارض المقدسة وقبره معروف في
البلدة المعروفة بالخليل بينها وبين القدس دون مرحلة وفي بعض التواريخ
ان آزر وهو عمه كان من أهل حران ونقله الى بابل أرض نمرود واسم أبيه تونا
وقيل ايونا وكان ابراهيم تاجرا وتجارته في البر وكانت البغال تتناسل وكانت
أسرع الدواب في نقل الحطب لنار ابراهيم فدعا عليها فقطع الله نسلها قالوا
وسبب موته انه أتاه ملك في صورة شيخ كبير فضيفه على حسب عادته فكان
يأكل وهو يسيل طعامه وماءه على لحيته فقال ابراهيم يا عبد الله ما هذا
قال يا خليل الكبر الذي يكون صاحبه هكذا قال وكم أتى عليك قال مائتا سنة
ولابراهيم يومئذ مائتا سنة فكره الحياة لئلا يصير الى هذا الحال فمات بلا مرض
عليه الصلاة والسلام وحكمة رؤيته صلى الله عليه وسلم له في السماء السابعة
لانه الاب الاخير أي لادنى من لقيه في السموات فناسب ان يتجدد للنبي
بلقيه أنس لتوجهه بعده الى عالم آخر وللاشارة الى دخوله في السنة السابعة
من الهجرة مكة هو وأصحابه ملبين معتمرين محييا سنة ابراهيم ومقيما
رسمه الذي كانت الجاهلية أماتت ذكره وبدلت أمره وللاشارة الى ان
منزلته صلى الله عليه وسلم ارفع المنازل فلذلك ارتفع النبي صلى الله عليه وسلم
من منزلة ابراهيم وهي أرفع المنازل الى قاب قوسين أو أدنى * تنبيه * وقع
سؤاله صلى الله عليه وسلم من جبريل عن كل أحد من الانبياء الذين رآهم
في السموات كما ورد بقوله من هذا يا جبريل فيقول هذا أبوك آدم الى آخره
واستشكل بانه كيف أم الانبياء في بيت المقدس وسلم عليهم وعرفهم ثم يسأل

منهم تلك الليلة حين رآهم في السموات من جبريل فانه لو رآهم وعرفهم قبل ذلك لما احتاج الى سؤال جبريل القريب العهد واجيب بانه يحتمل انه رآهم في بيت المقدس على حالة من تصور الارواح بصورة الاجساد أو من حضور الاجساد بالارواح ثم لما رآهم في السموات رآهم على حالة غير التي رآهم عليها في الارض فلذلك سأل عنهم او انه رآهم في الموضعين على حالة واحدة لكن لما شاهدهم تلك الساعة في الارض ثم رآهم في منازلهم في السماء سأل عنهم تعظيما للقدرة الالهية واستفهاما لا تعجبا فانه عالم ان الله الذي أصعده الى هذا المكان في لحظة قادر على نقلهم الى السموات في أسرع من طرفة عين سبحانه وتعالى وذكر الخيطي ان اقتصار الانبياء اللاقين له تلك الليلة على وصفه بالصلاح مع النبوة والاخوة أو والنبوة وتواردهم كلهم عليه انما هو لان الصلاح يشمل خصال الخير والصالح هو الذي يقوم بما يلزمه من حقوق الله تعالى وحقوق العباد فمن ثم كانت كلمة جامعة شاملة لسائر الخصال المحمودة ولهذا لم يقل احد منهم مرحبا بالنبي الصادق ولا بالنبي الامين قال وقال بعضهم صلاح الانبياء صلاح خاص لا يتنا وله عموم الصالحين واحتج على ذلك بانه قد تمنى بعض الانبياء ان يلحق بالصالحين ولا يتمنى الأعلى الالحاق بالادنى ولا خلاف ان النبوة أعلا من صلاح الصالحين المضاف الى الامم فصلاح الانبياء صلاح كامل لانهم بزوال بهم كل فاسد فلهم كمال الصلاح ومن دونهم الامثل فالامثل فكل واحد يستحق اسم الصلاح على قدر ما زال به أو منه من الفساد انتهى ﴿ثم﴾ بعد ان جاوز السموات عرج به عروجا تاما على ما تقدم ﴿الى﴾ ان وصل الى ﴿سدرة﴾ بكسر السين المهملة وسكون الدال واحدة السدر شجر النبق وهي شجرة لها ساق هو أصلها واوسا فروع فاصلها في السماء السادسة أو السابعة وفروعها فوق السماء السابعة في جوف السماء الثامنة المسماة بالكرسي التي جميع اجرام النجوم مثبتة فيها ماعدا السبعة السيارة ورؤية أهل الارض لها لكون السماء شفافة ولذلك نسب زينتها الى سماء الدنيا مجازا قال كعب هي شجرة على رؤس حملة العرش اليها ينتهي علم الخلائق ويجمع بين هذا وما قبله بان اصلها في السماء السادسة واعلاها في السماء

السابعة ثم علت فوق ذلك حتى جاوزت رؤس حملة العرش كما يؤخذ من
حاشية الجمل على تفسير الجلالين وغيرها فيكون انتهاؤها في محاذاة
منتهى الكرسي من اعلاه وهذا لا يظهر الا على القول باتحاد العرش
والكرسي لما في بعض الاحاديث ان رؤس حملة العرش تخرق العرش
فتكون فوقه ولا ينافيه ما في حديث ابن عباس وغيره من أن العرش على
ظهورهم لامكان طول اعناقهم بحيث تجاوز ظهورهم مسافة طويلة
وعلى هذا ان قلنا انه صلى الله عليه وسلم جاوز السدرة يكون قد رقي العرش
وجاء في اخبار ضعيفة منكرة ما يؤيده والحديث الضعيف يحتج به في مثل
هذا الباب الذي هو باب الفضائل التي ليست فيها حكم شرعي وان قلنا
انه جاوز السدرة ولم يرق العرش وهو الصحيح فيكون مجاوزته اياها بمعنى
مفارقته اياها من المحل الذي انتهى اليه عندها الى محل ارقى منه وهو
المستوى الذي سمع فيه صريف الاقلام ومنه الى محل ارقى منه وهو مقام
المكالمة وسيأتي الكلام عليهما لا بمعنى انه جاوزها أي ارتقى من المحل
المذكور حتى جاوزها من أعلاها وسيأتي عن الشيخ القزويني انه لم يثبت
مجاوزته الى ما وراء السدرة فيكون المستوى والمقام اللذان رقي اليهما عند
مفارقته لسدرة المنتهى دون العرش في محاذاة السدرة من جانبها هذا اذا
قلنا بارتفاع السدرة مقدار ما مر وأن الكرسي هو العرش وأما اذا قلنا
ان السدرة تحت الكرسي كما سيأتي في رواية قريبا وأن الكرسي غير
العرش أو دونه فمجاوزته اياها حينئذ الى محل ارقى منها ظاهر كما جرى
عليه بعضهم هذا ما ظهر لي والعلم عند الله وان به تجتمع اختلاف كثير من
الروايات فتأمل وقد جاء في وصف السدرة احاديث كثيرة منها ما في صحيح
مسلم وغيره عن ابن مسعود وابن عباس مرفوعا أن النبي صلى الله عليه وسلم
قال رأيت السدرة يغشاها فراش من ذهب ورأيت على كل ورقة
ملكا يسبح الله واخرج عبد بن حميد عن سلمة بن وهرام في قوله تعالى
اذ يغشى السدرة ما يغشى قال استأذنت الملائكة الرب تبارك وتعالى
أن ينظروا الى النبي صلى الله عليه وسلم فاذن لهم فغشيت الملائكة
السدرة لينظروا الى النبي صلى الله عليه وسلم وجاء في رواية أنه يسير

الراكب في ظلها سبعين عاما لا يقطعها او يستظل منها مائة ألف راكب
ورقها كآذان الفيلة الورقة منها تظل الخلق وفي رواية تكاد الورقة تغطي
هذه الامة وفي رواية لو ان الورقة الواحدة ظهرت لغطت هذه الدنيا
وحينئذ يكون المراد بكونها كآذان الفيلة في الشكل وهي الاستدارة
لا في السعة وفي رواية ولو وضعت ورقة منها في الارض لاضاءت لاهل
الارض ونبقها كقلال هجر وفي بعض الروايات أن اغصانها تحت
الكرسي يخرج من اصلها نهران ظاهران من الجنة النيل والفرات
ونهران باطنان في الجنة الكوثر ونهر الرحمة ومعنى كونهما باطنين انهما لم
يخرجا من الجنة اصلا ومعنى كون النيل والفرات ظاهرين انهما يخرجان
منها وقيل المراد بالباطنين سيحان وجيحان أي يبطنان في الجنة ولا يظهران
الا بعد خروجهما منها لوجودهما في الخارج بخلاف النيل والفرات
فانهما يستمران ظاهرين فيها الى ان يخرجا منها وفي بعض الروايات أن
سيحان وجيحان لا ينبعان من أصل شجرة المنتهى بل في بعض الروايات
ما يرد ذلك فليسا هما المراد بالباطنين ومن ثم ترك ذكرهما في حديث
المعراج قال بعضهم ويحتمل أن يتفرعا من النيل والفرات بعد
خروجهما من الجنة فهما لم يخرجا من أصل السدرة ولم يبطنا في
الجنة أصلا لكن جاء في مسلم انهما يخرجان من اصلها فعن أبي هريرة
رضي الله عنه مرفوعا سيحان وجيحان والفرات والنيل كل من انهار
الجنة قال القرطبي ما في الجنة نهر الا ويخرج من اصل سدرة المنتهى وقد
يقال لا منافاة لان المراد اما خروجه بنفسه أو اصله الذي يتفرع منه
فالانهار التي تخرج من أصل سدرة المنتهى أربعة بناء على أن سيحان
وجيحان لا يخرجان من الجنة أو ستة بناء على انهما يخرجان منها وهما
غير سيحون وجيحون فانه لم يرو انهما من الجنة الا في خبر ضعيف رواه
الواحدي وذكر صاحب النهاية ان جيحون نهر وراء خراسان عند بلخ
وسكت عن بيان سيحون وذكر العلامة الطحطاوي من علماء الحنفية
في بعض حواشيه ان سيحون نهر خجند وجيحون نهر ترمذ والفرات نهر
الكوفة وفي المراصد ان جيحان نهر بالمصيصة وعليه عندها قنطرة من

جارة رومية قديمة من بعضه فيدخل الى البصرة فيدار بعدة أميال
ونصف في بحر الشام وقال في البصرة انها على شاطئ جيحان من ثغور
الشام بين انطاكية وبلاد الروم كانت من الاماكن التي يرابط بها
المسلمون قديما وقال في جيحون هو وادي خراسان وعليه مدينة اسمها
جيحان مخرجه من جبل يقال له ريوساران يتصل بناحية السند والهند
وكابل ومنه عين تخرج من موضع يقال له عندمس فيه عدة انهار
تجتمع فيكون منها هذا النهر العظيم وعدبه ده حتى يصل الى خوارزم ثم
يصب في بحيرة خوارزم بينها وبين خوارزم ستة أيام وقال في سيحان نهر
كبير بالثغور نواحي المصيصة ثم ينفصل عنها بنحو ستة أميال فيصب في
بحر الروم وهو سيحون الذي يأتي وقال في سيحون نهر مشهور بما وراء النهر
قرب خجند بعد سمرقند يجمد في الشتاء حتى يجوز على جمده القوافل في
حدود الترك انتهى ونقديا في تفسير قوله تعالى وانزلنا من السماء ماء
بقدر فاسكناه في الارض انه النيل والفرات ثم ان الله يرفعهما ويذهب
بهما عند رفع القرآن وذهاب الايمان وذلك قوله تعالى وانا على ذهاب
به لقادرون ذكره السهيلي رحمه الله تعالى واضافة السدرة الى
﴿المنتهى﴾ اسم مكان بمعنى موضع الانتهاء او مصدر ميمي بمعنى الانتهاء فانه
من منتهى الجنة اما من اضافة الشئ الى مكانه كقولك اشجار البلدة كذا
فالمنتهى حينئذ موضع لا يتعداه ملك ولا روح من الارواح او من اضافة
المحل الى الحال فيه كقولك كتاب الفقه وعلى هذا التقدير سدرة عندها
او فيها منتهى العلوم او المراد بالمنتهى هو الله تعالى وحينئذ يكون التقدير
المنتهى اليه قال تعالى وان الى ربك المنتهى فاضافة السدرة الى المنتهى
من اضافة الملك الى مالكه فالاضافة اليه كاضافة البيت اليه للتشريف
والتعظيم قاله العيطي وانما قيل لها سدرة المنتهى لان علم الملائكة ينتهي
عندها ولا يجاوزها ولم يجاوزها احد الا رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقيل لانه ينتهي اليها ما يهبط من فوقها فيقبض منها واليها
ينتهي ما يعرج من الارض كما رواه مسلم عن عبد الله بن مسعود
وقيل لانه ينتهي اليها من مات على سنة النبي صلى الله عليه وسلم

وهم المؤمنون حقا وقيل غير ذلك واختيرت السدرة دون غيرها وان كان أفضل منها النخل ثم العنب لان فيها ثلاثة أوصاف ظل مديد وطعم لذيذ ورائحة ذكية فكانت بمنزلة الايمان الذى يجمع القول والعمل والنية فالظل بمنزلة العمل والطعم بمنزلة النية والرائحة بمنزلة القول قاله ابن دحية قال النجم الغيطى عد بعضهم رفعه صلى الله عليه وسلم الى سدرة المنتهى معراجا ثامنا بالنسبة الى السموات السبع وسئل عن حكمة هذا المعراج الثامن واجاب بما حاصله ان السنة الثامنة اشتملت على فتح مكة والهما المنتهى ومنها المبتدأ لان الارض كلها دحيت من مكة فلذلك سميت أم القرى وسدرة المنتهى ينتهى اليها علم الخلائق ومكة ينتهى اليها أهل الآفاق ونحو ذلك انتهى ثم عرج به صلى الله عليه وسلم عروجا تاسعا على ما مر ﴿الى أن﴾ وصل الى مستوى ﴿سمع﴾ سماعا محققا فيه ﴿صريف﴾ بفتح الصاد المهملة وكسر الراء وبالفاء قال النووى وغيره صوت حركة ﴿الاقلام بالامور المقضيه﴾ والاقلام جمع قلم وهو جسم نورانى خلقه الله يكتب ما كان وما يكون من اقضية الله تعالى ووحيه وما ينسخون من اللوح المحفوظ ونؤمن بصحة ذلك ونمسك عن الجزم بتعيين حقيقته اذ لا يعلم حقيقتها الا الله العلام الغيوب وما يتأول هذا ويحيله الا ضعيف النظر والايمان اذ قد جاءت به الشريعة ودليل المعقول لا يحيله والله تعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد حكمة من الله واظهارا لما شاء من غيبه لمن شاء من ملائكته وسائر خلقه والا فهو غنى عن الكتب والاستذكار وجاءت الاخبار بأن اللوح المحفوظ فرغ من كتابته وجف القلم بما فيه قبل خلق السموات والارض وانما هذه الكتابة المجددة فى صحف الملائكة كالفروع المنتسخة من الاصل وفيه المحو والاثبات على ما ورد فى الاثر وأصل اللوح المحفوظ الذى انتسخ منه اللوح وهو علم الغيب القديم فى أزل القدم وهو الذى لا محو فيه ولا اثبات حيث لا لوح ولا قلم وجمع الاقلام للتعظيم والا فالمراد قلم واحد وهو المذكور فى قوله تعالى ن والقلم وما يسطرون كذا قال بعضهم لكن قال القرطبى ان القلم هنا للجنس وذكر العارف بالله الشعرانى ان الاقلام التى سمع رسول

الله صلى الله عليه وسلم صريفها ليلة الاسراء هي التي تجري بما يحدث
في العالم من الاحكام قال وعدتها ثلاثمائة وستون قلما على عدد درج
الفلك قال ورتبة هذه الاقلام دون رتبة القلم الاعلى ودون اللوح المحفوظ
ويسمى اللوح المحفوظ أيضا من المحو فلا يمحى ما كتبه القلم الاعلى فهذه
الاقلام دائما في الواح المحو والاثبات ومن هذا دخل النسخ في الشرع الواحد
انتهى وحكمة هذا المعراج الناسخ والمناسبة بينه وبين العام الناسخ
الاشارة الى انفساخ العزم بالقدرة والى جفاف القلم بما كتب وذلك لما
عزم صلى الله عليه وسلم في ذلك العام على غزوة تبوك وخرج في ثلاثين
ألفا ومع هذا الاجتهاد في الاستعداد لم يلق النبي صلى الله عليه وسلم فيها
حربا ولا افتتح بلدا وذلك لان أجل فتوح الشام لم يكن الا بعد فانفسخ العزم
بالقدر قاله في الابتهاج ثم عرج به صلى الله عليه وسلم عروجا عاشرا وترقى
﴿الى مقام المكافحة﴾ بالكاف والفاء والحاء المهملة أي المواجهة من غير
ستر وحجاب كما يأتي وهذا المقام هو ﴿الذي قربه الله﴾ تعالى ﴿فيه
وأدناه﴾ واعده للخطاب وفرض الصلوات وهو الذي عناه في قوله عز من
قائل ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين او ادنى قال بعضهم في الكلام قلب أي
قابي قوس اي قدر ما بين قابي القوس لان لكل قوس قابان وبينهما شيء قليل
جدا فبينهما غاية القرب وقال العلامة ابن حجر والمراد تشبيه قربه صلى الله
عليه وسلم المعنوي بالاعتبار المذكور بقرب قاب القوس اذا ألصق بقرب
قاب قوس آخر والمراد بالقرب المعنوي اي زيادة من غيره باعتبار ما منحه
الله به من الكمالات ويؤيده قول جماعة ان الضمير المسند اليه دنا عائد الى
الرب أي دنا الرب سبحانه وتعالى من محمد صلى الله عليه وسلم فتدلى ومعلوم
ان معنى الدنو من الله تعالى كمعنى نزوله تبارك وتعالى الى سماء الدنيا كل
ليلة حين يبقى ثلث الليل الاخير بمعنى انه يتلطف بعباده ويتنزل في خطابه
لهم فيطلق على نفسه ما يطلقونه على أنفسهم فهو في حقهم حقيقة بالنسبة
لدنوهم من الله عز وجل وفي حقه تعالى مجاز كما هو في حقهم بالنسبة الى الله
لان دنو الله من العبد ودنو العبد من الله تعالى بالرتبة والمكانة والمنزلة
واجابة الدعوة واعطاء الامنية لا بالمكان والمسافة والنقلة وهذا القول

يحكى عن ابن عباس وانس ولم يقل أحد ان المراد الدنو من الله حدا كما قد
يتوهمه من يقول بالجهة بل المراد الدنو بما ذكرناه من تعظيم المنزلة
وتشريف الرتبة واشراق انوار المعرفة ومشاهدة اسرار الغيب والقدرة
وبسط الانس والادلال والاكرام وستأتى الاشارة الى ذلك فى كلام
المصنف رحمه الله تعالى ورأيت بعضا آخر ذكر ان فاصل تدلى الرفرف
وفاصل دنا محمد اى تدلى الرفرف لمحمد صلى الله عليه وسلم حتى جلس عليه
ثم دنا محمد صلى الله عليه وسلم من ربه سبحانه وتعالى اى قرب منه قرب
تشريف كما مر لا قرب مكان تعالى الله عن ذلك ﴿واماط﴾ أى رفع
وأزال ﴿له حجب الانوار الجلاليه﴾ أى المنسوبة للجلال والعظمة
واعلم ان الله سبحانه وتعالى لا يحجبه شئ وما ذكر من الحجب فى هذا
المحل الرفيع بفرض صحتها انما هو بالنسبة الى المخلوق فالخلق كلهم
محجوبون عنه تعالى بمعانى الاسماء والصفات والافعال والانوار
والظلمات كل له مقام من الحجب معلوم وحظ من الادراك والمعرفة مقسوم
وأقرب الخلق الى الله تعالى الملائكة الحافون والكروبيون وهم محجوبون
بنور المهابة والعظمة والكبرياء والجلال والقدس والقيومية حجب الذات
بالصفات وهم فى الحجب عنه على طبقات مختلفات كل على مقام معلوم
ودرجات وبالجملة فالمخلوقات كلها اما كانت حجابا عن الخالق فقوم محجوبون
برؤية النعم عن المنعم وبرؤية الاحوال عن المحول وبرؤية الاسباب
عن المسبب وقوم حجبوا عن العلم بالعلم وبالفهم عن الفهم وبالعقل عن
العقل وذلك كله من معنى حجاب النعم عن المنعم والمواهب عن الواهب وقوم
حجبوا بالشهوات المباحة وقوم بالشهوات المحرمات والمعاصى والسيئات
وقوم حجبوا بالمال والبنين وزينة الحياة الدنيا اللهم لا تحجب قلوبنا عنك
فى الدنيا ولا ابصارنا فى الآخرة يا كريم * وردان النبى صلى الله عليه وسلم لما
جاوز سدرة المنتهى غشيته سحابة من نور فيها الالوان ماشاء الله فوقف
جبريل ولم يسر معه فقال له النبى صلى الله عليه وسلم أتتركنى اسير منفردا
فقال جبريل وما منا الا له مقام معلوم فقال صلى الله عليه وسلم سر معى ولو
خطوة فسار معه فكاد ان يحترق من النور والجلال والهيبة وصغر وذاب

حتى صار قدر العصفور وانما لم يحصل للنبي صلى الله عليه وسلم مثل ما حصل
لجبريل من الدهشة وعدم الطاقة لان النبي صلى الله عليه وسلم مراد
ومطلوب فأعطاه الله قوة واستعدادا لحصول هذا المقام بخلاف موسى ولذلك
لما تجلى الله للجبل اندك وغار في الارض وخر موسى صعقا من الجلال لان
موسى طالب ومريد ومحمد مطلوب ومراد وفرق كبير بين المقامين نقله
العلامة البجيرمي في حواشيه على شرح المنهج من تقرير شيخه العلامة الحفني
وقد امر الله نبيه صلى الله عليه وسلم في هذا المقام بما لا يحصى من العلوم
كما في رواية ابن عباس رضي الله عنهما اتاني جبريل وكان سفيري الى ربي الى
ان انتهى الى مقام ثم وقف عند ذلك فقلت يا جبريل أفي مثل هذا المقام
يترك الخليل خليله فقال ان تجاوزته احترقت بالنور فقال النبي صلى الله عليه
وسلم يا جبريل هل لك من حاجة الى ربك قال يا محمد سل الله لي ان أبسط
جناحي على الصراط لامتك حتى يجوزوا عليه قال النبي صلى الله عليه وسلم
ثم زج بي في النور زجا فخرق بي سبعين الف حجاب ليس فيها حجاب يشبه حجابا
وانقطع عني حس كل ملك وانسي فلحقني عند ذلك استيحاش فناداني مناد
بلغة أبي بكر قف ان ربك يصلي وفي رواية فسمعت صوتا كصوت أبي بكر يقول
قف فان ربك يصلي فعجبت من سبق أبي بكر الى ذلك المحل ومن صلاة ربي
انتهى قال فبينا انا اتفكر في ذلك فأقول هل سبقني أبو بكر فاذا النداء من
العلي الاعلى ادن يا خير البرية ادن يا أحمد ادن يا محمد ليدن الحبيب فأدناني
ربي حتى كنت كما قال تعالى ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى قال وسألني
ربي فلم أستطع ان أجيبه فوضع يده بين كتفي بلا تكييف ولا تحديد فوجدت
بردها فاورثني علم الاولين والآخرين وعلمني علوما شتى فعلم أخذ علي كتمانه
اذ علم ربي لا يقدر على حمله احد غيري وعلم خيرني فيه وعلمني القرآن فكان
جبريل عليه السلام يذكرني به وعلم امرني بتبليغه الى العام والخاص من
امتي قال ولقد عاجلت جبريل في آية نزل بها فعاتبني ربي وانزل علي ولا تعجل
بالقرآن من قبل ان يقضى اليك وحيه وقل رب زدني علما وفي رواية قال لما
وصلت الى المستوى سمعت مناديا يقول تقدم يا اكرم الخلق فدنوت حتى
بلغت امام العرش فسمعت النداء ايضا ادن يا محمد فدنوت حتى وصلت

الى العرش فرأيت امرا عظيما لا تناله الالسن ثم قطر على منه قطرة فما انطأت في فوقعت على لساني فلم أر احلى منها ولم يذق احد مثلها فاورثني الله بها علم الاولين والآخرين وفي المواهب فقطر على لساني ثلاث قطرات فاورثني بكل قطرة منها علما فعلم امرني بكتمانه عن سائر الخلق وعلم امرني بافشائه للخواص من بعضي وعلم امرني بافشائه لامتي و وجدت بهامش قصة الاسراء للنجم الغيطي نقلا عن كتاب شفاء الصدور بعدان قال فما ذاق الذائقون شيئا قط احلى منها ما صورته فانبأني الله علم الاولين والآخرين ونور قلبي وغشي نور عرشه بصري فلم أر شيئا فجعلت أرى بقلبي ولا أرى بعيني ورأيت من خلفي ومن بين كتفي كما رأيت أمامي الحديث وسيأتي عن القاضي عياض صاحب شفاء الصدور في مبحث الشمائل أن رؤيته من خلفه كان له بعد ليلة الاسراء كما أن موسى كان يرى النملة السوداء في الليلة الظلماء بعد ليلة الطور ثم قلت اللهم انه لما لحقني استيحاش قبل قدومي عليك سمعت مناديا ينادي بلغة تشبه لغة أبي بكر فقال لي قف فان ربك يصلي فعجبت من هاتين هل سبقني أبو بكر الى هذا المقام وان ربي لغني عن أن يصلي فقال تعالى اني لغني عن أن اصلي لاحد وانما أقول سبحاني سبقت رحمتي غضبي اقرأ يا محمد هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات الى النور وكان بالمؤمنين رحيما فصلاتي رحمة لك ولامتك وفي رواية وأما صلاتي فهي قولي ان الله وملائكته يصلون على النبي الآية قال وأما امر صاحبك يا محمد فان اخاك موسى كان انسه بالعصا فلما اردنا كلامه قلنا وما تلك بيمينك يا موسى قال هي عصاي وشغل بذكر العصا عن عظيم الهيبة وكذلك أنت يا محمد لما كان انسك بصاحبك أبي بكر وأنت خلقت وهو من طينة واحدة وهو انيسك في الدنيا والآخرة خلقنا ملكا على صورته وهو يناديك بلغته ليزول عنك الاستيحاش لئلا يلحقك من عظيم الهيبة ما يقطعك عن فهم ما يراد منك ثم قال تعالى واين حاجة جبريل فقلت اللهم أنت اعلم فقال يا محمد قد اجبته فيما سأل ولكن فيمن احبك وصحبك أي اتبعك في دينك عاملا بسنتك وهو مراد جبريل بالامة في قوله أن أبسط جناحي لامتك على الصراط

ثم أشار المصنف رحمه الله إلى الخلاف الواقع بين العلماء قديما وحديثا
في رؤية النبي صلى الله عليه وسلم للباري سبحانه وتعالى جازما بوقوعها
وأنها بعيني رأسه على أصح الأقوال عند المحققين فقال ﴿ورآه بعيني
رأس من حضرة الربوبية ما أراه﴾ وفيه رد على من أنكر المعراج بجسده
الشريف وأما سر الترقي لعدم القدرة على الإحاطة به إذ رؤيته تعالى
لا تكيف وأما جواز الرؤية للمؤمنين في الآخرة فمتفق عليها بين العلماء
المحققين وأئمة الدين وأما في الدنيا فلم تثبت لغير نبينا صلى الله عليه وسلم
ومن ادعاها في الدنيا يقظة فقد قيل بكفره وقد نقل جماعة أنها
لا تحصل للأولياء في الدنيا قال ابن الصلاح وأبو شامة يمنع منه كليم الله
موسى واختلف في حصولها لنبينا صلى الله عليه وسلم كيف يمنع ما
لم يحصل لهما وأما رؤيته تبارك وتعالى في الموقف فلمؤمني الجن والإنس
حاصلة قطعا وكذلك في الجنة لمؤمني الإنس وأما لمؤمني الجن فعلى الراجح
وكذا المؤمنات على الصحيح وسواء في ذلك مؤمنو هذه الأمة ومؤمنو
الأمم السابقة وكذلك أهل الفترة على القول بنجاتهم وإن غيروا وبدلوا
وعبدوا الأوثان ويخرج بالمؤمنين الكفار والمنافقون فلا يرونه تعالى على
الراجح لقوله تعالى كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ولأنهم ليسوا من
أهل الإكرام والتشريف وقيل إنهم يرونه ثم يحجبون فتكون عليهم حسرة
عليهم قال الجلال السيوطي وله شواهد رويناها عن الحسن البصري
وأما الملائكة فقيل يرونه وقواه الجلال السيوطي وقيل لا رؤية للملائكة
أصلا وقيل إن جبريل يراه دون سائر الملائكة ولا يراه سائر الحيوانات
غير العقلاء حتى الحيوانات التي تدخل الجنة مثل ناقة صالح وكبش إسماعيل
كما هو ظاهر كلامهم والرؤية في الجنة على حسب المراتب فمنهم من
يراه في مثل يوم الجمعة والعيد ومنهم من يراه كل يوم بكرة وعشيا وهم
الخواص ومنهم من لا يزال مستغرقا في الشهود وقد اختلف في رؤية الله
تعالى في المنام فمعظم المثبتين للرؤية على جوازها من غير كيفية وجهة
ونقل بعضهم عن الإمام النووي رحمه الله تعالى أنه قال قال القاضي
عياض اتفق العلماء على جواز رؤية الله تعالى في المنام وصحتها وإن رآه

الانسان على صفة لا تليق بجلاله من صفات الاجسام لان ذلك المرئي غير ذات الله تعالى اذ لا يجوز عليه سبحانه التجسيم ولا اختلاف الاحوال بخلاف رؤية النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فرؤيته تعالى كسائر أنواع الرؤيا من التمثيل والتخييل وحكي عن كثير من السلف انهم رأوه عز وجل في المنام كالامام أحمد بن حنبل رضي الله عنه والامام أبي حنيفة بن النعمان رضي الله عنه فانه نقل عنه انه رأى ربه تسعا وتسعين مرة وانه قال فقلت في نفسي ان رأيته تبارك وتعالى تمام المائة لاسئلن منه بم ينجو الخلائق من عذاب يوم القيامة قال فرأيته سبحانه وتعالى فقلت يارب بم ينجو عبادك يوم القيامة من عذابك فقال سبحانه وتعالى من قال بالغداة والعشي سبحان الابدي الابد سبحان الواحد الاحد سبحان الفرد الصمد سبحان رافع السماء بغير عمد سبحان من بسط الارض على الماء فجمد سبحان من خلق الخلق فأحصاهم عدد سبحان من قسم الرزق ولم ينس احد سبحان الذي لم يتخذ صاحبة ولا ولد سبحان الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد نجا من عذابي والمنامات في ذلك كثيرة والمناسبة بين هذا المعراج العاشر من سني الهجرة أمر بين واضح اذا جمع في هذا العام اللقاآن اللذان احدهما القاء البيت وحج الكعبة ووقوف عرفة وا كمال الدين واتمام النعمة على المسلمين واللقاء الثاني الانتقال من دار الفناء الى دار البقاء والعروج بالروح الكريمة الى المقعد الصدق والى الوعد الحق والى الوسيلة وهي المنزلة الرفيعة التي لا تنبغي الا لعبد واحد اختاره الله تعالى على خلقه وهو محمد صلى الله عليه وسلم ﴿و بسط له﴾ صلى الله عليه وسلم ﴿بساط الادلال﴾ من الدلال وفي بعض النسخ الاجلال أي التعظيم ﴿في الجمالي الذاتيه﴾ أي المنسوبة للذات أشار بذلك الى قول الجوهري في قوله تعالى ثم دنا فتدلى أي دل ومنه ما جاء في رواية صحيحة ان الباري سبحانه وتعالى قال لنبيه صلى الله عليه وسلم بعد المراجعة والمناشدة وتخفيف الصلوات سل فقال انك اتخذت ابراهيم خليلا وكلمت موسى تكليما وآتيت داود ملكا عظيما وسخرت له الجبال وأعطيت سليمان ملكا عظيما وسخرت له الجن والانس والشياطين والرياح وأعطيته ملكا لا ينبغي لاحد من بعده وعلمت موسى

التوراة وعيسى الانجيل وجعلته يبرئ الاكمه والابرص واعذته وامه من
الشيطان الرجيم فلم يكن للشيطان عليهما سبيل فقال له ربه تبارك وتعالى
قد اتخذتك حبيبا وأرسلتك الى الخلق كافة وجعلت أمتك هم الاولون
وهم الآخرون وجعلت أمتك لا تجوز لهم خطبة حتى يشهدوا أنك عبدي
ورسولي وجعلتك أول النبيين خلقا وآخرهم بعثا وأعطيتك سبعا من
المثاني لم أعطها نبيا قبلك وأعطيتك خواتيم سورة البقرة من كنز تحت
عرشي ولم أعطها نبيا قبلك وجعلتك فاتحا وخاتما وقد ورد في بعض أخبار
الاسراء مما ذكره العلامة ابن مرزوق في شرحه لبردة المديح انه صلى الله
عليه وسلم لما كان من ربه تعالى قاب قوسين قال اللهم انك عذبت الامم
بعضهم بالحجارة وبعضهم بالخسف وبعضهم بالمسخ فما أنت فاعل بأمتي قال
أنزل عليهم الرحمة وأبدل سيئاتهم حسنات ومن دعاني منهم لبيته ومن سألني
أعطيته ومن توكل علي كفيته وفي الدنيا أستر على العصاة وفي الآخرة
اشفعك فيهم ولولا ان الحبيب يحب معاتبة حبيبه لما حاسبت أمتك ولما
أراد صلى الله عليه وسلم الانصراف قال يارب لكل قادم من سفره تحفة فما
تحفة أمتي قال الله تعالى انا لهم ما عاشوا وأنا لهم اذا ماتوا وأنا لهم في القبور
وانا لهم في النشور * تتمة * سئل الشيخ القزويني عن وطء النبي صلى الله عليه
وسلم العرش بنعله وقول الرب جل جلاله لقد شرف العرش بنعلك يا محمد
هل ثبت ذلك أم لا فأجاب بما نصه ان ذلك ليس بصحيح ولا ثابت بل وصوله صلى
الله عليه وسلم الى ذروة العرش لم يثبت في خبر صحيح ولا حسن ولا ثابت أصلا
وانما صح انتهاؤه الى سدرة المنتهى فحسب واما الى ما وراءها لم يصح وانما ورد
ذلك في أخبار ضعيفة أو منكرة لا يعرج عليها قال بعض المحدثين ما ذكره
الشيخ القزويني هو الصواب قال ولم يرد في قصة الاسراء والمعراج في حديث
احد انه كان في تلك الليلة في رجله نعل وانما ذلك وقع في قول بعض
القصاص الجهلة ولم يذكر العرش بل قال وأتى البساط فهم بخلع نعله فنودي
لا تخلع الخ وهذا باطل لم يذكر في شيء من الاحاديث بعد الاستقراء التام
وفي بعضها لم يذكر السدرة بل ذكر فيها انه انتهى الى مستوى سمع فيه
صريف الاقلام فقط ومن ذكر انه جاوز ذلك فعليه البيان وأنى له بذلك وما

ذكر في السؤال يعني المتقدم من انه صلى الله عليه وسلم رقي العرش بنعله فقاتل الله من وضعه ما أعدم حياءه وأدبه وما أجرأه على اختلاق الكذب والافتراء على سيد المتأدبين ورأس العارفين صلى الله عليه وسلم انتهى ملخصا ثم أشار المصنف رحمه الله تعالى بعد الاشارة لما وقع من الرؤية والمناجاة والكلام الى ما وقع من فرض الصلاة وما وقع من المراجعة فيها بقوله ﴿وفرض﴾ الله تعالى أي أوجب ﴿عليه﴾ صلى الله عليه وسلم ﴿وعلى﴾ جميع ﴿أمته﴾ اى أمة دعوته من تبع منهم ومن لم يتبع فالكفار مخاطبون بفروع الشريعة أي خطاب عقاب عليها في الدار الآخرة لا خطاب طلب لها منهم في الدنيا أي فهم معاقبون على ترك الفروع في الآخرة زيادة على عقاب الكفر زيادة كيف لا زيادة كم اذ لا آخر لعقاب الكفر لقوله عز وجل ما سلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين الآية فهم غير مطالبين بها في الدنيا بل ولا يصح منهم فعلها لان من شرط صحتها الاسلام ﴿خمسين صلاة﴾ في كل يوم وليلة كما فرضت على يهود بني اسرائيل على ما ورد في حديث لكن قيل انه موضوع والحكمة في تخصيص فرض الصلاة بليلة الاسراء انه صلى الله عليه وسلم لما عرج به الى السماء رأى تلك الليلة تعبد الملائكة منهم القائم فلا يقعد والراكع فلا يسجد والساجد فلا يقعد فجمع الله تعالى له ولامته تلك العبادات في ركعة واحدة يصليها العبد بشرائطها من الطمأنينة والاخلاص وفي اختصاص فرضها بالسماء دون سائر العبادات فانها فرضت بالارض التنبيه على مزيتها على غيرها من الفرائض كما قال صلى الله عليه وسلم أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد ﴿ثم انهل﴾ بهمزة وصل ونون ساكنة وهاء مفتوحة ولام مشددة من باب الانفعال أي سال وانصب ﴿سحاب الفضل﴾ اضافته الى الفضل من اضافة المشبه به للمشبه أي الفضل الذي كالسحاب مسلما لامر ربه بما فرض عليه وعلى أمته فمر على الخليل ابراهيم عليه السلام فلم يقل شيئا لان مقام الخلة التسليم والرضا بل التلذذ الا انه في مروره عليه صاعدا قال له يا بني انك لاق ربك الليلة وان أمتك آخر الامم وأضعفها فان استطعت ان تكون حاجتك أو جلها في أمتك فافعل كما جاء عن ابن مسعود رضي الله عنه

ثم مر صلى الله عليه وسلم على موسى قال ونعم الصاحب كان لكم فسأله
عما فرض عليه وعلى أمته فأخبره فأشار عليه ان يرجع الى ربه فيسأله
التخفيف لامته فانهم لا يطيقون ذلك وانما فعل ذلك معه لانه الكليم ومقامه
مقام الادلال والانبساط فرجع وسأل ذلك فحط عنه خمسا ثم رجع الى
موسى فسأله عما حط عنه فأخبره فأمره بالرجوع أيضا وسؤال التخفيف
فرجع وحط عنه خمسا ولم يزل هكذا الى تسع مرات فأمره بالرجوع أيضا
وقال ان بني اسرائيل فرض عليهم صلاتان فما قاموا بهما فقال صلى الله عليه
وسلم وقد استحييت من ربي وفي رواية علمت انها عزمة من ربي فلا اراجعه
فقال تعالى هي خمس وهن خمسون لا يبدل القول لدي وهو معنى قول
المصنف ﴿فردت﴾ أي الخمسون باعتبار العدد لا باعتبار الثواب اذ لم
ينقص منه شيء بعد المراجعة ﴿الى﴾ صلوات ﴿خمس عليه﴾ أي منسوبة
للعمل باعتبار العدد قيل وفي هذا وقوع النسخ قبل البلاغ وقد اتفق أهل
السنة والمعتزلة على منعه ورد بان هذا وقع بعد البلاغ بالنسبة للنبي صلى الله
عليه وسلم لانه كلف بذلك ثم نسخ ومكان يصلح انه لا فقد قال شيخ الاسلام زكريا
الانصاري رحمه الله وما قيل من ان الخمس ليلة الاسراء ناسخة للخمسين
انما هو في حقه صلى الله عليه وسلم لبلوغه له لا في حق الامة أي لعدم بلوغه لهم
فاذا نسخ في حقه صلى الله عليه وسلم نسخ في حق أمته كما هو الاصل الا ان
ثبتت الخصوصية بدليل صحيح كذا قرره بعضهم وقرر العلامة الحفني
ما في الخصائص الصغرى للسيوطي رحمه الله تعالى من ان وجوب
الخمسين لم ينسخ في حقه صلى الله عليه وسلم وانما نسخ في حق أمته أي
ومكان يصليها فرضا ولعل مستنده في ذلك رواية فرض الله على أمتي ليلة
الاسراء خمسين صلاة فلم ازل أراجعه وأسأله التخفيف حتى جعلها خمسا
في كل يوم وليلة أي على الامة كما هو المتبادر من قول موسى له صلى الله عليه
وسلم ان أمتك لا تطيق ذلك وحكمة جعلها خمسين ثم نسخها مع ان الله تعالى
علم في ازله انها خمس اظهار شرفه صلى الله عليه وسلم عند الملائكة بقبول
شفاعته في التخفيف وقيل غير ذلك قال النجم الغيطي رحمه الله قال بعضهم
دلت مراجعته صلى الله عليه وسلم في طلب التخفيف تلك المرات كلها على

انه علم ان الامر فى كل مرة لم يكن على سبيل الالزام بخلاف المرة الاخيرة وقيل اما يشعر بذلك كقوله لا يبدل القول لدى يعنى انها فى العمل خمس وفى الثواب خمسون لان الحسنة بعشر أمثالها ويؤيده قوله صلى الله عليه وسلم فلم أزل ارجع بين ربى تبارك وتعالى وبين موسى عليه الصلاة والسلام حتى قال الله يا محمد انهن خمس صلوات فى كل يوم وليلة لكل صلاة عشر فذلك خمسون صلاة ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة فان عملها كتبت له عشر ومن هم بسيئة ولم يعملها كتبت له حسنة فان عملها كتبت له سيئة واحدة كما قال ﴿واما﴾ أى اثلاث الخمس ﴿أجر الخمسين كاشاءه﴾ أى أراده الله تعالى ﴿فى الازل وتضاه﴾ بمعنى أراده الله تعالى ولينظر هل كانت الخمسون المنسوخة بعشر أمثالها أيضا فتكون خمسمائة صلاة أم كانت من غير مضاعفة فتوقف وحرر ﴿تنبيه﴾ هل فرضت الصلوات الخمس ركعتين ركعتين حينئذ ثم زيد بعد الهجرة فى صلاة الحضر وأقرت صلاة السفر كما فى قول عائشة أو من حينها فى الحضر أربعا أربعا وفى السفر ركعتين ركعتين كما هو قول ابن عباس رضى الله عنهما قال الشيخ الشرقاوى وغيره ان الصلوات الخمس كانت كل عشرة منها فى وقت صلاة من الخمس أى بتكرر كل واحد عشر مرات وكانت كل صلاة منها ركعتين حضرا وسفرا فجملتها مائة ركعة ثم بعد التخفيف استمرت الخمس كذلك بعد الهجرة بنحو شهر ثم حصل زيادة فى المغرب والرباعيات واستمرت على ما كانت عليه وقيل ان الخمس فرضت هكذا ابتداء عند التخفيف فى الحضر أربعا أربعا الا المغرب فثلاثا والصبح فركعتان وكذا الجمعة وفى السفر ركعتين ركعتين والصحيح الاول وفى فرض الصلوات الخمس كلها على النبى صلى الله عليه وسلم وأمته دون سائر الرسل وامهم تشريف وتفخيم خاص به وبهم بان مجموع هذه الصلوات الخمس لم تفرض على من قبله وانما ورد كما فى التحفة ان الصبح لآدم والظهر لداود والعصر لسليمان والمغرب ليعقوب والعشاء ليونس صلى الله على نبينا وعليهم وعلى سائر الانبياء والمرسلين قال بعضهم والحكمة فى جعل الصلوات فى اليوم والليلة خمسا ان الحواس لما كانت خمسا والمعاصى تقع بواسطتها كانت كذلك لتكون ماحية لما يقع فى اليوم

والليلة من المعاصي بسبب تلك الحراس قيل وجعلت مثنى وثلاث ورباع
ليوافق اجنحة الملائكة كأنما جعلت أجنحة للشخص يطير بها الى الله
تبارك وتعالى ﴿ثم﴾ هبط صلى الله عليه وسلم الى بيت المقدس ولم يصل ولم
ير الانبياء ولا غيرهم كما عليه الجمهور وركب البراق بعد حله من تحرق
الصخرة التي ربطها فيه جبريل عند صعوده صلى الله عليه وسلم ﴿وعاد﴾
منها الى مكة المشرفة ﴿في ليلته﴾ ثلاث على الراجح عند الجمهور والظاهر
المناسب ان جبريل لم يفارقه ويدل له ما يأتي انه لما كان بذي طوى قال لجبريل
ان قومي لا يصدقوني الخ وصلى فرض انه ليس معه أحد فهو وآمن من
المخاوف ومن اضلال الطريق واعل كراهة السفر للمنفرد لم تكن شرعت اذ
ذاك او انه لبيان الجواز ومر في طريقه بعير لقريش فلما حاذى العير نفرت
منه واستدارت وصرع بعير عليه غرارتان سوداء وبيضاء فسلم عليهم النبي
صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم هذا صوت محمد ورأى بعيرا ضل وجمعه
واحد منهم ثم لما كان بذي طوى قال لجبريل ان قومي لا يصدقوني فقال له
جبريل عليه السلام يصدقك أبو بكر ووافى مكة قبل الصبح فخرج الى
المسجد الحرام وقعد معتزلا حزينا فمر به عدو الله أبو جهل فجلس اليه
وقال كالمستهزئ هل استفدت الليلة من شئ فقال صلى الله عليه وسلم نعم
أسري بي الليلة قال الى أين قال الى بيت المقدس قال ثم أصبحت بين ظهرانينا
قال نعم فلم ير أنه يكذبه مخافة ان يجحد الحديث ان دعا قومه اليه قال
أرأيت ان دعوت قومك أتحدثهم بما حدثتني قال نعم قال أبو جهل يا معشر
بني كعب بن لؤي هلموا فانفضت اليه المجالس فجاؤا حتى جلسوا اليهما
فقال حدث قومك بمثل ما حدثتني فقال اني أسري بي الليلة قالوا الى أين
قال الى بيت المقدس قالوا ثم أصبحت بين ظهرانينا قال نعم فكذبوه وساروا
عند ذلك ما بين مصفق وواضع يده على رأسه متعجبا وضجوا وعظموا ذلك
قال المطعم بن عدي كل أمرك قبل اليوم كان أمما أي سهلا غير قولك
اليوم ثم كذبه وقال نحن نضرب أكباد الابل الى بيت المقدس مصعدا
شهرا ومنحدرا شهرا تزعم انك أتيته في ليلة واللات والعزى لا أصدقك
فقال أبو بكر رضي الله عنه يا مطعم بئس ما قلت لابن أخيك جبهته

وكذبته

وكذبته أنا أشهد انه صادق وهو المراد بقوله رحمه الله ﴿وصدقه الصديق﴾ أبو بكر رضى الله عنه وقال انى لاصدقه فيما هو أبعد من ذلك في خبر السماء في غدوة أو روحة فلذلك سمى الصديق كما ﴿و﴾ صدقه أيضا ﴿كل ذى﴾ صاحب ﴿عقل﴾ يمنع صاحبه من الوقوع فى مهوات تنقيص أحد من رسل الله فضلا عن تكذيبهم ﴿و﴾ صدقه كل ذى ﴿رويه﴾ تأن فى الامور وتدبر لانه يلزم من تكذيب الرسول تكذيب البارئ سبحانه وتعالى المؤيد لهم بالمعجزة القائمة مقام قوله تعالى صدق عبدى فى كل مايبلغ عنى ﴿وكذبته قريش وارتد﴾ من كان قد أسلم منهم لعدم رسوخ الايمان فى قلوبهم وتمكنه من أفئدتهم لكونهم لم يكونوا من ذوى التمكين الصادق فى التصديق فاصعفاء ايمانهم زلزلهم هذا الحادث العظيم عما كانوا قد اتصفوا به من الدين القويم فكانوا من جملة ﴿من أضله الشيطان﴾ الرجيم المتمرد من الجن والتعريف للجنس او للاستغراق ويجوز أن يكون للعهد و يعلم غيره بطريق الدلالة فيحتمل أن يكون المراد ابليس او هو واعوانه والمشهور ان ابليس هو أبو الجن كما ان آدم عليه الصلاة والسلام أبو البشر و يسمى عزازيل وقيل الحارث و يكنى أبا مرة ولاقيس بزنة فاعل اولاقيس بزيادة ياء وهو الاشهر الاصح وفى اليواقيت للامام الشعرانى أنه ليس بأب الجان فان الجان كانوا قبله وانما هو أول من عصى ومرتبته ان يوسوس للناس بما يهلكهم او ينقص مقامهم عند الله من حيث لايشعرون ولكن قد أخبر الله تعالى انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون انما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون أى يضيفوا اليه أمر الاغواء مع الغفلة عن الله تعالى وتقديره فمن أخذ وسوسته مع الحذر منه ولم يعمل بها نجا من كيده * ومن دسائسه التى تخفى أن يجد الانسان فى طاعة فيوسوس له بفعل غيرها لينقله منها فان حفظ الله العبد أطلعه على ان هذا الفعل تلبيس من الشيطان فيجتنبه ويرد الشيطان خاسئا وان لم يحفظ الله العبد والعياذ بالله هلك مع الهالكين ﴿وأغواه﴾ فأهواه فى دركات الجحيم وأنواع العذاب الاليم فلا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم و بعد ان أخبرهم بذلك وارتجوا وعظموا ذلك

سأله المشركون عن علامة تدلهم على صدقه فقالوا يا محمد صف لنا بيت
المقدس كيف بناؤه وكيف هيئته وكيف قربه من الجبل وفي القوم من
سافر اليه فذهب ينعت لهم حتى التبس عليه النعت فكرب كربا ما كرب
مثله قط فجيء بالمسجد وهو ينظر اليه حتى وضع دون دار عقيل أو عقال وهذا
أبلغ مما قيل انه وضع حيث يراه ولا استحالة فيه فقد أحضر عرش بلقيس
في طرفة عين وقيل اطلعه الله عليه وهو في مكانه فقالوا فكم للمسجد من
باب ولم يكن عدها فجعل ينظر اليها ويعدها بابا بابا ويعلمهم وأبو بكر
يقول صدقت صدقت أشهد أنك رسول الله فقال القوم أما النعت
فوالله لقد أصاب ثم قالوا يا محمد اخبرنا عن عيرنا قال أتيت على عير بني فلان
بالروحاء قد أضلوا ناقة لهم فانطلقوا في طلبها فانتهيت الى رحالهم فليس بها
منهم أحد اى مستيقظ بل بعضهم ذهب في طلب تلك الناقة و بعضهم كان
نائما واذا قدح ماء فشربت منه ثم انتهيت الى عير بني فلان بمكان كذا و كذا
فيها جمل عليه غرارة سوداء وغرارة بيضاء فلما حاذيت ذلك العير نفرت
وصرع ذلك البعير وانكسر ثم انتهيت الى عير بني فلان في التنعيم يقدمها
جمل اورق عليه مسح أسود وغرارتان سوداوان وها هي ذه تطلع عليكم من
الثنية قالوا فمتى تجيء يعني العير المتقدم ذكرها قال يوم الاربعاء فلما
كان ذلك اليوم اشرفت قريش ينتظرون وقد ولى النهار ولم تجيء فدعا
النبي صلى الله عليه وسلم فزيد له في النهار ساعة وحبست عليه الشمس
حتى دخلت العير وقد وقع له مثل ذلك في حفر الخندق ايضا ولعلي كرم
الله وجهه ماسيتلى علينا الآن فقالوا هل ضل لكم بعير قالوا نعم فسألوا العير
الاخرى فقالوا هل انكسر لكم ناقة حمراء قالوا نعم قالوا فهل كان عندكم
قصعة ماء فقال رجل انا والله وضعته فما شربها أحد منا ولا أهريقت
في الارض فرموه بالسحر وقالوا صدق الوليد فانزل الله تعالى وما جعلنا
الرؤيا التي أريناك الا فتنة للناس أي لقريش فاذ منهم من ارتد ومنهم من
نافق ومنهم من عابه وكذبه ومنهم من صدق كلامه وصوبه ومنهم من توقف في
حاله وأمره ومنهم من هو متردد في سره فلم تتفق كلمتهم على تصديقه في
هذه القضية ولم يذعنوا لما منحه الله وخصه به من بين سائر البرية صلى الله

عليه وسلم فان قيل كيف استباح النبي صلى الله عليه وسلم شرب الماء الذي في القدح وهو ملك لغيره وأملاك الكفار لم تكن استبيحت يومئذ ولا دماؤهم فالجواب كما في الابتهاج أن العرب في الجاهلية كان في عرف العادة عندهم اباحة اللبن لابن السبيل فضلا عن الماء وكانوا يعهدون بذلك الى رعاتهم ويشترطون عليهم عند عقد اجاراتهم ان لا يمنعوا اللبن من احد مر بهم فكيف الماء والحكم بالعرف في الشريعة اصول تشهد له انتهى ثم الذي يظهر انه لما فرغ من مناجاة قريش وانصرفوا جاءه جبريل بعد الزوال ليعلمه كيفية الصلاة التي فرضت عليه وعلى امته لانهم أجمعوا على اول صلاة صلاها بعد الاسراء هي الظهر يومه وانه صلى الله عليه وسلم جمع الصحابة واخبرهم ان جبريل جاءه ليعلمهم الصلوات التي فرضت عليهم وأوقاتها فاحرم جبريل اماما عند البيت وأحرم النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه خلف جبريل فهو الامام لهم لكنهم لم يروا جبريل والنبي صلى الله عليه وسلم رأاه كان النبي كالرابطة لهم خلافا لمن زعم انهم مقتدون بالنبي صلى الله عليه وسلم الا ان أراد صورة المتابعة المذكورة وكذا بقية الصلوات في اليومين وانما لم يصبح صبح ذلك اليوم لانها متوقفة على التعليم ولم يوجد واختيرت صلاة الظهر ابتداء اشارة الى ظهور دينه صلى الله عليه وسلم على سائر الاديان ظهورها على سائر الصلوات وفي توقف مجيء العصر على يوم الاربعاء دليل على ان اليومين اللذين صلى بهم جبريل قبله يوما الاثنين والثلاثاء ويلزم منه ان يكون الاسراء ليلة الاثنين وبه قال ابن دحية كما تقدم والله اعلم

﴿عطر اللهم قبره الكريم بعرف شذى من صلاة وتسليم اللهم صل وسلم وبارك عليه﴾

﴿ثم﴾ بعد ان مكث صلى الله عليه وسلم ثلاث سنين من أول نبوته مستخفيا ونزل قوله تعالى فاصدع بما تؤمر في السنة الرابعة من ابتداء رسالته واراد الله تعالى اظهار دينه واعزاز نبيه وانجاز وعده وابى الا ان يتم نوره أمره كما في حديث علي رضي الله عنه ان يعرض نفسه على قبائل العرب ليظهر دينه على الدين كله ولو كره المشركون فراد صلى الله عليه وسلم في

اعلاء امر ربه وجدّ واجتهد وبالغ و ﴿عرض﴾ الطهر ﴿نفسه على﴾ كل قبيلة ﴿من القبائل﴾ الواردة الى مكة وغيرها من العرب واستمر على ذلك مدة عشر سنين وفي هذه المدة وقع جميع ما تقدم من العرض والهجرة الى الحبشة والخروج الى الطائف والاسراء وأعاد العرض هنا مراعاة لالتزام ترتيب الوقائع لوقوع العرض قبل الاسراء وبعده ولان العرض فيما تقدم لم يكن الا على من كان يظن منه الاجابة فلما نزل قوله تعالى فاصدع بما تؤمر بالغ في الاظهار والتعميم وكان صلى الله عليه وسلم يتبع الحاج بمنى والموقف يسأل عن القبائل قبيلة قبيلة يأتي اليهم في منازلهم بعكاظ ومجنة وذي المجاز اسواق عظام تأتي اليها سائر القبائل من الآفاق البعيدة ويخبرهم ﴿بانه رسول الله﴾ اليهم ويدعوهم الى توحيده وعلى ان يمنعوه ممن يؤذيه حتى يبلغ رسالة ربه كما كان يصنع ﴿في﴾ كل عام في ﴿الايام الموسمية﴾ اى المنسوبة الى الموسم وكان موسمهم في رجب فعن أبي طارق رضي الله عنه قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بسوق ذي المجاز يعرض نفسه على قبائل العرب يقول يا أيها الناس قولوا لا اله الا الله تفلحوا وخلفه رجل يقول يا أيها الناس لا تسمعوا منه فانه كذاب فسألت عنه فقيل انه غلام عبد المطلب فقلت ومن هذا الرجل الذي يكذبه فقيل هو عمه عبد العزى يعني أبا لهب لعنه الله وفي السيرة الهشامية عن بعضهم قال اني لغلام شاب مع أبي بمنى ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقف في منازل القبائل من العرب فيقول يا بني فلان اني رسول الله اليكم يأمركم ان تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وان تخلعوا ما تعبدون من دونه من هذه الانداد وان تؤمنوا وتصدقوني وتمنعوني حتى أبين عن الله عز وجل ما بعثني به قال وخلفه رجل احول يقول يا بني فلان ان هذا الرجل انما يدعوكم الى ان تسلخوا اللات والعزى من اعناقكم الى ما جاء به من البدعة والضلالة فلا تطيعوه ولا تسمعوا منه فقلت لابي من هذا الرجل يتبعه ويرد عليه ما يقول قال هذا عمه عبد العزى بن عبد المطلب قال بعضهم فلما رجعت بنو عامر الى منازلهم وكان فيهم شيخ كبير السن لا يقدر ان يوافي معهم المواسم فلما قدموا عليه سألهم عما كان في موسمهم

فقالوا جاءنا فتى من قريش احد بنى عبد المطلب يزعم أنه نبى يدعونا الى أن نمنعه ونقوم معه ونخرج به الى بلادنا فوضع الشيخ يده على رأسه ثم قال يا بنى عامر هل لها من تلاف أى تدارك هل لها من مطلب والذى نفس فلان بيده ما يقولها أى ما يدعى النبوة أحد كاذبا من بنى اسماعيل قط وانها الحق وان رأيكم غاب عنكم وذكر الواقدى رحمه الله انه صلى الله عليه وسلم كان يأتى بنى عبس و بنى سليم وغسان و بنى محارب وفزارة ومرة و بنى نصر وعذرة والحضارمة فيردون عليه اقبح رد و يقولون عشيرتك أعلم بك حيث لم يتبعوك ومن جملة تعنتهم كما فى الحديث انهم قالوا له قد علمت أنه ليس أحد من الناس اضيق بلدا ولا عيشا ولا اقل مالا منا فسل ربك فليزل عنا هذه الجبال التى ضيقت علينا و يبسط لنا فى بلادنا و يفجر لنا فيها انهارا كالشام ويحيى لنا من مضى من آبائنا وليكن فيهم قصى بن كلاب فانه كان شيخا صادقا فان صدقوك صدقناك ولم يكن أحد من العرب اقبح رد عليه من بنى حنيفة وهم أهل اليمامة قوم مسيلمة الكذاب وقيل لهم بنو حنيفة لان امهم حنيفة قيل لها ذلك لحنف كان فى رجلها وثقيف ومن ثم جاء شر قبائل العرب بنو حنيفة وثقيف * لطيفة * ترفع هو صلى الله عليه وسلم وأبو بكر الى مجلس من مجالس العرب فتقدم أبو بكر رضى الله عنه وقال من القوم قالوا من ربيعة قال وأى ربيعة من هامها أو من لهازمها قالوا بل الهامة العظمى قال من أيها قالوا من ذهل الاكبر قال منكم حامى الذمام ومانع الجار فلان قالوا لا قال منكم قاتل الملوك وسالبها فلان قالوا لا قال منكم صاحب العمامة الفردة قالوا لا قال فلستم من ذهل الاكبر انتم من ذهل الاصغر فقام اليه شاب فقال ان على سائلنا أن نسأله يا هذا انك قد سألتنا فاخبرناك فمن أنت قال أبو بكر انا من قريش فقال الفتى بخ بخ أهل الشرف والرياسة قال فمن أى قريش أنت قال من ولد تيم بن مرة فقال أمنكم قصى الذى كان يدعى مجمعا قال لا قال أمنكم هاشم الذى هشم الثريد لقومه قال لا قال أمنكم شيبة الحمد مطعم طير السماء الذى كان وجهه يضيء كالقمر ليلة الظلماء قال لا وسكت الغلام تادبا فلم يقل شيئا غير ذلك واجتذب أبو بكر رضى الله عنه زمام ناقته

ورجع الى النبي صلى الله عليه وسلم وأخبره بذلك فتبسم رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقال له علي لقد وقعت من الاعراب على باقعة أي داهية قال أجل
يا أبا الحسن ما من طامة الا وفوقها طامة والبلاء موكل بالمنطق وعن عبد
الله بن عباس رضي الله عنهما أنه صلى الله عليه وسلم أتى جماعة من شيبان
ابن ثعلبة وكان معه أبو بكر رضي الله عنه وعلي كرم الله وجهه
فتقدم أبو بكر فسلم فقال ممن القوم فقالوا من شيبان بن ثعلبة فالتفت
أبو بكر رضي الله عنه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بأبي أنت
وأمي هؤلاء غرر الناس سادات في قومهم وفيهم مفروق بن عمرو وهانئ بن
قبيصة بفتح القاف ومثنى بن حارثة والنعمان بن شريك وكان مفروق
ابن عمرو قد غلبهم جمالا ولسانا فقال له أبو بكر رضي الله عنه كيف العدد
فيكم قال له مفروق إنا لنزيد على الألف ولن تغلب الألف من قلة قال كيف
المنعة فيكم قال علينا الجهد ولكل قوم جد قال فكيف الحرب بينكم
وبين عدوكم قال إنا لأشد ما نكون غضبا حين نلقى وأشد ما نكون لقاء حين
نغضب وإنا لنؤثر الجياد على الاولاد والسلاح على اللقاح
والنصر من عند الله يديلنا مرة ويديل علينا أخرى لعلك أخو قريش قال أبو بكر
أوقد بلغكم أنه رسول الله فها هو ذا فقال مفروق بلغنا أنه يذكر ذلك فالى ما
تدعونا يا أخا قريش فتقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أدعو الى
شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأني رسول الله والى أن تؤووني
وتنصروني فان قريشا قد تظاهرت على أمر الله وكذبت رسوله واستغنت
بالباطل عن الحق والله هو الغني الحميد قال والى ما تدعو أيضا يا أخا
قريش فتلا صلى الله عليه وسلم قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم الآية
الى لعلكم تعقلون قال مفروق ما هذا من كلام أهل الارض ولو كان من
كلامهم عرفناه ثم قال والى ما تدعو أيضا يا أخا قريش فتلا رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتاء ذي القربى
الآية فقال دعوت والله الى مكارم الاخلاق ومحاسن الاعمال ولقد
أفك قوم كذبوك وظاهروا عليك ثم قال هذا هانئ بن
قبيصة شيخنا وصاحب ديننا فقال هانئ قد سمعت مقالتك يا أخا قريش

وانى ارى أن تركنا ديننا واتباعنا على دينك لمجلس جلسته الينا زلة فى الرأى
وقلة نظر فى العاقبة وانما تكون الزلة مع العجلة ومن ورائنا قوم نكره
أن نعقد عليهم عقدا ولكن نرجع وترجع وننظر وتنظر ثم قال وهذا
المثنى بن حارثة شيخنا وصاحب حربنا فقال المثنى قد سمعت مقالتك يا أخا
قريش والجواب فيه جواب هانئ بن قبيصة وان احببت ان نؤويك وننصرك
مما يلى مياه العرب دون ما يلى انهار كسرى فعلنا وانا انما نزلنا على عهد
أخذه علينا كسرى ان لا نحدث حدثا وان لا نؤوى محدثا فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما أسأتم اذ افصحتم بالصدق وان دين الله عز وجل
لن ينصره الا من احاطه من جميع جوانبه أرأيتم ان لم تلبثوا الا قليلا حتى
يورثكم الله ارضهم واموالهم ويفرشكم نساءهم أتسبحون الله وتقدسونه
فقال النعمان بن شريك اللهم لك ذا فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم
يا أيها النبى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا الآية ثم نهض رسول الله
صلى الله عليه وسلم ولم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه
على القبائل فى كل موسم ويقول لا اكره أحدا على شئ من رضى بالذى
ادعوه اليه فذاك ومن كره لم اكرهه انما اريد منعى من الاذى حتى
ابلغ رسالة ربى فلم يقبله أحد من تلك القبائل واتى رسول الله صلى الله
عليه وسلم رجل من همدان فاجابه ثم خشى ان لا يتبعه قومه فجاء اليه
فقال آتى قومى فاخبرهم ثم آتيك العام المقبل قال نعم فانطلق الرجل وجاء
وفد الانصار وهم الخزرج والاوس فى رجب قال أهل السير لما كانت
السنة التاسعة من المبعث النبوى خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
يعرض نفسه على قبائل العرب على حسب عادته فلقى رهطا من الخزرج
عند العقبة اراد الله بهم خيرا فقال من انتم قالوا من الخزرج قال أفلا
تجلسون اكلمكم فجلسوا فدعاهم الى الله وعرض عليهم الاسلام وتلا عليهم
القرآن وكان من صنع الله لهم أن يهود المدينة كانوا يقولون لهم ان نبيا
يبعث الآن قد اظل زمانه نتبعه ونقتلكم معه وذلك قوله تعالى وكانوا من
قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله
على الكافرين فلما سمعوا ذلك عرفوا انه الذى كانت اليهود تذكره لهم

وقال بعضهم لبعض والله انه النبي الذي توعدكم به اليهود فلا يسبقونكم
اليه فأجابوه الى ما دعاهم اليه وقبلوا منه ما عرض عليهم من الاسلام
﴿وآمن﴾ صدق ﴿به﴾ صلى الله عليه وسلم ﴿ستة﴾ من الخزرج
ليس فيهم أحد من الاوس وهم أبو امامة اسعد بن زرارة وعوف بن الحارث
ابن رفاعة وهو ابن عفراء ورافع بن مالك بن العجلان وقطبة بن عامر ابن
حديدة وعقبة بن عامر بن نابي وجابر بن عبد الله بن رياب بمثناة تحتية
وفي سيرة مغلطاي وكذا في الفتح نقلا عن موسى بن عقبة انهم ستة وقيل
ثمانية وهم معاذ بن عفراء بدل أخيه عوف بن الحارث واسعد بن زرارة
ورافع بن مالك وذكوان بن عبد قيس وعبادة بن الصامت وذكره بعض أهل
السير بدل جابر بن عبد الله بن رياب ويزيد بن ثعلبة وابو الهيثم بن
التيهان وعويم بن ساعدة وهؤلاء الستة ﴿من الانصار﴾ اصله جمع
ناصر كاصحاب وصاحب على تقدير حذف ألف ناصر لزيادتها وفاعل لا
يجمع على افعال قياسا ويقال جمع نصير كشريف واشراف على
القياس وجمعوا جمع قلة وان كانوا الوفا لان جمعي القلة والكثرة انما
يعتبران في نكرات الجمع اما في المعارف فلا فرق بينهما ثم وضعه النبي صلى
الله عليه وسلم علما على هؤلاء ومن تبعهم من قبيلتي الخزرج والاوس
باعتبار ما آل اليه امرهم وما زووه دون غيرهم من نصره صلى الله عليه وسلم
وايوائه ومن معهم ومواساتهم باموالهم وانفسهم فهم من الذين ﴿اختصهم
الله﴾ تعالى ﴿برضاه﴾ فقال صلى الله عليه وسلم للستة المتقدمين
تمنعون ظهري حتى ابلغ رسالة ربي فقالوا دعنا حتى نرجع الى عشائرنا
لعل الله أن يصلح ذات بيننا وندعوهم الى ما تدعونا اليه فعسى الله ان
يجمعهم عليك فان اجابوا فلا احد اعز منك وموعدك الموسم القابل فلما
وصلوا الى المدينة لم يبق دار الا وفيها ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولم يقع لهؤلاء الستة أو الثمانية مبايعة ويسمى هذا ابتداء اسلام الانصار
قال في انسان العيون وربما سماه بعضهم العقبة الاولى انتهى لوقوع
الاجتماع عند العقبة ﴿وحج﴾ أي قصد مكة ﴿منهم﴾ أي من
الانصار ﴿في﴾ موسم العام ﴿القابل﴾ أي السنة التي تلي تلك

السنة

السنة ﴿واثنا عشر رجلا﴾ خمسة من الستة المذكورين قبل غير جابر والبقية منهم خمسة من الخزرج أيضا وهم معاذ بن عفراء وأخوه عوف وذكوان بن عامر وعبادة بن الصامت ويزيد بن ثعلبة وعياش بن عبادة واثنان من الأوس وهما أبو الهيثم بن التيهان وعويم بن ساعدة رضي الله عنهم وهذه هي العقبة الثانية أي بالنسبة لما قبلها وقد يقال ان العقبة الاولى بالنسبة لوقوع المبايعة عندها اذ ما قبلها لم يقع فيه غير الاجتماع والاسلام كما علمت فاسلموا وقبلوا ما اشترطه عليهم ﴿وبايعوه﴾ صلى الله عليه وسلم ﴿بيعة حقيه﴾ بفتح الحاء المهملة فقاف مكسورة فمثناة تحتية مشددتين فهاء نسبة للحق ضد الباطل أي لم يكن في أنفسهم غير الصدق والوفاء وبذل أنفسهم دون رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل وبايعهم صلى الله عليه وسلم على بيعة النساء أي على وفق بيعتهم التي أنزلت عند فتح مكة هي ان لا نشرك بالله شيأ ولا نسرق ولا نزني ولا نقتل اولادنا ولا نأتي ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا ولا نعصيه في معروف والسمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره وأثرة علينا وان لا ننازع الامر أهله وان نقول بالحق أينما كنا لا نخاف في الله لومة لائم قال فان أوفيتم فلكم الجنة ومن غشي من ذلك شيأ كان أمره الى الله ان شاء عذبه وان شاء غفر له وفي رواية فان رضيتم فلكم الجنة وان غشيتم من ذلك شيأ فان جنتم حد في الدنيا فهو كفارة لكم في الدنيا وان سترتم عليه فامركم الى الله ان شاء عذب وان شاء غفر وفي هذا كما في انسان العيون رد على من قال بوجوب التعذيب لمن مات بلا توبة وعلى من قال بكفر مرتكب الكبيرة انتهى ولم يفرض يومئذ القتال فلم يبايعهم عليه وهذا الحديث أخرجه الشيخان وغيرهما بألفاظ متقاربة لكن لم يقع في رواية الشيخين بان المبايعة هذه ليلة العقبة نعم اخراج البخاري الحديث في وفود الانصار ظاهر في وقوعه ليلتئذ وبه جزم عياض وغيره لكن رجح الحافظ ان المبايعة ليلة العقبة انما كانت على الايواء والنصر وما يتعلق بذلك وأما على الصفة المذكورة فانما هي بعد فتح مكة وبعد نزول آية الممتحنة بدليل سياق البخاري في حديث عبادة هذا انه صلى الله عليه وسلم لما بايعهم قرأ الآية كلها وله فتلا علينا آية النساء

ثم قال وانما حصل الالتباس من جهة ان عبادة حضر البيعتين معا وكانت
بيعة العقبة من أجل ما يتمدح به فكان يذكرها اذا حدث تنويها بسابقيته
فلما ذكر هذه البيعة التي صدرت على مثل بيعة النساء توهم من لم يقف على
حقيقة الحال ان بيعة العقبة وقعت على ذلك وانما وقعت على الايواء
والنصر وما يتعلق بذلك انتهى ملخصا وفي انسان العيون أقول ابسر في كلام
عبادة رضي الله عنه ان هذه البيعة بيعة العقبة اذ لم يقل بايعنا رسول الله
صلى الله عليه وسلم بيعة العقبة وان كان السياق يقتضيه وحينئذ فلا يحسن
ان يكون كلام عبادة شاهدا لمن قال ولا علم آية النساء بل هو دليل على
ان هذه المبايعة متأخرة عن يوم الفتح كما قال الحافظ والله أعلم انتهى وقال
القسطلاني الراجح ان التصريح بان بيعة العقبة وقعت على وفق بيعة النساء
وهم من بعض الرواة والذي دل عليه الاحاديث ان البيعة ثلاث العقبة
كانت قبل فرض الحرب والثانية بعد الحرب على عدم الفرار والثالثة على
نظير بيعة النساء انتهى ﴿ثم انصرفوا﴾ رجعوا الى اهليهم ﴿وظهر﴾ شاع
وافشا ﴿الاسلام بالمدينة﴾ طابة المستطابة ﴿فكانت معقله﴾
بالعين المهملة والقاف كمسجد أي ملجأه ومحل استقراره ﴿ومأواه﴾ أي
مسكنه الذي يأوي اليه فكان اسعد بن زرارة يجمع بالمدينة بمن أسلم وكتب
الاوس والخزرج الى النبي صلى الله عليه وسلم ان ابعث الينا من يعلمنا
القرآن فبعث اليهم مصعب بن عمير رضي الله عنه وكان يصلي بهم الجمعة
قيل وهو اول من صلى بهم الجمعة وكانوا اربعين رجلا لكن عند ابن اسحاق
وغيره ان أول من صلى بهم الجمعة أسعد بن زرارة وجمع بان اسعد بن زرارة
كان المعاون على الجمع والمصلي هو مصعب بن عمير فنسب التجميع لكل
منهما وكان مصعب يسمى المقرئ وأسلم على يديه جمع كثير منهم سيد الاوس
سعد بن معاذ الاشهلي الذي وافق حكمه حكم الله واهتز عرش الرحمن لموته
واسيد بن حضير اسلما في يوم واحد اسيد قبل سعد وقصتهما مبسوطة في
السير وأسلم باسلامهما جميع بني عبد الاشهل في يوم واحد الرجال والنساء
وذلك ان سعدا لما ذهب لمصعب وأسلم اقبل الى نادي قومه ومعه أسيد فقال
يا بني عبد الاشهل كيف تعلمون أمري فيكم قالوا سيدنا وأفضلنا رأيا قال

فان كلام رجالكم ونسائكم على حرام حتى تؤمنوا بالله ورسوله قال في
الرواية فوالله ما أمسى منهم رجل ولا امرأة الا مسلما أو مسلمة حاشا الاصيرم
وهو عمرو بن ثابت بن وقش فانه تأخر اسلامه الى يوم أحد فاسلم واستشهد
بأحد ولم يسجد لله سجدة وأخبر صلى الله عليه وسلم انه من أهل الجنة ولم
يكن في بني عبد الاشهل منافق ولا منافقة بل كانوا كلهم حنفاء مخلصين
رضي الله عنهم ﴿وقدم عليه﴾ صلى الله عليه وسلم بمكة من الانصار
﴿في﴾ العام ﴿الثالث﴾ في ذي الحجة اوسط أيام التشريق وهي
العقبة الثالثة ﴿سبعون﴾ رجلا ﴿أو﴾ سبعون ﴿وثلاثة﴾
رجال ﴿وامرأتان﴾ أي منهم من الخزرج اثنان وستون رجلا
وامرأتان والباقي من الاوس كما يؤخذ مما يأتي عن الاصابة وهو مقتضى
كلام الحلبي في انسان العيون حيث قال بعد أن ذكر عددهم كما ذكر أي
منهم أحد عشر رجلا من الاوس انتهى والمرأتان قد عينهما ابن اسحاق
فقال نسيبة بفتح النون وكسر المهملة كما جزم به في الاصابة وفي انسان
العيون بالتصغير بنت كعب بن عمرو بن عوف المازني النجارية وهي أم عمارة
وكانت تشهد الحرب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم شهدت هذه العقبة مع
زوجها زيد بن عاصم وولديها حبيب وعبد الله وحبيب هذا أخذه مسيلمة
الكذاب لعنه الله وصار يعذبه ويقول اتشهد ان محمدا رسول الله فيقول نعم
ثم يقول وتشهد اني رسول الله فيقول لا فيقطع عضوا من اعضائه وهكذا
حتى فنيت أعضاؤه والثانية أسماء بنت عمرو بن عدي بن نابي من بني سلمة
وفي الاصابة وكان من بني الخزرج اثنان وستون رجلا وامرأتان وهما
نسيبة وأختها ابنتا كعب وقيل الثانية ام منيع وقد أخرج ابن سعد عن
الواقدي بسنده الى أم عمارة قالت كانت الرجال تصفق على يدي رسول الله
صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة والعباس آخذ بيده فلما بقيت أنا وأم منيع
نادى زوجي غزية بن عمرو يا رسول الله هاتان امرأتان حضرتا معنا ابايعانك
فقال قد بايعتكما اني لا أصافح النساء وقيل أم منيع هي أسماء بنت عمرو
والحاصل انهم اختلفوا في المرأة الثانية فقيل أخت نسيبة وقيل أسماء بنت
عمرو وقيل أم منيع وقيل أم منيع هي أسماء بنت عمرو والمذكور واحد

الما كم هذا العدد فقال خمسة وسبعون نفسا ﴿من القبائل الاوسية والخزرجية﴾ أى المنسوبة الى الاوس والخزرج سموا باسم جدهما الاعليين الاوس والخزرج الاكبر ولدى حارثة بن ثعلبة قال بعضهم وكانا فى الاصل أخوين فوقعت العداوة بينهما مدة مائة وعشرين سنة فصارا قبيلتين فلما بعث الله النبى صلى الله عليه وسلم وقعت المحبة بينهما ببركته صلى الله عليه وسلم ونزل فيهم قوله تعالى واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء الآية وكل قبيلة منهما تشتمل على قبائل قال كعب بن مالك رضى الله عنه خرجنا حاجين مع مشركى قومنا وقد صلينا وفقهنا ومعنا البراء بن معرور سيدنا وكبيرنا فلما وصلنا مكة ولم نكن رأينا رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ذلك فسألنا عنه فقيل هو مع العباس فدخلنا فجلسنا اليه ثم خرجنا الى الحج وواعدناه العقبة فاجتمعنا عند العقبة قال فجاء العباس فتكلم معه فقال ان محمدا منا من حيث علمتم وقد منعناه وهو فى عز فان كنتم ترون انكم وافون له بما دعوتموه اليه ومانعوه ممن خالفه فانتم وذاك والا فمن الآن قال فقلنا تكلم يا رسول الله فخذ لنفسك ما أحببت فتكلم فدعا الى الله وقرأ القرآن ورغب فى الاسلام ثم قال ابايعكم على ان تمنعونى مما تمنعون منه نساءكم أى وقال البراء رضى الله عنه اما والله لو كان فى أنفسنا غير ما ننطق لقلناه ولكنا نريد الوفاء والصدق وبذل مهج انفسنا دون رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فاخذ البراء بن معرور بيده فكان أول من ضرب على يده صلى الله عليه وسلم فى البيعة ليلة العقبة ويقال اسعد بن زرارة وتابعه الباقون ﴿وبايعوه﴾ على ذلك وعلى حرب الاحمر والاسود وكانت أول آية نزلت فى الاذن بالقتال اذن للذين يقاتلون الآية وقال الاكليل ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم الآية فان قيل كيف بايع النبى صلى الله عليه وسلم المرأتان والمبايعة انما كانت بالمصافحة والنبى صلى الله عليه وسلم كان لا يصافح النساء قلنا انما كان يأخذ عليهن العهد بالكلام فاذا سقط من المبايعة قال اذهبن فقد بايعتكن كما تقدم فى رواية ابن سعد عن الواقدى بسنده الى أم عمارة ولا ينافيه ما رواه الطبرانى فى الاوسط عن معقل بن يسار كان يصافح النساء من تحت الثوب لامكان الجمع بان هذا

مقيد بالاقارب وذاك بالاجانب وقال المناوي وزعم ان كان يصافحهن بحائل لم يصح وقيل مصافحة النساء الاجانب مخصوص به صلى الله عليه وسلم لعصمته فلا يجوز لغيره مصافحة أجنبية ﴿وامر﴾ بفتح الهمزة والميم مشددة أي ولى وخلاف بالتشديد فيهما ﴿عليهم اثني عشر نقيبا﴾ أولياء قال السهيلي اقتداء بقوله تعالى في قوم موسى وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا ﴿جحاجحة﴾ بجيم مفتوحة فحاء مهملة فجيم مكسورة فحاء مهملة جمع جحاجح كذا نقله بعضهم عن المختار وفي القاموس جمع جحجح كالجحجاح بفتح السيد في قومه ﴿سراه﴾ بفتح السين المهملة جمع سري بمعناه قال ابن اسحاق تسعة من الخزرج اسعد بن زرارة وعبد الله بن رواحة وسعد بن الربيع ورافع بن مالك وابن جابر وعبد الله بن عمرو والبراء ابن معرور وسعد ابن عبادة والمنذر بن عمرو وعبادة بن الصامت وثلاثة من الاوس اسيد بن حضير وسعد بن خيثمة ورفاعة بن عبد المنذر قال ابن هشام واهل العلم يعدون فيهم أبا الهيثم بن التيهان بدل رفاعة وروى البيهقي عن الامام مالك حدثني شيخ من الانصار ان جبريل كان يشير له الى من يجعله نقيبا وقال ابن اسحق حدثني عبد الله بن أبي بكر بن حزم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للنقباء أنتم كفلاء على قومكم ككفالة الحواريين لعيسى بن مريم قالوا نعم وفي حديث جابر عن أحمد باسناد حسن وصححه الحاكم وابن حبان مكث صلى الله عليه وسلم بمكة عشر سنين يتبع الناس في منازلهم بمنى وغيرها يقول من يؤويني من ينصرني حتى أبلغ رسالة ربي وله الجنة حتى بعثنا الله له من يثرب فذكر الحديث وفيه وعلى ان تنصروني اذا قدمت عليكم يثرب فتمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وازواجكم وابناءكم ولكم الجنة الحديث وللبزار عن جابر قال صلى الله عليه وسلم للنقباء من الانصار تؤووني وتمنعوني قالوا نعم فما لنا قال الجنة وعند ابن اسحق فقال ابو الهيثم يا رسول الله ان بيننا وبين الرجال أي اليهود حبالا وانا قاطعوها فهل عسيت أن نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله ان ترجع الى قومك وتدعنا فتبسم صلى الله عليه وسلم ثم قال بل الدم الدم والهدم الهدم انا منكم وانتم مني أحارب من حاربتم وأسالم من سالمتم قال في المواهب وشرحه وحضر العباس العقبة تلك الليلة

متوثقا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومؤكدا على أهل يثرب وكان يومئذ على
دين قومه إلا أنه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه فلما جلس كان أول متكلم
فقال إن محمدا منا حيث قد علمتم وقد منعناه من قومنا ممن هو على مثل
رأينا فيه فهو في عز من قومه ومنعة في بلده وإنه قد أبى إلا الانحياز إليكم
واللحوق بكم فإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه ومانعوه ممن
خالفه فأنتم وما تحملتم وإن كنتم ترون أنكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج
فمن الآن فدعوه فإنه في عز ومنعة من قومه وبلده فقالوا قد سمعنا ما قلت
فتكلم يا رسول الله فخذ لنفسك ولربك ما أحببت الحديث ذكره ابن
إسحاق وقول العباس قد أبى إلا الانحياز إليكم ربما يفيد أن غير الأنصار
وافقوه على مناصرته فأباهم ويمكن أن يراد بهم قبيلة شيبان بن ثعلبة كما تقدم
حيث قالوا له ننصرك مما يلي مياه العرب دون ما يلي مياه كسرى فأبى صلى
الله عليه وسلم ويحتمل أن المراد بهم أهله وعشيرته والله أعلم (ولما)
بايع السبعون رسول الله صلى الله عليه وسلم وفشا الخبر وعلمت قريش أنه
صلى الله عليه وسلم آوى إلى قوم أهل حرب ونجدة وجاء أجلتهم وأشرافهم
حتى دخلوا شعب الأنصار فقالوا يا معشر الخزرج بلغنا أنكم جئتم إلى
صاحبنا هذا تستخرجونه من بين أظهرنا وتبايعونه على حربنا والله ما من حي
أبغض إلينا إذا منكم فصار مشركو الأوس والخزرج يحلفون لهم
ما كان من هذا شيء وصدقوا لأنهم لم يعلموه ونفر الناس من منى وبحثت
قريش على خبر الأنصار ووجدوه حقا وكانت الأنصار قد صدروا وفاتوا
أثرهم فلم يدركوا إلا سعد بن عبادة والمنذر بن عمرو رضي الله عنهما فأما
سعد فعذب في الله وأما المنذر فأفلت ثم أنقذ الله سعدا من أيدي المشركين
والتفتوا إلى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وضيقوا عليهم
وانتهبوهم ونالوا منهم ما لم يكونوا ينالونه من الشتم والأذى وجعل البلاء
يشتد عليهم وصاروا ما بين مفتون في دينه ومعذب في أيديهم وبين هارب
في البلاد فشكوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم واستأذنوه في الهجرة ومكث
صلى الله عليه وسلم أياما لا يأذن لهم ثم خرج مسرورا فقال قد أخبرت
بدار هجرتكم وهي يثرب فمن أراد منكم أن يخرج فليخرج إليها وحينئذ

﴿هاجر﴾ أى ترك الاقامة بمكة وانتقل منها ﴿اليهم﴾ الى الانصار بالمدينة ﴿من﴾ أهل ﴿مكة ذو﴾ أصحاب ﴿الملة الاسلاميه و﴾ قوله ﴿فارقوا الاوطان﴾ جملة فعلية معطوفة على ماقبلها وفعلها مفسر لفعل الجملة المعطوف عليها وانما فعلوا ذلك ﴿رغبة﴾ أى حبا وطلبا ﴿فيما أعد﴾ أى هيء من عند الله ﴿ان هجر﴾ أى ترك ﴿الكفر﴾ وأهله ﴿وناواه﴾ أى بعد عنه مفاعلة من النوى وهو البعد فانهم تركوا أهلهم وعيالهم ومساكنهم وأموالهم وماعز عليهم فى حب الله وحب رسوله صلى الله عليه وسلم وهذا من أعظم الشواهد القاضية بكمال ايمانهم وصدق يقينهم وكانوا يتجهزون ويترافقون ويتواسون ويخرجون ويخفون ذلك أفواجا وفرقا متقطعة وفرادى وكان أول من هاجر من مكة الى المدينة أبو سلمة بن عبد الاسد قبل بيعة العقبة بسنة قدم من الحبشة وآذاه أهلها وبلغه اسلام من أسلم من الانصار فخرج اليهم وهو أخو المصطفى صلى الله عليه وسلم من الرضاعة وابن عمته برة وأول من يعطى كتابه بيمينه كما رواه ابن أبى عاصم وفى الصحيح عن البراء أول من قدم الينا مصعب ابن عمير وابن أم مكتوم وجمع بأن خروج مصعب لما كان لتعليم من أسلم بالمدينة لم يعد من الخارجين لاذى المشركين بخلاف أبى سلمة وفيه ان مصعبا كان قد رجع الى مكة مع من خرج من المسلمين من الانصار الى الموسم مع حجاج قومهم من أهل الشرك ثم عاد مع الاصحاب كما فى انسان العيون والاحسن فى الجمع ان يقال ان مصعب بن عمير أول من قدم الى المدينة بعد العقبة الاولى وأبا سلمة أول من قدم بعد العقبة الثانية وعليه يحمل قوله قبل بيعة العقبة أى الثانية ويؤيده قوله وبلغه اسلام من أسلم من الانصار أى بعد العقبة الاولى وجمع الحافظ بحمله الاولية على صفة خاصة أى ان أبا سلمة خرج لا لقصد الاقامة بالمدينة بل فرارا من المشركين بخلاف مصعب فكان على نية الاقامة ولعل هذا هو سبب رجوعه الى مكة ليقطع علائقه بمكة ويعود الى المدينة ثم عامر بن ربيعة وامرأته ليلى ثم عبد الله بن جحش بأهله وأخيه أبى أحمد الشاعر ثم المسلمون ارسالا ومنهم عامر بن ياسر وبلال وسعد بن أبى وقاص كما فى الصحيح انهم هاجروا وقبل

عمر ثم عمر ابن الخطاب ثم أخوه زيد وهو أسن من عمر وأسلم قبله وعياش بن
أبي ربيعة وطلحة بن عبيد الله ثم عثمان بن عفان وغيرهم ممن يطول ذكره
حتى لم يبق مع النبي صلى الله عليه وسلم ممن قدر على الخروج إلا علي بن
أبي طالب والصديق رضي الله عنهما قال في فتح الباري وكان المشركون
يمنعون من قدروا على منعه منهم فكان أكثرهم يخرج سرا إلى أن لم يبق
منهم بمكة إلا من غلب على أمره من المستضعفين قال في الصواعق أخرج
ابن عساكر عن علي رضي الله عنه قال ما علمت أحدا هاجر إلا مختفيا
إلا عمر بن الخطاب رضي الله عنه فإنه لما هم بالهجرة تقلد سيفه وتنكب
قوسه وانتضى بيده أسهما وأتى الكعبة وأشراف قريش بفنائها فطاف
سبعا ثم صلى ركعتين خلف المقام ثم أتى حلقهم واحدة واحدة فقال
شاهت الوجوه من أراد أن تثكله أمه ويوتم ولده ويرمل زوجته فليلقني
وراء هذا الوادي فما تبعه أحد واستأذن الصديق رسول الله صلى الله عليه
وسلم في الهجرة فقال لا تعجل لعل الله أن يجعل لك صاحبا فطمع أبو بكر
رضي الله عنه في أن يصاحبه صلى الله عليه وسلم وعند البخاري فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم على رسلك فإني أرجو أن يؤذن لي فقال أبو
بكر وهل ترجو ذلك بأبي أنت وأمي قال نعم فحبس أبو بكر نفسه على رسول
الله صلى الله عليه وسلم ليصحبه وعلف راحلتين كانتا عنده ورق
السمر وظاهر هذا السياق أن علفه للراحلتين كان بعد قول المصطفى له
ما ذكر ومعلوم أن ذلك كان بعد مبايعة الأنصار له والمدة بين المبايعة
والهجرة كانت ثلاثة أشهر أو قريبا منها لأنها كانت في ذي الحجة والهجرة في
ربيع الأول وقال الحافظ ابن حجر إن بين ابتداء هجرة الصحابة وهجرته صلى
الله عليه وسلم شهرين وبعض شهر على التحرير انتهى ﴿و﴾ لما هاجرت الصحابة
حذرت ﴿و﴾ خافت قريش أن يلحق ﴿النبي﴾ صلى الله عليه وسلم بأصحابه ﴿
الذين هاجروا ﴿وحل القرية﴾ والعلة فيه خروجه عليهم ويأتيهم بما لا طاقة
لهم به لعزهم أنه اجتمع خيرهم فاجتمعوا بدار الندوة وكانت محل المشورة فهم
لا يقضون أمرا دونها كما تقدم الكلام عليها مبسوطا يوم السبت ولذا ورد يوم
السبت يوم مكر وخديعة يتشاورون فيما يصنعون في أمره عليه الصلاة

والسلام وكانوا مائة رجل وكان ذلك اليوم يسمى يوم الزحمة لانه اجتمع فيه
اشراف بنى عبد شمس وبنى نوفل وبنى عبد الدار وبنى اسد وبنى مخزوم وبنى
سهم وبنى جمح وغيرهم من قريش من اهل الرأى والحجا وجاءهم ابليس
فى هيئة شيخ جليل عليه بت قيل كساء غليظ او طيلسان من خز ووقف على
الباب فقالوا من الشيخ قال من نجد سمع بالذى اتعدتم له فحضر ليسمع
ماتقولون وعسى أن لا يعدمكم رأيا ونصحا قالوا أدخل فدخل وأمرهم ان
يعرضوا عليه آراءهم ليختار أنفعها لهم فقال بعضهم لبعض ان هذا
الرجل قد كان من أمره ما رأيتم وانا والله ما نأمنه من الوثوب علينا بمن تبعه
من غيرنا فاجمعوا فيه رأيا فقال أبو البخترى بن هشام المقتول كافرا ببدر
احبسوه بالحديد وأغلقوا عليه بابا ثم تربصوا به ما أصاب اشباهه من
الشعراء قبله فقال النجدى ما هذا برأى والله لو حبستموه ليخرجن أمره
من وراء الباب الذى اغلقتم دونه الى أصحابه فلا تشكوا أن يثبوا عليكم
فينتزعوه من أيديكم ثم يكاثروكم حتى يغلبوكم على أمركم ما هذا برأى
فانظروا رأيا غيره فقال أبو الاسود بن ربيعة بن عمير نخرجه من بين
اظهرنا فنغيبه من بلادنا فلا نبالى أين يذهب فقال النجدى لعنه الله والله
ما هذا لكم برأى ألم تروا حسن حديثه وحلاوة منطقه وغلبته على قلوب
الرجال بما يأتى به والله لو فعلتم ذلك ما أمنت ان يحل على حى من العرب
فيغلب ذلك عليهم من قوله حتى يبايعوه عليكم ثم يسير بهم اليكم حتى يطأكم
بهم فيأخذ أمركم من أيديكم ثم يفعل بكم ما أراد فدبروا فيه رأيا غير هذا
فقال أبو جهل لعنه الله والله ان لى فيه رأيا ما أراكم وقفتم عليه أرى ان
تأخذوا من كل قبيلة شابا جلدا نسيبا وسيطا ثم يعطى كل فتى منهم سيفا
صارما ثم يعمدوا عليه فيضربونه ضربة رجل واحد فيقتلونه فنستريح منه
و يتفرق دمه فى القبائل فلا يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم
جميعا فيرضون منا بالعقل أى الدية فقال النجدى لعنه الله القول ما قال
هذا الرجل هذا هو الرأى لا أرى غيره فتفرق القوم على ذلك
وهو معنى قول المصنف ﴿فائتمروا﴾ أى تشاوروا ﴿بقتله﴾ صلى الله
عليه وسلم فان قيل لم تمثل الشيطان فى صورة نجدى فالجواب لانهم قالوا كما

ذكره بعض أهل السير لا يدخلن معكم في المشاورة أحد من أهل تهامة لأن
هواهم مع محمد فلذلك تمثل في صورة نجدي ﴿حفظه الله﴾ تعالى ﴿من
كيدهم ونجاه﴾ فأتاه جبريل وقال لا تبت الليلة على فراشك الذي
كنت تبيت عليه فلما كانت عتمة من الليل أي الثلث الأول من الليل
اجتمعوا على بابه يرصدونه حتى ينام فيثبون عليه فأمر عليه الصلاة
والسلام عليا رضي الله عنه أنه يتشح ببرده وينام مكانه وقال له كما في رواية
ابن إسحاق لن يخلص إليك شيء تكرهه منهم فكان علي أول من شرى
نفسه في الله ووقى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم واستشكل هذا بأنه بعد
خبر الصادق لن يخلص إليك شيء منهم تحقق أنه لا يصيبه منهم ضرر فلم يكن
فيه فداء بالنفس والإيثار بالحياة وأجيب بجواز أنه أخبره بذلك بعد أمره
بالنوم وامتثاله فصدق أنه بالامتثال باع نفسه قبل بلوغ الخبر ويحتمل أنه
فهم أن لن يخلص إليك ما دام البرد عليك لجعله ذلك علة لأمره بتغطيه
والبرد لا يؤمن زواله عنه بريح وانقلاب في نوم فصدق على هذا أنه باع نفسه
وأما معارضة رواية ابن إسحاق لن يخلص إليك بأنه لم يذكرها المقريزي
في الإمتاع وإنما فيه أنه أمره أن ينام مكانه لأمر جبريل له بذلك ففاسدة إذ
الترك لا يناقض وزيادة الثقة مقبولة وأما ما روى كما في الإحياء أن
الله سبحانه وتعالى أوحى إلى جبريل وميكائيل إني قد آخيت بينكما وجعلت
عمر أحدكما أطول من عمر الآخر فأيكما يؤثر صاحبه بالحياة فاختار كل منهما
الحياة فأوحى الله إليهما ألا كنتما مثل علي بن أبي طالب آخيت بينه وبين
محمد فبات على فراشه يفديه بنفسه ويؤثره بالحياة اهبطا إلى الأرض
فاحفظاه من عدوه فنزلا فكان جبريل عند رأسه وميكائيل عند رجليه
ينادي جبريل بخ بخ من مثلك يا ابن أبي طالب يباهي الله بك الملائكة وفيه
نزل ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله فقد قال الحافظ ابن
تيمية إنه كذب باتفاق علماء الحديث والسير وقال الحافظ العراقي في تخريج
أحاديث الإحياء رواه أحمد مختصرا عن ابن عباس شرى علي نفسه ولبس
ثوب النبي صلى الله عليه وسلم ثم نام مكانه الحديث وليس فيه ذكر جبريل
وميكائيل ولم أقف لهذه الزيادة على أصل والحديث منكر انتهى ورد

أيضا بان الآية في البقرة وهي مدنية اتفاقا وقد صحح الحاكم نزولها في صهيب وقد يقال لا مانع من تكرر نزول الآية في حق علي كرم الله وجهه وفي حق صهيب وحينئذ يكون الشراء في حق علي بمعنى باع أي باع نفسه بحياة المصطفى صلى الله عليه وسلم وفي حق صهيب بمعنى اشترى أي اشترى نفسه بماله وذلك انه لما أراد الهجرة قال له الكفار أتيتنا صعلوكا حقيرا فكثر مالك عندنا وبلغت الذي بلغت ثم تريد ان تخرج بمالك والله لا يكون ذلك فقال أرأيتم ان جعلت لكم مالي أتخلوا سبيلي قالوا نعم قال فاني جعلت لكم مالي فتركوه فلما قدم المدينة وكانت الآية قد نزلت في حقه فقام اليه أبو بكر وقال له ربح بيعك يا أبا يحيى فقد أنزل الله فيك كذا وقرأ عليه الآية ونزول هذه الآية بمكة لا يخرج سورة البقرة عن كونها مدنية لان الحكم يكون للغالب

﴿عطر اللهم قبره الكريم بعرف شذي من صلاة وتسليم اللهم صل وسلم وبارك عليه﴾

﴿و﴾ كان ﴿قد اذن له﴾ صلى الله عليه وسلم ﴿في الهجرة﴾ الى المدينة بقوله تعالى وقل رب ادخلني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا كما اخرجه الترمذي وصححه الحاكم والهجرة بكسر الهاء لغة مفارقة بلد الى غيره فان كانت قربة لله فهي الشرعية كما وقع لكثير من الانبياء عليهم السلام قال في النسيم والهجرة ترك الوطن من الهجر بكسر الهاء وفتحها وقد تضم انتهى وأمره جبريل ان يستصحب معه أبا بكر ﴿فرقبه﴾ بفتح القاف من باب قعد أي رصده وانتظره ﴿المشركون ليوردوه﴾ أي يجعلوه واردا ﴿بزعمهم﴾ بفتح الزاي أي بحسب ظنهم الكاذب وأملهم الخائب جاهلين بحفظ الله له وصيانته منهم ﴿حياض﴾ بكسر الحاء جمع حوض ﴿المنيه﴾ أي الموت شبهها بشئ يشرب له حياض فهي مكنية والحياض تخييل والايراد ترشيح وكان فيهم الحاكم بن أبي العاص وعقبة بن أبي معيط والنضر بن الحارث وأمية ابن خلف وزمعة بن الاسود وأبو لهب وأبو جهل ﴿فخرج﴾ صلى الله عليه وسلم ﴿عليهم﴾ وهو يتلو قوله تعالى يس والقرآن الحكيم الى قوله

فأغشيناهم فهم لا يبصرون فأخذ الله تعالى على أبصارهم عنه فلم يبصروه (و) عند خروجه صلى الله عليه وسلم (نثر) طرح (على رؤسهم) كلهم (التراب) من كف واحد بيده الشريفة (وحثاه) بمعنى نثره قال البرهان وحكمة وضع التراب دون غيره الاشارة لهم بانهم الارذلون الاصغرون الذين ارغموا وألصقوا بالرغام وهو التراب أو انه سيلصقهم بالتراب بعد هذا وقد وقع ما أصاب أحدا منهم تراب الا قتل كافرا ببدر أى فلما انصرف صلى الله عليه وسلم أتاهم آت فقال ما تنتظرون قالوا محمدا قال خيبكم الله والله خرج عليكم وما ترك منكم احدا الا وضع على رأسه ترابا وانطلق لحاجته فما ترون ما بكم فوضع كل رجل منهم يده على رأسه فاذا عليه تراب ومع ذلك فقد اخذ الله عقولهم ولم يصدقوه وجعلوا يطلعون فيرون عليا متشحا ببرد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولون والله ان هذا لمحمد نائم فلم يزالوا كذلك يزعمون انهم يرقبونه الفعل حتى اصبحوا وارتفع النهار فقام على كرم الله وجهه من الفراش فقالوا والله لقد صدقنا الذى كان حدثنا فسألوه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا علم لى به وفى هذا نزل قوله تعالى أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون وانما لم يقتحموا عليه صلى الله عليه وسلم الجدار لانهم انما ارادوا قتله عند طلوع الفجر ليظهر لبنى هاشم قاتلوه وقيل غير ذلك ووجود الاسباب المانعة لهم من الوثوب عليه لا ينافى ان المانع لهم من الوثوب عليه انما هى حماية الله تعالى الوجيه لخذلانهم والحوار عزمهم وفى ذلك تصديق لقوله صلى الله عليه وسلم لعلى لا يخلص اليك شئ تكرهه منهم على ما تقدم فان قيل هلا نام صلى الله عليه وسلم على فراشه قلنا الوحى دل لذلك اذلالهم بوضع التراب على رؤسهم و ... حماه الله تعالى عن رؤيته عليهم ولم يبصره أحد منهم (و) الصحيح ... ما طرح عليهم و نثر على رؤسهم التراب توجه (الى) ... (غار) قال فى القاموس والغار نقب فى الجبل كالمغارة فاذا اتسع ... والمراد هنا نقب فى (ثور) بالمثلثة وهو بمكة على مسيرة ساعة وقيل ان بينه وبين مكة ثلاثة أميال وارتفاعه نحو ميل والغار المذكور فى أعلاه واسم الجبل أطحل نزله ثور بن عبد مناف فنسب له وقيل من كل

نبات الحجاز وفيه شجر اليان وفى حديث مروى فى الهجرة انه عليه السلام
ناداه ثبير لما صعده اهبط عنى فانى أخاف ان تقتل على ظهرى فاعذب فناداه
حراء كما تقدم فى الكلام عليه الى يا رسول الله نخشى ظلمهم فيما علما عهدوه
من ذهابه اليه فذهب الى ثور دون غيره لحبه الفأل الحسن فقد قيل الارض
مستقرة على قرن الثور فناسب استقراره فيه تفاؤلا بالطمأنينة
والاستقرار فيما قصده هو وصاحبه قال السهيلى واحسب فى الحديث
ان ثورا ناداه أيضا لما قال له ثبير اهبط عنى الخ فناداه الى يا رسول الله
وتوارى فيه حتى أتى بيت أبى بكر فى نحر الظهيرة فقال انه قد أذن فى الخروج
قال الصحبة يا رسول الله قال نعم قال نخذ راحلتى قال بالثمن أى لتكون هجرته
الى الله تعالى بنفسه وماله رغبة منه فى استكماله فضل الهجرة وان تكون
على أتم الاحوال ولا يكون لاحد فيها منة فخرج هو وأبو بكر ثانيا ليلا الى
الغار وبهذا علم الجواب عن قوله فى النور لم أقف على ما صنع من حين
خروجه الى ان جاء الى بكر فى نحر الظهيرة ووقع فى البيضاوى فبيت
عليا على مضجعه وخرج مع أبى بكر الى الغار وفى سيرة الدمياطى انه ذهب
تلك الليلة الى بيت أبى بكر فكان فيه الى الليلة أى المقبلة ثم خرج هو
وأبو بكر الى جبل ثور انتهى وفيه ان الثابت فى الصحيح انه عليه السلام أتى
أبا بكر فى نحر الظهيرة وفى رواية أحمد جعل انتهاء خروجه بعد ان بيت عليا
على فراشه طرقه بالغار فيؤيد ما قلنا ﴿وفاز﴾ ظفر ﴿الصديق﴾
أبو بكر رضى الله عنه ﴿فيه﴾ أى فى الغار ﴿بالصحبة﴾ المصاحبة
والمرافقة والمؤانسة وانما لم يخرج معه على كرم الله وجهه لانه صلى الله
عليه وسلم خلفه ليؤدى عنه ما عنده من الودائع كما مر فى ترجمته وكان
الصديق فى طريقه الى الغار يمشى تارة امامه وتارة خلفه وتارة عن يمينه
وتارة عن شماله فقال صلى الله عليه وسلم ما هذا قال أخشى الرصد واتخوف
الطلب واحفظ الطريق فقال لا بأس عليك ان الله معنا ولما فقدته قريش
طلبوا بمكة اعلاها وأسفلها وبعثوا القافة أثره فى كل وجه فوجد الذى
ذهب قبل ثور أثره هناك فلم يزل يتبعه حتى انقطع لما انتهى الى ثور وشق عليهم
خروجه وجزعوا منه وجعلوا لمن رده مائة ناقة ولما أتيا الى الغار تقدم

أبو بكر في الدخول لاحتمال أن يكون فيه ما يؤذي فيتلقاه عن النبي صلى الله عليه وسلم فلم يجد شيئا فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ووضع رأسه في حجر أبي بكر وكان هناك جحر فيه حيات وأفاعي فخشي أبو بكر أن يخرج منه شيء يؤذي النبي صلى الله عليه وسلم فألقمه قدمه فجعلت الحيات والأفاعي تضربنه وتلسعنه ولم يتحرك مخافة أن يوقظ النبي صلى الله عليه وسلم فسقطت دموعه على وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا أبا بكر ما يبكيك قال لدغت فتفل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فذهب ما يجده لكن كان يعاوده ذلك حتى كان سبب موته على المشهور وكافأه قدمه وقد جوزي أبو بكر بأن جعلت البركة في عقبه أي نسله الى يوم القيامة وان ذريته يموتون بتحرك السم في أعقابهم لينالوا مرتبة الشهادة كما مات جدهم أبو بكر رضي الله عنه بتحرك السم عليه شهيدا وروي ان أبا بكر رضي الله عنه لما رأى القافة اشتد حزنه وقال ان قتلت فانما انا رجل واحد وان قتلت أنت هلكت الامة فقال صلى الله عليه وسلم لا تحزن ان الله معنا أي بالعونة والنصر فأنزل الله سكينته عليه أي أبي بكر لانه الذي انزعج رهي أي السكينة أمنة تسكن عندها القلوب وأيده أي رسول الله صلى الله عليه وسلم بجنود لم تروها أي ملائكة يصرفون أبصار الكفار عنه ﴿وأقام﴾ أي لبث هو والصديق ﴿فيه﴾ أي الغار ﴿ثلاثا﴾ من الليالي على المشهور ﴿تحمي﴾ أي تحفظ ﴿الحمائم﴾ جمع حمام كسحاب ويقال حمامة لطائر بري لا يألف البيوت أو كل ذي طوق أو كل ما عب أي شرب الماء بلا مص ويقع واحدته على الذكر والانثى ودخول الهاء لافادة الوحدة لا للتأنيث قال ابن العماد ويقع على الذي يألف البيوت واليمام وفي الحديث اتخذوا هذه الحمام المقاصيص في بيوتكم فانها تلهي الجن عن صبيانكم أي عن تعلقهم بهم واذاهم لهم قيل والاحمر في ذلك خصوصية ولعل وجهه ان الجن تهرب من الالوان الحمرة كما ورد في خبر قال في القاموس ومجاورتها امان من الحدر والفالج والسكتة والجمود والسبات ولحمه حمية على نهشة العقرب مجرب للبرأ ودمها يقطع الرعاف فيسيل ومن فوائد اتخاذ الحمام انه يطرد الوحشة ﴿والعناكب﴾ جمع عنكبوت الدابة المعروفة وقدم من رسول

الله صلى الله عليه وسلم عن قتل العنكبوت وقال انها جند من جنود الله وعن
أبي بكر الصديق قال لا أزال أحب العنكبوت منذ رأيت رسول الله صلى الله
عليه وسلم أحبها وفي الجامع الصغير جزى الله العنكبوت عنا خيرا فانها
نسجت على الغار وفيه ان في الحديث العنكبوت شيطان فاقتلوه وفي لفظ
شيطان مسخه الله فاقتلوه فان صح وثبت تأخره فهو ناسخ له وان كان متقدما
على ما هنا او قد صح فهو منسوخ به وقد يقال كما قال المناوي ان ذلك في معينة
نسجت على باب الغار واما هذا في الجنس بأسره انتهى أو هي أنواع مختلفة
منها ما فيه السم ويؤذي بلدغه كالعقرب فيحمل حديث الامر بالقتل عليه
ومن هذا النوع الرتيلا بضم الراء وفتح التاء المثلثة وقد كما قاله الجاحظ قال
وتسمى عقرب الحياة لانها تقتل الحياة والافاعي وقال أبو عمر موسى القرطبي
الاسرائيلي الرتيلا اسم يقع على أنواع كثيرة من الحيوانات وقيل انها
ستة انواع وقيل ثمانية وكلها من اصناف العنكبوت وذكر حذاق الاطباء
أن اعظم هذه الانواع شرا المصرية أما النوعان الموجودان في البيوت
فنكايتهما قليلة ومنها نوع له زغب يسمونه أهل مصر ابا صوفة وغش هذه
الانواع كلها قريب من لسع العقرب ومن خواصها ان شربه فهو نافع
شيء من الفالج ينفع من سمها ومن علي كرم الله وجهه طهروا بيوتكم
من نسج العنكبوت فان تركه في البيوت يورث الفقر وفي حياة الحيوان
أن ما ينسجه العنكبوت من ظاهر جلدها لا من جوفها والذي في كلام ابن
حجر انه طاهر لانه من لعابها كذا قال بعضهم وعبارته في التحفة وعن
العدة والحاوي الجزم بنجاسة نسج العنكبوت ويؤيده قول الغزالي
والقزويني انه من لعابها مع قولهم انها تتغذى بالذباب الميت لكن
المشهور الطهارة كما قاله السبكي والاذرعي أي لان نجاسته تتوقف على
تحقق كونه من لعابها وانها لا تتغذى الا بذلك وان ذلك النسج قبل احتمال
طهارة فمها وأنى لواحد من هذه الثلاثة انتهى ﴿حماه﴾ أي المحل الذي
اختفى فيه واختبئ به من اعدائه ومعنى حمايته ماله صلى الله عليه وسلم
أن الله تعالى أرسل حمامتين وحشيتين يقال ان حمام الحرم من نسلهما
وعنكبوتا فباض الحمام في فم الغار ونسج العنكبوت على وجهه فلما

جاء الكفار حوالى الغار ينظرون فأعماهم الله تعالى قال أبو بكر نظرت
الى أقدامهم فوق رؤسنا فقلت يا رسول الله لو ان أحدهم نظر الى قدميه
لأبصرنا فقال ما ظنك باثنين الله ثالثهما وفى التنزيل ثانى اثنين اذ هما
فى الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا وذكر ابن كثير ان أهل
السير ذكروا ان ابا بكر رضى الله عنه لما قال للنبى صلى الله عليه وسلم
لو أن أحدهم نظر الى قدميه لأبصرنا قال له النبى صلى الله عليه وسلم لو جاؤنا
من ههنا لذهبنا من ههنا فنظر الصديق رضى الله عنه الى الغار قد
انفرج من الجانب الآخر واذا البحر قد اتصل به وسفينة مشدودة الى
جانبه قال ابن كثير وهذا ليس بمنكر من حيث القدرة العظيمة ولكن
لم يرد ذلك باسناد قوى ولا ضعيف ولسنا نثبت شيئا من تلقاء انفسنا انتهى
وتقدم رجل منهم فنظر حمامتين وحشيتين على فم الغار فقال ليس فى الغار
شئ فقال رجل ادخلوا الغار فقال أمية بن خلف وما اربكم بالغار ان
فيه لعنكبوتا اقدم من ميلاد محمد وسبب ظنهم ذلك ان هذين الحيوانين
متى احسا بالانسان فرا منه ولم يعلموا ان الله تعالى يحفظ من شاء بما شاء
من خلقه وهذا ابلغ فى الاعجاز من مقاومة الاعداء بالجنود * فائدة *
جليلة نقلها الشيخ أبو الفرا البستانى فى كتابه فتح الكريم الوهاب بشرح
هداية المرتاب للسخاوى من باب المعنى فقال قال او باب المعنى فى أن
العنكبوت شكت الى ربها فقالت يارب انى ضعيفة واهنة وقد زاد ضعفى
ووهى وعظم مصابى وكسرى لما قرأت فى كتابك المكنون ان أوهن
البيوت لبيت العنكبوت فاجابها ربها ولباها مولاها وقال لاجبرن كسرك
ولاشدن وهنك ولاقوين ضعفك بان اجعل من ضعيف نسجك وقليل
صنعك آية مشهورة تذكر على طول الزمان ويتعجب منها أهل الايمان
بان اتخذ من ذلك حصنا حصينا وحرزا منيعا على اكرم خليقتى وخير بريتى
محمد عبدى ورسولى وحبيبى وخليلى لا يخرق ذلك الحجاب خوارق
الرماح ولا يقطعه قواطع الصفاح ولا تزلزله عواصف الرياح يكون له مبتدأ
الانتصار ولك به انواع من الافتخار فسكنت وشكرت لله رحم الله القائل
فى حقها

وذودا القرآن نسجت حريرا * جل لباسه عن كل شيء
فان العنكبوت أجل منها * بما نسجت على رأس النبي

انتهى بحروفه وقيل ان الله انبت على باب الغار الراءة بالراء المهملة والمد والهمزة شجرة معروفة وهي ام غيلان مثل قامة الانسان لها خيطان وزهر ابيض يحشى به المخاد بالميم والخاء المعجمة والدال المهملة جمع مخدة وهي الوسادة فيكون في الوسادة كالريش لخفته ولينه فحجبت عن الغار اعين الكفار وقيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا تلك الشجرة وكانت امام الغار فاقبلت حتى وقفت على باب الغار وبعث الله العنكبوت فنسجت ما بين فروعها واخرج أبو نعيم في الحلية عن عطاء بن ميسرة قال نسجت العنكبوت مرتين مرة على داود حين كان طالوت يطلبه ومرة على النبي صلى الله عليه وسلم في الغار وفي المواهب وكذا نسجت على الغار الذي دخله عبد الله بن انيس لما بعثه صلى الله عليه وسلم لقتل خالد ابن نبيح الهذلي فقتله ثم حمل رأسه ودخل في غار فنسجت عليه العنكبوت فجاء الطلب فلم يجد واشيئا فانصرفوا راجعين وفي تاريخ ابن عساكر ان العنكبوت نسجت أيضا على عورة زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب وهو اخو الامام محمد الباقر وعم جعفر الصادق لما صلب عريانا في سنة احدى وعشرين ومائة واقام مصلوبا أربع سنين كما جزم به غير واحد وقيل خمس سنين وكان عبد الله بن أبي بكر رضي الله عنهما مع صغر سنه يأتيهما بالطعام كل ليلة ويدلج من عندهما آخر الليل فيصبح بمكة كأنه بائت مع قريش وكان لا يسمع شيئا الا حفظه واتاهما بخبره وكان عامر بن فهيرة مولى أبي بكر يأتيهما بلبن غنم كان اعطاها له أبو بكر واستأجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر عبد الله بن اريقط اسم أمه ولم يعرف له اسلام وقيل اسلم ليدلهما على الطريق ودفعا اليه راحلتيهما وواعداه أن يأتيهما بعد ثلاث فأتاهما بهما صبح ثلاث كما وعداه فكثا الى الليل ﴿وخرجا منه﴾ أي الغار ﴿ليلة الاثنين﴾ قال الحاكم تواترت الاخبار ان خروجه كان يوم الاثنين الا ان محمد بن موسى الخوارزمي قال انه خرج من مكة يوم الخميس قال في المواهب و يجمع

بينهما بأن خروجه من مكة كان يوم الخميس وخروجه من الغار كان ليلة الاثنين لانه اقام فيه ثلاث ليال ليلة الجمعة وليلة السبت وليلة الاحد وخرج اثناء ليلة الاثنين قال الزرقاني وقول الحاكم تواترت الاخبار ان خروجه كان يوم الاثنين مجاز لاطلاق اليوم مريدا به الليل لقربه منها والمراد الخروج من الغار لا من مكة انتهى وفى الفصول المهمة وغيره اقام صلى الله عليه وسلم فى الغار ثلاثة أيام بلياليها واتاهما الدليل بعد مضى ساعة من الليلة الرابعة والصحيح المروى عن البخارى وغيره أنه اتاهما صبح ثلاث ولا منافاة لاحتمال أنه اتاهما ثم اشتغل بحضور الابل والتهيؤ للرحيل حتى دخل الليل فاتاهما فارتحلا وقد علمت مما مر ان خروجه من مكة الى الغار كان ليلا من بيت نفسه وهو الاصح وقيل من بيت أبى بكر ويجمع بانه خرج الى الغار أولا من بيت نفسه ثم جاء الى بيت أبى بكر فى حر الظهيرة وخرج ثانيا مع أبى بكر ليلا الى الغار وكان خروجهما من خوخة فى ظهر بيت أبى بكر كما فى رواية وهب بن منبه رضى الله عنه ومقتضى ذلك أن ابا بكر انما اقام معه صلى الله عليه وسلم فى الغار ليلتين من تلك الثلاث ومامر عن المواهب فى الجمع بأن خروجه من مكة الى الغار يوم الخميس مخالف لما تقدم من أنه خرج ليلا وقد يقال لا منافاة لجواز اطلاق اليوم وارادة الليل مجازا كما مر عن الزرقانى فيكون قد توارى صلى الله عليه وسلم فى الغار تلك الليلة ثم اتى بيت أبى بكر فى ظهر يوم الخميس وخرج هو وأبو بكر ليلة الجمعة وعلى هذا يكون مكثه مع النبى صلى الله عليه وسلم فى الغار ثلاث ليال وماقيل انه اتى من بيته أولا الى بيت أبى بكر فقد تقدم عن الحميا ما فى عبارته وكان خروجه صلى الله عليه وسلم من مكة كما فى المواهب وشرحه لهلال ربيع الاول وقدم المدينة لاثنتى عشرة خلت من ربيع الاول على الراجح وسيأتى التصريح به فى كلام المصنف وعند خروجهما من مكة اتهمما أبو جهل فأعمى الله بصره عنهما قالت اسماء بنت أبى بكر خرج أبى بماله كله وكان خمسة آلاف درهم قال البلاذرى كان مال أبى بكر يوم اسلم أربعين ألف درهم وخرج مهاجرا الى المدينة ومعه خمسة آلاف درهم أو أربعة فبعث ابنه عبد

الله .

الله لجأوا الى الغار وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال حين خرج من
مكة اللهم اعنى على اهوال الدنيا وبوائق الدهر ومصائب الليالى والايام
اللهم اصحبنى فى سفرى واخلفنى فى اهلى وبارك لى فيما رزقتنى ولك فذللنى
وعلى صالح خلقى فقومنى واليك رب فحببنى والى الناس فلا تكلنى أنت رب
المستضعفين وأنت ربى اعوذ بوجهك الكريم الذى اشرقت له السموات
والارض وكشفت له الظلمات وصلح عليه امر الاولين والآخرين أن يحل بى
غضبك أو ينزل على سخطك اعوذ بك من زوال نعمتك وتحول عافيتك
وجميع سخطك لك العتبى عندى خير ما استطعت ولا حول ولا قوة الا بك
وفى المواهب وشرحه وكان من قوله صلى الله عليه وسلم حين خرج من مكة
لما وقف على الحزورة ونظر الى البيت والله انك لاحب ارض الله الى الله
ولولا ان اهلك اخرجونى ما خرجت منك وهذا من اصح ما يحتج به فى تفضيل
مكة على المدينة واجاب من قال بتفضيل المدينة عليها بأن التفضيل انما
يكون بين شيئين يأتى بهما التفضيل وفضل المدينة لم يكن حصل حتى يكون
هذا حجة ولو سلم ففى الحجج المبينة هو مؤول بأنه قبل أن يعلم تفضيل المدينة
أو بانها خير الارض ما عدا المدينة كما قاله ابن العربى وأيضا فهو معارض
بما فى البخارى عن عائشة رفعته اللهم حبب الينا المدينة كحبنا مكة
أو اشد ونحن نقطع باجابة دعائه صلى الله عليه وسلم فقد كانت احب اليه
من مكة انتهى ملخصا وقد بسطنا الكلام فى ذلك فى كتابنا نزهة الناظرين
وكفى بها شرفا انها أول ارض مس جلد المصطفى ترابها وان الاعيان
ابان زارها سامى الاقطار ﴿وهو صلى الله عليه وسلم﴾ راكب ﴿على
خير مطيه﴾ أى احسن دابة قط أى تجد فى السير وهى ناقته الجدعا
بالدال المهملة وهى لغة المقطوعة الانف او المقطوعة الاذن كلها لكن
ذلك كان مجرد لقب لناقته صلى الله عليه وسلم قال فى القاموس الجدعا ناقة
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهى العضبا والقصوى ولم تكن جدعاء
ولا عضباء ولا قصوى وانما هى القاب لتلك الناقة وفى انسان العيون
ما يخالفه وعبارته وكان الثمن من تلك الناقة التى هى القصوى وقد عاشت
بعده صلى الله عليه وسلم وماتت فى خلافة أبى بكر أو الجدعا أو بثمانمائة

درهم لما علمت أن الناقتين اشتراهما أبو بكر بثمانمائة درهم وأما ثمنه
العضباء فقد جاء أن ابنته فاطمة رضي الله تعالى عنها اشترتها له انتهى
ومقتضى كلامه أن التي أخذها النبي صلى الله عليه وسلم من أبي بكر هي
القصوى وبه جزم الواقدي وذكر ابن إسحاق وغيره أنهما لما دعا
وسارا ومعهما عامر بن فهيرة رديفا لأبي بكر وعبد الله بن أريقط الدليل
وأخذ بهم طريق السواحل أسفل عسفان ثم أجاز بهما حتى عارض
الطريق ونزلا قديدا وكانت مدة مقامه صلى الله عليه وسلم بمكة من حين
النبوة إلى ذلك الوقت ثلاث عشرة سنة كما رواه البخاري ﴿و﴾ لما ارتحل
صلى الله عليه وسلم يوم الثلاثاء من قديد قبل أن ينفصل منه ﴿تعرض له﴾
للنبي صلى الله عليه وسلم فارس من بني مدلج بالأدية والرّد وهو ﴿سراقة﴾
ابن مالك بن جعشم بن تميم بن مدلج بن مرة بن عبد مناف بن كنانة المدلجي
الصحابي الحجازي رضي الله عنه وجعشم بضم الجيم والشين المعجمة بينهما
عين مهملة ساكنة وما نقله البرهان عن الجوهري من أنه بفتحها ليس
موجودا في نسخه كما نبه قاله في النسيم أسلم بالجعرانة منصرفه من حنين
والطائف وفي الإصابة أسلم يوم الفتح وروى عنه ابن عباس وجابر
وغيرهما مات سنة أربع وعشرين في أول خلافة عثمان وكان شاعرا
وسبب تعرضه له ما رواه البخاري عنه قال جاءنا رسل كفار قريش
يجعلون في رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر دية كل واحد منهما مائة
ناقة من الإبل لمن قتله أو أسره الحديث وفيه أنه لما قرب منهم عثرت به فرسه
وسقط عنها فركبها ثانيا ودنا حتى سمع قراءة رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهو لا يلتفت إليه وأبو بكر يلتفت ﴿فابتهل﴾ النبي صلى الله
عليه وسلم ودعا وتضرع ﴿فيه﴾ في شأن سراقة ﴿إلى الله﴾ مولاه
وناصره وكافيه ﴿ودعاه﴾ بقوله اللهم اكفناه بما شئت ﴿فساخت﴾
أي غاصت ﴿قوائم يعبوبه﴾ اليعبوب الفرس السريع الطويل أو الجواد
السهل في عدوه أو البعيد القدر في الجري ﴿في الأرض الصلبة﴾ بضم
الصاد كما في القاموس الشديدة ﴿القويه﴾ يعني أن الأرض لم تكن
ذات رمل تغوص فيها أيدي الدواب بل كانت شديدة ومع ذلك فقد

غاصت قوائمه حتى بلغت الركبتين كما في حديث عائشة وفي حديث
اسماء عند الطبراني فوقعت لمنخريها والبراء فارتطمت به فرسه الى بطنها
ولابن سعد في خبر اسماعيل فساخت في الارض الى بطنها قال سراقة فلما رأيت ذلك
زجرت الفرس فنهضت ولم تكد تخرج يديها ﴿و﴾ لما رأى سراقة ذلك
ورأى عند استواء فرسه قائمة غبارا ساطعا من اثر يديها في السماء
كالدخان نادى رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿وسأله الامان﴾ أي مما
وقع فيه هو وفرسه وقال الامان يا محمد ﴿فنحه﴾ اعطاه ﴿اياه﴾ بأن
دعا له صلى الله عليه وسلم لما علم من صدقه ثم قال أعلم انكما دعوتما على
فادعوا لي والله لكما أن ارد الناس عنكما ولا اخبر بكما قال فركبت فرسي حتى
جئتهما ووقع في نفسي حين لقيت مالقيت ان سيظهر امر رسول الله صلى
الله عليه وسلم فاخبرتهما اخبار ما يريد بهما الناس وعرضت عليهما
الزاد والمتاع فلم يقبلا شيئا وقالا اخف عنا قال سراقة فسألته كتابا آمن
به فامر عامر بن فهيرة وقيل ابا بكر رضي الله عنهما ولا مخالفة لاحتمال
أنه صلى الله عليه وسلم امرهما بكتابة ذلك واحدهما كتب قال فكتب
لي في رق من أدم أخرجتها له يوم حنين فنفذها وامنني ومن يلوذبي انتهى
ولما اراد الانصراف قال له كيف بك يا سراقة اذا لبست سوارى كسرى
وتقدم أنه اتي بهما عمر رضي الله عنه فالبسهما اياه اظهارا للمعجزة وتحقيقا
لخبره صلى الله عليه وسلم وقال له قل الحمد لله الذي سلبهما كسرى والبسهما
سراقة ورفع بها عمر رضي الله عنه صوته ولما رجع سراقة رضي الله تعالى
عنه صار يردعنهم الطلب لايلقى أحدا الارده يقول اختبرت الطريق
فلم ار احدا وقد قال سراقة خرجت وأنا احب الناس في تحصيلهما
ورجعت وأنا احب الناس في ان لا يعلم بهما أحد * وفي الفصول المهمة لما
اتصل بخبر مسيره صلى الله عليه وسلم الى المدينة وذلك في اليوم الثاني من
خروجه صلى الله عليه وسلم من الغار جمع الناس أبو جهل لعنه الله
قال بلغني أن محمدا قد مضى نحو يثرب على طريق الساحل ومعه رجلان
آخران فايكم يأتيني بخبره فوثب سراقة وقال أنا يا ابا الحكم ثم انه ركب
راحلته واستجنب فرسه وأخذ معه عبدا اسود وكان ذلك العبد من

الشجعان المشهورين فسار إلى أثر النبي صلى الله عليه وسلم سيراً عنيفاً حتى لحقه وساق نحو ما تقدم إلى أن قال ورجع سراقة إلى مكة فلا زال به أبو جهل لعنه الله حتى اعترف وأخبرهم بالقصة وفي ذلك يقول سراقة مخاطبا لأبي جهل لعنه الله

أبا حكم والله لو كنت شاهداً * لأمر جوادي إذ تسيخ قوائمه
علمت ولم تشكك بأن محمداً * رسول ببرهان فمن ذا يقاومه

وسياق هذه الرواية يدل على أنه خرج خلف النبي صلى الله عليه وسلم من مكة لكنه مخالف لما تقدم أنه خرج خلفه من قديد وقد يقال لا مخالفة لأنه يجوز أن يكون لما خرج من مكة سلك طريقاً غير الذي سلكه رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يجده وسبقه على قديد فلما أخبر بمرورهم فعل ما تقدم قال في إنسان العيون ولا مانع من أن يخرج بعد خروجهم من الغار ويسبقهم على قديد ولا ينافي قوله جاءنا رسل كفار قريش لأنه يجوز أن يكون ذلك هو الحامل لسراقة على الذهاب إلى مكة وفي كلام بعضهم أنه أرسل بهذين البيتين إلى أبي جهل ولا منافاة لجواز أنه أرسلهما إليه قبل أن يشافهه بهما

﴿عطر اللهم قبره الكريم بعرف شذي من صلاة وتسليم اللهم صل وسلم وبارك عليه﴾

ولما رجع سراقة سارا ليلتهما كلها حتى قام قائم الظهيرة وخلا الطريق فلا يرى فيه أحد نزلا عند صخرة طويلة لها ظل قال أبو بكر رضي الله عنه فسويت بيدي مكاناً ينام فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم في ظلها ثم بسطت له فروة كانت معي ثم قلت له يا رسول الله نم وأنا أتجسس وأتعرف من نفاده فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم وإذا براع يقبل بغنمه إلى الصخرة يريد منها الذي أردنا وهو الظل فلقيته فقلت لمن أنت يا غلام فقال لرجل من أهل مكة فسماه فعرفته فقلت له هل في غنمك من لبن قال نعم قلت أفتحلب لي قال نعم فأخذ شاة فحلب لي في قعب معه فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فوافقته حتى استيقظ فصببت على اللبن من الماء حتى برد أسفله فقلت يا رسول الله اشرب من هذا اللبن فشرب لأنه جرت عادة العرب بإباحة مثل ذلك

لابن السبيل كما تقدم ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم أتأذن بأن للرحيل قلت إي قد
آن الرحيل يا رسول الله وهذا قطعة من قصة العبد الراعي الذي استسقياه
اللبن فقال ما عندي شاة تحلب غير أن ههنا عناقا حملت عام أول وما بقي لها
لبن فقال ادع بها فاعتقلها صلى الله عليه وسلم ومسح ضرعها ودعا له حتى
أنزلت وجاء أبو بكر بمجن فحلب فسقى أبو بكر ثم حلب فسقى الراعي ثم
حلب فشرب فقال الراعي بالله من أنت فوالله ما رأيت مثلك قال أوتراك
تكتم علي حتى أخبرك قال نعم قال فاني محمد رسول الله قال أنت الذي تزعم
قريش أنه صابئ قال انهم ليقولون ذلك قال فأشهد أنك نبي وأن ما جئت
به حق وأنه لا يفعل ما فعلت الا نبي وأنا متبعك قال انك لن تستطيع ذلك
يومك فاذا بلغك أني قد ظهرت فأتنا وانما قال له ذلك خوفا عليه من الايذاء
ثم اجتازوا ﴿مر﴾ هو صلى الله عليه وسلم وأبو بكر في طريقهما ﴿بقديد﴾
بضم القاف وفتح الدال الاولى على وزن صهيب موضع بين رابغ وخليص
وهو محل سراقة كما تقدم ﴿على أم معبد﴾ رضي الله عنها واسمها
عاتكة بنت خالد ولعلها كانت بطرفه الاخير الذي يلي المدينة ومنزل
سراقة بطرفه الذي يلي مكة وكانت مسافته متسعة ﴿الخزاعية﴾ نسبة
الى خزاعة قبيلة مشهورة من الازد سموا بذلك لانهم تخزعوا أي تخلفوا
عن قومهم وأقاموا بمكة وكانت أم معبد برزة بالراء والزاي أي بارزة
المحاسن تسقي وتطعم من يمر بها ﴿وأرادوا﴾ أي سألوا وطلبوا
﴿ابتياع﴾ شراء ﴿لحم أو لبن منها﴾ وكانت لا تعرفهم ﴿فلم يكن
خباؤها﴾ بكسر الخاء المعجمة والمد واحد الاخبية وهو من وبر
أو صوف ولا يكون من شعر وهو على عمودين أو ثلاثة وما فوق ذلك فهو بيت
كذا في المختار لكن المراد هنا ما هو أعم من ذلك والمراد انه لم يكن منزلها
﴿لشيء من ذلك﴾ المطلوب لهم ﴿قد حواه﴾ جمعه واحتوى عليه
أي لم يجدوا عندها شيئا وقالت والله لو كان عندنا شيء ما أعوزناكم للشراء
وفي رواية ما أعوزناكم القرى لانهم كانوا مسنتين أي مجدبين ﴿فنظر﴾
صلى الله عليه وسلم ﴿الى شاة﴾ تطلق على كل انثى الغنم من الضأن
والمعز كما مر وعن أم معبد رضي الله عنها أن هذه الشاة بقيت الى خلافة

سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى سنة ثمان عشرة وقيل سبع عشرة ويقال لتلك السنة عام الرمادة اجدبت الارض فيه اجدابا شديدا حتى جعلت الوحوش تأوى الى الانس ويذبح الرجل الشاة فيعافها من قبح لحمها وكانت الريح اذا هبت القت ترابا كالرماد فسمى ذلك العام عام الرمادة ﴿فى﴾ كسر ﴿البيت﴾ الخيمة ﴿خلفها﴾ بتشديد اللام أى اخرها ومنعها ﴿الجهد﴾ بضم الجيم الهزال ﴿عن﴾ اللحاق بالغنم التى فى ﴿الرعية﴾ المرعى فسألها فقال هل بها من لبن فقالت هى أجهد من ذلك والله ماضربها فحل قط ﴿فاستأذنها فى حلبها فاذنت﴾ أى قالت نعم بأبى انت وامى ان رأيت بها حلبا فاحلبها ﴿وقالت لو كان بها حلب﴾ بفتح اللام وسكونها اللبن فى الضرع ﴿لاصبناه﴾ فدعا صلى الله عليه وسلم الشاة فأتته وفى رواية فبعث معبدا وكان صغيرا فقال ادع هذه الشاة ثم قال يا غلام هات فرقا ﴿فمسح الضرع﴾ بفتح الضاد وسكون الراء ﴿منها﴾ أى من الشاة زاد فى رواية وظهرها وسمى ﴿ودعا لله﴾ تعالى ﴿مولاه وولية﴾ أى قال اللهم بارك لنا فى شاتنا ﴿فدرت﴾ واجترت وهاجت وتفاجت أى فتحت ما بين رجليها للحلب ثم دعا صلى الله عليه وسلم باناء وهو الفرق المذكور يربض الرهط أى يرويهم بحيث يغلب عليهم الرى فيربضون وينامون والرهط من الثلاثة الى العشرة وقيل من السبعة الى الاربعين ﴿وحلب﴾ فى الفرق المذكور ﴿وسقى﴾ أم معبد حتى رويت ثم حلب ثجا أى بقوة لكثرة اللبن حتى علاه البهاء وفى رواية حتى علته الثمالة بضم المثلثة أى الرغوة وسقى ﴿كلا﴾ أى كل واحد ﴿من القوم وأرواه﴾ علا بعد نهل ثم شرب آخرهم وقال ساقى القوم آخرهم شربا ﴿ثم حلب﴾ أى مرة ثالثة ﴿وملأ الاناء﴾ المعهود وهو الفرق المذكور ﴿وغادره﴾ تركه ﴿لها﴾ عندها زاد فى رواية فقال ارفعى هذا لابى معبد اذا جاءك ﴿آية﴾ علامة ومعجزة ﴿جليه﴾ بفتح الجيم وكسر اللام وشد المثناة تحت ظاهرة على نبوته ثم ركبوا ﴿فجاء﴾ زوجها ﴿أبو معبد﴾ قال السهيلى لا يعرف اسمه قال العسكرى اسمه اكثم بالثاء المثلثة ابن ابى

الجون وقال ابن الحارث وقيل خنيس وقيل عبد الله عند الما يسوق
غنما عجافا ﴿ورأى اللبن﴾ الذى حلبه صلى الله عليه وسلم ﴿فذهب
به العجب الى اقصاه وقال أنى﴾ بفتح الهمزة وتشديد النون أى من اين
﴿لك هذا﴾ اللبن ﴿ولا حلوب بالبيت﴾ أى ليس فيه ذات لبن تحلب
﴿تبض﴾ بفتح المثناة الفوقية وكسر الموحدة او بضمها او تشديد الضاد
المعجمة أى تسيل وترشح ﴿بقطرة لبن فقالت﴾ لا والله الا انه ﴿مر بنا
رجل مبارك﴾ وحكت له ما تقدم فقال صفيه لى وصفيه فقالت حليته
وصفته ﴿كذا﴾ و﴿كذا جثمانه﴾ بضم الجيم وسكون المثلثة أى
شخصه ﴿و﴾ ﴿كذا وكذا﴾ ﴿معناه﴾ أى صفته أشار بذلك الى ما ردات
ابا معبد لما قال لها صفيه لى قالت رأيت رجلا ظاهر الوضاءة متبلج الوجه
حسن الخلق لم تعبه ثجلة ولم تزر به صعلة وسيم قسيم فى عينيه دعج وفى أشفاره
وطف وفى صوته صحل أحور أكحل أزج أقرن شديد سواد الشعر فى عنقه
سطع وفى لحيته كثاثة اذا صمت فعليه الوقار واذا تكلم سما وعلاه البها
فكأن منطقه خرزات نظم يتحدرن حلو المنطق فصل لا نزر ولا هزر انضر
الناس وأجمله من بعيد واحلاه واحسنه من قريب ربعة لا تشنأه من
طول ولا تقتحمه عين من قصر غصن بين غصنين فهو انضر الثلاثة منظرا
وأحسنهم قدرا له رفقاء يحفون به اذا قال سمعوا لقوله وان أمر تبادروا الى
امره محفود محشود لا عابس ولا مفند * وفى الاجوبة المسكتة لابن عون
رحمه الله قيل لام معبد رضى الله عنها ما بال صفتك لرسول الله صلى الله عليه
وسلم أشبه من سائر صفات من وصفه أى من الرجال فقالت أما علمتم ان
نظر المرأة الى الرجل أشفى من نظر الرجل الى الرجل ﴿فـ﴾ لما سمع هذا
الوصف ووعاه ﴿قال هذا﴾ والله ﴿صاحب قريش﴾ أى الذى يقول انه
رسول الله ﴿واقسم﴾ أى حلف ﴿بكل الهيه﴾ بكسر الهمزة وفتح اللام
وكسر الهاء وشد التحتية بعدها هاء أى ذات منسوبة للاله بمعنى
موصوفة بكونها الها مستحقة للعبادة فنسبة الجزء لكله أى بكل اله معبود
بحق كالله تعالى وباطل كاللات والعزى لزعمه تعدد الاله لانه كان فى ذلك
الوقت مشركا والمراد انه حلف بجميع الآلهة تأكيدا للقسم وضبطها

بعضهم ألبه بفتح الهمزة وكسر اللام فتاء فوقية مشددة بعدها هاء أي حثه وروي أنه قال والله ﴿لو رآه لآمن به واتبعه وداناه﴾ أي قاربه بأن يصدقه فيما جاء به من النبوة ويتبعه فيقرب منه وفي بعض النسخ أدناه أي قربه إليه وأكرمه ويدل للأول ما روي أنه قال والله لو رأيته لاتبعته ولاجتهدن ان أفعل وفي رواية لقد هممت ان أصحبه ولأفعلن ان وجدت الى ذلك سبيلا وفي الخصائص الكبرى انه صلى الله عليه وسلم بايع أم معبد أي أسلمت فلما ان يرضوا عنها وفي كلام ابن الجوزي ان أم معبد هاجرت وأسلمت وكذا زوجها هاجر وأسلم وفي وفاء الوفاء هاجرت هي وزوجها وأسلما وفي الخلاصة فخرج أبو معبد في أثرهم ليسلم فيقال أدركهم ببطن ريم فبايعه وانصرف وفي شرح السنة للبغوي هاجرت هي وزوجها وأسلم أخوها حبيش بن الأشعر واستشهد يوم الفتح وكان أهلها يؤرخون بيوم نزول الرجل المبارك قالت أم معبد رضي الله عنها في وصف تلك الشاة وكنا نحلبها صبوحا وغبوقا أي بكرة وعشية وما في الأرض قليل ولا كثير أي مما يتعاطى الدواب أكله وفي ربيع الأبرار للزمخشري عن هند بنت الجون انه صلى الله عليه وسلم لما كان بخيمة خالتها أم معبد قام من رقدته فدعا بماء فغسل يده ثم تمضمض ومج ذلك الماء في عوسجة الى جانب الخيمة فأصبحت وهي أعظم دوحة أي شجرة ذات فروع كثيرة وجاءت بثمر كأعظم ما يكون في لون الورس ورائحة العنبر وطعم الشهد ما أكل منها جائع الا شبع ولا ظمآن الا روي ولا سقيم الا برئ ولا أكل من ورقها بعير ولا شاة الا در لبنها وكنا نسميها المباركة فأصبحنا في يوم من الأيام وقد سقط ثمرها واصفر ورقها ففزعنا لذلك فما راعنا الا نعي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال والعجب كيف لم يشتهر أمر هذه الشجرة كما اشتهر أمر الشاة وطلبت قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغوا أم معبد فسألوا عنه ووصفوه لها فقالت ما أدري ما تقولون قد ضافني حالب الحائل فقالوا ذلك الذي نريده ولا ينافي هذا ما في فتح الباري من ان سراقة لما رجع قال لقريش قد عرفتم بصري بالطريق وبالأثر وقد استبرأت لكم فلم أر شيئا لجواز انه قال ذلك لبعضهم ممن لاقاه وبعضهم ذهب الى أم معبد فقالت له ما تقدم فلما لم يقفوا على أثر رجعوا

جميعا ولا زال كفار قريش بمكة لا يعلمون أين توجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر حتى سمعوا هاتفا يذكرهما ويذكر أم معبد رضي الله عنها في أبيات

جزى الله رب الناس خير جزائه * رفيقين قالا خيمتي أم معبد
هما نزلا بالغار ثم ترحلا * فأفلح من أمسى رفيق محمد
ليهن بني كعب مكان فتاتهم * ومقعدها للمؤمنين بمرصد
سلوا أختكم عن شاتها وإنائها * فإنكم ان تسألوا الشاة تشهد
دعاها بشاة حائل فتحلبت * عليه صريحا ضرة الشاة مزبد
فغادرها رهنا لديها لحالب * ترددها في مصدر ثم مورد
فيا لقصي ما زوى الله عنكم * به من فعال لا تجارى وسودد
فما حملت من ناقة فوق ظهرها * أبر وأوفى ذمة من محمد

فعلموا توجهه صلى الله عليه وسلم ليثرب قال في انسان العيون نقلا عن بعضهم وتقديم قصة سراقة على قصة أم معبد هو ما في الاصل وقد التزم فيه ترتيب الوقائع وقضية الترتيب ذكر قصة أم معبد قبل قصة سراقة لانه هو الصحيح الذي صرح به جماعة أقول ويدل لذلك ما تقدم من ان كفار قريش لم يعلموا اين توجه صلى الله عليه وسلم حتى سمعوا الهاتف يذكر أم معبد قال وقد تبع الاصل في ذلك شيخه الدمياطي حيث قدم خبر سراقة على قصة أم معبد الا ان يقال الدمياطي لم يلتزم الترتيب فلا يحسن تبعيته وهناك قصة أخرى فيها زيادة ونقص قيل هي قصة أم معبد وقيل هي غيرها وهي انه صلى الله عليه وسلم اجتاز بخيم فقال للراعي لمن هذا قال لرجل من أسلم فالتفت صلى الله عليه وسلم لابي بكر وقال سلمت ان شاء الله وقال للراعي ما اسمك قال مسعود فالتفت صلى الله عليه وسلم لابي بكر وقال سعدت ان شاء الله وفي الامتاع وافى بريدة بن الحصيب بضم الحاء المهملة وفتح الصاد الاسلمي رضي الله عنه في ركب من قومه فدعاهم الى الإسلام فاسلموا وفي الشرف فلما رآه صلى الله عليه وسلم قال من أنت قال بريدة بن الحصيب فالتفت النبي صلى الله عليه وسلم وقال يا أبا بكر برد امرنا وصلح قال ممن أنت قال من أسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم سلمنا ثم قال ممن قال من بني سهم قال خرج سهمك يا أبا

بكر أي لأنه صلى الله عليه وسلم كان يتفاءل ولا يتطير ثم قال بريدة ممن أنت
قال محمد بن عبد الله بن عبد المطلب رسول الله فقال بريدة أشهد أن لا إله
إلا الله وأن محمدا رسول الله فأسلم بريدة وكل من كان معه وصلوا خلفه العشاء
الآخرة ثم قال بريدة يا رسول الله لا تدخل المدينة إلا ومعك لواء فحل بريدة
عمامته ثم شدها في رمح ثم مشى بين يديه وقال له كما في الوفاء تنزل على من يا نبي الله
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن ناقتي هذه مأمورة فقال بريدة الحمد لله
أسلمت بنو أسلم يعني قومه طائعين غير مكرهين ولما سمع المسلمون بخروجه
صلى الله عليه وسلم من مكة كانوا يغدون كل غداة إلى الحرة ينتظرونه حتى
يردهم حر الظهيرة فرجعوا يوما بعد أن طال انتظارهم وإذا رجل من اليهود
صعد على أطم أي محل مرتفع من آطامهم لأمر ينظر إليه فبصر برسول الله
صلى الله عليه وسلم وأصحابه فلم يملك اليهودي أن قال بأعلى صوته يا معشر
العرب هذا صاحبكم وفي رواية جدكم أي حظكم الذي تنتظرونه فثار
المسلمون إلى السلاح فتلقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بظهر الحرة
فعدل بهم ذات اليمين حتى نزل في بني عمرو بن عوف بقباء وذلك يوم الاثنين
كما أشار إليه المصنف بقوله ﴿وقدم﴾ وصل النبي صلى الله عليه وسلم
﴿المدينة﴾ النبوية علم لها بالغلبة فلا يستعمل معرفا إلا فيها والنكرة اسم
لكل مدينة من مدن بالمكان أقام أو من دان أطاع إذ يطاع السلطان فيها
وهي أبيات كثيرة تجاوز حد القرى ولم تبلغ حد الأمصار ونسبة الكل
مديني وللمدينة النبوية مدني للفرق كذا قرره جمع قاله المناوي وما قيل
من أنها علم بالغلبة كالنجم للثريا إذا أطلق فهي المرادة وإن أريد غيرها
قيد بغيره صواب ففي الحديث تنفي الناس أي أشرارهم كما ينفي الكير خبث
الحديد وفي بعض الروايات لا تقوم الساعة حتى تنفي المدينة شرارها قيل
وذلك كان في حياته صلى الله عليه وسلم وقيل يكون ذلك في زمن الدجال
فقد جاء أن الدجال يرجف بأهلها فلا يبقى منافق ولا كافر إلا خرج إليه
وبهذا ونحوه استدل من قال كون المدينة تنفي الخبث ليس عاما في الأزمنة
ولا في الأشخاص لأن المنافقين سكنوها وخرج منها جماعة من خيار
الصحابة كعلي وطلحة والزبير وأبي عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل

وقد قال صلى الله عليه وسلم أي أرض مات بها رجل من أصحابي كان
قائدهم ونورهم يوم القيامة وفي رواية نورهم وشفيع لأهل تلك الأرض وأما
قوله صلى الله عليه وسلم والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون أي خير لهم من
بلاد الرخاء بدليل صدر الحديث يأتي على الناس زمان يدعو الرجل ابن
عمه وقريبه هلم إلى الرخاء هلم إلى الرخاء والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون
والذي نفسي بيده لا يخرج أحد منهم رغبة عنها إلا أخلف الله تعالى
من هو خير منه وتقدم ذكر أسمائها ومنها يثرب وهو اسم محل فيها
سميت كلها به وقيل ذلك المحل سمي بذلك لأنه نزل به يثرب من نسل نوح
عليه الصلاة والسلام وفي الحديث من سمى المدينة يثرب فليستغفر الله
الله تعالى هي طابة هي طابة قال ذلك ثلاثا وفي رواية فليستغفر الله
فليستغفر الله فليستغفر الله هي طيبة هي طيبة هي طيبة هي طابة
ككاتب قيل إنما سميت طيبة لطيب رائحة من مكث بها وتزايد روائح
الطيب بها ولا يدخلها طاعون ولا دجال ولا يكون بها مجذوم وتسميتها
يثرب في القرآن إنما هو حكاية لقول المنافقين أي بعد نهيهم عن ذلك
وقوله صلى الله عليه وسلم لما رآها إلا يثرب ونحو ذلك من كل ما وقع من
كلامه صلى الله عليه وسلم كان قبل النهي عن ذلك كما في إنسان العيون
وإنما كرهت تسميتها يثرب لأن يثرب مأخوذ من التثريب وهو المؤاخذة
بالذنب ومنه قوله تعالى لا تثريب عليكم اليوم أو من الثرب بالتحريك
وهو الفساد ﴿يوم الاثنين ثاني عشر ربيع الأول﴾ وبه جزم النووي
في كتاب السير من الروضة وهو الراجح كما مر عن المواهب وشرحه وقيل
لثمان منه وقيل خرج في صفر وقدم في ربيع وقال الحاكم تواترت
الأخبار أن خروجه كان يوم الاثنين ودخوله المدينة كان يوم الاثنين وفي
الاستيعاب عن الكلبي قدم المدينة يوم الجمعة وسيأتي ما يجمع به بينهما
﴿وأشرقت﴾ أضاءت ﴿به﴾ صلى الله عليه وسلم ﴿أرجاؤها﴾
جوانبها ﴿الزكية﴾ الكثيرة الخير والبركات ﴿وتلقاه الأنصار﴾
إلى ظاهر الحرة ﴿ونزل بقباء﴾ في بني عمرو بن عوف كما تقدم وسرى
السرور إلى القلوب بحلوله صلى الله عليه وسلم في المدينة فعن البراء رضي

الله عنه قال ما رأيت أهل المدينة فرحوا بشيء مثل فرحهم برسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله وأشرقت بدا ارجاؤها أشار به الى ما رواه الترمذى عن أنس بن مالك رضى الله عنه لما كان اليوم الذى دخل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أضاء منها كل شيء وما رواه ابن خيثمة والدارمى عن أنس أيضا شهدت يوم دخول النبى صلى الله عليه وسلم المدينة فلم أر يوما أحسن منه ولا أضوأ وصعدت ذوات الخدور على الاجاجير أى الأسطحة عند قدومه يقلن يقولون طلع البدر علينا الخ وعن عائشة رضى الله عنها لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة جعل النساء والصبيان والولائد يقلن جهرا

طلع البدر علينا * من ثنيات الوداع * وجب الشكر علينا * ما دعا لله داع

أيها المبعوث فينا * جئت بالامر المطاع

واستشكل بأن ثنيات الوداع ليست من جهة القادم من مكة بل من جهة الشام عند مسجد الراية ومسجد النفس الزكية قرب سلع فقد قال ابن القيم رحمه الله فى الهدى فى غزوة تبوك ثنيات الوداع من جهة الشام لا يطأها القادم من مكة وأجيب بأنه صلى الله عليه وسلم جاء من جهتها فى دخوله المدينة عند خروجه من قباء ونقل الحافظ ابن حجر عكس ذلك وقال ثنية الوداع من جهة مكة لا من جهة تبوك بل هى مقابل لها كالشرق والغرب قال الا أن يكون هناك ثنية أخرى فى تلك الجهة ومن ثم قال ابن العراقى ويحتمل أن تكون الثنية التى من كل جهة يصل اليها المشيعون يسمونها ثنية الوداع قال الخميس ان هذا هو الحق ويؤيده جمع الثنيات اذ لو كان المراد التى من جهة الشام لم تجمع فلا ينافى ما قاله ابن القيم ومن هنا قيل لها ثنية الوداع لان المودع يمشى مع المسافر من المدينة اليها وهو اسم قديم جاهلى وقيل اسلامى سمى ذلك المحل لذلك وسياق كلام المصنف وقدم المدينة ونزل بقباء يعلم منه ان المدينة تطلق ويراد بها ما يشمل قباء وهو المراد بدخوله المدينة يوم الاثنين على ما تقدم ولعل ما فى بعض الروايات دخل المدينة يوم الجمعة الذى حكم الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى بشذوذه المراد دخوله المدينة بعد خروجه من قباء فلا منافاة

ومما يدل على ان دخوله المدينة وخروجه من قباء كان يوم الجمعة قول بعضهم ولبث رسول الله صلى الله عليه وسلم في بني عمرو بن عوف في قباء بقية يوم الاثنين ويوم الثلاثاء ويوم الاربعاء ويوم الخميس وخرج يوم الجمعة والمنقول عن البخاري ومسلم كلاهما عن أنس كما في المواهب وشرحه انه صلى الله عليه وسلم أقام بقباء بضع عشرة ليلة ولعله وقع خروجه يوم الجمعة أيضا لان البضع ما بين الثلاث الى التسع ومن احد عشر الى عشرين كما في القاموس فلا يخالف من قال ان خروجه من قباء الى المدينة كان يوم الجمعة وعن ابن عقبة ثنتين وعشرين ليلة وفي الهدى أربعة عشر يوما وهو الذي في صحيح مسلم فليتأمل وقباء معدودة من العالية وحكمة اتيانه صلى الله عليه وسلم الى العالية التفاؤل له ولدينه بالعلو ﴿وأسس﴾ أي بنى صلى الله عليه وسلم ﴿مسجدها على تقواه﴾ روى ابن زبالة انه كان لكلثوم ابن الهدم مربد وهو الموضع يبسط فيه التمر لييبس فأخذه منه صلى الله عليه وسلم فأسسه وبناه مسجدا وهو أول مسجد بني في الاسلام وأول مسجد بني لجماعة من المسلمين عامة وأول مسجد صلى فيه النبي صلى الله عليه وسلم بأصحابه جماعة ظاهرا وقد اختلف في المراد بقوله تعالى لمسجد أسس على التقوى من أول يوم هل هو مسجد قباء أو مسجد المدينة فذهب قوم الى الاول وهو الصحيح الذي عليه الجمهور في تفسير الآية وهو ظاهر ما أوبه جزم عروة بن الزبير عند البخاري وغيره وذهب آخرون منهم أبو عمرو وأبو سعيد وزيد بن ثابت الى الثاني وحجته قوية جاءت فيه أحاديث كثيرة صحيحة جزم الامام مالك بصحتها قال ابن رشد انه الصحيح قال الدولابي وغيره لا اختلاف لان كلا منهما أسس على التقوى وكذا قال السهيلي وزاد غيره ان قوله من أول يوم يقتضي مسجد قباء لان تأسيسه في أول يوم حل النبي صلى الله عليه وسلم بدار الهجرة وجاء انه صلى الله عليه وسلم لما أراد بناءه قال يا أهل قباء ائتوني بأحجار من الحرة فجمعت عنده أحجار كثيرة فخط القبلة وأخذ حجرا فوضعه ثم قال يا أبا بكر خذ حجرا فضعه الى جنب حجري ثم قال يا عمر خذ حجرا وضعه الى جنب حجر أبي بكر ثم قال يا عثمان خذ حجرا فضعه الى جنب حجر عمر قال بعضهم كانه

صلى الله عليه وسلم اشار الى ترتيب الخلافة وسيأتى مستنده فى ذلك فى أمره
ابوبكر بذلك أيضا عند بنائه لمسجده الشريف وبعد تحوله صلى الله عليه وسلم
الى المدينة كان يأتيه يوم السبت ماشيا وراكبا وقال صلى الله عليه وسلم
من توضأ واسبغ الوضوء ثم جاء مسجد قباء فصلى فيه كان له أجر عمرة وروى
الترمذى والحاكم وصححاه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال صلاة فى مسجد
قباء كعمرة وفى رواية من صلى فى مسجد قباء يوم الاثنين ويوم الخميس
انقلب بأجر عمرة وكان عمر رضى الله عنه يأتيه فيهما وقال لو كان بطرف من
الاطراف لضربنا اليه أكباد الابل وصحح الحاكم عن ابن عمر انه صلى
الله عليه وسلم كان يكثر الاختلاف الى قباء راكبا وماشيا وتقدم ان النبى
صلى الله عليه وسلم خلف عليا بمكة ليؤدى عنه الودائع فاقام بعده صلى الله
عليه وسلم ثلاثة ايام ثم لحقه وادركه بقباء وكانت مدة مقامه مع النبى صلى
الله عليه وسلم ليلة او ليلتين وامر النبى صلى الله عليه وسلم وهو بقباء
بالتاريخ فكتب من حين الهجرة ثم ارسل رسول الله صلى الله عليه
وسلم الى اخواله من بنى النجار فجاؤا اكثر من خمسمائة نفر متقلدين
بالسيوف فقالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه اركبوا آمنين
مطاعين فاجتمعت بنو عمرو بن عوف فقالوا يارسول الله أخرجت
ملالا لنا ام تريد دارا خيرا من دارنا قال انى امرت بقرية تأكل القرى
يعنى المدينة فخرج صلى الله عليه وسلم من قباء وهو راكب ناقته الجدعا
او القصوى او العضبا والناس معه عن يمينه وشماله وخلفه منهم الماشى
والراكب يعرض له قبائل الانصار وبنو سالم وغيرهم واحدا واحدا
يعدونه النصرة والمنعة بنزوله عندهم فلم ينزل عند احد منهم وادركته
الجمعة فى بنى سالم فصلاها فى بطن الوادى وادى ذى صلب بالباء فى المسجد
الذى يسمى مسجد الجمعة من حينئذ وهو على يمين السالك نحو قباء وكانت
هذه أول جمعة صلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة وهذا واضح ان
كان صلى الله عليه وسلم اقام بقباء الاثنين والثلاثاء والاربعاء والخميس
واما على انه بضع عشرة ليلة فيبعد ان يقيم تلك المدة ولم يصل الجمعة وقد
رأيت فى كلام بعضهم انه صلى الله عليه وسلم كان يصلى الجمعة فى مسجد قباء

في اقامته هنالك ثم توجه بعد الصلاة على راحلته للمدينة وأرخى زمامها فتلقاه جماعة من اهل دور الانصار ويأخذون بخطام ناقته ويقولون يارسول الله هلم الينا فيقول خلوا سبيلها فانها مأمورة فحيث بركت نزلت فسارت تنظر يمينا وشمالا الى ان بركت عند بيته المشهور والآن بالحجرة الشريفة التي كانت بيت عائشة رضي الله عنها او عند محل باب المسجد او محل المنبر الآن ثم قامت الناقة من غير ان تزجر وسارت غير بعيد وبركت تجاه دار ابي ايوب الانصاري رضي الله عنه فنزل صلى الله عليه وسلم هنالك وقال هذا المنزل ان شاء الله تعالى اللهم انزلنا منزلا مباركا وأنت خير المنزلين أربع مرات وهو في شرقي المسجد فاقام عنده ثم اراد ان يبني مسجده الشريف اي مع ادخاله الموضع الذي بركت فيه ناقته اولا وهو يومئذ يصلي فيه رجال من المسلمين وكان مربدا لسهل وسهيل غلامين يتيمين من الانصار وكانا في حجر أسعد بن زرارة فساوم رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ابتاعه منهما بعشرة دنانير وكان جدارا ليس له سقف وقبلته الى بيت المقدس وكان فيه شجر غرقد ونخل وقبور للمشركين فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقبور فنبشت و بالنخل فقطعت وصفت في قبلة المسجد وجعل طوله مما يلي القبلة الى مؤخره مائة ذراع وفي الجانبين مثل ذلك أودونه وجعلوا اساسه قريبا من ثلاثة أذرع بالحجارة ثم بنوه باللبن وجاء انه صلى الله عليه وسلم عند الشروع في البناء وضع لبنة ثم امر ابابكران يضع لبنة ثم عمر لبنة بجانب لبنة أبي بكر ثم عثمان بجانب لبنة عمر كما أمرهم بذلك عند بناء مسجد قباء كما تقدم أي وقال صلى الله عليه وسلم هؤلاء الخلفاء بعدي أخرجه الحاكم في المستدرك وصححه وفي رواية هؤلاء ولاة الامر بعدي وجعل صلى الله عليه وسلم يبني معهم و ينقل اللبن والحجارة و يقول اللهم لاعيش الاعيش الآخرة فاغفر للانصار والمهاجرة وجعل قبلته من اللبن وقيل من الحجارة وجعل له ثلاثة أبواب باب في مؤخره الذي هو جهة القبلة اليوم وباب عاتكة أي باب الرحمة وباب آل عثمان أي باب جبريل وهذان البابان لم يغيرا بعد انصرفت القبلة ولما صرفت وذلك بعد ان صلى الى بيت المقدس ستة عشر شهرا سد النبي الباب الذي كان في مؤخره اذ ذاك وفتح باب حذاءه

وجعل عمده الجذوع وسقفه بالجريد ولم يبن اذ ذاك الا بيتين لسودة
وعائشة رضي الله عنهما كما ذكرناه في نزهة الناظرين فقول بعضهم وبنى
مساكنه الى جنبه بالاتي ثم تحول اليها من دار أبي أيوب الانصاري ليس
كذلك والله أعلم وكان قد مكث صلى الله عليه وسلم في بيت أبي أيوب
الانصاري الى أن تم بناء المسجد وقد مكث في بناء ذلك من شهر ربيع
الاول الى شهر صفر من السنة القابلة وذلك اثنا عشر شهرا وقيل سبعة
أشهر وكان صلى الله عليه وسلم حين قدم قد بلغ من العمر ثلاثا وخمسين سنة
ثم استمر صلى الله عليه وسلم على مجاهدة الاعداء وتبليغ الاحكام
والانباء بالمدينة عشر سنين حتى دخل الناس في دين الله أفواجا وكمل الله
له ولامته دينهم وأتم عليه وعليهم نعمته في السنة الاولى تمت صلاة الحضر
وغزا غزوة الابواء وصلى الجمعة وبنى مسجده وبعض مساكنه ومسجد
قباء وأرى عبد الله بن زيد صفة الاذان وأسلم عبد الله بن سلام ومات أسعد
ابن زرارة وفي السنة الثانية غزا غزوة بواط وغزوة بدر الاولى وغزوة
ذي العشيرة وغزوة بدر العظمى وغزوة بني قينقاع وغزوة السويق
وغزوة قرقرة الكدر وحولت القبلة الى الكعبة وفرض رمضان وزكاة
الفطر وزكاة المال الاولى في شعبان والثانية في رمضان قبل العيد بيومين
والثالثة في شوال ومات عثمان بن مظعون ودخل علي بفاطمة وضحى صلى
الله عليه وسلم بكبشين وتوفيت ابنته رقية وولد النعمان بن بشير وعبد الله بن
الزبير وفي السنة الثالثة بعث سرية كعب الاشرف وغزا غزوة أنمار
وغزوة أحد وغزوة حمراء الاسد موضع على ثلاثة أميال من المدينة وتزوج
عثمان بأم كلثوم وتزوج صلى الله عليه وسلم بحفصة بنت عمر وزينب بنت
خزيمة الهلالية وولد الحسن بن علي بن أبي طالب وحرمت الخمر وفي
انسان العيون ان تحريم الخمر كان في السنة السادسة أو في الرابعة عند
بعضهم وفي السنة الرابعة غزا غزوة بني النضير وغزوة الخندق وغزوة
البدر الموعد وغزوة ذات الرقاع وفيها صلى صلاة الخوف وقصرت الصلاة
ونزلت آية التيمم وتوفيت زينب الهلالية وتزوج أم سلمة وزينب بنت جحش
وولد الحسين بن علي رضي الله عنهما ورجم اليهوديان ونزل الحجاب . وفي

السنة الخامسة غزا دومة الجندل وغزوة المريسيع وفيها وقع حديث
الافك وغزوة قريظة وتزوج جويرية بنت الحارث وريحانة بنت
زيد القرظية وسابق بين الخيل وفي انسان العيون وفيها نزلت آية
التيمم وآية الحجاب وفي السنة السادسة غزا غزوة بني لحيان وغزوة الغابة
وقحطت الناس واستسقى لهم وخرج ليعتمر فصد من الحديبية فحل
ونحر وبايع بيعة الرضوان وفرض الحج وفي انسان العيون ان فرضه كان
في الخامسة وفي السنة السابعة غزا غزوة خيبر وسمته اليهودية في الشاة
وتزوج ميمونة بنت الحارث واعتمر عمرة القضاء وبعث رسله الى الملوك وتزوج
صفية بنت حيي وام حبيبة بنت ابي سفيان وقدم حاطب من عند المقوقس
بمارية بنت شمعون القبطية واختها شيرين وبغلته دلدل وحماره يعفور
وقدم جعفر بن ابي طالب واصحابه من الحبشة واسلم ابو هريرة وعمران بن
حصين وحرمت الحمر الاهلية ومتعة النساء وفي السنة الثامنة بعث
سرية مؤتة فاصيب بها زيد بن حارثة وجعفر بن ابي طالب وعبد الله بن رواحة
وغزا غزوة الفتح وغزوة حنين وغزوة الطائف واعتمر من جعرانة وولد له
ابراهيم من سريته مارية وعمل منبره وتوفيت ابنته زينب ووهبت سودة
يومها لعائشة وحج عتاب بن أسيد بالناس وفي السنة التاسعة غزا غزوة
تبوك وهدم مسجد الضرار ومات عبد الله بن أبي وحج أبو بكر رضي الله
عنه بالناس وأمر عليا ان يقرأ بالموسم سورة براءة وان لا يحج بعد العام
مشرك ولا يطوف بالبيت عريان وآلى من نسائه وتوفيت ابنته أم كلثوم
وصلى على النجاشي يوم مات وتتابعت عليه الوفود وكانت تسمى سنة الوفود
وفي السنة العاشرة مات ابراهيم وحج حجة الوداع واعتمر معها وأسلم جرير
ابن عبد الله البجلي وتوفي صلى الله عليه وسلم ضحوة يوم الاثنين في ربيع
الاول وله ثلاث وستون سنة وغسله علي والعباس وكفن في ثلاثة أثواب
بيض سحولية ليس فيها قميص ولا سراويل ولا عمامة وصلوا عليه فرادى
وحفر له في موضع فراشه وفرش تحته قطيفة حمراء كان يتغطاها وكان قد
أمرهم بذلك وهو من خصائصه صلى الله عليه وسلم كما قاله وكيع واطبق
عليه سبع لبنات صلى الله عليه وسلم

﴿عطر اللهم قبره الكريم بعرف شذي من صلاة وتسليم اللهم صل وسلم وبارك عليه﴾

ولما فرغ المؤلف رحمه الله تعالى وشكر سعيه من ذكر مولده ونشأته وبعض ما اتفق له في خلال عمره الشريف من أحواله سيما بعثته وهجرته شرع في الكلام على بعض أوصافه الحميدة وسماته السديدة التي لا يمكن استيفاؤها لاحد من البشر ولا يحيط بها الا ماضيه بارئ النسم والصور ومن تمام الايمان به اعتقاد انه لم يجتمع في بدن آدمي من المحاسن الظاهرة ما اجتمع في بدنه صلى الله عليه وسلم وكذا بقية اوصافه الفائقة كالعلم والكرم والشجاعة والخلق الحسن وغيرها اذ المحاسن الظاهرة اعلام على الاخلاق الباطنة ولاجل ذلك لما اختص صلى الله عليه وسلم من جمال الصورة الظاهرة بما لم يشاركه فيه مخلوق كان ذلك آية باهرة وحجة ظاهرة على اتصافه نفسه من الاخلاق بما لم يشاركه فيه مخلوق بل يجب علينا ان نعتقد ذلك وانه قد بلغ فيها الغاية التي لم يصل اليها احد من خلق الله كما قال المصنف رحمه الله تعالى ﴿وكان صلى الله عليه وسلم﴾ في حياته بل وبعد مماته وكذا في آخرته كما يشير لذلك قوله تعالى وللآخرة خير لك من الاولى على ما قاله بعض أهل التحقيق من ان المعنى والحظة المتأخرة خير لك من الحظة المتقدمة فلا يزال يترقى في الكمالات كل لحظة ﴿اكمل﴾ اي اتم ﴿الناس﴾ البشر الذين هم احسن المخلوقات كلها صورا كما قال تعالى ولقد خلقنا الانسان في احسن تقويم فغيرهم من باب اولى ﴿خلقا﴾ بفتح فسكون وهو في الاصل التقدير والايجاد وقيل وهو في الايجاد مجاز وان استعمل فيه كثيرا والمراد به اسم المفعول الذي هو هيئة الانسان وصورته وقدمه على ما بعده لتقدمه عليه في الوجود ونصبه على التمييز اي من جهة الهيئة الخلقية في تناسب الاعضاء وصفاء البشرة واعتدال القامة ﴿وخلقا﴾ بضمتين أو بضم فسكون قال في القسم هو في الاصل الطبيعة والجبلة ويطلق على الصفات المعنوية الراسخة في النفس وهو لنفس والصورة الباطنة وأوصافها بمنزلة الخلق للصور الظاهرة وترتيب الثواب والعقاب على هذه وقال الراغب هما في الاصل بمعنى

ونفس النقع بالهيئة والصورة المدركة بالبصر والفهم بالقوى والسجايا
المدركة بالبصيرة وهو كيفية راسخة فى النفس تقتضى سهولة صدور
الافعال عنها من غير احتياج الى فكر وروية ويطلق على مايترتب على
تلك الكيفية ويختص فى العرف بما يتعلق من معاشرة الناس انتهى وقال
الشيخ زاده هو ملكة نفسانية تسهل على المتصف بها الاتيان بالافعال
الجميلة ونفس الاتيان بها شئ وسهولة اتيانها شئ آخر فالحالة التى باعتبارها
تحصل تلك السهولة هى الخلق وسمى خلقا لرسوخه وثباته وصيرورته
بمنزلة الخلقة التى جبل عليها الانسان وان توقف حصولها على عمل وطول
رياضة ومجاهدة انتهى وهذا منظور بحسب الاصل فى غير نبينا صلى الله عليه
وسلم اما بالنسبة اليه صلى الله عليه وسلم فهو طبيعة مجبول عليها من أصل
خلقته صلى الله عليه وسلم بل لم تزل أنوار المعارف تشرق فى قلبه حتى اجتمع
فيه من خصال الكمال مالا يحيط به حد ولا يحصره عد ومن ثم اثنى الله عليه
فى كتابه العزيز فقال عز من قائل وانك لعلى خلق عظيم فوصفه بالعظم
وزاد فى المدحة باتيانه بعلى المشعرة بأنه صلى الله عليه وسلم استعلى على معالى
الاخلاق واستولى عليها فلم يصل اليها مخلوق غيره ووصفه بالعظم دون
الكرم الغالب. وصفه اى الخلق به لان كرمه يراد به السماحة والدماثة
وخلقه صلى الله عليه وسلم غير مقصور على ذلك بل كما كان عنده غاية الرحمة
للمؤمنين عنده غاية الغلظة والشدة على الكافرين باعتبار ما آل اليه أمره
صلى الله عليه وسلم بعد نزول قوله تعالى يأيها النبى جاهد الكفار
والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم والا فهو صلى الله عليه وسلم قبل
ذلك كان مأمورا بالصبر على تحمل اذاهم والاعراض عنهم فاعتدل فيه
الانعام والانتقام ورآه اعداؤه صلى الله عليه وسلم واهدى لاحسن الاخلاق
الحديث فانه للعبودية والخضوع والا فهو مجبول على أكرم الاخلاق
وأعظمها وذلك كله ناشئ عن كمال عقله الذى لم يعط جميع الناس من بدء
الدنيا الى انقضائها الا كحبة رملة من بين جميع رمال الدنيا كما فى رواية
ابى نعيم وابن عساكر عن وهب انه وجد فى أحد وسبعين كتابا
ان الله تعالى لم يعط جميع الناس من بدء الدنيا الى انقضائها من العقل

في جنب عقله صلى الله عليه وسلم الا كحبة رملة من بين جميع رمال الدنيا * ومحل العقل القلب على الاصح والقلوب محل الاخلاص وأسرار البارئ وأجل قلب أودعه ذلك قلب نبينا صلى الله عليه وسلم وقد جعل الله للنفوس أعلاما على أسرار القلوب في تحقق بسر الله الاكبر اتسعت أخلاقه لجميع الخلق وقلب رسول الله صلى الله عليه وسلم أوسع قلب اطلع الله عليه كما ورد ومما يقطع بصحة ذلك سياسته صلى الله عليه وسلم للعرب الذين هم كالوحوش الشاردة وصبره على طباعهم المتنافرة المتباعدة حتى قاتلوا دونه أهاليهم وهجروا في رضاه أوطانهم وأحبابهم مع انه لم يطلع على سير الماضين ولا تعلم من العقلاء المدثين * لطيفة * جاء يهودي الى ابي بكر الصديق رضي الله عنه وقال له قال الله تعالى في صفة نبيكم وانك لعلى خلق عظيم فقال نعم فقال صف لي خلقه حتى أعرف عظمه فقال أبو بكر اذهب الى عمر فذهب اليه وقال له ما قال لابي بكر فقال اذهب الى عثمان فذهب اليه وقال له ما ذكر فقال اذهب الى علي فذهب اليه وقال له ما ذكر فقال علي كرم الله وجهه صف لي ما في الدنيا من النعم فقال اليهودي لا أستطيع ذلك فقال كيف لا تستطيع ان تصف شيأ وصفه الله بالقلة حيث قال عز من قائل قل متاع الدنيا قليل وتطلب ان أصف لك شيأ وصفه الله بالعظمة حيث قال عز من قائل وانك لعلى خلق عظيم فاعجب اليهودي الجواب فاسلم في الحال وما ذكره المصنف رحمه الله تعالى من قوله أكمل الناس خلقا وخلقا هو كالقاعدة والاساس لما سيذكره بعد من تفاصيل ذلك ﴿ذا﴾ صاحب ﴿ذات﴾ تقدم الكلام عليها في أول الكتاب ﴿و﴾ ذا ﴿صفات﴾ معان زائدة على الذات محسوسا ومعقولا أو في المعنى كالتفسير لما قبله ﴿سنيه﴾ نسبة للسنا بالقصر أي مضيئة نيرة ﴿مربوع القامة﴾ أي معتدلها لا هو بالطويل البائن اي المفرط في الطول مع اضطراب القامة ولا بالقصير البائن أي المفرط في القصر مع اضطراب القامة بل كان معتدلا الى الطول أقرب ولا ينافي ذلك وصفه بالربعة كما في خبر لانها أمر نسبي في وصفه بالربعة اراد الامر التقريبي ولم يرد التحديد ومن ثم قال ابن أبي هالة اطول من المربوع واقصر

من المشذب وهو البائن الطول في نحافة وعند البيهقي وابن عساكر لم
يكن يماشيه أحد من الناس الا طاله ولربما اكتنفه الرجلان الطويلان
فيطولهما فاذا فارقاه نسب الى الربعة وفي خصائص ابن سبع كان اذا جلس
يكون كتفه أعلى من جميع الجالسين قال بعضهم جعل الله له هذا في رأى
العين معجزة خصه الله بها لئلا يرى يفوق أحد عليه بحسب الصورة وليظهر
من بين أصحابه تعظيما له بما لم يسمع لغيره فاذا فارق تلك الحالة زال المحذور
وعلم التعظيم فظهر كماله الحق ﴿أبيض اللون﴾ صفة مشبهة للفاعل وفي
رواية أزهر اللون ليس بالادم ولا بالابيض الامهق والازهر الابيض المستنير
المشرق وهو أحسن الالوان أي ليس بالشديد البياض والادم الشديد
السمرة والامهق الشديد البياض الذي لا يخالطه شئ من الحمرة وليس
بنير كالجص ونحوه بل كان ﴿مشربا﴾ بتشديد الراء وتخفيفها من
الاشراب وهو خلط لون بلون كأن أحد اللونين مسقى بالآخر أي ممزوجا
﴿بحمرة﴾ وهذا اللون أحسن الالوان لدلالته على قوة المزاج واعتداله
وبهذا تجتمع ظاهر الروايات المخالفة في حكاية لونه الشريف وأما وصف
أنس رضي الله عنه لعنقه الكريم بقوله كأنه صيغ من فضة فلم يرد به شدة
بياضه بل حسن منظره وما كان يعلوه بياضه من الاضاءة ولمعان الانوار
والبريق الساطع وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما لم يكن لرسول الله
صلى الله عليه وسلم ظل ولم يقم مع شمس الا غلب ضوءه ضوء الشمس ولم يقم
مع السراج الا غلب ضوءه ضوء السراج *تنبيه* قال المحقق ابن حجر رحمه
الله قال أئمتنا الشافعية رحمهم الله من قال ان النبي صلى الله عليه وسلم كان
أسود او غير قرشي أو نوفي أمرد كفر لان نعته صلى الله عليه وسلم بغير صفته
نفي له وتكذيب ومنه يعلم ان كل صفة ثبتت له بالتواتر نفيها كفر ﴿واسع
شق﴾ ﴿العينين﴾ وعند الترمذي ادعج العينين وهو شدة سواد حدقة العين
في شدة بياضها مع سعتها ﴿أكحلهما﴾ من الكحل بفتحتين وهو كما في
القاموس أن يعلو منابت الاشفار سواد خلقة او ان يسود مواضع الكحل
وحذف العاطف فيه وفيما قبله وما بعده من الصفات المذكورة هنا ليكون
أدعى الى الاصغاء اليه وأبعث للقلوب على تفهم خطابه كما أشار اليه في البدر

المنير وجاء بالمعاني المسرودة على نمط التعديد اشعارا بان كلا منها مستقل
بنفسه قائم برأسه صالح لانفراده بالغرض ﴿ أهدب ﴾ صفة مشبهة من
الهدب بضم الهاء والدال ويجوز تسكينها قال في نسيم الرياض والاهدب
الطويل الهدب او الكثيره ففيه حذف مضاف اي أهدب شعر
﴿ الاشفار ﴾ جمع شفر بضم الشين وقد تفتح طرف الجفن غشاء العين
الاعلى والاسفل وهدب العين ما نبت منها يمنع شعاع الشمس عنها وسقوط
شيء من الاجرام الصغيرة فيها اذا كانت مفتوحة ويعين على اجتماع نور
بصرها ويمنع من تفرقه وانما خلقت هذه الاجفان واهدابها لتقي العين
الاذى وهي تتحرك في انطباقها وانفتاحها وتنبو عنها باهدابها ﴿ وقد متع ﴾
بالبناء للمفعول أي اعطي ﴿ الزجج ﴾ بالنصب مفعول ثان لما قبله وهو بفتح
الزاي وجيمين معجمتين الاولى منهما مفتوحة تقوس الحاجبين مع طول
كما في القاموس وفي الاساس الدقة والاستقواس وفي الفائق دقة
الحاجبين وسبوغهما والسبوغ التمام والطول وقوله ﴿ حاجباه ﴾ نائب
الفاعل وهو مفعوله الاول وهما الشعران النابتان فوق العينين بينه وبينهما
بياض في مقدر والمعنى انه صلى الله عليه وسلم كان مقوس الحاجبين مع طول
وامتداد أو كان دقيقهما مع طول واستقواس وفي رواية أم معبد كان أزج
اقرن وفي حديث هند بن أبي هالة أزج الحواجب سوابغ من غير قرن وقد
جمع المحقق ابن حجر في أشرف الوسائل بينهما بانه كان بين حاجبيه فرجة
دقيقة لا تبين الا لمتأمل لدقة فهو غير أقرن في الواقع وان كان أقرن بحسب الظاهر
عند من لم يتأمله لانهما سابغا حتى كادا يلتقيان انتهى وقد أصاب الشيخ
رحمه الله في هذا الجمع لما فيه من الجمع بين ما هو محمود عند العرب وما هو
محمود عند العجم فكأنه صلى الله عليه وسلم جمع بين لطافة العرب وظرافة
العجم الا انه يرد عليه ما تقدم عن أم معبد من ان نظر المرأة الى الرجل
اشق من نظر الرجل الى الرجل حين قيل لها ما بال صفتك أشبه من سائر
صفات من وصفه الا أن يقال المراد بالرجل الرجل الاجنبي وهند هذا ليس
بأجنبي منه صلى الله عليه وسلم فله زيادة تأمل عن غيره وقد وصفه بغير أقرن
و يعبر عن افتراق الحاجبين بالبلج بفتحتين نقاء ما بينهما من الشعر وفي فيض

الله درّ ان العرب تحب البلج وتكره القرن ﴿مفلج﴾ بضم الميم وفتح الفاء واللام مشددة فجيم أي متباعد مابين ﴿الاسنان﴾ العظام الثابتة في اللحيين الاعلى والاسفل والمراد بالاسنان هنا الثنايا بالتغليب أو مطلق أريد بها الخاص لان تفريج مابين غيرها عيب قال بعضهم الفلج بالتحريك فرجة مابين الثنايا وقال ابن دريد وتبعه صاحب القاموس انه لا يقال رجل أفلج الا اذا ذكر معه الاسنان أي اذا قيد بها سواء كان بلفظ الاسنان أو الثنايا أو غيرهما لئلا يلتبس برجل أفلج أي بعيد مابين القدمين أو اليدين فانه ورد استعماله مطلقا في كلامهم دون الاول فانه ورد مقيدا قال العلامة ابن حجر الصحيح ان الفلج انفراج مابين جميع الاسنان كما قاله صاحب المحكم وفي رواية اشنب والشنب بفتح الشين المعجمة والنون بعدها موحدة دقة الاسنان مع البياض والبريق والتحديد وكان صلى الله عليه وسلم اذا تكلم روي كالنور يخرج من ثناياه ويحتمل ان يراد ذلك بحقيقته من مشاهدة نور حسي يخرج من فيه اذا تكلم معجزة له وقيل هو وردها وعذوبتها قال ابن حجر رحمه الله تعالى اخرج أحمد وغيره انه صلى الله عليه وسلم شرب من دلو فصب في بئر ففاح منها رائحة المسك وأبو نعيم انه بزق في بئر بدار أنس فلم تكن بالمدينة بئر أعذب منها والطبراني ان نسوة مضغن قديدة مضغها فلم يوجد لافواههن خلوف وانه مسح بيده وبها ريقه ظهر عتبة وبطنه فلم يشم أطيب منه رائحة وابن عساكر ان الحسن اشتد ظمأه فأعطاه لسانه فمصه حتى روي وبصق يوم خيبر بعيني علي وبهما رمد فبرئ * فائدة * عدة الاسنان اثنان وثلاثون في كل لحي ستة عشر ثنيتان وهما أوسط الاسنان ورباعيتان يكتنفانهما يمينا وشمالا فنابان فضاحكان فستة أضراس فناجذان كذلك فالنابان للقطع وهما للكسر وماوراءهما من الاضراس والنواجذ للطحن وقد تطلق الاسنان على مابين النابين من الثنايا والرباعيات فقط قال بعضهم ولعله المراد انتهى ﴿واسع الفم﴾ وفي رواية ضليع الفم أي عظيمه وقيل بمعناه وهو محمود عند العرب بل تذم ضيق الفم وكان لسعة فمه صلى الله عليه وسلم يفتتح الكلام ويختمه باشداقه كما في رواية الترمذي وغيره ففيه ايماء الى قوة فصاحته وسعة بلاغته

﴿حسنه﴾ أى الفم يتناسب ما اشتمل عليه من اجزائه كالشفتين كما هو ظاهر ﴿واسع الجبين﴾ وفى رواية صلت الجبين أى واضحه أى ليس عليه شعر يغمه وفسر المحقق ابن حجر سعة الجبين بوضوحه وذكر انه بمعنى صلت الجبين فى رواية وعظيم الجبهة فى أخرى والجبين ما فوق الصدغ وهو ما اكتنف الجبهة من يمين وشمال وهما جبينان عن يمين الجبهة وشمالها والمراد به هنا امتداده طولا وعرضا وسعة الجبين محمودة عند كل ذى عقل سليم قال فى السيم والظاهر من العبارة انه أريد بالجبين الجبهة اذ لم يقل جبينين بالتثنية قال وفيه أيضا ان سعة الجبين مما يدل على قوة العقل والفهم والحواس اذا لم يكن مفرطا قال وسعة الجبين حسنها أو تخصيصها أو طولها كما قيل ﴿ذا جبهة هلاليه﴾ بكسر الهاء أى منسوبة للهلال والمراد به القمر أول طلوعه وبالجبهة ما يليها من كلا طرفيها من النزعتين والصدغين كذلك وذلك ما بين الحاجبين وشعر الرأس المحيط بذلك من أعلاه أو المراد به القمر ليلة كماله فى اضاءتها ولمعانها واشراقها أخذا من رواية هند بن أبى هالة يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر وحينئذ يكون المراد بالجبهة جميع الوجه من باب تسمية الكل باسم الجزء على سبيل المجاز المرسل فعلى الاول فيه تشبيه جبهته بالقمر أول طلوعه فى اللمعان والتقويس وعلى الثانى فيه تشبيه وجهه به ليلة كماله فى الاضاءة والاشراق والبروق والميل الى الاستدارة ولا مانع من ارادة كل منهما الاشتمال وجهه الشريف على ذلك كله بل كان احسن من القمر وتشبيه بعض صفاته بنحو الشمس والقمر انما هو جرى على عادة الشعراء والعرب او على التقريب والتمثيل والا فلا شئ يعادل شيئا من اوصافه كما مر تحقيق ذلك اذ هو أعلا وأجل من كل مخلوق ويؤيد ذلك ما فى رواية هناد بن السرى عن ابى اسحاق ابن سمرة قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ليلة أضحيانة وعليه حلة حمراء فجعلت انظر اليه والى القمر فلهو عندى احسن من القمر لان نوره ظاهر فى الآفاق والانفس مع زيادة الكمالات الصورية والمعنوية بل فى الحقيقة كل نور خلق من نوره فنور وجهه ذاتى لا ينفك عنه ساعة فى الليالى والايام ونور القمر مكتسب مستعار ينقص تارة

وبخسف أخرى وما أحسن ما قاله الاديب صاحبنا الشيخ ابراهيم الخليل المصرى فى نونيته

بدر ولكن قد تعالى شأنه ❊ عما يشين البدر من نقصان

وقد درّ الآخر حيث قال

اذا هيّ باشم قسا البدر طالعا ❊ وحسبك من عيب لها شبه البدر

هذا وقد ورد فى مسلم عن جابر بن سمرة ان رجلا قال له أكان وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل السيف قال لا بل مثل الشمس والقمر وكان مستديرا قال أبو عبيدة لا يريد انه كان فى غاية التدوير بل كان فيه سهولة تما وهى أحلى عند العرب والعجم خلافا للترك ويؤيده قوله ﴿سهل الخدين﴾ هكذا فى وصف ابن أبى هالة قال المناوى وهو بمعنى غير مرتفع الوجنتين وهو بمعنى خبر البزار والبيهقى كان أسيل الخدين وذلك أعلا وأغلا وأحلى عند العرب ﴿يرى﴾ بالبناء للمفعول ﴿فى﴾ وسط قصبة ﴿أنفه﴾ الشريف ﴿بعض﴾ نائب الفاعل ﴿احديداب﴾ مضاف اليه ما قبله وهو باهمال الحاء والدالين نوع من الارتفاع لا الانخفاض كما توهمه بعضهم ﴿حسن العرنين﴾ بكسر العين المهملة وسكون الراء وكسر النون الاولى ما صلب من عظم الانف أو كله أو ما تحت مجتمع الحاجبين أو أوّله حيث يكون الشمم جمعه عرانين ﴿أقنى﴾ أى مرتفع وسطه مع نزول الارنبة وهذا التفسير الذى ذكرناه يدفع ما قد يتوهم من التعارض بين وصفه بانه كان أشم مع تنافى القناء والشمم أى فى بعض الاقوال اذ القناء ارتفاع قصبة الانف مع نزول الارنبة وهى رأس الانف مما يلى الفم والشمم استواء قصبة الانف مع ارتفاع يسير فى الارنبة وبينهما من التضاد ما لا يخفى اذ القنى نزول الارنبة وهذا فيه ارتفاعها وأما فى بعض الاقوال فلا منافاة ففى القاموس والشمم ارتفاع قصبة الانف وحسنها واستواء أعلاها وانتصاب الارنبة أو ورود الارنبة فى حسن استواء القصبة قال فى النسيم وجمع بينهما بأن القنا كان خفيفا فان زيادته غير ممدوحة كما فى البلج وقد أشار المصنف الى هذا الجمع بقوله حسن العرنين ويدل عليه قول ابن أبى هالة أقنى العرنين له نور يعلوه يحسبه من لم يتأمله

أشم وقال مفسرا للشمم المنفى فى نحو كلام ابن أبى هالة الشمم فى الانف ارتفاع وسط قصبة الانف مع استواء أعلاه واشراف أرنبته قليلا وقال ميرك المعنى قول ابن أبى هالة أقنى العرنين الى قوله أشم يعنى ان وسطه فيه استواء مع أعلاه وأسفله ولكنه لتلألؤه يظن ان فيه ارتفاعا قليلا جدا لا يعد شمما قال وقيل الشمم طول الانف مع سيلانه ودقته والاول أصح وأشهر وهو من صفات الجمال والمدح وعلامة السودد فى الرجال والشمم يعبر به أيضا عن عزة النفس وعدم التنزل فى الامور وهو مما يمدح به انتهى والانف اسم لمجموع القصبة والمارن وما تحتهما من الطباق الثلاث المشتملة على المنخرين اللذين هما الخرقان من خارج الى داخل الفم والدماغ ﴿بعيد ما بين المنكبين﴾ بفتح الميم وسكون النون فكاف مكسورة فموحدة وهو ما بين الكتف والعنق كذا فى النسيم وفى القاموس مجتمع رأس الكتف والعضد مذكر وقال ابن حجر مجمع عظم العضد والكتف وهو بمعنى ما فى القاموس وقال ومعناه أى عريض أعلى الظهر وهو مستلزم لعرض الصدر ومن ثم وقع عند ابن سعد رحيب الصدر انتهى وفى النسيم ان المراد ببعدهما سعتهما قال وهو أقوى للبدن والبطش قال ويعبر عنه تارة بالبعد وتارة بالعظم والكل واحد انتهى ﴿سبط﴾ بفتح السين المهملة وموحدة ساكنة أو مكسورة كما فى رواية ﴿الكفين﴾ تثنية كف وهذا الوصف ذكره السيوطى فى خصائصه وفى رواية بسط بموحدة وهملتين وهما بمعنى والمرادات فى كفه وأصابعه صلى الله عليه وسلم طولا غير مفرط وهو ما يحمد فى الرجال لانه أشد لقبضهم ويذم فى النساء وجاء فى صفة الكفين الكريمتين انهما كانا شثنين أى غليظتين وجاء فى رواية رحب الكفين قال فى الحباق كبيرهما وهو محمول على ظاهره من كبر الجوارح لدلالته على كمال الخلق وفى رواية رحب الراحة قال الزمخشرى رحب الراحة دليل الجود وصغرها دليل البخل وقيل معنى رحب الراحة واسع القوة ومنه حديث ابن عوف قلدوا أمركم رحب الذراع أى واسع القوة عند الشدائد ومقتضى كلام العسقلانى وغيره ان من أول هذه الالفاظ بالكناية عن جوده وسماحته وان كان الواقع

كذلك لكن لا يناسب المقام لانه لبيان صفاته الصورية الا أن يقال
الكناية لا تمنع ارادة المعنى الحقيقي كما أفاده المناوى وقد أحسن العلامة
ابن حجر في تفسير رحب الراحة بوسع الكف حسا ومعنى ﴿ضخم﴾
بفتح الصاد وسكون الخاء المعجمتين أى عظيم ﴿الكراديس﴾
بفتح الكاف آخره سين مهملة جمع كردوس كل عظمين التقيا في مفصل
نحو الركبة والمنكب والورك والمرفق وقيل رؤس العظام وكيف ما كان
فهو يدل على وفور المادة وكثرة الحرارة وكمال القوى الدماغية وقوة الحواس
الباطنة انتهى مناوى وقال غيره هو يدل على نجابة صاحبه ﴿قليل لحم
العقب﴾ وهو مؤخر القدم وفي رواية الترمذي منهوس العقب وهو بمعناه
فقد قال شعبة قلت لسماك مامنهوس العقب قال قليل لحم العقب ومنهوس
بالمهملة او المعجمة ﴿كث﴾ بفتح الكاف وتشديد المثلثة اى عظيم
﴿اللحية﴾ بكسر اللام اشهر من فتحها وهي الشعر النابت على الذقن بفتح
اوليه مجتمع عظمي اللحيين والمراد كثرة شعرها من غير طول فيه ولا دقة
وكانت تملأ اعلى صدره كما ذكره في فتح البارى من حديث ابن عباس
رضي الله عنهما قال فيه قد ملأت لحيته من هذه الى هذه حتى كادت تملأ
نحره قال في النسيم والحاصل ان لحيته صلى الله عليه وسلم معتدلة طولا
وعرضا غير خفيفة ﴿عظيم الرأس﴾ ولفظ رواية ابن ابي هالة عظيم
الهامة قال العلامة ابن حجر ووصفه بذلك ورد من طرق صحيحة وهو دال
على كمال القوى الدماغية من الحواس الخمس الباطنة وبكمالها يتميز
الانسان عن غيره انتهى قال في النسيم وليس المراد من عظمها انها مفرطة
في الكبر بل انها كبيرة كبرا نسبيا لان صغرها وافراط كبرها غير ممدوح
لدلالته على قلة العقل والخفة في الاول والبلادة وقلة الفهم في الثاني انتهى
* فائدة * مجموع الحواس في الرأس عشر خمس ظاهرة وهو العين والاذن
والشم والذوق واللمس ويشاركه في هذا سائر البدن وخمس باطنة وهى
الحس المشترك ومركزه مقدم الدماغ والقوة المصورة وهى أعلى منه
والقوة الخيالية وهي في وسط الدماغ فالقوة الحافظة وهي في مؤخر الدماغ
والقوة الوهمية اعلاها والحواس الظاهرة توصل للباطنة وهي توصل

للتفرقة والفرق للرأس هو الطلب ﴿شعره﴾ ينتهى ﴿الى شحمة
الأذنين﴾ كما في رواية الشيخين عند البراء وفي رواية ذا وفرة وهو بمعناه
كما قاله السيوطي وفي رواية فوق الجمة ودون الوفرة وفي أخرى الى أذنيه
وفي أخرى بين أذنيه وعاتقه وفي الصحيح الى أنصاف أذنيه وفي رواية
يضرب منكبيه وفي أخرى الى كتفيه أو منكبيه قال العلامة ابن حجر
وجمع بينهما بأن ما يلي الاذن من الشعر هو الذي يبلغ شحمتها وما خلفها
هو الذي يضرب منكبيه أو ان ذلك لاختلاف الاوقات وكان اذا غفل عن
تقصيرها بلغت المنكب واذا قصرها كانت الى الاذن أو شحمتها او
نصفها فكانت تطول وتقصر بحسب ذلك انتهى وكان صلى الله عليه وسلم
لا يحلقه الا في نسك وحلقه أربع مرات قال المناوي ولعل ما وصف به
شعره من الاوصاف المذكورة كان قبل حلقه له في عمرة الحديبية سنة ست
فانه بعد ذلك لم يترك حلقه مدة يطول فيها أكثر من كونه يضرب منكبيه
فانه في سنة سبع اعتمر عمرة القضاء وفي ثمان اعتمر من الجعرانة وفي عشر
حج انتهى وقد وصف شعره صلى الله عليه وسلم بأنه كان رجلا أي متوسطا
بين الجعودة وهي تكسره الشديد والسبوطة وهي عدم تكسره أصلا فكان
وسطا بينهما وكان صلى الله عليه وسلم يسدل شعره موافقة لاهل الكتاب
ثم فرق ويجوز الفرق والسدل والفرق افضل لانه الذي رجع اليه صلى
الله عليه وسلم ﴿و﴾ كان صلى الله عليه وسلم ﴿بين كتفيه﴾ تثنية
كتف بفتح اوله او كسره مع سكون ثانيه فيهما او وفتح فكسر اى عند اعلى
ايسر الكتفين ﴿خاتم النبوة﴾ وقد سبق لنا الكلام عليه فيما تقدم في
الرضاع فليراجع ﴿قد عمه النور وعلاه﴾ البهاء وقد اختلفت الآثار في
تشبيه ذلك الخاتم على انواع كثيرة بيضة الحمام شعر مجتمع بضعة ناشزة
سلعة شيء يختم به تفاحة شامة خضراء محتفرة في اللحم شامة سوداء
تضرب الى صفرة حولها شعرات زر الحجلة أي البشخانة وزعم انها الطائر
المعروف وزرها بيضها أمر مردود قال المحققون ولا اختلاف في الحقيقة بل كل
شبه بما سنح له وكلها ألفاظ مؤداها واحد وهو قطعة لحم بارزة عليها
شعر اذا قل قيل كبيضة الحمام واذا كثر قيل كجمع الكف أي على

هيئته

حيث لكنه أصغر منه ويشكل عليه رواية مثل زرة في اللحم ويجاب عنه بأنه يحتمل بأن في حوالها احتفارا ليزداد ظهورها وتميزها من الجسد قاله في المنح ويؤيده ظاهر الروايات او صريحها انه كان ناتئا من جسده بحيث يمكن القبض عليه باليد ويصرح به نصا قول أبي سعيد رضي الله عنه انه كان بضعة ناشزة هكذا وأشار بابهامه قال القليوبي وماروى انه كان مكتوبا عليه لا اله الا الله أو محمد رسول الله اوغير ذلك فباطل لا يجوز اعتقاده انتهى ﴿و﴾ كان ﴿عرقه﴾ بفتح العين والراء المهملتين آخره قاف مايترشح من بدنه الشريف لحر ونحوه ﴿كاللؤلؤ﴾ في الصفاء والبياض ﴿وعرفه﴾ بفتح المهملة وسكون الراء آخره فاء أي رائحته التي تشم منه ﴿أطيب﴾ أشد طيبا وذكاء ﴿من النفحات﴾ بفتحات جمع نفحة بفتح النون وسكون الفاء وحاء مهملة الرائحة الطيبة ﴿المسكية﴾ بكسر الميم فسين مهملة فكاف أي المنسوبة للمسك وهو في الاصل دم يجمد عند بعض الظباء في زمن معين بناحية من أقصى بلاد الترك تسمى تبت بمثناتين فوقانيتين أولاهما مضمومة بينهما موحدة مشددة فتحكه حتى تلقيه وخصه لانه أطيب الطيب وأشهره بل هو مع خلطه بماء الورد أفضل أنواع الطيب ورائحته بدنه الشريف وعرفه أطيب من أنواع الغوالي والطيب طيبا خلقيا خصه الله تعالى به تكرمة ومعجزة له صلى الله عليه وسلم كما جاء ذلك في أحاديث كثيرة قال علي كرم الله وجهه كأن عرق رسول الله صلى الله عليه وسلم اللؤلؤ ولريح عرق رسول الله صلى الله عليه وسلم أطيب من المسك الاذفر وكانت أم سليم والدة انس رضي الله عنهما تجمع عرقه صلى الله عليه وسلم تجعله في الطيب فقال ياأم سليم ماهذا قالت عرقك أذوف به طيبي وفي رواية قالت نجعله لطيبنا وهو أطيب الطيب وعن أنس كنا نعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اقبل بطيب ريحه وعن جابر لم يكن يمر في طريق فيتبعه أحد الا عرف انه قد سلكه من طيب عرفه وعرقه وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله اني زوجت ابنتي واحب ان تعينني بشئ فقال ماعندي شئ ولكن ائتني بقارورة واسعة الرأس وعود شجرة فاتاه فجعل النبي

صلى الله عليه وسلم يسلت العرق من ذراعيه حتى امتلأت القارورة قال فخذتها وأمرت ابنتك ان تغمس هذا العود فى القارورة وتتطيب به فكانت اذا تطيبت يشم أهل المدينة رائحة ذلك الطيب فسموا بيت المطيبين والى غير ذلك من الاحاديث قال فى النسيم ورد فى حديث ابن حماد عن انس ان ظهور النفحات منه صلى الله عليه وسلم ظهر بعد الاسراء قال وهو ظاهر لانه طيب العنصر لكنه لما اتصل بالملأ الاعلى والجنان وهبت عليه نفحات القدس ازداد طيبا قال وكان له طيب لا يشبه طيب الدنيا فله طيب ذاتى وطيب مكتسب من العالم الاقدس لا يفارقه وهو الطيب الطيب قال ولا ينافيه حديث حبب الى من دنياكم ثلاث الطيب لان الطيبات للطيبين والزائد قابل للزيادة انتهى ﴿و﴾ كان صلى الله عليه وسلم اذا التفت التفت جميعا واذا مشى ﴿يتكفأ﴾ بفتحات مشدد الفاء آخره همزة وقد يترك تخفيفا أى يميل الى سنن المشى أى الى قدامه كالسفينة فى جريها كما أفاده ابن حجر وفى النسيم نحوه وفسر بعضهم التكفؤ بالميل يمينا وشمالا قال كما تتكفأ السفينة وخطأه الازهرى وقال ان هذه مشية المختال فلا يصح ان تكون مشيته صلى الله عليه وسلم كذلك لكن أجيب بان المذموم منه ما كان مستعملا مقصودا الا ما كان خلقة وجبلة ﴿فى مشيته﴾ بكسر الميم أى هيئة مشيه ومن سرعة مشيه صلى الله عليه وسلم كان يتخيل لناظره انه ﴿كأنما ينحط﴾ بنون بين التحتية والحاء المهملة من الانحطاط النزول والاسراع وأصله الانحدار من علو الى أسفل ﴿من﴾ ابتدائية كهى فى قولك نزلت من كذا الى كذا فلا حاجة الى ما تكلفه بعضهم من جعلها بمعنى فى وأول الذى أحوجه الى ذلك تفسير بعضهم للصبب بالحدور مع انه ليس مرادا وانما المراد مكانه كما صرح به بعضهم ﴿صبب﴾ بفتح الصاد المهملة وموحدتين الاولى منهما مفتوحة أى عال مرتفع قد كان ﴿ارتقاه﴾ صعده وعلاه أى كان مشيه صلى الله عليه وسلم فى منخفض الارض كمشيه فى نزوله من مرتفعه وعن على كرم الله وجهه اذا مشى يتكفأ كأنما ينحط من صبب وفى أخرى عنه كأنما ينزل من صبب وفى أخرى عنه اذا انحدر كأنما ينحدر من صبب وروى

جماعة من حديث ابن أبي هالة في وصفه انه كان اذا زال زال تقلعا ويخطو تكفؤا ويمشي هونا ذريع المشية كأنما ينحط من صبب قال في شرح السنة يريد انه كان يمشي مشيا قويا يرفع رجليه من الارض رفعا ثابتا لا كمن يمشي اختيالا ويقارب خطاه ﴿و﴾ كان صلى الله عليه وسلم ﴿يصافح المصافح﴾ بكسر الفاء والنصب وهو من يريد مصافحته والمصافحة المفاعلة بمعنى جعل كل من المتصافحين يده على يد الآخر وفي النهاية انها الصاق صفح الكف بالكف عند الالتقاء أي كان يمس صفحة يد من أراد مصافحته ﴿بيده﴾ أي بصفحة يده الكريمة ﴿فيجد﴾ المصافح عقب ذلك ﴿منها﴾ أي من يد نفسه بسبب مصافحة النبي صلى الله عليه وسلم له ﴿سائر﴾ من السؤر بضم السين واسكان الهمزة من البقية فيكون بمعنى باقي قال العلامة ابن حجر في فتح المبين ويأتي خلافا للحريري بمعنى الجميع من سور المدينة لانه جامع محيط بها انتهى وبه قال الجوهري وأفاد في القاموس ان استعماله بالمعنى الثاني وهم أو قليل والمناسب هنا المعنى الاول أي باقي ذلك ﴿اليوم رائحة عبهرية﴾ لا تشبه رائحة طيب الدنيا والعبهرية نسبة للعبهر بفتح العين المهملة وسكون الباء الموحدة وفتح الهاء آخره راء مهملة النرجس والياسمين ونحوهما مما له رائحة طيبة كما في القاموس وغيره بل الرائحة المكتسبة من عرق رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت أطيب من جميع ذلك كله كما قال أنس رضي الله عنه ما شممت عنبرا ولا مسكا ولا شيئا أطيب من ريح رسول الله صلى الله عليه وسلم * هذا والمصافحة سنة مجمع عليها عند الالتقاء واما ما اعتاده الناس بعد صلاتي الصبح والعصر فقد قال الامام النووي رحمه الله في الاذكار لا أصل له في الشرع على هذا الوجه ولكن لا بأس به فان أصل المصافحة سنة وكونهم حافظوا عليها في بعض الاحوال وفرطوا فيها في كثير من الاحوال أو اكثرها لا يخرج ذلك البعض عن كونه من المصافحة التي ورد الشرع بأصلها قال وقد ذكر الشيخ الامام أبو محمد بن عبد السلام رحمه الله تعالى في كتابه القواعد ان البدع على خمسة أقسام واجبة ومحرمة ومكروهة ومستحبة ومباحة قال ومن أمثلة البدع المباحة المصافحة عقب الصبح والعصر والله أعلم انتهى وكذا عند الحنفية

ويأخذ على الأصح كما قاله الخفاجي لما فيها من الإشارة إلى أنه كان قدم من
غيبته لأنه كان عند ربه يناجيه قال النووي وينبغي أن يحترز من مصافحة
الأمرد الحسن الوجه فإن النظر إليه حرام وقد قال أصحابنا كل من حرم
النظر إليه حرم مسه بل المس أشد ويستحب مع المصافحة البشاشة بالوجه
والدعاء بالمغفرة وغيرها وفي كتاب ابن السني عن البراء بن عازب رضي الله
عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن المسلمين إذا التقيا فتصافحا
وتكاشرا بود ونصيحة تناثرت خطاياهما بينهما وفي رواية فتصافحا وحمدا
الله تعالى واستغفراه غفر الله عز وجل لهما وفيه عن أنس عن النبي صلى الله
عليه وسلم ما من عبدين متحابين في الله يستقبل أحدهما صاحبه فيصافحه
فيصليان على النبي صلى الله عليه وسلم إلا لم يتفرقا حتى تغفر ذنوبهما ما تقدم
منها وما تأخر وفيه عن أنس أيضا قال ما أخذ رسول الله النبي صلى الله عليه
وسلم بيد رجل ففارقه حتى قال اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة
حسنة وقنا عذاب النار وأما حني الظهر في كل حال لكل أحد فيكره فقد
روى الترمذي وابن ماجه عن أنس رضي الله عنه قال قال رجل يا رسول الله
الرجل منا يلقى أخاه أو صديقه أينحني له قال لا قال أفيلتزمه ويقبله قال لا قال
أفيأخذ بيده ويصافحه قال نعم قال النووي قال الترمذي حديث حسن ولم
يأت له معارض فلا مصير إلى مخالفته ولا تغتر بكثرة من يفعله ممن ينسب إلى
علم وصلاح وغيرهما من خصال الفضل فإن الاقتداء إنما يكون برسول الله
صلى الله عليه وسلم وأول من جاء بالمصافحة أهل اليمن كما في حديث رواه
أبو داود في سننه بإسناد صحيح عن أنس قال لما جاء أهل اليمن قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم قد جاءكم أهل اليمن وهم أول من جاء بالمصافحة ﴿و﴾
كان صلى الله عليه وسلم ﴿يضعها﴾ أي يضع يده الشريفة ﴿على رأس
الصبي﴾ أي صبي كان ترحما وعطفا وإيناسا كما عرف من أخلاقه الكريمة
﴿فيعرف﴾ بالبناء للمفعول والفاء سببية ﴿مسه﴾ نائب الفاعل ﴿له﴾
أي لذات الصبي فيتميز ﴿من بين﴾ جميع ﴿الصبية﴾ بكسر الصاد
المهملة وسكون الموحدة جمع صبي ﴿ويدراه﴾ بالبناء للمفعول أيضا
بمعنى يعرف أي يعرف الناس أن النبي صلى الله عليه وسلم مسح على رأسه

لشدة نوحه بالرائحة الحاصلة من مسه صلى الله عليه وسلم ويحتمل ان يستمر مدة طويلة أو يومه ذلك روى عن عائشة رضى الله تعالى عنها أنها قالت كان عرق رسول الله صلى الله عليه وسلم فى وجهه مثل اللؤلؤ أطيب ريحا من المسك الاذفر وكأن كفه كف عطار مسها بطيب أو لم يمسها به يصافح المصافح فيظل يومه يجد ريحها ويضع يده على الصبى فيعرف من الصبيان من ريح ماعلى رأسه ﴿ يتلألؤ ﴾ يستنير ويضىء ﴿ وجهه الشريف ﴾ صلى الله عليه وسلم ﴿ تلألؤ ﴾ اى كتلألؤ ﴿ القمر ﴾ آثره على الشمس السامى ﴿ فى الليلة البدرية ﴾ أى ليلة أربع عشرة لان القمر فيها انهاية ضيائه وكماله وعن عائشة رضى الله عنها انها قالت كنت أخيط بالسحر فطفئ السراج فسقطت الابرة منى فطلبتها فلم اقدر عليها فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فتبينت الابرة بشعاع وجهه فأخبرته فقال ياحميراء الويل ثم الويل لمن حرم النظر الى وجهى وسمى القمر فى تلك الليلة بدرا لانه يبدر أى يسبق طلوعه غروب الشمس وقوله ﴿ يقول ﴾ الخ كلام مستأنف فصله لاستقلاله ﴿ ناعته ﴾ واصفه ﴿ لم أر ﴾ بصرية أو علية أو هماما ﴿ قبله ولا بعده مثله ﴾ أى من يساويه فى حسنه وكماله واعلم ان هذه العبارة تستعمل فى نفى الشبيه من غير ملاحظة القبلية والبعدية ثم نفى المثل يدل عرفا على كونه أحسن من كل أحد كما يقال ليس فى البلد مثل زيد والسر فيه انه اذا نفى المثل الذى هو أقرب اليه من الاحسن فى مقام ذكر المحاسن فكان نفى الاحسن بالاولى والمعنى يقول واصفه لم أر قبله ولا بعده من يساويه فى أوصافه أى من كل وجه فلا ينافى وقوع شبه فى بعض الاجزاء كما كان يشبهه الحسن والحسين رضى الله عنهما لان المنفى عموم الشبه والمثبت نوع منه وأيضا فقد تقدم ان ماوقع من تشبيه بعض صفاته بالقمر والشمس انما هو جرى على عادة الشعراء والعرب أو على سبيل التقريب والتمثيل والا فلا شئ يعادله أو يماثله ﴿ ولا بشر ﴾ بالفتح على ان لا عاملة عمل ان أو رفعها على انها عاملة عمل ليس أى ليس انسان ﴿ يراه ﴾ فيه زيادة مبالغة فى نفى عدم وجود ثان له فى الوجود يشبهه صلى الله عليه وسلم ومع ذلك فلم يظهر كمال جماله وتمام حسنه والا لما طاقت الاعين رؤياه ﴿ و ﴾ من أوصافه الكريمة

وأخلاقه الشريفة انه ﴿كان صلى الله عليه وسلم شديد الحياء﴾ بالمد لغة
تغير وانكسار يعتري الانسان من خوف ما يعاب به من الحياة ومنه الحيا
للمطر لكنه مقصور وشرعا خلق يبعث على اجتناب القبيح ويحض على
ارتكاب الحسن ومجانبة التقصير في الحق والحياء أقسام منها حياء الكرم
وحياء المحب من محبوبه وحياء العبودية وحياء المرء من نفسه وهذا
أكمل أنواع الحياء اذ المستحيي من نفسه أجدر بالاستحياء من غيره وبحسب
حياة القلب يزداد الحياء فكلما كان القلب أحيى كان الحياء أتم والحياء
المحمود من جملة الخلق الحسن لان به ملاك الامر وحسن المعاشرة للخلائق
والمعاملة للحق ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم الحياء خير كله واذا لم تستح
فاصنع ما شئت وقد صح انه لا يأتي الا بخير وانه من الايمان وجعل منه وان كان
غريزة لان استعماله على قانون الشرع يحتاج الى قصد واكتساب وعلم
وكان الحياء فيه صلى الله عليه وسلم كغيره من اخلاق الكمال الموجودة فيه
صلى الله عليه وسلم جبلية أي خلقة غريزة طبيعية والاختلاف في كون
حسن الخلق غريزيا أو مكتسبا ينبغي أن يكون محله في غيره صلى الله عليه
وسلم وتمسك من قال انه غريزي بحديث البخاري ان الله قسم بينكم
اخلاقكم كما قسم ارزاقكم وتمسك من قال انه مكتسب بحديث الاشج
ان فيك خصلتين يحبهما الله الحلم والاناة قال يا رسول الله قديما كان
في أو حديثا قال قديما الحديث فترديد السؤال وتقريره يشعر بأن
منه ما هو جبلي ومنه ما هو مكتسب وهذا هو الحق ومن ثم قال بعضهم
هو جبلة في نوع الانسان ولكنهم متفاوتون فيه فمن غلب عليه حسنه
فهو المحمود والا امر بالمجاهدة فيه حتى يصير حسنا وقال القرطبي الحياء
المكتسب هو الذي جعله الشارع من الايمان وهو المكلف به دون الغريزي
غير ان من كان فيه غريزة منه فانها تعينه على المكتسب حتى يكاد أن يكون
غريزيا وقد جمع له صلى الله عليه وسلم النوعان فكان في الغريزي أشد حياء
من البكر في خدرها او زاد في الفتح فتأمل وكان في الحياء المكتسب
في الذروة العليا ﴿و﴾ كان صلى الله عليه وسلم شديد ﴿التواضع﴾
التخضع والتخشع ولين الجانب قال في السيم التواضع اظهار انه وضيع

وهو اشرف الناس فالصيغة لا تتكرف في الاصل قال في الشفاء وحيث
أنه صلى الله عليه وسلم خير بين ان يكون نبيا ملكا أو نبيا عبدا فاختار
ان يكون نبيا عبدا فقال له اسرافيل عليه السلام عند ذلك فان الله قد
اعطاك بما تواضعت له انك سيد ولد آدم يوم القيامة وأول من تنشق عنه
الارض وأول شافع قال في اشرف الوسائل واعلم أن العبد لا يبلغ حقيقة
التواضع وهو التذلل والتخشع الا اذا دام نور قلبه الشهود في قلبه لانه
حينئذ يذيب النفس و يصفيها من غش الكبر والعجب فيلين ويطيع الحق
والخلق بمحو آثارها وسكون وجهها ونسيان حقها والذهول عن النظر الى
قدرها ولما كان احظ الاوفر لنبينا صلى الله عليه وسلم كان اشد الناس
تواضعا ثم ذكر بقية كلام الشفاء قال ومن ثم لم يأكل متكئا حتى فارق الدنيا
ولم يقل لشئ فعله أنس خادمه أف قط وما ضرب أحدا من عبيده وامائه
وهذا أمر لا يتسع له الطبع البشري لولا التأييد الالهي وفي رواية مسلم
ما رأيت أحدا ارحم بالعيال من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت
عائشة رضي الله عنها ما ضرب صلى الله عليه وسلم شيئا قط ولا امرأة
ولا خادما الا أن يجاهد في سبيل الله وما نيل منه شئ قط فينتقم من صاحبه
الا أن ينتهك شئ من محارم الله فينتقم وسئلت عائشة رضي الله عنها كيف
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خلا في بيته قالت الين الناس بساما
ضحاكا لم ارقط مادا رجليه بين اصحابه وعنها ما كان أحد احسن خلقا
من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما دعاه أحد من اصحابه الا قال لبيك وخرج
الترمذي عن أنس قال لم يكن شخص أحب اليهم من رسول الله صلى الله
عليه وسلم وكانوا اذا رأوه لم يقوموا له لما يعلمون من كراهيته لذلك قال
في اشرف الوسائل أي تواضعا وشفقة عليهم واسقاطا لبعض الحقوق
المتعينة عليهم واختاروا ارادته على ارادتهم لعلمهم بكمال تواضعه
وحسن معاشرته لهم قال ولا يعارض ذلك قوله صلى الله عليه وسلم قوموا
لسيدكم أي سعد بن معاذ لما جاء على حمار لان هذا حق لغيره اعطاه رسول الله
صلى الله عليه وسلم له وامرهم بفعله بخلاف قيامهم له فانه حق له تركه تواضعا
و يؤيده مذهب من ذهب القيام لكل قادم فيه فضيلة علم أو نسب أو صلاح

أو وسادة قيامه صلى الله عليه وسلم لعكرمة بن أبي جهل لما قدم عليه
ولعدي بن حاتم كما دخل عليه ولحليمة يوم حنين إكراماً لهما واعترافاً
بحقهما شلا فالمن وهم فيه لأن الحديث الضعيف يعمل به في الفضائل اتفاقاً
بل إجماعاً كما قاله الإمام النووي رحمه الله تعالى انتهى ملخصاً وقد تقدم
البحث في ذلك في الرضاع مبسوطاً فراجعه وكان صلى الله عليه وسلم
من شدة تواضعه ﴿يخصف﴾ بفتح المثناة التحتية وكسر الصاد المهملة
آخره فاء أي يخرز ﴿نعله﴾ أي ما يلبس في القدم روي عنه صلى الله
عليه وسلم أنه كان في الطواف فانقطع شسعه فقال له بعض أصحابه
ناولني أصلحه فقال هذا أثرة ولا أحب الأثرة وهي بالضم الاستئثار أي
الانفراد بالشيء وكان صلى الله عليه وسلم يلبس النعال السبتية بكسر السين
المدبوغة التي أزيل شعرها وكانت نعلاه مخصوفتين أي مطبقتين طاقاً على
طاق بالخرز كان لهما قبالان لكل واحد ثنية قبال وهو أحد سيور
النعل وكان يدخل أحد القبالين بين الإبهام والتي تليها والآخر بين الوسطى
والتي تليها وهي البنصر ويجمعهما إلى السير الذي بظهر قدمه وهو الشراك
وكان شراكه مثنياً وكانت نعله مخصرة أي لها خصر أو قطع خصراها
وملسنة وهي التي فيها الطول ولطافة على هيئة اللسان أو التي جعل مقدمها
على هيئته وأما صفتها في الطول والعرض وغير ذلك فاختلف فيه ﴿ويرقع﴾
بفتح الياء وسكون المهملة وقاف مفتوحة خفيفة ويجوز الضم والتشديد
كما في النسيم قال الأول أي الضبط الأول أولى لمناسبة ما قبله وما بعده من
الأفعال الثلاثية ﴿ثوبه﴾ قميصاً كان أو غيره ورفع الثوب إنما يحسن
إذا خلق لما قيل إن الثوب إذا خلق جزء منه كان طرحه من الكبر والمباهاة
والتكاثر في الدنيا وإذا رقعه كان بعكس ذلك وقد ورد أن عمر رضي الله عنه
طاف وعليه مرقعة باثنتي عشرة رقعة فيها من أدم ورقع الخلفاء ثيابهم
وذلك شعار الصالحين وسنة المتقين قال الزين العراقي لكن إنما يشرع
ذلك بقصد التقلل من الدنيا وإيثار غيره على نفسه أما لو فعله تبخلاً على نفسه
أو غيره فهو مذموم لخبر إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده وكذا
ما يفعله حمقى الصوفية وجهلتهم من تقطيع الثياب الجدد ثم ترقيعها ظناً

أن هـذا زي الصوفية وهـذا فر و رمحرم لانه اضاعة مال وثياب شهرة انتهى وكان صـلى الله عليه وسـلم يخيط ثوبه أيضا بنفسه كما صح عن عائشة رضي الله عنها وفي رواية لاحمد و يرقع دلوه وفي أخرى له و يفلي ثوبه ﴿و﴾ كان صـلى الله عليه وسـلم ﴿يحلب﴾ بضم اللام وكسرها من باب نصر وضرب ﴿شاته﴾ تقدم معناه ﴿و يسير في خدمة أهله﴾ من ازواجه وخـدمه ﴿بسيرة﴾ بكسر السين واحدة سير كسدرة وسدر اي طريقة ﴿حسنة﴾ بفتح السين أي طريقة حسنة يفعل ذلك كثيرا لا دائما مع كثرة عبيده وخدمه وتشوق الناس لخدمته لكنه يحب فعل ذلك بنفسه تواضـعا وتشريعا و روى في بعض السيرانه صـلى الله عليه وسـلم كان في سفر فأمر أصحابه باصلاح شاة فقال رجل عـلي ذبحها وقال الآخر على سلخها وقال الآخر علي طبخها فقال صـلى الله عليه وسلم على جمع الحطب فقالوا يارسول الله نكفيك العمل فقال قد علمت انكم تكفوني ولكني اكره أن اتميز عليكم وان الله يكره من عبده ان يراه متميزا من اصحابه وروى انه صلى الله عليه وسلم كان في بيته في مهنة أهله اي خدمتهم يفلي ثوبه ويحلب شاته و يرقع ثوبه ويخصف نعله ويقم البيت و يعقل البعير و يعلف ناضحه و يخدم نفسه و يأكل مع الخادم و يعجن معها ويحمل بضاعته من السوق الحديث وفي فتح الباري نقلا عن ابن بطال أنه قال من اخلاق الانبياء التواضع والبعد عن التنعم وامتهان النفس ليستن بهم ولئلا يخلدوا الى الرفاهية المذمومة كقوله تعالى وذرني والمكذبين أولي النعمة ﴿و﴾ كان صلى الله عليه وسلم ﴿يحب المساكين﴾ الشاملين للفقراء عرفا والفرق بينهما اصطلاح فقهي والمسكين مأخوذ من السكون و يكون بمعنى المتذلل الخاشع ومنه قوله صـلى الله عليه وسـلم اللهم احيني مسكينا وامتني مسكينا الحديث قال بعض العلماء ولا يجوز أن يطلق عـلى النبي صلى الله عليه وسـلم أنه فقير أو مسكين وان اطلقه هو عـلى نفسه الشريفة انتهى والمراد أنه صـلى الله عليه وسـلم كان يخص المساكين بمزيد محبته واكيد مودته قصدا لجبر خواطرهم الكسيرة بسبب ما اتصفوا به من الفقر والمسكنة المزدرين عند اكثر الناس مالم يقترن بذويهما مرجح آخر

من صلاح ربه لم ومعدها وذلك لان المسكنة والخضوع والتذلل والتواضع والضعف علامات أهل الجنة كما ان ضدها علامات اهل النار كما يدل على الاول قوله صلى الله عليه وسلم الا اخبركم عن ملوك الجنة رجل ضعيف مستضعف ذو طمرين لو اقسم على الله لابره وقوله صلى الله عليه وسلم الا اخبركم باهل الجنة كل مسكين لو اقسم على الله لابره وعلى الثانى قوله صلى الله عليه وسلم الا اخبرك باهل النار كل جعظرى جواظ مستكبر جماع منوع ﴿و﴾ من محبته لهم كان ﴿يجالس﴾ كثيرا ﴿معهم﴾ توددا اليهم وتعظيما لهم وكما كان يجالس صلى الله عليه وسلم الى من ذكر يامر بمجالستهم كما رواه ابو نعيم فى الحلية من حديث ابن عمر مرفوعا تواضعوا وجالسوا المساكين تكونوا من كبراء الله وتخرجوا من الكبر وعن ابى ذر انه صلى الله عليه وسلم قال له يا ابا ذر اوصيك بحب المساكين ومجالستهم قال بعض المحققين اى لان مجالستهم ترقق القلب وتزيد فى التواضع انتهى وقد اورد فى فتح البارى فى ذم ترك مجالسة الضعفاء والمساكين ما اخرجه عبد بن حميد من حديث ابن عباس رفعه الكبر بطر الحق وغمص الناس الحديث وفى آخره والغمص ان يجىء شامخا بانفه واذا رأى ضعفاء الناس لم يسلم عليهم ولم يجلس اليهم محقرا لهم وكما كان يأمر بمجالسة المساكين كان يأمر بمجالسة من ينتفع بمجالسته من الكبراء والعلماء العاملين فقد اخرج الطبرانى عن ابى جحيفة رضى الله عنه رفعه جالسوا الكبراء وسائلوا العلماء وخالطوا الحكماء ﴿و﴾ كان صلى الله عليه وسلم ﴿يعود مرضاهم﴾ أى المساكين كغيرهم ﴿ويشيع جنائزهم﴾ كذلك فيندب لنا بل يتأكد علينا التأسى به صلى الله عليه وسلم فى ذلك وترك كثير من ذوى الكبر ورؤية النفس له من اقوى الدلائل على غباوتهم وفرط جهالتهم نسأل الله السلامة قال فى أشرف الوسائل وكثر قوم العزلة ففاتهم بسببها خيرات كثيرة وان حصل لهم بها خير كثير الا ان الاكمل العزلة عن الشر فقط والمحافظة على الخير مع التحفظ ما امكن من طرق الشر وامثاله قال فان ضعف حال الانسان عن المحافظة كانت العزلة فى بعض الاحوال خيرا له ﴿و﴾ كان صلى الله عليه وسلم ﴿لا يحقر﴾

بفتح التحتية وسكون المهملة وكسر القاف من باب ضرب اى لا يبين ولا ينقص ﴿فقيرا دقعه﴾ بالدال اى الصقه ﴿الفقر﴾ بالدقعاء أى التراب من الجوع فصار ذليلا قال فى القاموس الدقع محركة الرضى بالدون من المعيشة وسوء احتمال الفقر وكفرح اصق بالتراب والدوقعة الفقر والذل والجوع وفى النسخ أوقعه بالواو أى حطه عن منزلته ﴿وأشواه﴾ أصاب شواه بكسر الشين المعجمة وهو ما كان غير مقتل قال اشواه اذا اصاب شواه لا مقتله والمراد أضعفه وصيره صغيرا حقيرا فى أعين أهل الدنيا وكان الفقير والغنى عنده صلى الله عليه وسلم سواء وقد ورد من أهان فقيرا لاجل فقره فقد ذهب ثلثا دينه وقال صلى الله عليه وسلم مادحا للفقر بقوله تحفة المؤمن فى الدنيا الفقر وقد ورد بسند لا بأس به الفقر مع الصبر وصف محمود فان الغنى مع الله تعالى ولا ينافى ذلك ما ورد كاد الفقر ان يكون كفرا لان ذلك بالنسبة لمن لم يرض بقضاء الله بل ربما اداه الى تسخط الرزق والاعتراض على الله والتصرف فى ملكه كما فعل ابن الراوندى فى قوله

كم عاقل عاقل أعيت مذاهبه * وجاهل جاهل تلقاه مرزوقا

هذا الذى ترك الاوهام حائرة * وصير العالم النحرير زنديقا

والا فالفقر نعمة من الله تعالى داع الى الانابة والالتجاء اليه والطلب منه وهو حلية الانبياء وزينة الاولياء وزى الصالحين ومن ثم ورد خبر اذا رأيت الفقر مقبلا فقل مرحبا بشعار الصالحين فهو نعمة جليلة بيد انه مؤلم شديد التحمل فالفقر خير من وجه شر من وجه وليس بخير محض ولا بشر محض بل هو سبب للامرين معا يمدح مرة ويذم أخرى والبصير المميز يدرك ان المحمود منه غير المذموم ﴿و﴾ كان صلى الله عليه وسلم ﴿يقبل تائبا المعذرة﴾ أى الاعتذار عمن اعتذر اليه فى ارتكاب أمر غير لائق صادقا كان فى اعتذاره او كاذبا ويحكم فيه بالظاهر ويكل سريرته الى الله تعالى كما وقع لكعب بن زهير وغيره وقد صح انه صلى الله عليه وسلم قبل من المتخلفين عنه فى غزوة تبوك عذرهم حين اعتذروا اليه فى تخلفهم ووكل سرائرهم الى الله حتى نزل القرآن بفضيحة منافقيهم وتوبة الصادقين

الحلم ومن هذا عفوه صلى الله عليه وسلم عن حاطب بن أبي بلتعة رضي
الله عنه لما اعتذر إليه ﴿و﴾ كان صلى الله عليه وسلم ﴿لا يقابل
أحدا بما﴾ شيء من القول أو الفعل ﴿يكره﴾ أي يكرهه بل يغضي عنه
وإن كان حقيقا بذلك ما لم تقتضيه مصلحة شرعية ترجح فعله على تركه وذلك
عند الامكان فلا يرد تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا ألا يجدوا ما ينفقون
وروي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت ما رأيت رسول الله صلى الله عليه
وسلم منتصرا من مظلمة ظلمها ما لم ينتهك من محارم الله شيء . قال العلماء
وإنما لم ينتقم النبي صلى الله عليه وسلم ممن ظلمه مع أن منتهكها آذاه بإثم
عظيم كسحر لبيد بن الأعصم الذي سحره واليهودية التي سمته لأنه حق آدمي
يسقط بالعفو بخلاف حقوق الله إن قلت ظلمه صلى الله عليه وسلم إيذاء له
وإيذاؤه كفر وهو حق الله فكيف يسقط بعفوه أجيب عنه لا نسلم أن مطلق
إيذائه كفر ألا ترى إلى من جذب رداءه حتى أثر في عنقه فعفا عنه وأعطاه
حمل بعيره قالوا والحاصل أن إيذاءه إنما يصدر من مسلم جاف وهذا النوع
صدر لم يكفره فعفا عنه أو منافق وقد أمر أن يحتمل أذاهم لئلا ينفر الناس
منه كما قال صلى الله عليه وسلم وقد قيل ألا تقتلهم قال لا يتحدث الناس أن
محمدا يقتل أصحابه أو من كافر معاهد فمصلحة تألفه اقتضت عدم مؤاخذته
بجريمته أو حربي وهو غير ملتزم للأحكام وفي الحديث الحث على العفو والحلم
واحتمال الأذى والانتصار لدين الله وأنه يسن لكل ذي ولاية التخلق بهذا
الخلق الكريم فلا ينتقم لنفسه ولا يهمل حق الله ﴿و﴾ كان صلى الله
عليه وسلم ﴿يمشي مع﴾ المرأة ﴿الأرملة﴾ المسكينة المحتاجة
التي لا كافل لها في قضاء حاجتها قال بعضهم والأرامل المساكين من رجال
ونساء ويقال لكل واحد من الفريقين على انفراده أرامل وهو بالنساء
أخص وأكثر استعمالا والواحد أرمل وأرملة والأرمل الذي ماتت
زوجته وسواء كانا غنيين أو فقيرين انتهى ﴿و﴾ يمشي مع ﴿ذوي﴾
أصحاب ﴿العبودية﴾ وهم الأرقاء وعلم منه أنه صلى الله عليه وسلم كما كان
يماشي المرأة والعبد وإن كانا بالنسبة إلى ضدهما ناقصين كذلك كان يماشي
المسكين وإن كان مستحقرا عند العامة وقد روى أبو سعيد الخدري رضي الله

عنه حديث ذكر فيه انه صلى الله عليه وسلم كان لا يأنف ولا يستكبران
يمشي مع الارملة والمسكين والعبد حتى يقضي له حاجته ﴿و﴾ كان صلى الله
عليه وسلم ﴿لا يهاب﴾ يخاف ﴿الملوك﴾ بضم الميم واللام جمع ملك
بفتح الميم وكسر اللام أي السلاطين بل الملوك كانت تخافه وكانوا يهادونه
ويهادنونه ويوالونه برهم وفاجرهم مسلمهم وكافرهم لما خولهم تحت وطأته
باسلام أو مسالمة وذكر في بهجة المحافل انه صلى الله عليه وسلم كتب الى
ملوك الاقاليم يخوفهم ويهددهم ويدعوهم الى طاعته فمنهم من اتبعه على
دينه كالنجاشي وملوك اليمن وعمان ومنهم من هادنه واتحفه بالهدايا
كهرقل وملك ايله والمقوقس صاحب مصر ومنهم من تعصى فاظفره الله به
انتهى ﴿و﴾ كان ﴿يغضب لله﴾ أي لانتهاك حرمته ﴿ويرضى لرضاه﴾
ولا يغضب لنفسه ولقد أوذي في قومه حتى وطئ ظهره وأدمي وجهه
وكسرت رباعيته ولودعا عليهم لهلكوا ومع ذلك فابى ان يقول الا خيرا وقال
اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون وكان يقول انما بعثت رحمة ولم ابعث
عذابا ونقمة وقوله صلى الله عليه وسلم يوم الخندق حين شغلوه عن صلاة
العصر اللهم املأ قلوبهم نارا الا الحق لله تعالى وكان صلى الله عليه وسلم
يشتد في حدود الله وحقوقه ودينه حتى قطع يد السارق الى غير ذلك ﴿و﴾
كان صلى الله عليه وسلم ﴿يمشي﴾ غالبا ﴿خلف أصحابه﴾ رضي الله
عنهم ويقدمهم امامه ﴿ويقول﴾ مبينا لهم حكمة ذلك ﴿خلوا﴾ بالخاء
المعجمة ﴿ظهري﴾ أي خلفي ﴿للملائكة﴾ جمع ملك بفتح اللام
﴿الروحانية﴾ بضم الراء أي المنسوبين للروح بزيادة الالف والنون على غير
قياس ولعلهم غير الموكلين بالانسان في دفع ما لم يقدر عليه قال في القاموس
والروح ما به حياة الانسان والقرآن والوحي وجبريل وعيسى والنفخ وأمر
النبوة وحكم الله وأمره وملك وجهه كوجه الانسان وجسده كالملائكة
وقيل هو ملك عظيم من أعظم الملائكة خلقا وقيل حاجب الله يقوم بين يدي
الله يوم القيامة وهو اعظم الملائكة لو فتح فاه لوسع جميع الملائكة فالخلق اليه
ينظرون فمن مخافته لا يرفعون طرفهم الى من فوقه وقيل هو ملك له سبعون
ألف وجه لكل وجه سبعون ألف لسان لكل لسان سبعون ألف لغة يسبح

الله تعالى ثلاث لغات كما يخلق الله من كل تسبيحة ملكا يطير مع الملائكة
الى يوم القيامة والروحاني بالضم ما فيه الروح وكذلك النسبة الى الملك والجن
وجمعه روحانيون والروح بالفتح الراحة والرحمة ونسيم الريح والتحسر بلغة
السعة وسعة في الرجلين دون القدم وكان عمر رضي الله عنه أروح ومكان
روحاني طيب ولعل وجه اختصاص أصحابه بالتقديم لينظر الى أحوالهم
وليزدادوا باستشعارهم ذلك السكون بأسره لأجله فانهم الناظر اليهم
بعيني رأسه وان كان لا يخفى عليه حالهم مع تقدمه عليهم أيضا كما ورد في
الصحيح واني لأراكم من وراء ظهري لكن هذا النظر الخاص لا يعرفه كل
واحد منهم بخلاف نظره اليهم على العادة فانه واضح لكل أحد قال بعضهم
وحكمة ذلك ان الملائكة يحرسونه من أعدائه وذلك من بعض عصمة الله له
وفي الفتح كأنه يسوقهم تواضعا وارشادا الى ندب كون كبير القوم وراءهم ولا
يدع أحدا يمشي خلفه او ليختبر حالهم وينظر اليهم حال تصرفهم في معاشهم
وملاحظتهم لاخوانهم فيكمل من يحتاج الى التكميل ويعاقب من
يليق به المعاقبة ويؤدب من يناسبه التأديب وهذا شأن الوالي مع رعيته
أو لغير ذلك انتهى وهذا أعني رؤيته صلى الله عليه وسلم من خلفه قد ثبت
في حديث أبي هريرة عن أنس عند الشيخين وعند عبد الرزاق في جامعه
والحاكم عن أبي هريرة وعند الحميدي في مسنده وابن المنذر في تفسيره
والبيهقي عن مجاهد مرسلا ثم اختلف في هذه الرؤية فقيل هي رؤية
ادراك البصر وهو الصحيح ومذهب أهل الحق عدم توقف الرؤية على
شعاع ولا مقابلة كما لا تتوقف على الآلة التي هي العين برؤيته صلى الله
عليه وسلم من خلفه وعلى هذا كانت بعيني رأسه على طريق خرق العادة
في عدم المقابلة وقيل انها رؤية البصيرة وصحح أيضا وقيل المراد بها العلم
اما بالوحي أو بالالهام وهو ضعيف خلاف الظاهر وأما القول بأنه كانت له
صلى الله عليه وسلم عينان من خلفه كسم الخياط فهو مردود عنه ساقط
قال عياض وكان ذلك له بعد ليلة الاسراء كما كان موسى يرى النملة السوداء
في الليلة الظلماء من عشرة فراسخ بعد ليلة الطور ﴿و﴾ كان صلى
الله عليه وسلم ﴿يركب البعير﴾ جملا كان أو ناقة وقيل هو الجمل البازل

وهو الموافق للاستعمال ﴿ و ﴾ يركب أيضا ﴿ الفرس ﴾ يطلق على الذكر والانثى من الخيل وقال بعضهم الفرس الانثى من الخيل كما ان الحصان الذكر من الخيل والمراد هنا الجنس وروى الحاكم عن أبي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يسمي الانثى من الخيل فرسا أي جريا على عادة العرب اذلم يسمع في كلامهم فرسة بالهاء ﴿ و ﴾ يركب أيضا ﴿ البغلة ﴾ فقد صح انه صلى الله عليه وسلم ركب يوم حنين بغلته البيضاء التي يقال لها فضة ﴿ و ﴾ يركب أيضا ﴿ حمارا ﴾ أهلها ﴿ بعض الملوك ﴾ وهو المقوقس ﴿ اليه أهداه ﴾ كما تقدم وهذه سنة الانبياء قبله وفي مختصر السيرة للمحب الطبري انه صلى الله عليه وسلم ركب حمارا عريا الى قباء ومعه أبو هريرة رضي الله عنه فقال أحملك فقال ما شئت يا رسول الله قال اركب فوثب ليركب فلم يقدر فاستمسك به صلى الله عليه وسلم فوقعا جميعا ثم ركب وقال له مثل ذلك ففعل فوقعا جميعا ثم ركب وقال له مثل ذلك فقال لا والذي بعثك بالحق مارميتك ثالثا انتهى وكان لكمال تواضعه يردف خلفه وامامه صغيرا وكبيرا ذكرا وأنثى وفي النسيم نقلا عن الشمني ان بعضهم جمع من أردفه النبي صلى الله عليه وسلم على فرس وغيره فبلغوا نيفا وأربعين انتهى وكان له صلى الله عليه وسلم من الابل المعدة للركوب ثلاثة ناقة يقال لها القصوى وناقة يقال لها الجدعاء وناقة يقال لها العضباء بفتح العين المهملة وهي التي كانت لا تسبق فسبقت فشق ذلك على المسلمين فقال عليه الصلاة والسلام ان حقا على الله أن لا يرفع شيئا من الدنيا الا وضعه ويقال ان العضباء هذه لم تأكل ولم تشرب بعد وفاته حتى ماتت وقد جاء ان ابنته فاطمة رضي الله عنها تحشر عليها كما تقدم وقيل التي كانت لا تسبق فسبقت هي القصوى وكان له صلى الله عليه وسلم من الخيل المتفق عليه منها سبعة السكب بالسكون أو الفتح وكان ادهم أغر محجلا طلق اليمين قيل له السكب تشبيها بسكب الماء انصبابا بالشدة جريه وهو أول فرس ملكه اشتراه من أعرابي من بني فزارة بعشرة أواقي وكان تحته يوم أحد وسبحة بمهملتين بينهما موحدة اشتراه من رجل من جهينة بعشرين من الابل وهو الذي سابق عليه فسبق ففرح به سمي بذلك لحسن

شديد في الجري والمرتجز وكان أشقر سمي بذلك لحسن صهيله ولزاز بكسر
اللام ثم زاي مكررة أهداه له المقوقس واللحيف بالمعجمة أو المهملة مصغرا
أو مكبرا روايتان والظرب ويقال له الطرب أهداه له فروة بن عمرو الجذامي
والورد أهداه له تميم الداري والصرم بفتح أوله المهمل وكسر ثانيه وملاوح
والبحر اشتراه من تجار قدموا من اليمن فسبق عليه ثلاث مرات
فمسح وجهه وقال ما أنت إلا بحر وكان له صلى الله عليه وسلم من البغال ست
بغلة شهباء اسمها دلدل بضم الدالين المهملتين أهداها له المقوقس كما مر
وهي أول بغلة ركبت في الإسلام وكبرت وبقيت إلى زمن معاوية وزالت
أضراسها وكان يدق لها الطعام وسئل ابن الصلاح أكانت أنثى أم
ذكرا والتاء للوحدة فأجاب بالأول ونقل بعضهم إجماع أهل الحديث على
أنها كانت ذكرا وموتها أيامهم رماها به رجل وفضة لصفاء لونها وهبها من
أبي بكر رضي الله عنه وأيلية أهداها له ملك أيلة ولذا سمي بذلك وأخرى
أهداها له كسرى وأخرى من دومة الجندل وأخرى أهداها له النجاشي
أصحمة ملك الحبشة وكان له صلى الله عليه وسلم من الحمير ثلاثة أحدها عفير
وآخر يعفور وقال بعضهم وليسا اسمين لحمار واحد كما توهم فإن عفيرا أهداه
له المقوقس ويعفورا أهداه له فروة بن عمرو وقيل بالعكس ومات يعفور
منصرفه من حجة الوداع وقيل ألقى نفسه في بئر ابن التيهان يوم موته صلى الله
عليه وسلم وكان يرسله صلى الله عليه وسلم إلى الرجل فيأتي بابه فيقرعه برأسه
فيعلم أنه يطلبه والثالث أعطاه إياه سعد بن عبادة الأنصاري رضي الله عنه
وعد بعضهم حمره أربعة وكان له من الغنم قيل مائة وقيل سبعة أعنز كانت
ترعاها أم أيمن وكان له شاة يختص بشرب لبنها وأما البقر فلم ينقل أنه اقتنى
شيئا منها واقتنى صلى الله عليه وسلم الديك الأبيض وكان يبيته معه في البيت
والله أعلم ﴿و﴾ كان صلى الله عليه وسلم ﴿يعصب﴾ أي يربط ربطا
خفيفا ﴿على بطنه الحجر﴾ بالراء لا بالزاي كما زعمه بعضهم ﴿من الجوع﴾
تارة ويشبع تارة كما قاله ابن القيم روى ابن أبي الدنيا أصاب النبي صلى الله
عليه وسلم جوع يوما فعمد إلى حجر فوضعه على بطنه ثم قال ألا رب نفس
طاعمة ناعمة في الدنيا جائعة عارية يوم القيامة ألا رب مكرم لنفسه وهو لها

وهو من ألا رب معين لنفسه وهو لها مكرم قال في أشرف الوسائل بعد ان ساق ما ورد في ذلك من الاحاديث و بما تقرر علم ان الصواب صحة الاحاديث وانه صلى الله عليه وسلم شد الحجر بالراء شدا خفيفا لما أحس به من الجوع اختيارا للثواب انتهى باختصار وقد ترك المصنف الطى أى لف الخاصرة فكما كان يعصبه بحجر كان يعصبه فى بعض الاوقات بعصابة كما فى صحيح مسلم عن أنس رضى الله عنه قال جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فوجدته جالسا مع أصحابه يعظهم وقد عصب بطنه بعصابة فقالوا من الجوع واستدلال بعضهم للطى المذكور بما رواه البخارى عن جابر قال مكث صلى الله عليه وسلم لم يذق طعاما ثلاثا وهم يحفرون الخندق فقالوا يا رسول ان ههنا كدية من الجبل قد عجزت معاولنا عنها فقال صلى الله عليه وسلم رشوها بالماء فرشوها ثم جاء فأخذ المعول ثم قال بسم الله فضرب ثلاثا فصارت كثيبا قال جابر فحانت منى التفاتة فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد شد على بطنه حجرا بعيد جدا الا ان يقال ان العصابة المذكورة كانت على حجر أيضا ويؤيده رواية الترمذى عن أبى طلحة رضى الله عنه قال شكونا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الجوع ورفعنا عن بطوننا عن حجر حجر فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بطنه عن حجرين ولعل ذلك كان للجوع أيضا ويؤيده قوامه من الجوع او لحكمة أخرى ابداها العينى فى اواخر مختصر الظهيرية كما نقله بعضهم عن خطه وهى فان قيل ما الحكمة ان نبينا صلى الله عليه وسلم كان يشد الحجر على بطنه فقيل قيل للجوع وليس بشئ ولكن لما أمر الله تعالى ابراهيم عليه السلام ببناء الكعبة وأمره بوضع الحجر الاسود فيه سقط من يده فانكسر منه قطعة فأمر الله جبريل عليه السلام ان يضع تلك القطعة فى جبل الغار الى وقت خروج محمد عليه الصلاة والسلام وأبى بكر من الغار فأعطاه جبريل عليه السلام تلك القطعة وقال له اربط هذا الحجر على وسطك لترى من خلفك كما ترى من امامك انتهى وهذا كما تراه بفرض صحته معارض لكلام المصنف وقد يقال لا منافاة لان ذلك كان للجوع وهذا لما ذكر على ان الاحاديث ليس فيها التصريح بان ربط الحجر كان من الجوع أما حديث ابن أبى الدنيا فليس فيه الربط وأما حديث أنس فليس فيه تعرض

للعسر وأما حديث جابر ففيه ذكر الحجر لكن هل كان الجوع لا يعلم منه
مع أنه قد استشكل ما ذكر من العصب والطي للجوع بقوله صلى الله عليه
وسلم أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني لأن من هذا حاله لا يعصب أحشاءه
ولكن قد صرح بذلك ابن القيم وغيره وتبعهم المصنف وجمع من
المحققين كابن حجر وغيره لما في رواية مسلم المارقة أولا من الجوع وأما
رواه ابن سعد عن أبي هريرة رضي الله عنه كان يشد على بطنه الحجر من
الغرث بغين معجمة وراء مفتوحة فمثلثة الجوع ومثل ذلك لا يقال من بادئ
الرأي وقد أجيب عن الاستشكال المذكور بأن معنى الحديث أبيت
محضر إجلال ربي فيعطيني قوة الطاعم والشارب وقيل معناه يخلق في
من الشبع والري مثل ما يخلقه في من أكل وشرب قال العزيزي قال في الفتح
والفرق بينه وبين مقابله أنه على الأول يعطى القوة من غير شبع ولا ري بل
مع الجوع والظمأ وعلى الثاني يعطى القوة مع الشبع والري انتهى ورجح
النووي الأول فالمراد بذلك أنه ضمنت له قوة بدنه ونضارة جسمه حتى أن من
رآه لا يظن به جوعا ولا عطشا وفائدة هذا العصب انضمام الأحشاء على
المعدة فتنحصر الحرارة بعض خمود لأن المعدة إذا امتلأت بالطعام
اشتغلت الحرارة بهضمه وإذا خلت من الطعام طلبت الحرارة رطوبة
الجسم فيتألم الإنسان فبالعصب تضعف تلك الحرارة ﴿و﴾ ما ذكرهنا
من اتصافه صلى الله عليه وسلم في كثير من أوقاته بالجوع إلى أن احتاج إلى
شد الحجر على بطنه ووقايته لألم الجوع لم يكن عن اضطرار وعجز وإنما كان
اختيارا منه كيف لا والحال أنه صلى الله عليه وسلم كان ﴿قد أوتي﴾
بضم الهمزة المضمومة مبنيا لما لم يسم فاعله أي أعطاه الله تعالى ﴿مفاتيح﴾
بالنصب مفعول ثان لأوتي ومفعوله الأول نائب الفاعل ﴿الخزائن﴾ بفتح
الخاء المعجمة جمع خزانة بكسرها مكان الخزن ولا يفتح كما في القاموس
﴿الأرضية﴾ أي المنسوبة إلى الأرض والمراد معادنها من الذهب
والفضة وزمرد وياقوت ونحوها من جواهرها أو البلاد التي فيها أو الممالك
التي فتحت لأمته بعده كما أشار إليه في فيض القدير قال في النسيم أنه ورد
في الحديث عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال أوتيت بمقاليد الدنيا على فرس

أبلق عليه قطيفة سندس وفي رواية بمفاتيح خزائن الأرض فوضعت بين يدي قال هو محمول على ظاهره وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو وإذ هو كناية عن ان الله تعالى مكنه من ذلك أو ان الله أراده وصرفه بالفعل فيها وقاد جميع أهلها له قال في فيض القدير وحكمة كون الحامل أي للمفاتيح فرسا الاشارة الى أنه صلى الله عليه وسلم أوتي العز اذ الخيل عز كما جاء في عدة أخبار وكونه أبلق ولم يكن لونا واحدا اشارة الى استيلاء أمته على خزائن جميع ملوك الطوائف من الأحمر والأسود والأبيض على اختلاف ألوانها وأشكالها انتهى ﴿و﴾ كيف يتصور أيضا ذلك والحال انه قد ﴿راودته﴾ أي طلبت منه ﴿الجبال﴾ واسناد المراودة للجبال مجاز لان الله هو الذي خيره في ذلك كما هو صريح الاحاديث ويحتمل ان يكون حقيقة اذ لا مانع من أن يخلق الله فيها ادراكا ونطقا وتراوده حقيقة ﴿بان تكون له ذهبا﴾ وفضة وزمردا ونحو ذلك وتسير معه حيث شاء ﴿فاباه﴾ أي امتنع منه فلم يقبل ذلك والمراد بالجبال جبال تهامة بالكسر أي مكة شرفها الله تعالى كما تدل عليه الاحاديث الصحيحة فقد روي ان جبريل عليه السلام نزل عليه صلى الله عليه وسلم فقال ان الله يقرئك السلام ويقول لك اتحب أن تكون لك هذه الجبال ذهبا وفضة تكون معك حيث ما كنت فاطرق ساعة ثم قال يا جبريل ان الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له يجمعها من لا عقل له فقال له جبريل ثبتك الله بالقول الثابت وروى الطبراني باسناد حسن انه صلى الله عليه وسلم كان ذات يوم وجبريل على الصفا فقال يا جبريل والذي بعثك بالحق ما أمسى لآل محمد سفة من دقيق فلم يكن كلامه باسرع من ان سمع هدة من السماء أفزعته فقال صلى الله عليه وسلم أمر الله القيامة ان تقوم قال لا ولكن اسرافيل نزل اليك حين سمع كلامك فاتاه اسرافيل عليه السلام فقال ان الله تعالى سمع ما ذكرت فبعثني اليك بمفاتيح خزائن الارض وأمرني ان أسير معك جبال تهامة زمردا وياقوتا وذهبا وفضة فان شئت نبيا ملكا وان شئت نبيا عبدا فاومأ اليه جبريل أن تواضع فقال نبيا عبدا ثلاثا وروى انه صلى الله عليه وسلم قال عرض على ربي بطحاء مكة ذهبا

فقلت لا يارب ولكن أجوع يوما وأشبع يوما فاذا شبعت حمدتك واذا جعت تضرعت اليك ودعوتك وبما تقرر علم انه صلى الله عليه وسلم لم يكن فقيرا في المال قط ولا حاله كحال فقير بل كان أغنى الناس بالله فقد كفي أمر دنياه في نفسه وعياله وقوله صلى الله عليه وسلم اللهم أحيني مسكينا الحديث المراد به استكانة القلب لا المسكنة الشرعية ذكره البدر الزركشي عن بعض الفقهاء قال العلامة ابن حجر وخبر الفقر فخري وبه افتخر باطل ﴿وكان صلى الله عليه وسلم يقل﴾ بضم أوله وكسر ثانيه من أقل مقابلا لأكثر أي يقلل ﴿اللغو﴾ وهو الساقط الذي لا يعتد به من كلام وغيره والمراد به هنا الكلام المتعلق بالدنيا أي الذي لا فائدة فيه كما ورد عنه صلى الله عليه وسلم انه كان صلى الله عليه وسلم طويل الصمت قليل الضحك ويؤخذ من كلام القاموس انه يطلق على الاثم حيث قال لا يؤاخذكم الله باللغو أي الاثم في الحلف اذا كفرتم قال البيضاوي اللغو اليمين ما لا عقد معه كما سبق به اللسان أو تكلم به جاهلا لمعناه كقول العرب لا والله وبلى والله لمجرد التأكيد والمعنى لا يؤاخذكم بعقوبة ولا كفارة بما لا قصد معه وظاهر قول المصنف يقل اللغو يقتضي انه قد يقع في كلامه صلى الله عليه وسلم لغو والجواب ان المراد من ذلك المبالغة في النفي لان القلة قد تستعمل في نفي أصل الشئ كما قاله ابن الاثير ومن تتبع الآيات القرآنية وتصفح كلام العرب وجد كثيرا من ذلك والمراد منه المبالغة في النفي وتأكيده كقوله تعالى ويقتلون النبيين بغير حق وقوله ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا فانه يقتضي ان قتلهم قد يكون بحق وان الآيات قد يكون لها الثمن الكثير وليس كذلك لان المراد ان قتلهم لا يكون بحق وان كل ثمن لها لا يكون الا قليلا وكقولهم فلان لا يسرع الى الخناء وقلما رأيت مثل هذا الرجل فانهم انما يريدون انه لا يقرب الى الخناء وان مثل هذا الرجل لم ير لا قليلا ولا كثيرا اذا أريد به نفي الخناء ونفي رؤية المثل والى غير ذلك فلا يعترض على المصنف بما هو المتبادر من كلامه من وقوع اللغو في كلامه صلى الله عليه وسلم أحيانا حاشاه من ذلك بل لم يكن ينطق عن الهوى وكلامه حتى مزاحه لم يكن يخلو عن فائدة بل فوائد فكيف يكون

شئ منه وان قل لغوا ﴿و﴾ كان صلى الله عليه وسلم ﴿يبدأ﴾ من البداءة وفي الشمائل للترمذي يبدر أي يسبق ﴿من لقيه﴾ من المسلمين ﴿بالسلام﴾ أي التحية من صغير وكبير وحر ورقيق وان استوقفه المسلم عليه صابره ووقف معه حتى يكون هو المنصرف لما في ذلك من جلب المودة والالفة ولان ثواب المبتدئ أعظم من ثواب الراد وقد حث على ذلك بقوله عليه الصلاة والسلام افشوا السلام ﴿و﴾ كان صلى الله عليه وسلم ﴿يطيل﴾ بضم فكسر أي يطول ﴿الصلاة﴾ أي التي يطلب فيها التطويل كالجمعة والظهر والصبح ويأمر بالاطالة لكن ليس ذلك عاما لجميع الاوقات وانما هو في حال دون حال ووقت دون وقت فكان صلى الله عليه وسلم يؤثر التخفيف تارة والتطويل أخرى ففي أشرف الوسائل ان صلاته صلى الله عليه وسلم كانت مختلفة باختلاف أحواله فتارة يؤثر التخفيف كأن يكون وراءه من له شغل أو يعرض له مقتض للتخفيف وان كان قد أراد التطويل كأن يسمع بكاء الصبي وتارة يؤثر التطويل كأن لا يكون وراءه أحد أو وراءه من يؤثر التطويل قال وحكمة ذلك بيان جواز كل من الامرين لكن الافضل للامام التخفيف الا ان وجدت الشروط السابقة أي في كلامه بان يؤم في محل غير مطروق بجماعة محصورين راضين لفظا بالتطويل خالين عن أجير وزوجة ورقيق والا كره التطويل وكما أمر صلى الله عليه وسلم بالتطويل أمر أيضا بالتخفيف فقد قال ان منكم منفرين فأيكم صلى بالناس فليخفف فان فيكم السقيم والضعيف وذا الحاجة وورد بسند جيد عن أبي واقد الليثي رضي الله عنه قال كان يعني النبي صلى الله عليه وسلم أخف الناس صلاة على الناس وأطول الناس صلاة لنفسه أي لان قرة عينه جعلت فيها كما قد ورد لما كان يحصل له فيها من مجموع الهم على مطالعة جلال الله وصفاته فيحصل له من آثار ذلك ما تقر به عينه كما في البدر المنير وقال سئل ابن عطاء هل هذا خاص بنبينا صلى الله عليه وسلم أو لغيره فيه شرب فقال قرة العين بالشهود على قدر المعرفة بالمشهود وليس معرفة غيره كمعرفته فلا قرة عين كقرته ونقل عن الترمذي الحكيم انه قال ان الصلاة حببت الى الانبياء عليهم الصلاة والسلام

كلهم شاهد محمد صلى الله عليه وسلم من ربه بحورا وأنهارا وأودية فكل
ما ينال من الصلاة من مقامه فالانبياء عليهم الصلاة والسلام خلفاؤهم
الاولياء ينالون من الصلاة مقاما عاليا وليس للعباد والزهاد والمتقين فيها
الا مقام الصدق ومجاهدة الوسوسة ومن بعدهم من المسلمين لهم مقام
التوحيد في الصلاة والوسواس معهم بلا مجاهدة والانبياء وأعاظم الاولياء
في مفاوز الملكوت وليس للشيطان أن يدخل تلك المفاوز وما وراء المفاوز
حجب وستائر شغلت القلوب بما فيها عن أن يخطر بها اسم ما وراءها
انتهى ﴿و﴾ كان صلى الله عليه وسلم ﴿يقصر﴾ بكسر الصاد
مخففة قال في القاموس وقصره يقصره جعله قصيرا فهو على مثال ضربه
يضربه كما هو قاعدته وهو من القصر أو القصر كعنب ضد الطول وليس
المراد بالقصر هنا القصر اللغوي وانما المراد التخفيف بمعنى التقليل أي
الاقتصار على ما لا بد منه والاستغناء عما وراء ذلك ويؤيده ما في النهاية أن
اعرابيا جاءه صلى الله عليه وسلم فقال علمني عملا يدخلني الجنة فقال
لئن كنت أقصرت الخطبة لقد أعرضت المسألة أي جئت بالخطبة قصيرة
وبالمسألة عريضة يعني قللت الخطبة وأعظمت المسألة ومنه كان
اذا خطب في نكاح قصر دون أهله أي خطب الى من هو دونه وأمسك عمن
هو فوقه انتهى ﴿الخطبة﴾ بالافراد وفي بعض النسخ الخطب بالجمع
وهو الكلام المسجع والمراد هنا ما يؤلف ويقصد به وعظ الحاضرين
وأمرهم بالتقوى ونهيهم عن التقصير في حق الله وأمرهم بالقيام بحقوق
ربوبيته تعالى وما خلقوا لاجله وسواء في ذلك الخطب الجمعية وغيرها
كالخطبة لصلاة العيدين والاستسقاء والكسوف وخطب الحج وهي
واجبة في الجمعة بل شرط لصحتها مندوبة في الباقي ﴿الجمعة﴾
أي المنسوبة للجمعة بتثليث الميم وتسكن نسبة الشرط للمشروط فيه سميت
بذلك لاجتماع الناس لها أو لاجتماع الخير فيها أو لجمع خلق آدم فيها
أو لاجتماعه مع حواء على عرفات ويومها أفضل أيام الاسبوع حتى
عرفة وقد جمع الجلال السيوطي ما ورد في فضائلها في رسالة سماها اللمعة
في فضائل الجمعة وليلتها أفضل الليالي بعد ليلة القدر وليلة القدر أفضل

من ليلة الاسراء بالنسبة لنا أما بالنسبة له صلى الله عليه وسلم فليلة الاسراء
أفضل كما مر في أول الكتاب اذ وقع له فيها رؤية الباري تعالى بعيني رأسه
على الصحيح وفرضت بمكة ليلة الاسراء ولم تقم بها الفلة المسلمين أو لخفاء
الاسلام وأول من أقامها بالمدينة قبل الهجرة أسعد بن زرارة وصلاتها
أفضل الصلوات وهي من خصائص هذه الامة وشاهد ماذكره المصنف
رحمه الله تعالى ما رواه ابو داود والحاكم عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال
كان يعني النبي صلى الله عليه وسلم لا يطيل الموعظة يوم الجمعة أي الخطبة
انما هي كلمات يسيرات أي لئلا يمل السامعون وكما كان صلى الله عليه وسلم
يقصرها أي بالنسبة لتطويل الصلاة فكانت متوسطة بليغة مفهومة
لكل من سمعها كان يأمر بقصرها كما رواه مسلم في صحيحه بسنده الى
واصل بن حيان وقد قيل في تعليل ذلك ان الصلاة أصل مقصود بالذات
والخطبة فرع عليها وتوطئة ومقدمة عليها ومن القضايا الفقهية ايثار
الاصل على الفرع بالزيادة والفضل ﴿و﴾ كان صلى الله عليه
وسلم ﴿يتألف﴾ بفتحات مشددا اللام ﴿أهل الشرف﴾ أي
يستجلب بكرم أخلاقه ألفة ذوي الشرف في قومهم ومحبتهم له صلى الله
عليه وسلم وكان يعطيهم المال الكثير ويترقب باعطائهم ومراعاتهم
اسلام نظرائهم كالاقرع بن حابس وعيينة بن حصن والعباس بن مرداس
وقد عدهم في القاموس فبلغوا أحدا وثلاثين رجلا ومن ثم قال صفوان بن
أمية لقد اعطاني رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أعطاني وانه لابغض
الناس الي فما برح يعطيني حتى انه لاحب الناس الي قال ابن شهاب أعطاه
يوم حنين مائة من الغنم ثم مائة ثم مائة قال القسطلاني وانما أعطاه ذلك لانه
علم ان داءه لا يزول الا بهذا الدواء وهو الاحسان فعالجه به حتى برئ من داء
الكفر وأسلم وهذا من كمال شفقته ورأفته ورحمته اذ عامله بكمال الاحسان
وانقذه من حر النيران الى برد لطائف الجنان انتهى ﴿ويكرم أهل
الفضل﴾ من ذوي الصلاح والشرف يجلهم ويعظمهم ويميزهم على
غيرهم ممن لم يتصف بوصفهم وفاء بحقهم وترغيبا لمن سواهم في التحلي
بحلاهم وكان من سيرته في جزء الامة ايثار أهل الفضل باذنه وقسمه على

قدر فضلهم في الدين دون أحسابهم وأنسابهم لان أولئك أكرم وأفضل
ان أكرمكم عند الله أتقاكم وكان يؤلفهم ولا ينفرهم ويكرم كريم
كل قوم ويوليه عليهم ويحذر الناس ويحترس منهم من غير ان يطوى عن
أحد بشره أى طلاقة وجهه وبشاشته ولا خلقه وقد أمر أمته بذلك
فقال اذا أتاكم كريم قوم فاكرموه قال العلقمي قال الدميري وهذا
الحديث لا يدخل في عمومه الكافر لقوله تعالى ومن يهن الله فماله من
مكرم فلا يوقر الذمي ولا يصدر في مجلس وان كان كريما في قومه لان
الله أذلهم وقال أيضا والذي أعتقده ان مراد النبي صلى الله عليه وسلم بقوله
اذا أتاكم كريم قوم فاكرموه المشار اليه بقوله ان أكرمكم عند الله
أتقاكم انتهى وكان صلى الله عليه وسلم اذا انتهى الى قوم جلس حيث
ينتهي به المجلس ويأمر بذلك يعطي جلساءه نصيبه لا يحسب جليسه ان
احدا أكرم عليه منه (و) كان صلى الله عليه وسلم (يمزح) بفتح الزاى
المعجمة أى ينبسط مع غيره من أصحابه بالقول والفعل من غير ايذاء له
وبه فارق الهزء والسخرية فمن ذلك ما أخرجه الحافظ عبد الرحمن بن
السني من كتابه عمل اليوم والليلة عن حميد بن أبي الورد عن أبيه رضي الله
عنه قال رأى النبي صلى الله عليه وسلم رجلا أحمر فقال له أنت أبو الورد
قال جبار احدر وات الحديث مازحه يعني بذلك ومن ذلك قوله لاخي أنس
وكان له نغر يلعب به فمات فحزن عليه فكان صلى الله عليه وسلم يقول له
يا أبا عمير ما فعل النغير وكان يقول لانس يا ذا الاذنين وكان رجل من أهل
البادية اسمه زهير وفي نسخة زاهر بن حرام وكان قصيرا جدا وكان يهدي
للنبي صلى الله عليه وسلم من وجود البادية ومما يستطرف منها وكان صلى الله
عليه وسلم يهاديه ويكافئه من وجود الحاضرة ومما يستطرف منها وكان
يقول ان زهيرا باديتنا ونحن حاضره وكان يحبه ويداعبه فجاءه يوما وهو
يبيع متاعه بالسوق فاحتضنه من خلفه ووضع يديه على عينيه فلما عرف
انه صلى الله عليه وسلم جعل يلصق ظهره بصدره رجاء بركته وفي رواية
الترمذي في الشمائل فاحتضنه من خلفه ولا يبصره فقال ارسلني من هذا
فالتفت فعرف النبي صلى الله عليه وسلم فجعل لا يألو ما ألصق ظهره بصدر

النبي

النبي صلى الله عليه وسلم حين عرفه فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
من يشتري العبد فقال زهير يا رسول الله اذا تجدني كاسدا فقال النبي
صلى الله عليه وسلم أنت عند الله لست بكاسد وجاءته امرأة فقالت يا رسول
الله ان زوجي مريض وهو يدعوك فقال لعل زوجك الذي في عينه بياض
فاخبرت زوجها فقال وهل من احد الا وفي عينيه بياض وجاءت
أخرى فقالت يا رسول الله ادع الله أن يدخلني الجنة فقال يا أم لا تدخل
الجنة عجوز فولت المرأة وهي تبكي فقال النبي صلى الله عليه وسلم اخبروها
انها لا تدخل الجنة وهي عجوز ان الله تعالى يقول انا أنشأناهن انشاء
فجعلناهن أبكارا عربا أترابا قالت عائشة رضي الله عنها سابقته صلى الله
عليه وسلم أولا فسبقته فلما كثر لحمي سابقته فسبقني فضرب كتفي وقال
هذه بتلك وقال لها يوما وهي تلعب بلعبها ما هذه يا عائشة قالت خيل
سليمان بن داود فضحك وطلب الباب فابتدرته واعتنقته وكان ربما أدلع
لسانه للحسن بن علي فيرى الصبي حمرة لسانه فيهش اليه وأكل صلى الله
عليه وسلم تمرا الخباء صهيب وقد غطى على عينه وهو أرمد فلم فاهوى في
التمر يأكل فقال صلى الله عليه وسلم تأكل الحلو وأنت أرمد فقال
يا رسول الله انما آكل بشق عيني الصحيحة فضحك النبي صلى الله عليه وسلم
وكان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يمازحون بالقول والفعل وربما ترامو
بالبطيخ وتعاملوا الحجر لاختبار قوتهم وما ورد عنه صلى الله عليه وسلم في
النهي عن المزاح محمول على الافراط لما فيه من الشغل عن ذكر الله
والتفكر في مهمات الدين وغير ذلك والذي يسلم من ذلك هو المباح فان
صادف مصلحة مثل تطييب نفس المخاطب كما كان هو فعله عليه الصلاة
والسلام فهو مستحب قال في بهجة المحافل قال العلماء المزاح فيه ما هو
مباح ومذموم والمذموم ما داوم عليه وكان فيه افراط في الضحك فان كثرته
تقسي القلب و يؤذن بالغفلة وتسقط المهابة والوقار واليه الاشارة بقوله
صلى الله عليه وسلم لا تمار أخاك ولا تمازحه ولا تعده موعدا فتخلفه وأما
المباح فهو ما كان على الندور لتطييب نفس وايناس و يلحق بالطاعات
ومكارم الاخلاق بحسب المقاصد وكذلك كان مزاحه صلى الله عليه وسلم

وما أحسن ما قيل في هذا المعنى

أرح قليك المعوب بالهزل ساعة * قليلا وعلله بشيء من المزح

ولكن اذا أعطيته المزح فليكن * بمقدار الذى تعطى الطعام من الملح

﴿و﴾ كان صلى الله عليه وسلم مع مباسطته لكثير من أصحابه حتى صغارهم ﴿لا يقول﴾ في مزاحه معهم ﴿الا﴾ كما يقول في جده ﴿حقا﴾ ﴿عبد الله﴾ سبحانه و﴿تعالى﴾ أى يثيب فاعله ﴿ويرضاه﴾ روى الترمذى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قالوا يا رسول الله انك تداعبنا أى تلاطفنا في القول بالمزاح وغيره قال صلى الله عليه وسلم انى لا أقول الا حقا وأما قوله المتقدم في حديث زاهر من يشترى هذا العبد فعلى تقدير مضاف أى من يشترى مثل العبد وسؤالهم من المداعبة ما ليعلموا هل هى من خواصه فلا يتأسون به فيها فبين لهم انها ليست من خواصه وان جوازها مشروط بقول الحق واما الاستبعاد وقوع المزاح منه صلى الله عليه وسلم لجليل مكانته وعظيم مرتبته فكلهم سألوا عن حكمته ما بلغهم قاله في اشرف الوسائل قال فيه أيضا بعد أن تكلم على فوائد حديث زاهر السابق ومن تأمل مزحه صلى الله عليه وسلم وجده لا يخلو عن فوائد عامة ومصالح تامة وبشارات عظيمة وخيرات جسيمة فهو في الحقيقة غاية الجد وليس مزحا الا باعتبار الصورة فقط * خاتمة * ختم الله لنا بالحسنى وبلغنا من خيرى الدارين فوق المنى * ذكر الحافظ ابو على الحسن بن عبد الملك المعروف بابن القطان في كتابه الاحكام لسياق ما للسيد نا محمد صلى الله عليه وسلم من الآيات البينات والمعجزات الباهرات والاعلام كثيرا من افراد الخلق العظيم النبوى وصدر جميع ذلك بقوله ان من تأمل اخلاقه صلى الله عليه وسلم في نفسه ومع ربه جل وعلا ومع اهله ومع الناس كافة مؤمنهم وكافرهم وسياسته العجيبة الحكمية في جميع احواله وصدق لهجته ولين عريكته وكرم عشرته وحسن مخالطته وتعززهم اياه وتوقيرهم له وحرصهم على نيل شيء منه ولو قل كشعرة او عرق او بصاق او فضل ذلك وقضائه لحاجات الناس وكرمه وايثاره على نفسه وتنزهه عن الخسائس كلها ادقها وجلها وعدله وتسويته في الحق بين الشريف والمشروف وتواضعه وزهده وقناعته

وشجاعته وأيده وفصاحته وعلمه وحلمه وغضبه لله تعالى وحيائه وشفقته ومداراته ورحمته وكثرة عبادته لربه سبحانه وتعالى وصبره وشكره وسر اقبته وخوفه وغير ذلك من معالى اخلاقه صلى الله عليه وسلم واستوفى ما فى كتب الائمة من ذلك ومن شمائله صلى الله عليه وسلم التى يشهد لها قول الله تعالى وانك لعلى خلق عظيم علم علما يقينا ان ذلك لا يكون الا لاكرم رسل الله تعالى واحبهم اليه وامكنهم لديه وان الكذب بصفات النقص كلها من المحال المحال عليه وبهذه المعجزة آمن كثير من الصحابة رضى الله عنهم اجمعين ولله در القائل

يا أيها المتعاطى وصف سودده * لا تعرضن لكيل البحر بالغمر
فانه كان مطبوعا على شيم * معدومة المثل لم يخلق فى البشر

جعلنا الله تعالى بمنه وفضله وكرمه من كل التابعين لها السالكين سواء طريقه المقتدين به فى أقواله وأفعاله وسائر شريف خلاله بجاهه العظيم انه هو الرؤف الرحيم ﴿وهاهنا وقف بنا جواد﴾ الفرس البين الجودة كما فى القاموس واضافته الى ﴿المقال﴾ أى القول من اضافة المشبه به للمشبه ﴿من الطراد﴾ بتشديد الطاء المكسورة التسابق ﴿فى الحلبة﴾ بفتح الحاء المهملة وسكون اللام وهى وحدة الدفعة من الخيل التى تجتمع للسباق من كل أوب تجمع على حلائب هذا معناه بحسب الاصل والمراد به هنا العبارات البليغة فى بيان قصة المولد الشريف ولذا وصفها بقوله ﴿البيانية﴾ أى المنسوبة للبيان وهو المنطق الفصيح المعرب عما فى الجنان نسبة الجزئيات لكلها ﴿وبلغ ظاعن﴾ بالظاء المشالة اسم فاعل ظعن بمعنى ارتحل واضافته الى ﴿الاملاء﴾ من اضافة المشبه به للمشبه والاملاء بكسر الهمزة القاء الكلام على من يكتبه كما مر فى أول الكتاب ﴿فى فدافد﴾ بفتح الفاء الاولى وكسر الثانية ودالين مهملتين جمع فدفد كجعفر الفلاة واضافته الى ﴿الايضاح﴾ من اضافة المشبه به للمشبه أى وهنا وقف بنا القول الشبيه بالجواد وبلغ المقصود به ﴿منتهاه﴾ أى انتهاءه وهو تأدية المعانى على الوجه المرغوب والمبادرة بالاتيان بالعبارات البينة الواضحة فى الدلالة على المراد مع التزام التسجيع من اول

التأليف الى منتهاه وتحرى كون ذلك كله على فقرتين فقط اولهما بالهاء المسبوقة بالياء التحتية المشددة وثانيهما بهاء مسبوقة بالف وذلك حسن من انواع فنون البديع ووصل الاملاء اى الكلام المملى الى منتهاه وغايته فى الايضاح الشبيه بالفدفد فى الاتساع ولا يخفى ما فيه من البلاغة ومدح هذا التأليف بل ومدح المؤلف ايضا من باب التحدث بالنعمة حيث اشار الى ان القاء هذه العبارات من غير تكلف وصعوبة كما لا يخفى والله اعلم

﴿عطر اللهم قبره الكريم بعرف شذى من صلاة وتسليم اللهم صل وسلم وبارك عليه﴾

ولما فرغ المصنف رحمه الله تعالى وشكر سعيه من ذكر مولده الشريف وبعض ما اتفق له فى خلال عمره من الاحوال الباهرة والمعجزات الطاهرة ومما اخلاقه الشريفة وشمائله المنيفة عقب ذلك بدعوات نفيسة وجعلها خاتمة الكتاب رجاء القبول من الملك الوهاب ببركة هذا الجناب فقال ﴿اللهم﴾ قال العزيزى فى شرح الجامع الصغير الميم عوض عن حرف النداء أى يا الله ولذا لا يجتمعان الا لضرورة الشعر وهى كلمة كثر استعمالها فى الدعاء وقد جاء عن الحسن البصرى اللهم مجتمع الدعاء وعن النضر بن شميل من قال اللهم سأل الله بجميع أسمائه انتهى وقال الشيخ الجزولى هو توجه للمطلوب وطلب لحصول المرغوب بالتوسل بالاسم الاعظم الذى اذا دعى به أجاب واذا سئل به أعطى ولهذا بهذه الصيغة حذف منها ياء النداء المتضمنة لوجود البينونة النفسانية اذ حذفها يقتضى زوال ذلك قال وتعويض الميم من حرف النداء فى لفظ الجلالة يقتضى قوة الهمة فى الطلب والجزم به وانما جعل هذا الاسم الاعظم فى أوائل الادعية غالبا لانه جامع لجميع معانى الاسماء الكريمة وهو أصلها ﴿يا باسط﴾ الباسط اسم من أسمائه تعالى وله معان يقصد فى كل مقام بما يناسبه والمراد به هنا الموسع ﴿اليدين﴾ أى الارادة والقدرة ﴿بالعطيه﴾ الشئ المعطى ﴿يا من اذا رفعت اليه أكف العبد﴾ بفتح الهمزة وضم الكاف وشد الفاء جمع كف وهو اليد او الى الكوع كما فى القاموس ﴿كفاه﴾ أى لم يحوجه الى غيره ورفع اليدين فى الدعاء سنة وهو من آداب الدعاء ومن

آدابه أيضا أن يتحرى الاوقات الفاضلة كأن يدعو في السجود وعند الاذان والاقامة ومنها تقديم الوضوء والصلاة واستقبال القبلة وافتتاحه بالحمد والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وختمه بها وجعلها في وسطه أيضا ولهذا شروط تقدم ذكرها في الكلام على البسملة وفي رفع اليدين الى جهة السماء اشارة الى القبلة العليا وهو البيت المعمور والى جهة عرش من يناجيه وكان صلى الله عليه وسلم اذا رفع يديه في الدعاء لم يحطهما حتى يمسح بهما وجهه تفاؤلا بحصول المراد ﴿يا من تنزه﴾ عما لا يليق بجلاله تعالى ﴿في ذاته﴾ فيه جواز اطلاق الذات عليه تعالى وهو الصحيح كما مر في أول الكتاب ﴿و﴾ جميع ﴿صفاته﴾ جمع صفة ﴿الاحدية﴾ المنسوبة للاحد نسبة الموصوف لصفته والاحد كالواحد المنفرد في الذات والصفات والافعال الا ان الاحد أبلغ لدلالته على زيادة تأكيد في صفة الوحدانية * قال العلامة ابن حجر في التحفة * تنبيه * فرقوا بين الواحد والاحد واصلهما وحد بأن أحد يختص بأولي العلم وبالنفي الا ان أريد به الواحد او الاول كما في الآية ووصفا بالله دون واحد ووحد وبان نفيه نفي للماهية بخلاف نفي الواحد اذ لا ينفي الاثنين فاكثر وبانه يستعمل للمؤنث ايضا نحو لستن كأحد من النساء وللمفرد والجمع نحو من احد عنه حاجزين وبان له جمعا من لفظه وهو الاحدون والآحاد وقول ابي عبيد بترادفهما ولكن الغالب استعمال احد بعد النفي اختيار له انتهى بعبارته قال الازهري الفرق بينهما ان الاحد بني لنفي ما يذكر معه من العدد تقول ما جاءني احد والواحد اسم بني لمفتتح العدد تقول ما جاءني واحد من الناس ولا تقول جاءني احد فالواحد منفرد بالذات في عدم المثل والنظير والاحد منفرد بالمعنى وقال غيره الاحد الذي ليس بمنقسم ولا متحيز فهو اسم لمعنى الذات فيه سلب الكثرة عن ذاته والواحد وصف لذاته فيه سلب النظير والشريك عنه فافترقا وقال السهيلي احد ابلغ واعم الا ترى ان ما في الدار احد اعم وابلغ من ما فيها واحد وقال بعضهم وقد يقال انه الواحد في ذاته وصفاته وافعاله والاحد في وحدانيته اذ لا يقبل التغيير ولا التشبيه بحال ﴿عن أن يكون له فيها نظائر﴾ جمع نظير وهو المساوي ولو في بعض الوجوه ﴿واشباه﴾

جميع شيء وهو المساوي في أغلب الوجوه وأما المثيل فهو المساوي
في جميع الوجوه والمراد بالنظائر والاشباه مطلق المناظرة والمشابهة فيشمل
المماثل فليس له تعالى مشابه ولا مناظر ولا مماثل في ذاته ولا في صفاته ولا في
أفعاله لوجوب مخالفته تعالى للممكنات ذاتا وصفات وافعالا ليس كمثله شيء
في الارض ولا في السماء وهو السميع البصير ﴿يامن تفرد﴾ اي توحد
بذاته وصفاته عن صنع واسم الفاعل منه متفرد بمعنى متوحد والاطلاق على الله من
جهة الاسمية والوصفية متوقف على وروده على المختار فان ثبت وروده
فذاك وان لم يثبت فلا وعلى القول بالاكتفاء بورود ما يشاركه في مادته
ومعناه او بجواز اطلاق ما لا يوهم نقصا مطلقا فكذلك وأما ما قيل من انه
على سبيل التوصيف دون التسمية كما ذهب اليه الغزالي فخلاف المختار
لان المختار ان صفاته تعالى توقيفية كأسمائه كما نص عليه اللقاني في جوهرة
التوحيد حيث قال

واختير ان اسماه توقيفيه * كذا الصفات فاحفظ السمعيه

﴿بالقدم﴾ والمراد بالقدم في حقه تعالى القدم الذاتي وهو عدم افتتاح
الوجود وان شئت قلت هو عدم الاولية للوجود واما القدم في حقنا فالمراد
به الزماني وهو طول الزمان وضبط بسنة حتى اذا قال كل من كان من عبيدي
قديما فهو حر عتق من له سنة وهذا مستحيل في حقه تعالى وكذا
القدم الاضافي كتقدم الاب بالنسبة للابن فتحصل من هذا أن القدم ثلاثة
أقسام ذاتي وزماني واضافي ﴿والبقاء﴾ والمراد به في حقه تعالى عدم
الآخرية للوجود وان شئت قلت عدم اختتام الوجود ودليل البقاء
انه لو جاز عليه العدم لاستحال عليه القدم وهو محال لثبوته وما ثبت قدمه
استحال عدمه ﴿والازليه﴾ اتى بياء المصدرية للدلالة على أن الازل
هو الذي لا افتتاح لوجوده ولا نهاية فهو بمعنى القدم قال في التوقيف
الازل القدم ليس له ابتداء ويطلق مجازا على من طال عمره ومن ضبطه
والازل استمرار الوجود في أزمنة مقدرة غير متناهية في جانب الماضي كما
ان الابد استمراره كذلك في المآل قال شيخنا اعلم أن لهم في القديم والازلي
ثلاثة اقوال الاول أن القديم هو الموجود الذي لا ابتداء لوجوده والازلي

ما

مالا أول له عدميا أو وجوديا فكل قديم ازلى ولا عكس الثانى أن القديم
هو القائم بنفسه الذى لا أول لوجوده والازلى مالا أول له عدميا أو وجوديا
قائما بنفسه أو بغيره وهذا هو الذى يفهم من كلام السعد الثالث ان
كلا منهما مالا أول له عدميا أو وجوديا قائما بنفسه أولا وعلى هذا فهما
مترادفان فعلى الاول الصفات السلبية لا توصف بالقدم وتوصف بالازلية
بخلاف الذات العلية والصفات الثبوتية فانها توصف بالقدم والازلية
وعلى الثانى الصفات مطلقا لا توصف بالقدم وتوصف بالازلية بخلاف
الذات العلية فانها توصف بكل منهما وعلى الثالث كل من الذات والصفات
مطلقا يوصف بالقدم والازلية انتهى وقال فى التوقيف بعد ما تقدم عنه
والازلى ما ليس بمسبوق بالعدم والموجود ثلاثة لا رابع لها ازلى ابدى
وهو الحق سبحانه وتعالى ولا ازلى ولا ابدى وهو الدنيا وابدى غير ازلى
وهو الآخرة وعكسه محال اذ ما ثبت قدمه استحال عدمه انتهى والقول
بأن ما ثبت قدمه استحال عدمه قضية قد اتفق عليها العقلاء كما فى العكارى
على الكبرى وأورد عليه عدمنا فى الازل فانه قديم بناء على القول بترادف
القديم والازلى فلم جاز انقطاعه بوجودنا فيما لا يزال اجيب بأن هذه
القاعدة انما هى فى القديم الوجودى اذ الدليل انما قام فيه كما ذكره
الامام ابن ذكرى واستظهره العلامة الامير ﴿يا من لا يرجى غيره﴾
فى قضاء الحاجات الدنيوية والاخروية ﴿ولا يعول﴾ أى لا يعتمد
فى ذلك ﴿على سواه﴾ غيره تعالى ﴿يا من استند الانام﴾ المخلوقات
باسرها ﴿الى قدرته القيوميه﴾ أى المنسوبة للقيوم اسم من اسمائه
تعالى الحسنى بمعنى عظيم القيام بنفسه بامور خلقه نسبة الصفة لموصوفها
﴿وارشد﴾ أى دل ﴿بفضله من استرشده﴾ أى طلب ارشاده
﴿واستهداه﴾ أى طلب هدايته ﴿نسألك بانوارك﴾ جمع نور قال الله
تعالى الله نور السموات والارض ﴿القدسيه﴾ المنسوبة للقدس بمعنى
الطهارة والتنزه عما لا يليق ﴿التى ازاحت﴾ بالزاى المعجمة والحاء
المهملة أى ازالت ﴿من ظلمات الشك دجاه﴾ بضم الدال المهملة وفتح
الجيم جمع دجية وهى الظلمة والضمير للشك ﴿ونتوسل اليك بشرف

الذات المحمدية﴾ أى المنسوبة لمحمد صلى الله عليه وسلم نسبة المسمى لاسمه ﴿ومن هو﴾ صلى الله عليه وسلم ﴿آخر الانبياء﴾ عليهم الصلاة والسلام ﴿بصورته﴾ أى جسمه ومشخصاته ﴿وأولهم بمعناه﴾ اى حقيقته ونوره وتقدم بيان ذلك فى أول الكتاب وتوسل اليك ﴿بآله﴾ اصله أول كجمل بدليل تصغيره على أويل وقيل اصله أهل بدليل تصغيره باهيل وهو مردود ولا يضاف آل الا الى ماقيه شرف فلا يقال آل الاسكاف ﴿كواكب﴾ جمع كوكب وهو النجم كافى القاموس واضافته الى ﴿امن﴾ من اضافة السبب للمسبب ﴿البرية﴾ بوحدة مفتوحة فراء مهملة مكسورة فتحتية مشددة الى المخلوقات ﴿وسفينة السلامة والنجاة﴾ واضافة السفينة للسلام من اضافة السبب للمسبب والكلام من باب التشبيه البليغ اى الذين هم كالكواكب فى الامن بهم من الضلال وكالسفينة فى السلامة بهم من المخاوف اشار بذلك الى مارواه الحاكم على شرط الشيخين وصححه النجوم امان لاهل الارض من الغرق وأهل بيتى امان لاهل الارض من الاختلاف فاذا خالفها قبيلة من العرب اختلفوا فصار واحزب ابليس وما اخرجه الامام احمد فى المناقب عن على كرم الله وجهه النجوم امان لاهل السماء فاذا ذهب النجوم ذهب أهل السماء وأهل بيتى امان لاهل الارض فاذا ذهب أهل بيتى ذهب أهل الارض وما جاء من طرق عديدة يقوى بعضها بعضا انما مثل أهل بيتى فيكم كمثل سفينة نوح من ركبها نجا وفى رواية مسلم ومن تخلف عنها غرق وفى رواية هلك قال بعضهم يحتمل أن المراد باهل البيت الذين هم علماؤهم لانهم الذين يهتدى بهم كالنجوم قال ويحتمل وهو الاظهر عندى أن المراد بهم سائر أهل بيته فان الله لما خلق الدنيا باسرها من أجل النبى صلى الله عليه وسلم جعل دوامها بدوامه ودوام أهل بيته لانهم يساوونه فى اشياء منها أن السلام عليه وعليهم وفى الصلاة عليه وعليهم فى التشهد وفى الطهارة قال الله تعالى ويطهركم تطهيرا وفى تحريم الصدقة وفى المحبة قال تعالى فاتبعونى يحببكم الله وقال قل لا اسألكم عليه اجرا الا المودة فى القربى ولانه قال فى حقهم اللهم انهم منى وانا منهم ولانهم بضعة منه بواسطة ان فاطمة امهم

رضي الله عنه فاقيموا مقامه في الامان انتهى ملخصا مع زيادة قال ابن حجر في
الصواعق ووجه تشبيههم بالسفينة فيما مر ان من احبهم وعظمهم شكرا
لنعمة مشرفهم صلى الله عليه وسلم واخذ بهدى علمائهم نجا من ظلمات
المخالفات ومن تخلف عن ذلك غرق في بحر كفر النعم وهلك في مفاوز
الطغيان وقدمر ما يتعلق بهم من الاحاديث الواردة في فضلهم وغير ذلك
في أول الكتاب ﴿و﴾ نتوسل اليك ﴿باصحابه أولى﴾ بضم الهمزة
وكسر اللام أي اصحاب ﴿الهداية﴾ أي الدلالة في طريق الخير قال
صاحب الانوار والهداية دلالة بلطف ولذلك تستعمل في الخير وقوله
تعالى فاهدوهم الى صراط الجحيم وارده على التهكم ومنه الهداية وهوادى
الوحش لمقدماتها والفعل منه هدى وهداية الله تعالى تتنوع انواعا
لا يحصيها عد لكنها تنحصر في اجناس مترتبة الاول افاضة القوى التي بها
يتمكن المرأ من الاهتداء الى مصالحه كالقوة العقلية والحواس الباطنة
والمشاعر الظاهرة والثاني نصب الدلائل الفارقة بين الحق والباطل
والفساد واليه اشار حيث قال وهديناه النجدين وقال فهديناهم فاستحبوا
العمى على الهدى والثالث الهداية بارسال الرسل وانزال الكتب كما
في قوله وجعلناهم ائمة يهدون بامرنا وقوله ان هذا القرآن يهدي للتي
هي اقوم والرابع أن يكشف عن قلوبهم السرائر ويريهم الاشياء كما هي
بالوحي والالهام والمنامات الصادقة وهذا قسم مختص بنيله الانبياء
والاولياء كما في قوله أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وقوله والذين
جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا فالمطلوب اما زيادة ما منحوه من الهدى
أو الثبات عليه أو حصول المراتب المرتبة عليه ذكره الزرقاني في شرح
المواهب ثم قال والخلاف في أنها الدلالة على ما يوصل الى المطلوب وان لم
يصل وهو مذهب أهل السنة أو الموصلة عند المعتزلة مشهور انتهى فهي
عند أهل السنة الدلالة على طريق توصل الى المقصود وصل بالفعل أو لم
يصل وعند المعتزلة الدلالة المذكورة لكن بشرط أن يصل بالفعل ونقض
بقوله تعالى وأما ثمود فهديناهم الآية فانهم لم يصلوا بالفعل ومع ذلك سميت
دلالتهم على طريق توصل هداية وأورد بعضهم على الاول قوله تعالى

انك لا تهدي من احببت فانه لا يصح أن يراد منه الدلالة على طريق توصل الى المقصود وصل بالفعل أو لم يصل لانه صلى الله عليه وسلم وجدت منه الدلالة على طريق توصل لكنه لم يصل المدلول بالفعل وأنت خبير بانه مدفوع من اصله لان مراد أهل السنة ان الهداية هي الدلالة على طريق توصل ولهذه الدلالة فردان الموصلة بالفعل وغيرها والمراد بها في هذه الآية الفرد الاول لانه هو الذي يصح نفيه هذا وفي بعض التفاسير تفسير الهداية في الآية المذكورة بخلق الاهتداء فليراجع ثم في كلام المصنف الرمز الى تشبيه الصحابة كالآل بالنجوم وشاهده حديث سألت ربي عما يختلف فيه أصحابي فقال يا محمد اصحابك عندي كالنجوم في السماء بعضها اضوء من بعض فمن اخذ بشيء مما اختلفوا فيه فهو على هدى عندي وحديث اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم وظاهر هذين الحديثين أن الصحابة كلهم مجتهدون وهو ما جرى عليه ابن حجر في المنح وعلله بتوفر شروط الاجتهاد في جميعهم قال ولذلك لم يعرف ان واحدا منهم قلد غيره في مسئلة من المسائل لكن رجح بعضهم أن فيهم المقلدين والمجتهدين ثم ان بعضهم تكلم في سند الحديث الثاني حتى قال الشهاب في شرح الشفاء انه روي من طرق كلها ضعيفة بل قال ابن حزم انه موضوع لكن قال العارف بالله تعالى الشيخ الشعراني في الميزان انه صحيح عند أهل الكشف وان كان فيه مقال انتهى ﴿و﴾ اولي ﴿الافضلية﴾ بالوه للمصدرية اي كونهم أفضل من غيرهم على تفاوت في ذلك بينهم وقد قال العلماء ان أفضل الناس بعد الانبياء عليهم الصلاة والسلام أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي ثم بقية العشرة المبشرين بالجنة ثم أهل بدر ثم أهل أحد ثم أهل بيعة الرضوان وتجب محبتهم من حيث الدين والقرب الى الله ورسوله بحسب فضلهم ومن حيث نحو قرابة واحسان لا يجب ان تكون كذلك كما اختاره بعض المتأخرين ﴿الذين بذلوا﴾ بالذال المعجمة أي اعطوا ﴿أنفسهم لله يبتغون﴾ أي يطلبون ﴿فضلا﴾ أي احسانا ﴿من الله﴾ تعالى ﴿و﴾ نتوسل اليك ﴿بحملة﴾ جمع حامل والمراد بهم العلماء العاملون ﴿شريعته﴾ أي أحكامه التي شرعها ﴿و﴾ أولي ﴿أصحاب﴾ ﴿المذاهب﴾

جمع منقبة أى الصفات الجميلة الحميدة ﴿والخصوصية﴾ بالهاء للمصدرية أى كونهم مخصوصين بالمزايا والفضائل ﴿الذين استبشروا﴾ أى سروا بالبشارة ﴿بنعمة﴾ بكسر النون وهى كل ملائم تحمد عاقبته ومن ثم قيل لا نعمة لله على كافر وأما النعمة بالفتح فهى التنعم ومنه قوله تعالى ونعمة كانوا فيها فاكهين وبالضم المسرة والمراد بالنعمة ثواب أعمالهم ﴿وفضل﴾ احسان زيادة على ذلك ﴿من الله﴾ تعالى قال تعالى للذين أحسنوا الحسنى وزيادة والتنكير فيهما للتكثير والتعظيم ﴿ان توفقنا﴾ تنازعه كل من نسأل ونتوسل والتوفيق خلق قدرة الطاعة فى العبد والمراد به السداد وموافقة الاعمال للصواب ﴿فى﴾ جميع ﴿الاقوال و﴾ جميع ﴿الاعمال﴾ وفى بعض النسخ الافعال ﴿لاخلاص النية﴾ أى الصدق فيها ويكون ذلك بالتبرى من الحول والقوة قال الله تعالى وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء وقال الله تعالى لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم قال ابن عباس رضى الله عنهما معناه لكن يناله النيات وفى الاذكار للامام النووى رحمه الله تعالى وبلغنا عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال انما يحفظ الرجل على قدر نيته وقال غيره انما يعطى الناس على قدر نياتهم وروينا عن السيد الجليل أبى على الفضيل ابن عياض رضى الله عنه قال ترك العمل لاجل الناس رياء والعمل لاجل الناس شرك والاخلاص ان يعافيك الله منهما فالاخلاص ان يعرف الله حقا بالوحدانية بغير شك وتشبيه وعن حذيفة المرعشى رحمه الله قال الاخلاص ان تستوى أفعال العبد فى الظاهر والباطن قال القشيرى رحمه الله الاخلاص افراد الحق سبحانه وتعالى فى الطاعة بالقصد وهو ان يريد بطاعته التقرب الى الله تعالى دون شئ آخر من تصنع لمخلوق او اكتساب محمدة عند الناس أو محبة مدح من الخلق أو معنى من المعانى سوى التقرب الى الله تعالى وقال غيره درجات الاخلاص ثلاثة عليا وهو ان يعمل العبد لله وحده امتثالا لامره وقياما بحق عبوديته ووسطى وهو ان يعمل لثواب الآخرة ودنيا وهو ان يعمل للاكرام فى الدنيا والسلامة من آفاتها وما عدا الثلاث من الرياء وقيل غير ذلك قال بعضهم ولا يعرق نبات الاخلاص

في النية شيء مثل اكل الحرام فانه يعمى البصيرة ويوهن الدين والبدن والعقل وقدم التوفيق للاخلاص على غيره مما ذكره معناه تنبيها على ان النية للعمل كالروح للبدن واخلاصها سبب للوصول والعمل بدونه بعيد عن القبول ولذلك يقال الطالبون كثير والواصلون قليل ﴿و﴾ ان ﴿تنجح﴾ بضم المثناة فوق فنون ساكنة بجيم مكسورة فحاء مهملة أي تقضى وتنجز ﴿لكل من الحاضرين﴾ أي الذين حضروا الاستماع قراءة قصة المولد الشريف ﴿مطلبه﴾ بفتح الميم واللام أي مطلوبه ﴿ومناه﴾ بضم الميم أي امنيته ورجاءه ﴿و﴾ ان ﴿تخلصنا﴾ بتشديد اللام أي تطلقنا ﴿من أسر﴾ أي قيد ﴿الشهوات﴾ جمع شهوة وهو ما يميل القلب اليه ﴿والادواء﴾ بفتح الهمزة وسكون الدال جمع داء أي الامراض ﴿القلبية﴾ أي المتعلقة بالقلب كالكبر والحسد والحقد ﴿و﴾ ان ﴿تحقق لنا من الآمال﴾ جمع أمل وهو الرجاء ﴿ما بك ظنناه﴾ والظن هو التردد الراجح بين طرفي الاعتقاد الغير الجازم ﴿و﴾ ان ﴿تكفينا كل مدلهمة﴾ بضم الميم وسكون الدال المهملة وفتح اللام وكسر الهاء وشد الميم أي داهية شديدة السواد هذا معناه في الاصل والمراد به هنا المصيبة ﴿و﴾ ﴿البمه﴾ عطفه على ما قبله لبيان المراد من عطف العام على الخاص فيكون المراد بالمدلهمة الداهية الثقيلة أي المصيبة العظيمة وهو الاقرب كما قال بعضهم ﴿و﴾ ان ﴿لا تجعلنا ممن ادواه﴾ أي جعله هاويا من علو الى أسفل ﴿هواه﴾ أي ميل نفسه للشهوات والمعنى اسقطه في المهاوي والمتالف من هوى يهوي بفتح الواو في الماضي وكسرها في المضارع اذا سقط واما هوي يهوى بكسرها في الماضي وفتحها في المضارع فمعناه أحب وليس مرادا هنا ﴿و﴾ ان ﴿تدني﴾ بضم المثناة فوق وسكون الدال المهملة وكسر النون أي تقرب ﴿وانا من حسن اليقين﴾ هو التيقن وازاحة الشك والاستغراق في مشاهدة الغيب وذلك ان اليقين على ثلاثة مراتب عين اليقين وهو العلم الحاصل بالمشاهدة وحق اليقين وهو فناء صفات العبد في صفات الرب وبقاؤه به علما وشهودا وحالا لا علما فقط فالذي يفنى انما هو صفات العبد لا ذاته على التحقيق حلافا لمن غلط فيه وعلم

اليقين

اليقين وهو العلم الحاصل من الدليل واعلى هذه المراتب المرتبة الاولى كما قرره البيضاوى فى تفسير قوله تعالى ثم لترونها عين اليقين قال أى الرؤية التى هى نفس اليقين فان علم المشاهدة أعلى مراتب اليقين انتهى وماذهب اليه بعضهم من ان المرتبة الثانية هى الاعلى فبالنسبة لقوم مخصوصين ولعلها المرادة هنا كما اشرنا اليه وان كانت المرتبة الاولى أعم ﴿قطوفا﴾ بضم القاف جمع قطف بكسرها أى عنقودا ﴿دانية﴾ أى قريبة متدلية ﴿جنيه﴾ بفتح الجيم وكسر النون وشد التحتية فعيلة بمعنى مفعولة أى مجنية وهى ما يجنى من الشجر مادام غضا طريا وهو الثمر هذا معناه فى الاصل وليس مرادا لانه لاثمرة فى اليقين حقيقة وانما ثمرته فوائده المكتسبة الشبيهة بثمرة الشجر فى النفع ففى الكلام استعارة بالكناية حيث شبه حسن اليقين بشجرة كثيرة الثمرة ورمز له بشئ من لوازمه وهو القطوف وكل من دانية وجنية ترشيح اوفيه تشبيه بليغ ﴿و﴾ أن ﴿تمحو عنا﴾ أى تزيل عنا من صحف الملائكة ﴿كل ذنب﴾ أى جرم ﴿جنيناه﴾ أى اكتسبناه وهذا هو الغفران على أحد القولين فى معنى الغفران وذلك ان غفر الذنب هو العفو عنه أى عدم المؤاخذة به اما بستره عن أعين الملائكة مع بقائه فى الصحيفة واما بمحوه من صحف الملائكة ذكره شيخنا فى حواشيه على جوهرة التوحيد قال وحكى بعضهم ان الاول هو الصحيح عند المحققين انتهى وتفسيره الغفران بالعفو يفيد أن العفو كالغفران فيما ذكر وذكر بعضهم ان العفو هو ترك العقوبة على الجرم والستر عليه بعدم المؤاخذة فهو أعم ﴿و﴾ ان ﴿تعم جمعنا هذا﴾ الاشارة فيه للناس المجتمعين لقصة المولد الشريف ﴿من خزائن منحك﴾ بكسر الميم وفتح النون جمع منحة بمعنى عطية ﴿السنيه﴾ أى المنيرة ﴿برحمة﴾ أى نعمة اذ الرحمة رقة فى القلب وعطف وميل روحانى غايته الانعام وهذا المعنى مستحيل عليه تعالى باعتبار مبدأه وهو الرقة والميل جائز باعتبار غايته وهى الانعام فيتعين ان يراد من الرحمة فى حقه تعالى معناها باعتبار غايتها وهى الانعام وحينئذ يكون فى حقه تعالى مجازا كما مر ﴿ومغفرة﴾ أى محو الذنوب أو سترها أى بزيادة الاعتناء بشأن الغفران والافقد علم مما مر ﴿و﴾ ان ﴿تديم﴾ لكل منا ﴿من والنا﴾ أى غيرك ﴿غناه﴾ بكسر الغين المعجمة مكسورا

أى عدم احتياجه ﴿اللهم أمن﴾ بفتح الهمزة المقصورة وتشديد الميم المكسورة أو الهمزة الممدودة وتخفيف الميم ضد الخوف ﴿الروعات﴾ بفتح الراء المشددة والعين المهملة بينهما واو ساكنة جمع روعة وهى الفزعة والخوف أى الفزعات المخوفات ﴿وأصلح الرعات﴾ بضم الراء المشددة جمع راع كقاض وقضاة وهم ولاة أمورنا ﴿و﴾ أصلح ﴿الرعية﴾ بفتح الراء وكسر العين وتحتية مشددة من يتولى الراعى أمرهم ﴿وأعظم الاجر﴾ أى الثواب ﴿لمن جعل هذا الخير﴾ أى أكرم المجتمعين لاجتماع قصة المولد النبوى وإطعامه وغيرها كقراءة القرآن والذكر بل ولو اقتصر على قراءة المولد فقط لما فيه من القاء أحواله الشريفة وشمائله الجليلة ومعجزاته المنيفة الى أسماعهم وفى ذلك خير جزيل ﴿فى هذا اليوم﴾ أو هذه الليلة ان كان ليلا ﴿وأجراه﴾ أى جعله جاريا ومستمرا فى كل عام وتقدم فى مقدمة الكتاب فى أصل عمل المولد عن الامام ابن الجوزى انه مما جرب ان من فعل ذلك كان له امانا من ذلك العام ﴿اللهم اجعل هذا البلد﴾ عنى بذلك بلده المدينة الشريفة وهو اسم من أسمائها كما تقدم وأتى به لا لطلاقه على غيرها ﴿و﴾ اجعل ﴿سائر﴾ باقى ﴿بلاد﴾ جمع بلد ﴿المسلمين آمنة﴾ اسم فاعل من الأمن ضد الخوف ﴿رخية﴾ بفتح الراء المهملة وكسر الخاء المعجمة من الرخاء وهو الخصب بكسر الخاء المعجمة ضد الجدب بسكون الدال المهملة ﴿واسقنا﴾ بقطع الهمزة من أسقى قال تعالى لاسقيناهم ماء غدقا وبوصلها من سقى قال تعالى وسقاهم ربهم شرابا طهورا أى أمطرنا ﴿غيثا﴾ أى مطرا ولم يعبر به لان القرآن العزيز لم يعبر به الا فى مواضع العذاب نحو قوله تعالى وأمطرنا عليهم مطرا وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل بخلاف الغيث فانه يعبر به فى مواضع الرحمة نحو وهو الذى ينزل الغيث ولا يكون ذلك الا لنكتة ولا عجب فالفصاحة القرآن العظيم الشأن وبلاغته فالمصنف رحمه الله تعالى راعى ما تقصده القرآن فذكر الغيث دون المطر قال الجاحظ فى البيان والتبيين مانصه وقد يستخف الناس ألفاظا ويستعملونها وغيرها أحق بذلك منها ألا ترى ان الله تبارك وتعالى لم يذكر فى القرآن الجوع الا فى موضع العقاب أو فى موضع الفقر

الموقع والمجاز الظاهر وكذلك ذكر المطر لانك لا تجد القرآن يلفظ به الا في موضع الانتقام والعامة وا كثر الخاصة لا يفصلون بين ذكر المطر وذكر الغيث انتهى وهذا كانراه صريح فيما قلناه ﴿يعم انسياب﴾ بكسر الهمزة وسكون النون وكسر السين المهملة ومثناة تحتية آخره باء موحدة السيلان والجريان ﴿سيبه﴾ بفتح السين المهملة وسكون المثناة التحتية آخره باء موحدة يأتي لمعان منها ان يكون مصدر ساب بمعنى جرى وهو المناسب هنا وحينئذ تكون اضافة الانسياب الى السيب للبيان وهذا أولى مما جرى عليه بعضهم من انه في الاصل العطاء استعارة لماء المطر اذ لا يصار الى المجاز الا عند عدم امكان الحقيقة ﴿السبسب﴾ بسينين مهملتين بينهما موحدة آخره موحدة المفازة أو الارض المستوية البعيدة وهو الانسب لقوله ﴿و﴾ يعم ﴿رباه﴾ بضم الراء المهملة وتخفيف الموحدة جمع ربوة مثلث الراء والضم أشهر الارض المرتفعة ﴿واغفر لناسج﴾ أي حائك ﴿هذه البرود﴾ جمع برد ثوب معروف والمراد منها جمل الكلام ففي كلامه استعارة تصريحية حيث شبه جمل الكلام بالبرود ورشحها بالنسج والمراد منه الجمع أي الجامع هذه الجمل ﴿المحبرة﴾ بضم الميم وفتح الحاء المهملة وشد الباء الموحدة مفتوحة أي المزينة تزيينا مبالغا فيه أو الشبيهة بالحبر بوزن عنب جمع حبرة كعنبة برد يماني في الحسن والملاحة ﴿المولدية﴾ أي المنسوبة للمولد نسبة الدال للمدلول سيدنا ﴿جعفر﴾ بن حسن بن المظلوم عبد الكريم المدفون بجده ابن الإمام المحقق صاحب التصانيف العظيمة مجدد القرن الحادي عشر السيد محمد وهو مترجم في النتائج للعموي والنفحات للذهبي والشذور للبيتي والرحلة للعياشي وغيرها ابن القطب العارف السيد رسول وهو مترجم في النتائج والفصول لولده السيد محمد المتقدم ذكره ابن عبد السيد بن عبد الرسول بن قلندر بن عبد السيد بن عيسى بن الحسين بن بايزيد بن خريت العارف الشيخ المرشد مربي السالكين من الثقلين عبد الكريم بن القطب الاعظم الغوث الفرد الجامع عيسى وهو الذي نضت له سوابق العناية بالمجد والاشراق فعمر قرية برزنج في سواد العراق باشارة من النبي صلى الله عليه وسلم كما أتى ابن علي بن

يوسف بن منصور بن عبد العزيز بن عبد الله بن اسماعيل المحدث ابن الامام موسى الكاظم ابن الامام جعفر الصادق بن الامام محمد الباقر بن الامام زين العابدين السجاد بن الامام الشهيد الحسين السبط بن الامام أمير المؤمنين على المرتضى وابن فاطمة الزهراء ابنت النبى صلى الله عليه وسلم فبينه وبين النبى صلى الله عليه وسلم ثلاثة وعشرون جدا وولد رضى الله عنه يوم الخميس اوائل ذى الحجة الحرام سنة ست وعشرين ومائة وألف بالمدينة المنورة فنشأ بها فى حجر والديه وقرأ القرآن على الشيخ اسماعيل اليمنى ثم جوده على الشيخ يوسف الصعيدى والشيخ شمس الدين المصرى وشرع فى تحصيل العلم وقرأ على جماعة من العلماء المحققين منهم السيد عبد الكريم حيدر البرزنجى والشيخ يوسف الكردى والسيد عطية الله الهندى ثم توجه الى مكة وجاور بها خمس سنين وقرأ بها على جماعة منهم الشيخ عطاء الله ابن أحمد الازهرى والشيخ عبد الوهاب الطنطاوى الاحمدى والشيخ أحمد الاشبولى وغيرهم وأجازه جماعة منهم الشيخ محمد الطيب الفاسى عن شيخه الشيخ ابراهيم الدرعى عن فاطمة بنت شكر الله العثمانية والدة جده السيد محمد بن رسول عن الشمس الرملى وغيرهم ومنهم السيد محمد الطبرى عن السيد عبد الرحمن بلفقيه الباعلوى عن ابن الجد المرحوم السيد محمد بن رسول وغيرهما ومنهم الشيخ محمد بن حسن العجيمى عن والده ومنهم السيد مصطفى البكرى عن أبى المواهب الحنبلى والنابلسى ومنهم شيخه الشيخ عبد الله الشبراوى المصرى عن الشيخ محمد الزرقانى شارح المواهب وغيره والشيخ عطاء الله الازهرى المتقدم ذكره عن الشناوى عن الشرنبلالى عن المزاحى أيضا وغيرهم عن هو مذكور فى مناقبه الروض الاعطر وأخذ عن جميعهم الصرف والنحو والمنطق والمعانى والبيان والآداب والفقه وأصوله والفرائض والحساب والاصلين والحديث وأصوله والتفسير والحكمة والهندسة والعروض والكلام واللغة والسير والقراآت والسلوك والتصوف وكتب الاحكام والرجال والمصطلح وغير ذلك وأخذ عنه جماعة وسلك طريق القوم وهجر الراحة والنوم نيفا وعشرين سنة حتى برع فى العلوم النقلية والعقلية وأخذ

الطر يقة عن السيد عطية الله الهندي والسيد مصطفى البكري المتقدمين وصنف التصانيف العجيبة في كثير من العلوم المفيدة منها هذا المولد الحافل الذي لم يسبق بمثله وسماه عقد الجوهر في مولد النبي الازهر صلى الله عليه وسلم وتولى منصب الافتاء على مذهب الامام محمد بن ادريس الشافعي رضي الله عنه بالمدينة المنورة ومكث فيه الى ان مات ومنح جاها واسعا ونفوذ كلمة عند الملوك والامراء بالحرمين ومصر والشام والروم وغيرها وأخذ عنه جماعة من وزراء آل عثمان وأرباب دولتهم وطار صيته طيران القطا في آفاق الآفاق حتى كاد لا يجهله احد وانتشرت تصانيفه وكتبها عنه الافاضل واقروا بانه ليس له في عصره مماثل وكان ذا اخلاق سنى متواضعا بشوشا صافي الباطن عفوا صفوحا لا تجد اسمح منه في الحقوق ولا أغفر منه للزلات عند استرضائهم وفور حدته المعتريه خيار الامة سريع الاستحالة الى الصفاء كثير الاريحية ملاذ أهل البيت النبوي وعمادهم بعد من مشاهير الاشراف الموسويين بل اذا ذكر مشاهيرهم فهو العميد لكثرتهم وعديدهم زاهدا ورعا متمسكا بالكتاب والسنة كثير الذكر دائم التفكر مثابرا على فعل الخير بالنفس والمال كثير البر والصدقة يصدق عليه اسم الجواد وكان ذا كرامات ظاهرة وأحوال باهرة منها انه دعي لخطبة من مصلاه يوم الجمعة الى مباشرة المنبر الشريف وكانت سنة مجدبة فاستسقى فامطرت السماء مطرا عظيما ونزل الماء كأفواه القرب حتى تركت المدينة قصعة ماء وسالت الاودية واخصبت الارض بعد جدبها وامتدحها العلماء بابيات منها قول بعض الفضلاء

سقى الفاروق بالعباس قدما * ونحن بجعفر غيثا سقينا
فذاك وسيلة لهم وهذا * وسيلتنا امام العارفينا

ومنها انه اخبر بوفاته في يوم كذا وقت كذا فلما قرب يومه نزل يقرأ درسه بعد صلاة الغداة فقرأ ثم بكى وقرأ ثم بكى الى ان ختم الدرس ثم توجه الى زيارة النبي صلى الله عليه وسلم فسلم عليه وبكى بكاء شديدا ثم جاء الى داره ثم خرج وتوجه الى زيارة بعض الاحياء فودعهم ثم الى ذوي الارحام فودعهم ثم رجع قبيل الظهر الى داره والتحف * أخبر السيد كمال الحلبي فقال دخل

على السيد الشيخ أبو العباس الهندي ومعه سؤالان وردا من أرض الهند
قال فقصهما وأجاب عليهما سيدي وكتب في أثنائهما وكتبه المنتقل الى
ربه جعفر البرزنجي وهذا آخر جواب كتبته في الدنيا ثم ناولنيهما وقال
أعطهما للشيخ فتعجبت مما رأيت مما كتبه فقلت يا مولاي لا تتفاءل على
نفسك فقال لي اليوم أي يوم من الأيام فقلت يوم الأحد فقال يوم الأحد يوم
الاثنين يوم الثلاثاء بعد العصر اني مفارقكم وسائر الى الله تعالى فكان
الأمر كما قال رحمه الله تعالى والى غير ذلك من الكرامات الظاهرة توفي يوم
الثلاثاء بعد العصر لأربعة خلت من شهر شعبان سنة ألف ومائة وسبع
وسبعين بتقديم السين فيهما ودفن بالبقيع الشريف قرب أجداده أهل
البيت النبوي وعند أرجل جداته بنات النبي صلى الله عليه وسلم ورؤي
بعد موته بثلاث عشرة ليلة فقيل له فيماذا أنت فقال

في جنة الفردوس يعلو منزلي * فانتبه الرائي فاذا هو شطر بيت فحسبه

فاذا هو تاريخ وفاته ورثاه جميع من العلماء منهم الفقيه البارع الشيخ عبد
القادر كدك أبياتا وكلها بهذا التاريخ ﴿من﴾ أي الذي ﴿الى
برزنج نسبته ومنتماه﴾ هما بمعنى يقال انتمى الى فلان أي انتسب اليه كما
مر و برزنج قرية عمرها القطبان الأعظمان الأخوان موسى وعيسى
رضي الله عنهما بشهرزور من سواد العراق وذلك لما وردا في أواخر دولة
بني العباس في سياحتهما الى شهرزور ناما تحت شجرة ورأى السيد عيسى
النبي صلى الله عليه وسلم يأمره بالاقامة هناك وقال له ان قبرك وقبر أخيك
في هذا المحل وابنوا المسجد في هذا المكان وأشار اليه وخط دائرة بعصاه
وقال احفروا من هنا وأشار اليه كذلك فانه يخرج منه الماء ومسح صلى الله
عليه وسلم بيده الشريفة على ناصيته فلما انتبه أخبر أخاه الأكبر موسى
بذلك واذا النور يسطع من موضع يده الشريفة صلى الله عليه وسلم وكان
رضي الله عنه يرخي عمامته على ناصيته دائما ثم اجتمع اليهما خلق من
أهل تلك الناحية وشرعوا أولا في بناء المسجد في ذلك الموضع الذي أشار
اليه النبي صلى الله عليه وسلم فقصر أحد جذوعه فأخذ كل من السيدين
بطرف من ذلك الجذع وقالا بسم الله فامتد الجذع وطال بحيث زاد من كل

طرف ذراعا وذلك ان بسم الله من العارف بمنزلة كن من الله وفى ذلك يقول السيد محمد بن رسول البرزنجي نفعنا الله به اظهارا للنعمة

جذعان فخرى يشهدان بمجدى * جذع هنا قد كان حن لجدى
ثان ببرزنج بمسجدها الذى * موسى وعيسى أسساه بجدة
جدى وعمى امتد فى أيديهما * أعظم لخارق جذعنا الممتد

وقوله جذع هنا قد كان الخ يعنى به الجذع الذى حن للنبى صلى الله عليه وسلم لما صنع له المنبر وتركه بعد ان كان يستند عليه لما يخطب قال فى الفصول وهذا المسجد باق الى يومنا هذا معمور وذلك الجذع باق يتبركون به ويأتون اليه من الاقطار ويأخذون منه تبركا قال المؤلف رحمه الله تعالى فى الشقائق الاترجيه فى أخبار الاشراف البرزنجيه اخبرنى السيد حسن بن السيد سليمان البرزنجي انه وضع على طرفيه حديدة حفظا له لانه كاد يبلى وان فى ذلك المسجد بركة ماء وكل من نام فيه ليلا يلقى فى تلك البركة فلذلك لا ينام فيه احد انتهى وبيت البرزنجيين بيت علم وشرف وولاية عليهم مدار عمارة شهرزور ويعتقدهم أهل تلك الجهات ويأتون اليهم بالنذور من سائر تلك الآفاق ويأتون بالمرضى والمجانين والمكاوين فاهو الان يزوروا قبور الاموات منهم ويأكلوا من طعامهم ويشربوا من شرابهم فيشفون باذن الله تعالى وهذا الامر لا يجهله أحد من أهل تلك الناحية ولا بد من واحد منهم على السجادة ببرزنج يطعم الوافدين اليها ولله در القائل حيث يقول

وأهل برزنج كرامات لهم * بالحصر والاحصاء لا تتحدد
كتجذع وكابراء الذى * قد حل فى حسد يده مقيد
أو بجذام او بنحوه ابتلى * وكم وكم وكم وكم أسرد
من زارهم فى قبرهم فقد شفى * من شر ما يخافه لا يجحد

ولله در الآخر حيث قال فى اثناء كلامه

هم أهل بيت طيب قد طهروا * من كل رجس جل مظهر مجده
يا أهل برزنج لانتم فى الورى * شمس وبدر مع كواكب سعده
فعليكم شمس وزين بدره * والكل منكم ثابت فى رشده
فالله يبقيهم لنا ويديمهم * حرزا لمن أدلى بخالص ودّه

ولله در الآخر حيث قال

فمانهم الاسرى وماجد * يدل عليه وصفه ومناقبه
نجوم سماء كلما غاب كوكب * بدا كوكب تهوى اليه كواكبه

امدنا الله بامدادهم ونفعنا باسرارهم ﴿وحقق﴾ اللهم ﴿له الموز﴾ الظاهر بالمقصود وهو القرب الى الله تعالى كما يفيده قوله ﴿بقربك﴾ أى الوصول اليك ﴿و﴾ حقق اللهم له ﴿الرجاء﴾ مايترجاه ﴿و﴾ حقق اللهم له ﴿الامنية﴾ بضم الهمزة مايتمناه ﴿واجعل﴾ اللهم ﴿مع المقربين﴾ أى الواصلين الى مقام القرب منه تعالى ﴿مقيله﴾ بفتح الميم مصدر بمعنى القيلولة وهى النوم فى وسط النهار وفى النهاية انما الاستراحة فيه وان لم يكن معها نوم والمراد مطلق الحال بقوله ﴿وسكناه﴾ بضم السين مفسرله ﴿واستر له عيبه﴾ الحال ومايشين ﴿و﴾ استر له ﴿عجزه﴾ أى عدم ادراك معارفه فى العلوم حتى يقدر على طى التعبير بالعبارات البليغة أو عجزه عن اداء ماينبغى فى وصفه صلى الله عليه وسلم وهذا الثانى كما قال بعضهم بعيد لان ذلك ليس فى طاقته اذ ترقيه صلى الله عليه وسلم لانهاية له ولا مطمع فى الاطلاع عليه وبفرضه لاتحيط به العبارة ﴿وحصره﴾ بمهملات أى عجزه عن الكلام ﴿وعيه﴾ بكسر العين المهملة وشد التحتية مرادف لما قبله قال فى القاموس عيى فى المنطق كرضى عيا بالكسر حصر ودكرفى باب الراء ان الحصر والعى بالمنطق وفرق بعضهم بينهما بأن الحصر العجز عن الكلام البليغ والعى العجز عن الكلام مطلقا مما لاينبغى فاحذره ﴿وكاتبها وقارئها﴾ الضمير فيهما للبرود ﴿ومن أصاخ﴾ بفتح الهمزة والصاد المهملة والخاء المعجمة أى أمال ﴿اليه﴾ اى الى القارى ﴿سمعه وأصغاه﴾ بفتح الهمزة وسكون الصاد المهملة فغين معجمة بمعنى أصاخ فعطفه عليه للتفسير ﴿وصل وسلم وبارك على أول﴾ تقدم تعريفه ﴿قابل﴾ اسم فاعل قبل كعلم بمعنى استعد أى أول مستعد ﴿للتجلى﴾ بالتاء والجيم وتشديد اللام أى النظر والاطلاع ﴿من الحقيقة الكلية﴾ الحقيقة الكلية هى التى انشئت منها نشأتا الخالقية والمخلوقية

فتارة تطلق ويراد بها الحق تعالى وتارة تطلق ويراد بها أصل المخلوقات وهى الجوهرة الكلية التى هى النور الذى خلق منه نور محمد صلى الله عليه وسلم كما قال أول ما خلق الله نور نبيك من نوره الحديث فهى الحقيقة الكلية التى لا تقبل التجزى ولا ينافى ذلك خلق الموجودات منه لانه كنور مصباح أوقدت منه شموع عديدة وان شئت قلت الحقيقة المحمدية فأصل الموجودات النور الذى خلق منه محمد صلى الله عليه وسلم وأصل ذلك النور الحق تعالى فهى قديمة باعتبار الاصل وما تفرع منها حادثة بمعنى ان ما وجد فهو بوسائط الحق تعالى وليست موجودة أى بوصف القديم فيكون الحق قد أوجد نا من موجود قديم فيثبت لنا القدم فمعنى قوله خلقه من نوره أى بواسطته وانظر كلام الشيخ ابن العربى قدس سره فى الباب السادس من الفتوحات يظهر لك تحقيق ما قلناه وحيث كان الانسان أشرف المخلوقات وأصلها لخصه بعضهم بالذكر هنا فقال المراد بالحقيقة الكلية النوع الانسانى أى فيدخل غيره من باب أولى ومع ذلك لا يعلم أحد حقيقة تلك الحقيقة غير الله سبحانه وتعالى فهى من مواقف العقول والله أعلم فان كان المراد بها الحق فمن فى قوله من الحقيقة الكلية ابتدائية وان كان المراد بها الحقيقة المحمدية فهى بيانية وان كان المراد بها النوع الانسانى فهى تبعيضية ﴿وعلى آله وأصحابه ومن نصره ووالاه﴾ اتخذه حبيبا ووليا وقدوة واماما ﴿ماشنفت﴾ بضم الشين المعجمة وشد النون المكسورة ففاء مفتوحة أى زينت ﴿الآذان﴾ بالمد جمع أذن وهى الجارحة التى أودع الله فيها قوة السمع ﴿من﴾ ذكر ﴿وصفه الدرى﴾ بضم الدال المهملة وتشديد الراء أى المنسوب للدر من نسبة المشبه للمشبه به ﴿بأقراط﴾ بفتح الهمزة جمع قرط بضم القاف وكسرها وسكون الراء فطاء مهملة ما علق فى أسفل الاذن ﴿جوهريه﴾ أى المنسوبة للجوهر نسبة الجزئى لكليه ففيه تشبيه بليغ مرشح حيث شبه الاوصاف بالاقراط ورشحها بالتشنيف ﴿و﴾ما ﴿حلت﴾ بفتحات مهملة الحاء مشددة اللام أى تزينت ﴿صدور المحافل﴾ بالحاء المهملة وكسر الفاء جمع محفل بكسر الفاء موضع الاجتماع ﴿المنيفه﴾ بضم

الميم وكسر النون وسكون التحتية نقباء أي المرتفعة العالية أو الشريفة
﴿ بعقود ﴾ بضم العين المهملة جمع عقد بكسرها وهو مجمع الخيط والخرز
﴿ حلاه ﴾ بكسر الحاء المهملة وضمها وتخفيف اللام أي وصفه
وحسنه وجماله صلى الله عليه وسلم وفي كلامه تشبيه المحافل بالنساء الذي
صدر على سبيل المكنية والصدور تخييل والعقود ترشيح * وصلى الله على
سيدنا ونبينا محمد الفاتح الخاتم * وهذا منتهى ما انتهينا اليه من دخول
خدور الافكار لكشف جلابيب العرائس النفائس الابكار ومطمح
نظر الفكر للغوص في بحار المعاني لالتقط منها فرائد درر المباني *
وقد جاء بحمد الله شرحا تقر به أعين الناظرين ويشفي به صدور
الصدورين ينزل من القلوب منزلة الجنان ومن العيون منزلة الا
كيف وقد بذلت الجهد في توشيحه وترشيحه وصرفت الوسع في تهذيبه
وتنقيحه حتى انطوى على كنوز الاسرار النبويه
عروسه واشرقت فيه أنوار المحمدية فاضاءت في الآفاق شموسه ومع اني
أبدي الاعتذار لذوي الفضل والاقتدار وأرجو منه ان رأى خللا
أو طاين زللا أن يصلحه بعد التأمل باحسان ولا يستغرب ذلك من الانسان
خصوصا وقد قيل

الصارم قد ينبو والنار قد تخبو والجواد قد يكبو والانسان محل النسيان
وما سمي الانسان الا لنسيه * ولا القلب الا انه يتقلب

ولاسيما مثلي بالعجز معلوم وعن الخطأ غير معصوم والمنصف عشور
والناقد بصير ومأجور وأتضرع الى الله سبحانه وتعالى أن ينفع به كما نفع
الخاص والعام ويقبله بفضله كما أنعم بالاتمام ويغفر لي ولمشايخي
ولوالدي وللمسلمين ويجعلنا من جملة أوليائه المقربين ويديم النا رضاه
الى أن نفوز بشهوده في أعلى عليين مع النبيين والصديقين والشهداء
والصالحين * اللهم صل وسلم وبارك على أشرف المرسلين سيدنا محمد وآله
وأصحابه وتابعيه وأحزابه أجمعين خصوصا الخلفاء الراشدين أبا بكر
الصديق وسيدنا عمر بن الخطاب فاروق الدين وسيدنا عثمان ذي النورين
وسيدنا علي أبي الحسنين اللهم احشرنا في زمرته واجعلنا من خدام سنته

وأعناء على شكرك وحسن عبادتك وذكرك والصدقة على القيام
والشكر له على التمام وقال جامعه أقل الخليقه ومن ليس بشئ في الحقيقه
جعفر بن اسماعيل بن زين العابدين بن محمد الشريف الحسيني البرزنجي
ثم المدني خادم الافتاء على مذهب الامام محمد بن ادريس الشافعي القرشي
رضي الله عنه بطيبة الطيبة واتفق الفراغ من تسويده يوم الجمعة المبارك
خامس عشرة ليلة خلت من شعبان سنة ألف ومائتين وتسع وسبعين
بتقديم التاء في الاولى والسين في الثانية في الروضة المعطره
التي هي مطلع شموس التوفيق والعنايه ومنبع
أنوار المعارف والهدايه وتدقيل
صدقا من قام بها لا يشقى
ولله در القائل

اذا لقت فيما بين قبر ومنبر * طيبة فاعرف أين منزلك الارقى
اقد دقت في دار النعيم بروضة * ومن قام في دار النعيم فلا يشقى

أدام الله لنا الوقوف ببابه والوقوع على أعتابه حتى
نلقاه بقلب سليم انه هو السميع العليم وصلى
الله على سيدنا محمد وآله وصحبه
وسلم
آمين

الحمد لله الذى جعل الحقيقة المحمدية اصل كل موجود ولولاه لما ثبت لموجود وجود فعظمت به المنة وكشفت به الغمة واستنار بنور محياه الوجود صلى الله عليه وعلى آله والمنتمين اليه ماهبت نسمات الجود (أما بعد) فان هذا الشرح قد انشرح له الصدر وجمع له كل تحرير وحبر فحق له أن ينشر فى الاقطار ليعم نفعه كاسمه الفاجر والبار وان تتسابق فى اقتناصه الركاب وتبذل لاجله أموال الطلاب ولا غرو فذلك ادعو الكوكب الانور على عقد الجوهر فى مولد النبى الازهر قد طابق اسمه مسماه ومبناه معناه ودل على براعة مؤلفه وغزارة علم مصنفه كما يعرف ذلك الناقد البصير ولا ينبئك مثل خبير هذا وقد وفق لطبعه وبسط موائد نفعه الفاضل السيد عبد الله الباز لازال بالخير ممتاز بالمطبعة الوهبيه المشمولة بالعناية الالهيه بقيام محمد الله حسب المرغوب وزياده مصحعا بالدقة على أصح نسخة مؤلفه رزقنا الله واياه الحسنى وزياده وعلى هامشه حاشية الهمام المفيد للطلاب المشار اليه فى طرة الكتاب ولاح بدر التمام وفاح مسك الختام أواخر شهر الحجة الحرام ختام عام تسعين ومائتين بعد الالف من هجرة خير الانام صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه وشرف وكرم ماعطرت مجالس المولد كل ربيع وحسن مشتاق لذى الجناب الرفيع آمين

6/00